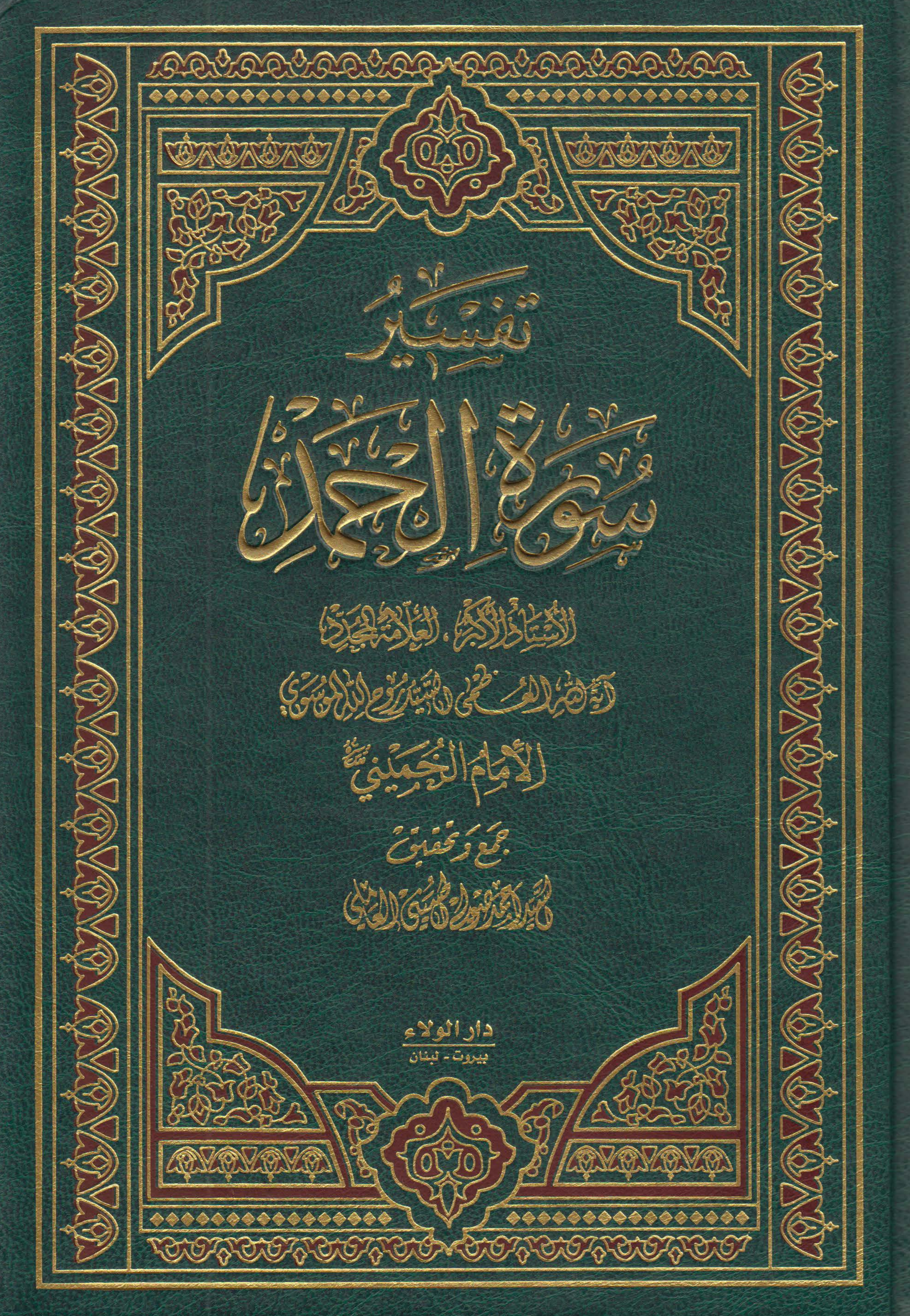
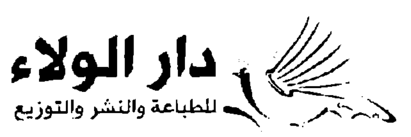

تفسير
سورة الحمد
الأستاذ الأكبر، العلامة المجدد
آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي
الإمام الخميني
جمع وتحقيق
دار الولاء
بيروت - لبنان


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com


تفسير
سورة الحمد



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب. 25/307
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

ISBN: 9953-546-86-5

اسم الكتاب: تفسير سورة الحمد للإمام الخميني قدس سره

جمع وتحقيق: السيّد أحمد صولي الحسيني العاملي

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة: الأولى - بيروت ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



الأستاذ الأكبر، العلامة المجدد
آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي
الإمام الخميني قدس سره

جمع وتحقيق

السيد أحمد الفهري الحسيني العاملي

دار الولاء
بيروت - لبنان



الحمد للّه رب العالمين ،

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين ،

سيدنا وقائدنا محمد بن عبداللّه ،

وعلى أهل بيته الهداة الميامين ،

المعصومين المظلومين ،

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين ،

منذ آدم إلى قيام يوم الدين .

اللهم عجل لوليك الفرج والعافية والنصر

واجعلنا من أنصاره وأعوانه

والذابّين عنه والمستشهدين بين يديه

برحمتك يا أرحم الراحمين

الإهداء

إلى الذي ترتجفُ الحروفُ وتحتارُ الكلماتُ في حضرته...

إلى الذي عاش بيننا وغاب عنا بسكون...

إلى الذي جادت به أرضُ عاملة مرةً لتبقى ذكراه مُدوّيةً في كل حين...

إلى من ذاب في الإمام الخميني العظيم بقدر ما ذاب في الإسلام...

إلى من كانت روحُ روحِ الله روحاً بين جنبيه تختلجُ روحَهُ وتعصفُ بكيانه...

إلى من عشق الخميني المُقدَّس منذ الصبا وريعان الشباب وإلى يوم الرحيل فكانت سكناتُهُ وحركاتُهُ وكلماتُهُ وعملياتُهُ من تجلّيات الدماء الحسينيّة والروح الخمينيّة...

إلى راهب الليل وليث النهار... مَنْ مِنْ ذكر اسمه اسرائيلُ تنهار

إلى أسطورة المقاومة وبشارة النصر الحاسم...

إلى قائد الانتصارين ومن له في كل رقبةٍ دين...

قدوة الشهداء الشهيد القائد

الحاج عماد مغنيّة «الحاج رضوان»

أسكنه الله الرضوان ونعَّمَهُ في فسيح الجنان

أُهدي هذا الجهد... راجياً منه القبول والشفاعة.

أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لولي أمر المسلمين
السيد القائد الخامنائي دام ظله

في كل نقطةٍ من العالم، متى ما خطا إنسانٌ بوحيٍ من العلم والعقل والفكر السامي، أو الزهد والتقوى والإيمان الراسخ، أو الشهامة والشجاعة والهمة العالية، أو الفطنة والحنكة والوعي السياسي، في طريق عملٍ عظيم، وتابع هدفه المقدس بصبرٍ وثباتٍ؛ لا شك في أنّه سيقودُ بلده وشعبه وأحياناً الانسانيّة إلى تحقيق مفاخر عظيمة وتقدمٍ خالدٍ، فكُلُ الذين وجدوا موقعاً لهم بين مشاهير التاريخ، كانوا قد اتسموا ببعض هذه السمات.

بيد أنَّ المُعلم الفذّ في عصرنا الحاضر، ألا وهو الإمام روح الله الخميني قدس سره، كانت تتجلى فيه كُلُ هذه السمات مجتمعة، بمستوىً بعيد المنال، قليل النظير في أغلب الأحيان، إذ كان عالماً ورعاً، وعاقلاً مُتقياً، وحكيماً مُدبراً، ومؤمناً مجدداً، وعارفاً شجاعاً وواعياً، وحاكماً عادلاً، ومجاهداً مضحياً.

كان سماحتُهُ فقيهاً واصوليّاً وفيلسوفاً وعارفاً، ومُعلمَ أخلاقٍ، وأديباً وشاعراً، وقد تربع سنوات طوالاً على أرفع مقاعد التدريس، واستحوذ على اهتمام أبرز وأشهر المجامع العلميّة في الحوزة.

فقد امتزجت خصوصياتُهُ الذاتيّةُ البارزةُ مع ما نهله من المعارف القرآنيّة وزين به قلبه وروحه، فصنعت منه شخصيّةً عظيمةً وجذابةً ومؤثرةً بنحو تبدو إزاءه كُلُّ شخصيّةٍ من الشخصيات البارزة في القرن الأخير الذي يُعدُ قرنَ الرجال العظام والمُصلحين الدينيين وكبار السياسيين والاجتماعيين، هامشيّةً وقليلةَ الجذابيّة وأحاديَّة الجانب.

فالعملُ الذي كرّس له هِمَّتَهُ، واستطاع انجازه بإيمانه وتوكله ودرايته وصبره، كان عظيماً ومُدهشاً ويبعثُ على الاعجاب بالدرجة ذاتها أيضاً.

وفي كُلُّ ذلك تجلى صرحُ الإيمان والشجاعة والتضحية ذاته في وجوده القيّم جنباً إلى جنب مع عُمق الحكمة والدراية والعقلانيّة. وزيّن اقتدارَه وصلابته بالعدل، ونوَّر امتيازه وتفرّدَه بالعبوديّة والتواضع، وعالج تمكُّنه وقوته بالزهد والتقوى، فَلَمْ يتخلَّ لحظةً عن طريق الله وعبوديّة الله. ولأنَّه حمل على عاتقه عبء الأمانة الجسيم، ضاعف من مراقبة روحه.

إنَّ كلامه النابع من القلب، وقلبه الذاكر الخاشع، وسلوكه المستلهم من الدين، أفاض بنبعٍ مُتدفقٍ من المعرفة والحكمة والتدبير الالهي.

كل التحيات لروحه السامي، وشوقٌ إلى حضرة بقية الله أرواحنا فداه وسلامٌ عليه.

السيّد علي الخامنئي[1]

---

(١) مقاطع من ديباجةٍ خطتها أناملُ ولي أمر المُسلمين السيّد القائد آية الله العظمى علي بن الجواد الحسيني الخامنائي ﺣﻔﻈﻪ كمقدمةٍ للترجمة العربية لصحيفة الإمام الراحل ﻗﺪﺱ ﺳﺮﻩ والتي تحتوي على خطاباته وبياناته وأحاديثه. راجع صحيفة الإمام: ج١، ص٩، النسخة الإلكترونيّة الصادرة عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﻗﺪﺱ ﺳﺮﻩ.



المقدمة

مُقدّمَةُ التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلام على المبعوثِ لتتميم مكارم الأخلاق وإحكام دعائم الإسلام، وإعلان معالم الحلال والحرام، وإحياء ما درس من شرائع المُرسَلِين، وإبطال أفكار الكُفَّار والمُلحدين، وقمع بدع أهل الضلال والمشركين، وعلى آله الأئمة الغُرِّ الميامين، مفاتيح الرحمة، ومصابيح الهداية، لا سيّما خاتمهم وقائمهم المُدَّخَرُ لتجديد ما درس من الفرائض والسُنن، والمحفوظ لإعادة الملّة والشريعة، المُؤمّل لإحياء الكتاب وحدوده، ومُحيي معالم الدين وأهله، قاصم شوكة المعتدين، وقاطع حبائل الكذّابين والمنحرفين، مُعزِّ الأولياء، ومُذلِّ الأعداء، جامع الكلمة على التقوى، اللهمَّ عجّل فرجه، وسهّل مخرجه، واجعلنا من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمُستشهدين بين يديه، أمين يا ربّ العالمين.

واللعنةُ الدائمةُ الأبديّةُ على أعدائهم وغاصبي حقوقهم ومُنكري فضائلهم ومناقبهم إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

لطالما استوقفتني عند قراءتي تراجمَ العُلماء وسِيَرَ حياتهم العلميّة والسلوكيّة والأخلاقيّة، صُنوفُ التفخيم والتعظيم والمدائحُ والعبائرُ والتقريظاتُ والتفخيماتُ البراقة والوهاجة التي تُكالُ لهم، والتي تصلُ إلى حدود المُبالغة القصوى في كثيرٍ من الأحيان. «العالمُ الفاضلُ، الثقةُ الجليلُ،

الفقيهُ النبيهُ، الزاهدُ العابدُ، المُتبحرُ في الأصول، البارعُ في الفقه، المجانبُ لأهل الدنيا ولذائذها، المشغولُ بنفسه وإصلاح رمسه، أعلم أهل زمانه، جامعُ المعقول والمنقول، علامةُ الفقهاء والمُحَدثين، جامعُ أخبار الأئمة الطاهرين، حائزُ علوم الأولين والأخرين، حجةُ الله على اليقين، من عقمت النساء من أن تلد مثله، وتقاعست أساطينُ الفضلاء فلا يُداني أحدٌ فضله ونبله، التقيُ الأوّاه، المُعجبُ ملائكة السماء بتقواه، شديدُ العبادة، كثيرُ الزهادة، بلغ من كل خيرٍ ذروته، وأخذ من كل علم شريفٍ جوهره وحقيقته، شيخُنا الأعزُّ الأجل الأعظم، وعمادنا الأرفع الأقوم، صفوةُ المُتقدمين والمُتأخرين، سَحَابُ الفضل الهاطل، وبحرُ العلم الذي ليس له ساحل...». وغيرها الكثير من الصِّيَغِ البليغة والكلمات الحِسان، التي لو أردتُ استقصاءها وإحصاءها لاستطردتُ كثيراً عما يشغلني، واللَبيبُ تكفيه الإشارة.

وبعد كُلِّ هذا تَخَالُ أنَّ صاحبَ الترجمة نبيٌ من الأنبياء أو من هو في تلو الأنبياء من العصمة والرفعة والمقام والشأن العظيم.

والمُسلَّمُ عندي أنَّ الكثير منهم ممن يستحقُ الإحترامَ والتبجيل والتجليل، وهذا مما لا ريب فيه ولا شك يعتريه؛ وذلك لما قدموه من جهدٍ وجهادٍ في ميادين العلم والتقوى والفضيلة ونشر الدين الحنيف وحفظه من الضياع والانحراف والتحريف. إلا أنَّ القليل منهم من كان مستوفياً ـ واقعاً ـ لكل الصفات والنعوت التي وُصف ونُعتَ بها، فبعضُهُم استحق جانباً مما مُدح به دون الجوانب الأُخرى، وآخرُ استحق جانباً آخر، وهكذا.

وعندما أردتُ أن أُطَبِّقَ قاعدتهم في التقريظ والتعريف، وشرعتُ في كتابة مُقَدِّمَةٍ لهذا الكتاب أُترجمُ فيها من لا يحتاجُ إلى كثيرِ ترجمةٍ، وأُعَرِّفُ بمن هو أشهر من أن يُعَرَّف، ارتجف القَلَمُ في يدي، وخفق قلبي خفقات الخجل، وكُنتُ مُتردداً حيران في ساحةِ رهبةِ صاحب النظرة الثاقبة والهيبة

المُحمديّة والشجاعة العلويّة الحسينيّة، فماذا أكتُبُ في رجُلٍ حقق حُلُمَ الأنبياء عليهم السلام، وماذا أقولُ في من أحيا الدين والملّة، وماذا أقولُ في رجُلٍ من أهل قم، شغل العالم وتحدى الطواغيت بعمامةٍ وسُبحة.

ماذا أقولُ في الخميني المُقدَّس، وماذا أقولُ في «روح الله» الذي أحيانا من موتنا فكانت لنا قيامةٌ بعد سُباتٍ عميق.

لا ينبغي لي أن أقول شيئاً، فالقولُ قولُ من عاش مع الإمام وعرفه، وكان أقرب الناس إليه، ومن اعتبره الإمامُ قدس سره شمساً باعثةً للضياء، نأخذُ من شعاع كلماته قَبَساً يُنيرُ لنا الطريق، فيوصلنا إلى ساحل بحر الولاية، لترسو قلوبُنا عند منارة الهدى وميناء الهداية.

يقولُ قائدي ووليُ أمري الخامنائيُ المُفدى دام ظله: «**الإمامُ الخمينيُ قدس سره كان عالماً جليلاً، وفقيهاً رسالياً، وفيلسوفاً عظيماً، ومُصلحاً كبيراً، وسياسياً مُقتدراً، وكان يتمتعُ بسجايا أخلاقيّة سامية، ولقد قرأتُ سِيَرَ الكثير من الفلاسفة والعرفاء وعلماء العلوم العقليّة والسياسيين والشيوخ المُحنَّكين والشخصيات البارزة أو عاشرتهم فوجدتُ أنَّ البَوْنَ بينهم وبين الإمام الكبير قدس سره شاسعٌ جداً وقد فاقهم في كُلِّ بُعْدٍ من أبعاده المُتنوعة**».

شذراتٌ من حياة الإمام الخميني قدس سره:

في العشرين من جمادى الآخرة وفي ذكرى ميلاد جدته أمّ الأئمة الأطهار وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام كانت ولادةُ زعيم الأحرار الإمام الهُمام الخميني الكبير رحمه الله عام ١٣٢٠ هـ/ق في مدينة «خُمين» الطيبة، وسط عائلةٍ علميّةٍ شريفةٍ عريقةٍ، استمدت أنوارها من صاحب الرسالة المحمديّة، وانبسقت أغصانها من الدوحة البيضاء العلوية. ففي ذلك البيت الهاشمي الرفيع، وأركان فضله وسؤدده المعلى، بزغ نور روح الله.

نشأتُهُ:

عاش الإمامُ قدس سره في مدينة «خمين» وفيها تلقّى مقدّمات العلوم الإسلاميّة إلى عام ١٣٣٩ هـ/ ق تقريباً، وقد توفَّرت في الإمام الراحل قدس سره مواهب فذة، وملكات فاضلة من حدة الفهم وقوة الحاضرة وسلامة الفطرة، فحاز على معلومات تعدت ذهنيّة أقرانه، حتى ذُكر أنّه أنهى دراساته الفارسيّة قبل أن يكمل الخامسة عشرة من عمره المبارك.

وتطلّع إلى التوسع في طلب المعرفة، فشرع بالدراسة عند أخيه الأكبر سماحة آية الله السيّد مرتضى بسنديده رحمه الله، فبقي عنده حتى أنهى مرحلةً أُخرى من مراحل سيره العلمي، كُلُّ ذلك يخطو خطوة خطوة باستعداده، ويتدرج في مدارج الكمال والمثل الأعلى.

ثم هاجر قدس سره إلى مدينة «أراك» وواصل فيها دراسته العلميّة وسيره التحصيلي. وفي سنة ١٣٤٠ هـ/ ق وفي أعقاب هجرة آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي قدس سره إلى مدينة «قم المقدّسة» هاجر الإمام قدس سره إليها، فتلقّى القسم الأكبر من السطوح على آية الله المرحوم السيّد علي اليثربي قدس سره، وتلقّى البعض الباقي على آية الله المرحوم السيّد محمّد تقي الخونساري رحمه الله، وكانت أكثر استفادته قدس سره في مجال الدراسات العليا الفقهيّة والأصوليّة من بحوث آية الله العظمى الحائري اليزدي رحمه الله مؤسّس الحوزة العلميّة بمدينة «قم المقدّسة»، كما حضر عند علماء آخرين من المحقّقين، كآية الله الشيخ محمد رضا النجفي الأصفهاني رحمه الله صاحب كتاب «وقاية الأذهان»، وآية الله السيّد محمد صادق الأصفهاني رحمه الله. كما ودرس الرياضيات والفلسفة عند السيّد أبو الحسن الرفيعي القزويني رحمه الله وعند الشيخ الميرزا علي أكبر اليزدي رحمه الله الحِكَمي، وأخذ عمدة العلوم العرفانيّة

والمعنويّة على العارف الكامل آية الله الميرزا محمّد علي الشاه آبادي ﴿رحمه الله﴾، واختص بالشيخ الميرزا جواد الملكي التبريزي ﴿قدس سره﴾ فدرس عنده علم الأخلاق. وبعدها استقلّ بتدريس الفلسفة والعرفان، وطار صيتُهُ إلى كُلِّ مكانٍ، فاجتمع حوله عددٌ كبيرٌ من الأفاضل والمحقّقين، وتخرّج على يديه الكثير منهم، وقد استغرق ذلك عقدين من الزمن. وكان لسماحته ﴿قدس سره﴾ أيضاً حلقة درسٍ في الأخلاق تحضرها نخبةٌ من أهل الفضل والعلم، وكان لهذا الدرس أثرٌ كبيرٌ في تهذيب نفوس الحاضرين وتزكيتها.

ثمّ إنَّهُ ﴿قدس سره﴾ شرع في تدريس «دورة الخارج» من الفقه والأصول منذ سنة ١٣٦٠ هـ/ ق في مدينة «قم المقدّسة» وحاصله تدريس ـ تقريباً ـ ثلاث دورات في علم الأصول ومباحث الزكاة، والطهارة، والمكاسب المحرّمة، والبيع، والخِيَارات، والخلل في الصلاة من الفقه الاستدلالي. وقد استمرّت إفاضاتُهُ إلى آخر يومٍ من أيّام إقامته في «النجف الأشرف» حيث تَلَتَ ذلك الأحداثُ السياسيّةُ الساخنةُ في إيران، فانشغل الإمامُ ﴿قدس سره﴾ بها عن بحوثه الفقهيّة والأصوليّة، وركّز جُلَّ اهتماماته على إزالة الطاغوت وتشكيل حكومة المستضعفين في الأرض، إلى أنْ وَفَّقَهُ الله سبحانه لذلك سنة ١٣٥٧ هـ/ ش فأسّس بنيان هذه الحكومة على التقوى، وأرسى دعائمها على مبادئ الدين الإسلامي الأصيل، مُقتدياً بسيرة أجداده المعصومين ﴿عليهم السلام﴾ فلم يَمِلْ في حكومته من حقٍّ إلى باطل، ولم تُخِفْهُ سطواتُ المستكبرين، فكان هَمُّهُ إعلاء كلمة الله، وإعزاز المؤمنين المستضعفين، وإذلال الطُغاة والمُتجبرين.

وفاتُهُ:

في يوم ١٤ خرداد ١٣٦٨ هـ/ ش، الموافق لـ ٤/ حزيرن/ ١٩٨٩ في مدينة طهران فارقت نَفْسُ السيّد الإمام ﴿قدس سره﴾ المُطمئنة هذه الحياة الفانيّة لتلتحق

بالرفيق الأعلى، فضجَّ العالمُ الإسلامي وصار في وحشةٍ عظيمةٍ لهول المُصاب، فلا ترى الناس إلا باكياً ونادباً، وكان يوماً مشهوداً عظيماً لم ير مثله أبداً، حيثُ حُمِلَ النعش الزكيّ على الأعناق إلى مقبرة جنّة الزهراء عليها السلام. فسلامٌ عليه يوم وُلد ويوم ارتحل بنفسٍ مُطمئنةٍ إلى معشوقه الأزلي، ويوم يُبعثُ حياً.

تأليفاتُهُ:

لسماحة الإمام الراحل قدس سره مؤلّفاتٌ قيّمةٌ في موضوعاتٍ شتى من الفقه والأُصول والفلسفة والعرفان والأخلاق والسياسة والاجتماع، يُزينُ ما طُبِعَ منها رفوفَ المكتبات العامّة والخاصّة وينتظر ما لم يُطبع منها فرصةَ الظهور إلى عالم المطبوعات والكتب، ومما يؤسف له أنَّ عدداً من رسائله ومؤلفاته النفيسة كانت قد فُقدت أثناء الإنتقال من مكانٍ إلى آخر، وخلال مُداهمات أزلام السافاك المُتكررة لمنزل الإمام قدس سره ومكتبته.

كان الإمامُ يمتلكُ خطاً جميلاً، وكان يتبع في تأليفاته قواعد التصنيف القديمة، والنظم في الكتابة وتجنُب الإطالة. ولقد كتب قدس سره بعض مؤلفاته بإسلوبٍ وطريقةٍ تخصصيّةٍ بحتةٍ، بحيث يتعذرُ فهم متونها وموضوعاتها دون الاستعانة بشرح أو تفسير أستاذٍ في ذلك العلم، وفي المُقابل تميَّز العديدُ من مؤلفاته بأسلوبٍ أدبي بسيطٍ استخدم فيه المُحسنات البديعيّة والإبداع في التراكيب والأساليب المُحبَبَة.

ومن تلك الكتب ما صنَّفَهُ قدس سره بقلمه الشريف إما بالعربيّة وإما بالفارسيّة، أو ما ألقاه طيلة حياته من خطابات وبيانات، أو ما كتبه الفضلاءُ والطّلابُ مما أفاده في دروسه.

أمّا المصنفات:

١ ـ **شرح دعاء السحر**، ويضمُ مسائل عرفانيّة وفلسفيّة وكلاميّة عميقة، اعتمد الإمام قدس سره فيه على الآيات القرآنية وروايات أهل بيت العصمة عليهم السلام في شرح دعاء المُباهلة والمعروف بـ«دعاء السَحَر»، كتبه باللغة العربية عام ١٣٤٧هـ/ ق، وقام بترجمته إلى الفارسيّة السيّد أحمد الفهري.

٢ ـ **مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية**، ويُعتبرُ من أعمق وألمع تصانيف العرفان الإسلامي في عصرنا الحاضر، فرغ الإمامُ قدس سره من تأليفه باللغة العربيّة عام١٣٤٩هـ/ ق وهو في سن الثامنة والعشرين من عمره.

٣ ـ **التعليقة على الفوائد الرضوية** (القاضي سعيد القمي)، أو شرح حديث رأس الجالوت، وهو احتجاجات الإمام الرضا عليه السلام على أصحاب الأديان المُختلفة، ومن جملتها احتجاجه عليه السلام على اليهود في قضية رأس الجالوت. كتبه الإمام الراحل قدس سره عام ١٣٤٨هـ/ ق باللغة العربيّة.

٤ ـ **التعليقة على شرح فصوص الحكم** (للقيصري)، وقد كتبها الإمام قدس سره باللغة العربيّة عام ١٣٥٥هـ/ ق، وهي توضح مدى إحاطة الإمام بآراء أساطين العرفان نظير ابن عربي والقونوي والكاشاني والفرغاني والقيصري.

٥ ـ **التعليقة على مصباح الأُنس**، كتبها الإمامُ قدس سره باللغة العربيّة عام ١٣٥٥هـ/ ق، وتناول من خلالها موضوع العرفان النظري مُبرزاً آراءه ونقده العلمي من خلال تعليقةٍ وحاشيةٍ أدرجها على الكتاب.

٦ ـ **الأربعون حديثاً**، وهو أحد آثار الإمام الراحل قدس سره الأخلاقيّة والعرفانيّة النفيسة، كتبه قدس سره باللغة الفارسيّة عام ١٣٥٨هـ/ ق، وقد قام بترجمته إلى العربيّة السيّد محمد الغروي. ضم الكتاب أربعين حديثاً من أحاديث

الأئمة الأطهار عليهم السلام وردت في الكافي الشريف، وقد تمَّ شرحها بصورةٍ مُبسَّطةٍ وبأسلوبٍ أدبيٍّ مؤثر.

٧ ـ **سرّ الصلاة** (معراج السالكين وصلاة العارفين)، كتابٌ عرفانيٌّ عميقٌ في بيان الأسرار المعنويّة والعرفانيّة للصلاة، كتبه الإمامُ الراحل قدس سره باللغة الفارسيّة عام ١٣٥٨هـ/ق، وتُرجم إلى العربية. يُمكنُ من خلال هذا السفر الراقي التعرف على مدى إحاطة الإمام الخميني قدس سره بالعرفان النظري وطيّه مراتب العرفان العملي من خلال بحوث الكتاب العميقة.

٨ ـ **آداب الصلاة**، صنَّفَ الإمام الراحل قدس سره هذا الكتاب عام ١٣٦١هـ/ق بُعيد تأليفه كتاب «سرّ الصلاة»، وكتب قدس سره في أوّل الكتاب: «قبل فترةٍ قُمتُ بتحرير رسالةٍ. . . ولأنَّ الرسالة لا تناسب حال العامّة قررتُ تأليف رسالةٍ أُخرى لشرح الآداب القلبيّة لهذا المعراج الروحاني»، فالكتابُ إذن مُفَصلٌ لآداب الصلاة وأسرارها المعنوية، حافلٌ بالموضوعات الأخلاقيّة والعرفانيّة، وقد كتبه قدس سره باللغة الفارسيّة، وقام السيّد أحمد الفهري بترجمته إلى العربية، وله ترجمةٌ أُخرى قامت بأعبائها مؤسسة حفظ ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره.

٩ ـ **كشف الأسرار**، وهو كتابٌ سياسي عقائدي اجتماعي، كتبه الإمام الراحل قدس سره باللغة الفارسيّة عام ١٣٦٤هـ/ق بعد عامين من عزل رضاخان عن السلطة، وقد ردَّ قدس سره فيه على ما أثاره أحدُ الوهابيين من شُبهاتٍ وتهمٍ باطلةٍ ضد الدين والعلماء في كتابه «أسرار الألف سنة»، فقام الإمام الراحل قدس سره بكشف الأسرار، وتناول في هذا الكتاب فكرة الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه في عصر الغيبة، وفضح السياسات المعادية للإسلام. تعرض الكتابُ لعملية قرصنةٍ واسعة من خلال التحريف الكبير الذي طاله في ترجمةٍ أُردنيّة شاعت وانتشرت في مرحلةٍ من المراحل، ثم

طُبع الكتاب مع مقدمةٍ تفضح التحريف في تلك الترجمة الأُردنية، ومن بعدها لم يُعاد طبعُهُ.

١٠ ـ **شرح حديث «جنود العقل والجهل»**، كتابٌ في علم الأخلاق، يضم آراء الإمام قدس سره الكلاميّة والأخلاقيّة والعرفانيّة بأسلوبٍ واضحٍ، كتبه الإمام قدس سره بالفارسيّة وقام السيّد أحمد الفهري بترجمته إلى العربيّة.

١١ ـ **التعليقة على الحكمة المتعالية** (لصدر المتألهين الشيرازي رحمه الله) مفقودةٌ.

١٢ ـ **الرسائل العشرة**، تشتمل على: قاعدة مَن مَلك، تداخل الأسباب، قياس العلل التشريعيّة بالتكوينيّة، موضوع علم الأصول، الفجر في الليالي المقمرة، العقود والإيقاعات، الشرط المُخالف للكتاب، **قاعدة** اليد، التقية، فروع العلم الإجمالي، وقد جمعت مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره هذه المجموعة من الرسائل والفوائد في مجلدٍ واحد.

١٣ ـ **لمحات الأصول**، تقريرات الإمام قدس سره لدروس آية الله العظمى السيّد البروجردي رحمه الله، وقد كتبها سماحتُهُ قدس سره باللغة العربية.

١٤ ـ **أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية**، كتابٌ في مجلدين يتناول المباحث العقليّة في علم أصول الفقه، كتبه الإمام باللغة العربية عام ١٣٦٨هـ/ ق بصورة حاشية على كتاب كفاية الأصول للأخوند الخراساني رحمه الله.

١٥ ـ **بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر**، رسالة تحقيقية اجتهادية كتبها الإمامُ قدس سره باللغة العربية عام١٣٦٨هـ/ ق حول قاعدة «لا ضرر» والتي تُعتبرُ من القواعد الفقهية المهمة.

١٦ ـ **الاستصحاب**، رسالةٌ اجتهاديّةٌ مُفصلة كتبها قُدّس سرّه باللغة العربية عام ١٣٧٠هـ/ق حول بحث «الاستصحاب» والذي يُعَدُّ من البحوث بالغة الأهمية في علم أصول الفقه.

١٧ ـ **الاجتهاد والتقليد**، رسالةٌ اجتهاديّةٌ في بحث الاجتهاد والتقليد وهو من البحوث التكميليّة والمهمة في علم أصول الفقه، كتب الإمامُ الراحل قُدّس سرّه هذه الرسالة باللغة العربية عام١٣٧٠هـ/ق.

١٨ ـ **التعادل والترجيح**، كتب الإمامُ الراحل قُدّس سرّه هذه الرسالة باللغة العربية عام ١٣٧٠هـ/ق، وهي من البحوث التكميليّة في علم الأصول والتي تدور حول الملاك في انتخاب الدليل إذا ما تعارضت الأدلة.

١٩ ـ **مناهج الوصول إلى علم الأصول**، كتابٌ تحقيقيٌ واجتهاديٌّ في مباحث الألفاظ، كتبه الإمامُ الراحل قُدّس سرّه باللغة العربية عام ١٣٧٠هـ/ق، وصدر في مجلدين.

٢٠ ـ **الطلب والإرادة**، كتابٌ أصوليٌّ فلسفيٌّ عرفانيٌّ، كتبه الإمامُ الراحل قُدّس سرّه باللغة العربيّة عام ١٣٧١هـ/ق.

٢١ ـ **كتاب الطهارة**، كتابٌ يشتمل على بحوثٍ بشأن الطهارة، وهو من أبواب الفقه، وقد كتبه الإمامُ قُدّس سرّه باللغة العربية في أربعة مجلدات بين عامي ١٣٧٣هـ/ق و١٣٧٧هـ/ق، بأسلوبِ استدلاليٍّ واجتهاديٍّ.

٢٢ ـ **التقية**، رسالة فقهيّة اجتهاديّة كتبها الإمام قُدّس سرّه باللغة العربية عام ١٣٧٢هـ/ق، وبرهن فيها على أنَّ وجوب التقية إنَّما يدور حول حفظ الدين لا محوه، طُبعت فيما سبق بشكلٍ مستقلٍ، ومؤخراً ضمن كتاب «الرسائل العشرة».

٢٣ ـ **المكاسب المحرّمة**، بحوث اجتهاديّة استدلاليّة في الفقه الاستدلالي

تناول أنواع المكاسب المحرّمة والمسائل المُتعلقة بهذا الأمر، كتبها الإمام قدّس سرّه باللغة العربية بين عامي ١٣٧٧ ـ ١٣٨٠ هـ/ ق، وطبعت في مجلدين.

٢٤ ـ **التعليقة على وسيلة النجاة**، حاشيةٌ كتبها الإمامُ الراحل قدّس سرّه على كتاب وسيلة النجاة الرسالة العمليّة لآية الله العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله.

٢٥ ـ **التعليقة على العروة الوثقى**، وهي حاشية الإمام قدّس سرّه على مسائل كتاب «العروة الوثقى» لآية الله العظمى السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي رحمه الله، كتبها الإمام قدّس سرّه باللغة العربية عام ١٣٧٥هـ/ ق، وتتضمن فتاوى الإمام قدّس سرّه الفقهية في أبواب الفقه المُختلفة.

٢٦ ـ **رسالة نجاة العباد**، رسالةٌ عمليّةٌ ضمّت فتاوى الإمام الراحل قدّس سرّه في الأحكام الفقهيّة، كتبها قدّس سرّه باللغة الفارسيّة.

٢٧ ـ **الحاشية على رسالة الإرث**، كتبها الإمامُ الراحل قدّس سرّه باللغة الفارسيّة على رسالة الإرث للملا هاشم الخراساني رحمه الله، وتضمنت فتاواه الفقهيّة في أحكام الإرث.

٢٨ ـ **توضيح المسائل**، رسالةٌ عمليّة تضم فتاوى الإمام قدّس سرّه في أبواب الفقه المُختلفة، كتبها قدّس سرّه باللغة الفارسيّة.

٢٩ ـ **مناسكُ الحج**، فتاوى الإمام الخميني قدّس سرّه حول أعمال ومناسك الحج، باللغة الفارسيّة.

٣٠ ـ **تحرير الوسيلة**، وقد كان أصل هذا الكتاب هو كتاب «وسيلة النجاة» لآية الله العظمى والمرجع الفقيد المرحوم السيّد أبو الحسن الأصفهاني قدّس سرّه، وقد علّق عليها الإمامُ قدّس سرّه، باللغة العربيّة ثمّ جمع بين

المتن والتعليقة بين عامي ١٩٦٤م و١٩٦٥م، وأضاف إليها الكتب والأبواب التي لم تكن في وسيلة النجاة، ككتاب الحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحدود والقصاص والديّات، وكان ذلك أثناء إقامته في منفاه بتركية، حيث أُقصي إليها من وطنه ظُلماً من قبل الطاغوت المُباد.

٣١ ـ **كتاب البيع**، أثرٌ نفيسٌ في الفقه الاستدلالي يقعُ في خمسة مجلدات ويتناولُ الأبواب المُختلفة المُتعلقة بالبيع والتجارة، ويُعتبرُ دائرة معارف في الأحكام الحقوقيّة الإسلاميّة، ولم يكتب إلى الآن نظيرها في الدقّة والعمق، بالإضافة إلى التتبّع. كتبه قدس سره باللغة العربيّة في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٦١م و١٩٧٦م أثناء إقامته في النجف الأشرف.

٣٢ ـ **الحكومة الإسلاميّة أو ولاية الفقيه**، الكتابُ في الأصل دروسٌ ألقاها الإمام قدس سره على طلبة العلوم الدينيّة في النجف الأشرف باللغة الفارسيّة عام ١٩٦٩م، ومن بعدها تُرجم إلى اللغة العربية والعديد من اللغات الأخرى، يشتمل الكتابُ على آراء الإمام قدس سره الاجتهادية حول مبدأ الحكومة الإسلاميّة، وعدم إمكانيّة الفصل بين الدين والسياسة، وولاية الفقيه في زمن الغيبة.

٣٣ ـ **الخلل في الصلاة**، كتابٌ ضمَّ آراء الإمام الخميني قدس سره الاجتهاديّة والاستدلاليّة حول بحث الأحكام الفقهية بشأن الخلل في الصلاة، كتبه الإمامُ قدس سره باللغة العربيّة في السنوات الأخيرة من إقامته في النجف الأشرف.

٣٤ ـ **تفسير سورة الحمد**، تفسيرٌ عرفانيٌّ لفاتحة الكتاب، وهو هذا الكتاب، وقد جمعتهُ وأعدتهُ مؤسسةُ حفظ ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره باللغة الفارسيّة.

٣٥ ـ **ديوان أشعار الإمام**، مجلدٌ واحدٌ، والظاهر أنَّهُ قد فقدت منه ثلاثة مجلدات أثناء الانتقال من مكانٍ إلى أخر وبسبب مداهمات شرطة السافاك لبيت ومكتبة الإمام قُدِّسَ سِرُّه الشخصية، وقبل هذا الكتاب، كانت أشعارُ الإمام الراحل قُدِّسَ سِرُّه قد طُبعت ونُشرت في كتبٍ مستقلةٍ حملت عناوين «طريق العشق»، و«مستودع الأسرار»، و«نقطة عطف»، و«كأس الحب».

٣٦ ـ **استفتاءات**، وهي مجموعة من الفتاوى ردَّ بها الإمامُ الراحل قُدِّسَ سِرُّه باللغة الفارسيّة على مجموعةٍ من الأسئلة الشرعيّة في الأبواب الفقهيّة المُختلفة، طُبع منها إلى الآن مجلدان وبقي آخران لم يطبعا بعد.

٣٧ ـ **الجهاد الأكبر (أو جهاد النفس)**، دروسٌ للإمام الراحل قُدِّسَ سِرُّه حول ضرورة وأهمية تهذيب النفس، ألقاها الإمام قُدِّسَ سِرُّه في النجف الأشرف، ومع أنَّها تميزت بالاختصار إلا أنَّها طُبعت مراتٍ عديدة كملحقٍ لكتاب «ولاية الفقيه»، ثم أُفردت وطبُعت على حدىً، وقد تُرجمت إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات.

٣٨ ـ **التجلّيات الرحمانية**، مجموعةُ رسائل عرفانيّة أخلاقيّة تربويّة إرشاديّة كتبها الإمامُ الراحل قُدِّسَ سِرُّه إلى أهل بيته وأرحامه.

٣٩ ـ **الوصية السياسيّة الإلهيّة**، وهي وصيتُهُ الأخيرة قبل ارتحاله إلى الرفيق الأعلى، وتضمنت توضيحه لعقائده الحقّة وأهمّ آرائه وارشاداته بشأن القضايا السياسيّة والاجتماعيّة، وقد تُرجمت إلى اللغة العربية وعشرات اللغات الأُخرى، وطُبع منها إلى الآن ملايين النسخ وانتشرت في العديد من البلدان.

٤٠ ـ **صحيفة الإمام**، وتحتوي على ما طبع في «صحيفة النور» وغيرها مثل «الجهاد الأكبر» و«والوصية السياسيّة الإلهيّة» و«منشور روحانيت»

و«المظاهر الرحمانية» و«موعد اللقاء» ورسائل وخطابات وبيانات ووكالات الإمام قدس سره، وقد جُمعت في ٢٢ مجلداً، باللغة الفارسيّة، وقد صدرت حديثاً الترجمة العربيّة لهذه الصحيفة.

أمّا التقريرات في المباحث التي لم يكتبها الإمام الراحل قدس سره:

١ ـ **شرح المنظومة والأسفار**، ثلاثةُ مجلدات تقرير آية الله السيّد عبد الغني الأردبيلي.

٢ ـ **الطهارة**، مباحث المياه والأغسال تقرير آية الله العظمى الشيخ محمد الفاضل اللنكراني قدس سره.

٣ ـ **المسائل المستحدثة**، تقرير آية الله محمد المحمدي الجيلاني.

٤ ـ **كثير السفر**، تقرير آية الله السيّد حسن الطاهري الخرمآبادي.

٥ ـ **قضاء الصلوات عن الميت**، تقرير آيات الله الطاهري وخرم آبادي والشيخ علي الكريمي.

٦ ـ **تهذيب الأصول**، تقرير لآية الله الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله.

٧ ـ **محاضرات في الأصول**، تقرير لآية الله الشيخ المنتظري رحمه الله.

٨ ـ **لب الأثر في الجبر والقدر**، تقرير لآية الله الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله.

وغيرها من التقريرات والكُتب الموضوعيّة التي قامت مؤسسة حفظ ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره بإعدادها ونشرها في سلسلةٍ تحت عنوان «تبيان» وصلت إلى أكثر من خمسين عنواناً إلى حدِّ الآن.

الإمام الخميني قدس سره وتفسير القرآن:

لم تتح للإمام الخميني قدس سره فُرْصةَ تصنيف تفسيرِ كاملٍ للقرآن الكريم، فإنَّ مثل هذا الأمر يحتاج إلى تفرغٍ كاملٍ وهذا ما لم يَتَسَنَ بسبب الأحداث

المُتسارعة والخطيرة التي عاشتها إيران والمنطقة في تلك الآونة والتي كان الإمامُ الراحل قُدِّسَ سِرُّهُ قطب الرحى فيها، حيثُ كان القائد الثائر الذي وقف بوجه أعتى طواغيت القرن الحادي والعشرين آنذاك.

ومع ذلك لم يغب القرآنُ الكريمُ يوماً عن حياة وحركة وأفكار ومبادئ ودروس وخطابات وبيانات وكتابات الإمام الراحل قُدِّسَ سِرُّهُ، فترك لنا إرثاً عظيماً من المتفرقات التفسيريّة في كلماته ومؤلفاته، يُمكنُ من خلالها الاطلاعُ على منهج الإمام الراحل قُدِّسَ سِرُّهُ في التعاطي مع السور والآيات القرآنية استدلالاً وتفسيراً واستشهاداً واستنباطاً، كما لا يخفى امتيازُ هذا المنهج الخميني بالطابع العرفاني الأخلاقي التربوي المُعتمد على التدبر والتفكر، مع التأكيد على أنَّ كُلَّ ما يُدعى أنَّهُ تفسيرٌ لآيات الله عزّ وجلّ هو على نحو الاحتمال لا القطع، ومن خلال ذلك يبقى بابُ احتمال معانٍ أُخرى في التفسير مفتوحاً ومتيسراً ولا يجمد على معنىً واحد.

يقولُ الإمام الراحل قُدِّسَ سِرُّهُ في كتابه «آداب الصلاة»: «. . . عليك أن تضع نصب عينيك أمراً هاماً يُمهدُ الاهتمام به سبيل الاستفادة من الكتاب المجيد ويفتح لقلبك أبواب المعارف والحِكَم، ألا وهو: النظر إلى هذا الكتاب الإلهي الشريف نظرة التعلم، واعتباره كتاب تعليم وإفادة، واعتبارك نفسك مُكلفاً بالتعلم والاستفادة.

ولا بُدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّنا لا نقصد بالتعليم والتعلم والإفادة والاستفادة، الجوانب الأدبيّة والنحو والصرف والفصاحة والبلاغة والنكات البيانيّة والبديعيّة التي وردت في القرآن الكريم، ولا النظر في قصصه وحكاياته على أنَّها تُمثلُ تاريخاً وأمراً يُرادُ من خلاله الاطلاع على أحوال الأُمم الغابرة.

فأيٍّ من هذه الأمور لا يُعدُّ من مقاصد القرآن، بل هي غاية في البعد عن الهدف الأساسي للكتاب الإلهي، لا بل إنَّ السّر في قلة انتفاعنا من هذا الكتاب العظيم هو إما لأنَّنا لا ننظر إليه بعين التعليم والتعلم، كما هو حالنا غالباً، فنحنُ نقرأ القرآن لأجل الثواب والأجر، ولذا فنحنُ لا نهتم سوى بتجويده وقراءته بصورةٍ صحيحة، لكي يعمُّنا الثواب، فنتوقف عند هذا الحدّ ونكتفي بهذا المقدار، لذلك نرى أنَّنا قد نقرأ القرآن الكريم على مدى أربعين سنةٍ مثلاً دون الحصول على فائدةٍ منه سوى أجر القراءة وثوابها. أو أنَّنا قد ننظر إليه نظرة تعليمٍ وتعلمٍ، غير أنَّنا ننشغل بجوانبه البديعيّة والبيانيّة ووجوه الإعجاز فيه، أو ما هو أرفع من ذلك قليلاً كالجوانب التاريخيّة وأسباب نزول الآيات وأوقاتها المكّي والمدني من الآيات والسوَّر، واختلاف القراءات والاختلاف بين المُفسرين من العامّة والخاصة وسائر الأمور الجانبية الأُخرى، الخارجة عن إطار مقاصد القرآن الأصليّة، والتي تؤدي بذاتها إلى الوقوع في الاحتجاب وإلى الغفلة عن الذكر الإلهي. وقد وجه كبارُ مُفسّري القرآن جُلَّ جهودهم لتصب في واحدٍ أو أكثر من هذه الجوانب، فلم يفتحوا للناس باب التعلم من القرآن الكريم.

وفي اعتقادي أنَّهُ لم يُكتب لحدِّ الآن تفسير لكتاب الله، فالمعنى العامّ للتفسير: هو شرح مقاصد ذلك الكتاب وتسليط المساحة الأساسيّة من الضوء الكاشف على بيان المعنى الذي يُريدُهُ صاحبُ الكتاب، ولما كان هذا الكتاب السماوي الشريف ـ كما يشهد الله تعالى ـ كتاب هدايةٍ وتعليمٍ ونبراس طريق السلوك الإنساني، لذا وجب على المُفَسِّر أن يوجه المُتعلم ـ من خلال كُلِّ قصةٍ من قصصه، بل كُل آيةٍ من آياته ـ نحو الاهتداء إلى عالم الغيب وإلى حيث تكون العلامات التي تؤدي إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة الإنسانيّة.

والمُفَسِّرُ إنّما يكون مُفَسِّراً، عندما يُفهمنا الهدف من النزول وليس سببه كما هو المُتعارف في التفاسير، فكم من المعارف والمواعظ الجليلة والخفيّة تكمن في قصة آدم وحواء ـ مثلاً ـ وما جرى لهما مع ابليس منذ بداية خلقهم وحتى نزولهم إلى الأرض، والتي ذكرها الحقُّ تعالى في كتابه مراراً، وكم توضحُ لنا من معايب النفس والأخلاق الإبليسيّة والكمالات النفسيّة والمعارف الإنسانيّة، والحالُ أنّنا غافلون عنها!

وعموماً، فإنَّ كتاب الله، هو المعرفة والأخلاق والدعوة إلى السعادة والكمال، لذا وجب أن يكون كتاب «التفسير» كتاباً عرفانيّاً أخلاقيّاً مُبيناً للجوانب العرفانيّة والأخلاقيّة وسائر الجوانب الداعية إلى السعادة فيه.

والمُفَسِّرُ الذي يُهملُ هذه الجوانب أو يغفل عنها أو لا يهتم بها، غافلٌ هو عن أهداف القرآن والغاية الأساسية من إنزال الكتب وإرسال الرُسُل، وهو خطأٌ فادحٌ أدى إلى حرمان هذه الأُمة لقرونٍ من الاستفادة من القرآن الكريم وإغلاق طريق الهداية بوجه الناس.

إنَّ علينا ـ فضلاً عن البحث العقلي البرهاني الذي يُوصلنا إلى فهم الهدف من التنزيل ـ أنْ نَسْتَلَّ هذا الهدف من الكتاب ذاته، فمُصنِّفُ الكتاب أعرف بأهدافه ومقاصده، فلنتأمل قليلاً الآن فيما يقوله المُصَنِّف بما يرتبط بشؤون القرآن.

يقولُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١]، فقد وصفه بأنَّهُ كتاب هداية. ويقولُ تعالى في سورةٍ قصيرة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٢]. ويقولُ:

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) القمر: ١٧.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

ويقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي يطولُ ذكرُها.

عموماً، لا نُريد من هذا الكلام التعرض لنقد التفاسير، إذ إنَّ كُلَّ مُفَسِّرٍ من المُفسرين تحمل مشاق كثيرةً وأشكالاً من العناء لكي يُصنف كتاباً قيّماً، فللّه دَرُّهُم وعلى الله أجرُهُم، إنَّما نُريدُ تأكيد ضرورة تمهيد سُبُل الاستفادة من هذا الكتاب الكريم أمام الناس، فهو الكتاب الفريد في السلوك إلى الله، والوتر في تهذيب النفوس وفي الآداب والسُنن الإلهيّة، والوسيلة العظمى للارتباط بين الخالق والخلق، والعروة الوثقى والحبلُ المتينُ للتمسك بعزِّ الربوبيّة.

لذا فإنَّ على العلماء والمُفسرين أنْ يُصنفوا تفاسير باللغة الفارسيّة والعربيّة يكونُ هدفُهُم فيها بيانُ التعاليم والمناهج العرفانيّة والأخلاقيّة وبيان أساليب ربط الخالق بالمخلوق، وتوضيح المراد من الهجرة من دار الغرور إلى دار السرور والخلود، وعلى النحو الذي أُودِعَ في هذا الكتاب الكريم.

إنَّ صاحب هذا الكتاب ليس «السكاكي» أو «الشيخ» ليكون هدفه فيه جوانب البلاغة والفصاحة، ولا هو «سيبويه» و«الخليل» ليكون هدفه النحو والصرف، كما إنَّهُ ليس «المسعودي» أو «ابن خلكان» ليكون بحثه في تاريخ العالم.

إنَّ هذا الكتاب ليس كعصا «موسى» ويده البيضاء، ولا كأنفاس «عيسى» الذي كان يُحيي الموتى، فهو لم يُنَزَّل ليكون مُعجزةً تُدللُ على صدق النبي

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) ص: ٢٩.

الأكرم فقط، وإنّما هو كتابٌ لإحياء القلوب بحياة العلم والمعارف الإلهيّة السرمديّة، إنَّهُ كتابُ الله جلَّ وعلا الداعي إلى الشؤون الإلهيّة، وعلى المُفَسِّرِ أنْ يُعَلِّمَ الناس الشؤونَ الإلهيّة، كما أنَّ على العباد أن يرجعوا إليه من أجل تَعَلُّم الشؤون الإلهيّة لكي تتحقق الاستفادة منه، فقد قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1]، وأيّةُ خسارةٍ أكبر من المواظبة على قراءة هذا الكتاب الإلهي مدة ثلاثين أو أربعين عاماً ومراجعة التفاسير، ولكن دون الوقوف على أهدافه السامية؟ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]»[3].

انطلاقاً من هذه النظرة الشاملة ومن هذه المدرسة العرفانيّة، لطالما استفاد الإمامُ الخميني الراحل قُدِّسَ سِرُّه من آيات القرآن والمطالب القرآنيّة في كتاباته وخطاباته لبيان وتفسير الآيات الشريفة والاستفادة القصوى منها في تربية النفوس وإبراز الأحكام وبيان مرادات الحقّ تعالى في كتابه العزيز وشريعته الغراء.

ومن هنا جهد الإمامُ الراحل قُدِّسَ سِرُّه في رفع الحجاب عن أسرار القرآن الكريم ومقاصده لتظهر حقيقتُهُ ولتُشرق معارفُهُ.

وللمتتبع أنْ يلحظ أنَّ الروح السامي للقرآن الكريم ـ هذه الصحيفة النورانيّة والمائدة السماويّة ـ قد انبثت في مختلف جوانب حياة الإمام قُدِّسَ سِرُّه، فقد كان قُدِّسَ سِرُّه خادماً صادقاً ووفياً للقرآن العزيز، واستفاد منهُ ومن علومه في

(١) الإسراء: ٨٢.

(٢) الأعراف: ٢٣.

(٣) آداب الصلاة، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦، الباب الرابع، الفصل الثالث، القرآنُ كتابُ تعليمٍ وإفادة.

شتى الميادين والغمار التي خاضها، فقد قام الإمامُ الراحل قدس سره بتفسيّر العديد من السوّر الكاملة في بعض كتبه، كتفسيره لسورة الإخلاص ـ مثلاً ـ في كتابه «آداب الصلاة»، وكذلك قام بتفسير وتحقيق آيات الأحكام في آثاره الفقهيّة والأُصوليّة، وطبق الآيات الكريمات في الكثير بل في جلّ المباحث العرفانيّة والأخلاقيّة والسياسيّة والاجتماعيّة التي تصدى لبيانها وإبراز فوائدها.

من هنا قامت مؤسسةُ حفظ ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره ـ وحرصاً والتزاماً منها بنشر فكر وآراء ومؤلفات الإمام الراحل قدس سره لتكون نبراسَ هدايةٍ وشعاعَ أملٍ في أيامٍ غرقت فيها النفوس في ظلمات الجهل والابتعاد عن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة ـ بجمع وإعداد ونشر تفسير سورة الحمد المباركة من مؤلفات وكلمات الإمام الراحل قدس سره، وقَدَّمَتْهُ لعشاق الإمام الراحل قدس سره المتعطشين للفكر الإسلامي المحمدي الأصيل على نهج الولاية القويم لأئمة الهدى الطاهرين عليهم السلام.

وتفسيرُ الإمام الراحل قدس سره لسورة الحمد المُباركة مشحونٌ بالنكات الدقيقة واللطائف العرفانيّة العميقة والتي تعكس الروح العظيمة التي كان الإمامُ المُقدَّسُ يكتنزها بين جَنَبَاتِهِ.

ولا بُدَّ في المقام من الإشارة إلى أنَّهُ قد انتشر واشتهر فيما سبق وجود تفسيرٍ لسورة الحمد المباركة من تأليف الإمام الخميني قدس سره، وما هو إلا مجموعة من الدروس بلغت الخمسة كان الإمام قدس سره قد أفاض بها عام ١٣٥٨هـ/ ش من خلال اطلالاتٍ تلفزيونيّة عبر تلفزيون الجمهورية الإسلاميّة بعد انتصار الثورة المُظفَّرة، وقد اقتصرت تلك الدروس على تفسير آية البسملة، وقد قام بترجمتها إلى العربيّة الأستاذ محمود عرفان.

الكتابُ بين يديك:

بعد اطلاعي على كتاب «تفسير سورة الحمد» المنتشر باللغة الفارسيّة، عقدتُ العَزْمَ على جمعه وإخراجه وتحقيقه بنسخته العربيّة.

ولا يخفى أنَّ الكتاب قد تمَّ إعدادُهُ وتنظيمُهُ وفق أربعة فصولٍ ليكون مجموعةً تفسيريّةً مُتكاملةً لسورة الحمد المباركة.

الفصل الأوّل:

وهو تفسيرٌ موجزٌ لسورة الحمد جاء ضمن كتاب «سرّ الصلاة» بمناسبة بحث القراءة.

الفصل الثاني:

تفسيرُ سورة الحمد من كتاب «آداب الصلاة».

الفصل الثالث:

وهو مجموع الدروس التفسيريّة التلفزيونيّة ـ والتي تقدمت الإشارةُ إليها ـ وقد توقف الإمامُ قُدِّسَ سِرُّه ـ حينها ـ عن متابعتها بسبب وعكةٍ صحيّةٍ أَلَّمَت به، وبسبب معارضة بعض «المُقدَّسين» قضية طرح هذا النوع من الخطاب العرفاني في التفسير على مسامع عامّة الناس[١]. وقد اعتمدنا في هذا الفصل ترجمة الأستاذ محمود عرفان، مع إجراء بعض التصحيحات بعد مقابلتها مع الأصل الفارسي.

الفصل الرابع:

وهو عبارة عن مجموع ما انتشر في كتب الإمام الراحل قُدِّسَ سِرُّه وخطاباته ورسائله وبياناته حول تفسير بعض فقرات وآيات سورة الحمد المباركة.

---

(١) وردت هذه المعلومة في مقدِّمة كتاب (تفسير سورة الحمد) باللغة الفارسيّة، من إصدار مؤسسة حفظ ونشر آثار الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه.

عملُنا في التحقيق:

أولاً: استخراج مطالب الكتاب من كتب الإمام الراحل قدس سره معتمدين على الترجمات الصادرة عن مؤسسة حفظ ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره أو المُتبناة منها.

ثانياً: تقطيع النص وضبطه وتقويمه.

ثالثاً: استفدنا من العضادتين [ ] للعناوين الفرعيّة التي جعلناها لفقرات ومقاطع الكتاب بهدف تسهيل مراجعة الكتاب ومطالعته، مع الحفاظ على العناوين التي كان الإمامُ قدس سره قد جعلها في متون كتبه.

رابعاً: الإشارة إلى موضع الآيات القرآنيّة الشريفة، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية، على حسب ما هو مُتعارف في إحياء التُراث.

خامساً: تخريج الأحاديث والروايات الشريفة من مظانّها الرئيسية والمعتبرة والأصلية كالكتب الأربعة والناقلة عنها كبحار الأنوار ووسائل الشيعة، وذلك بذكر الكتاب أولاً، ثم رقم الجزء، ثم رقم الصفحة، ثم تسلسل الحديث، وربما نذكر عنوان الباب أو رقم ترتيبه.

سادساً: تخريج بعض الأقوال وإرجاعها إلى أصحابها وقائليها حسبما وصلته يَدُ التتبع.

سابعاً: تعريف الأعلام والعلماء المذكورين في أصل الكتاب، والأئمة عليهم السلام وبعض الأعلام الذين تمّ ذكرهم في حواشي التحقيق، وذلك بصورةٍ مُختصرةٍ.

ثامناً: إدراج لمحةٍ مُختصرةٍ عن بعض الكتب المُهمة التي ورد ذكرها سواء في المتن أو في حواشي التحقيق والتخريج.

تاسعاً: إعداد فهارس المحتويات ومصادر التحقيق، مشيرين إلى طبعة تلك المصادر لتوفير الوقت وتسهيل أمر الاستفادة من مطالب الكتاب.

عاشراً: شرح وتبيين بعض الكلمات والمصطلحات، وإضافة بعض التعليقات التوضيحيّة.

وفي الختام:

ونحنُ إذ نرجو أنْ يكون إخراجُ هذا السفر وتحقيقه بهذه الحلّة باعثاً لابتهاج وسرور الروح الطاهرة المُقدَّسة لإمامنا الراحل قدس سره، نَتَضَرَّعُ إلى المولى سبحانه وتعالى كي يتقبل منّا هذا الجهد المتواضع ويُثَبتَ أسماءنا في سجل خَدَمَةِ القرآن الكريم وحفظته، وأن يُوفقنا للسير على نهج وخط الإمام العظيم قدس سره، ويَزِيْدَ في علو درجاته، ويحشره مع أجداده الطاهرين عليهم السلام، ويجزيه عن الإسلام والمسلمين خير جزاء المُحسنين بحق بقية الله في الأرضين - روحي وأرواحُ العالمين لتراب مقدمه الفداء - إنَّهُ سميعٌ مُجيب. والحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

السيد أحمد صفوان الحسيني العاملي

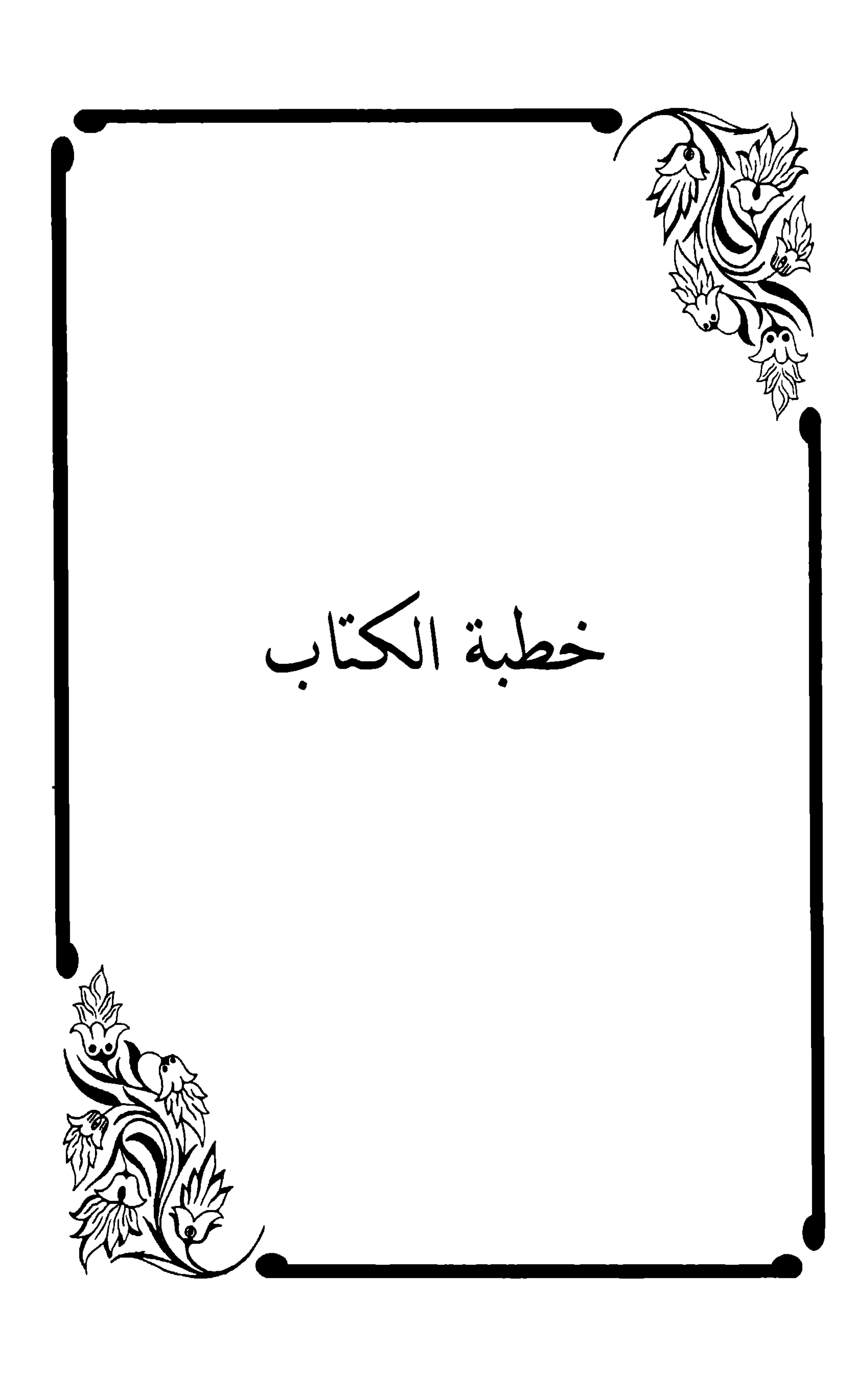
٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ/ ق مولد السيدة الزهراء عليها السلام

وحفيدها الإمام الخميني المُقدّس

الموافق لـ ٤/ حزيران/ ٢٠١٠،

الذكرى الحادية والعشرين لارتحال الإمام الراحل قدس سره

(قم المقدّسة)



خطبة الكتاب

[خطبةُ الكتاب][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله المُستكنّ في حجاب العماء والمستتر في غيب الصفات والأسماء، الباطن المختفي بعزّ جلاله، والظاهر غير المحتجب بنور جماله، المُتجلّي بالبطون فظهر، والمُتجلّي بالظهور فبطن واستتر، بادئ بدو سلسلة الوجود، وخاتم ختم الغيب والشهود، الذي بقهر كبريائه محجوبٌ عن قلوب الأولياء، وبظهور سنائه يظهر في مرائي الخلفاء، الباسط ببهائه على سكّان الملك والملكوت، والساطعُ بسنائه على قطان الجبروت واللاهوت. تجلى من غيب الهوية بجماله الأجمل، ولا حجاب له إلا جلاله؛ واختفى في ظهوره الأظهر، ولا ظهور لشيءٍ إلا جماله. ظهر بذاته من عين الجمع في مجالي صفاته، وبصفاته من الكنزية المخفية في ملابس آياته، وعنده مفاتح غيب الأرواح، وشهود الأشباح.

والصلاةُ والسلامُ على أصل الأنوار ومحرم سرّ الأسرار، المُستغرق في غيب الهويّة والمُنمحى عنه التعيُّنات السوائيّة، أصل أصول حقيقة الخلافة وروح أرواح منصب الولاية، المُستتر في حجاب عزّ الجلال، والمخمّر

(١) مقتبسةٌ من بعض الخطب التي افتتح الإمامُ الراحل ﭬ بعض كتبه بها، راجع: مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، ص١١، التعليقة على الفوائد الرضويّة، ص٣٧، شرح دعاء السَّحَر، ص٣. (بتصرف).

بيدي الجلال والجمال، كاشف رموز الأحديّة بجملتها، ومُظهر حقائق الإلهيّة برمّتها، مفتاح الوجود، والرابط بين الشاهد والمشهود، باب الأبواب لغيب الهوية، المُتردي برداء العمائية، الحافظ للحضرات الخمس الإلهية، الذي تدلى وافتقر، واستقام بأمره كما أمر، مفتاح الدائرة ومختمها، ومؤخر السلسلة ومقدمها، المرآة الأتمّ الأمجد، سيّدنا أبي القاسم محمّد ﷺ.

والصلاةُ والسلامُ على خليفته، القائم مقامه في المُلك والملكوت، المُتّحد بحقيقته في حضرة الجبروت واللاهوت، أصل «شجرة طوبى» وحقيقة «سدرة المنتهى»، «الرفيق الأعلى» في مقام «أَوْ أَدْنى»، مُعلّمُ الروحانيّين ومؤيّد الأنبياء والمرسلين، عليٌّ أمير المؤمنين، عليه صلوات الله وملائكته ورسله أجمعين، وعلى الشموس الطالعة من فلك الخلافة الأحمديّة، الآيات التامات والأنوار الباهرات، والبدور المُنيرة من أفق الولاية العلويّة، المُصطفين من الله، الذين بهم فتح الله، وبمعرفتهم عُرِف الله، الأسبابُ المُتصلة بين سماء الإلهيّة وأراضي الخلقيّة، الظاهرُ فيهم الولاية، والباطنُ فيهم النبوة والرسالة، الهادين بالهداية التكوينيّة سراً والتشريعيّة جهراً.

واللعنُ على اعدائهم، مظاهر الشيطان والبهائم على هيكل الإنسان، سيَّما أصل الشجرة الخبيثة إلى يوم يُحشَرون على صورٍ تحسن عندها القردةُ جزاءً بما كانوا يعملون.

وبعد، يقولُ المُفتخرُ بالانتساب إلى المبعوث إلى الثقلين، والمتمسّك بعروة وثقى الثقلين، السيّد روح الله بن العالم المقتول، السيّد مصطفى الموسوي الخميني، القاطن بقم الشريف، أحسن الله حالهما وأصلح مآلهما:

[مُقدِّمَةٌ لا بُدَّ مِنْهَا][1]

وَرَدَتْ طلبات أن أتحدث في تفسير بعض الآيات القرآنية الشريفة، في حين أن تفسير القرآن ليس من المهمات التي يستطيعُ أمثالُنا أداء حقها، بل إنَّ علماء الطراز الأول ـ من العامة والخاصة ـ صنفوا طول التأريخ الإسلامي كُتُباً كثيرةً في هذا الباب ومساعيهم مشكورة بلا شك، ولكنّ كُل منهم لم يقم بأكثر من كشف أحد أغطية القرآن الكريم وفقاً لتخصصه، وحتى في هذا الحدّ ما من يقينٍ أن التفسير جاء كاملاً.

فمثلاً عمد العُرفاءُ على مدى قرونٍ عدة إلى كتابة تفاسير عديدة وفق طريقتهم وهي الطريقة المَعْرِفيّة، أمثال محي الدين[2] في بعض كتبه، وعبد الرزاق الكاشاني[3] في تأويلاته، والمُلا سلطان علي[4] في تفسيره، وبعضهم

(١) جاءت هذه السطور كمقدمةٍ للبحوث التفسيريّة التي ألقاها الإمامُ الخميني الراحل قُدِّسَ سِرُّه من على شاشة التلفاز، وارتأينا أن نجعلها في أول هذا الكتاب لما تشتمل على إطلالةٍ سريعةٍ على مسألة تفسير القرآن الكريم وكذلك الضوابط المهمة والضروريّة التي لا بُدَّ للمُفسِّر من أن يلتزم بها.

(٢) المقصود هو محي الدين ابن عربي، وقد تعرضنا لترجمته في القسم الأوّل من هذا الكتاب، فراجع.

(٣) المولى عبد الرزّاق بن جمال (أو جلال) الدين اسحق الكاشاني السمرقندي، المكنى بـ«أبو الغنائم»، والمُلقب بـ«كمال الدين»، من مشاهير عرفاء القرن الثمن الهجري، قام بشرح كتاب (فصوص الحكم) لابن عربي، وكذلك شرح كتاب (منازل السائرين) للخواجة عبد الله الأنصاري، وكذلك له كتابٌ يُعرف بـ (تأويل الآيات) أو (تأويلات القرآن)، و(اصطلاحات الصوفية). وقال صاحبُ (روضات الجنات) في ذيل حديثه عن الشيخ عبد الرزاق اللاهيجي: «لقد أثنى الشهيد الثاني على عبد الرزاق الكاشاني ثناءً كثيراً».

(٤) هو السلطان محمد بن حيدر الجنابذي الخراساني، المشهور بـ«السلطان علي شاه»، من عرفاء ومتصوفي القرن الرابع عشر، من مؤلفاته (بيان السعادة في مقامات العبادة) في التفسير. قال الأقا بزرگ الطهراني رحمه الله في كتابه الذريعة، ج٣، ص١٨٢، في مقام الكلام عن التفسير المُتقدم: (بيان السعادة في مقامات العبادة) أو (التفسير المنير)، تفسيرٌ للقرآن الشريف طبع بطهران في مجلدٍ كبير سنة ١٣١٤ على نفقة أصحاب العارف المُعاصر المولى سلطان محمد بن حيدر محمد الگنابادي (الجنابذي) الخراساني المولود (١٢٥١) والمتوفى ١٣٢٧ معتقدين أنّه تصنيف شيخهم المذكور=

أجاد التصنيف وفق هذا الفن ولكنَّ القرآن لا ينحصر فيما صنفوا، فما قاموا به هو إزاحة بعض الحجب عن القرآن الكريم وقراءة بعض أوراقه.

كما قام الطنطاوي(١) وأمثاله وكذلك السيّد قطب(٢) بتفسير القرآن بطريقةٍ

=وهو نفسُهُ ذكر فيه أنّهُ فرغ من تأليفه سنة ١٣١١ ولكن نبهني العالمُ البارعُ المعاصرُ السيّد حسين القزويني الحائري بانتحالٍ وقع في هذا التفسير يكشف عن كونه لغيره ولو في الجملة، فإنَّ ما أورده في أوله من تشقيق وجوه إعراب فواتح السور من الحروف المقطعات وإنهاء تلك الشقوق إلى ما يُبهر منه العقل توجد بتمام تفاصيلها وعين عباراتها في رسالة الشيخ علي بن أحمد المهائمي الكوكني النوائتي المولود سنة ٧٧٦ والمتوفى سنة ٨٣٥ المشهور بـ«مخدوم علي المهايمي» وقد ذكر ألفاظ الرسالة السيّد غلام علي آزاد البلكرامي في كتابه «سبحة المرجان» المؤلف سنة ١١٧٧ والمطبوع سنة ١٣٠٣، وذكر أنَّ «المهايم» بندرٌ في «كوكن» من نواحي «دكن»، و«نوائت» ك «ثوابت» قومٌ من قريش نزلوا إلى بلاد «دكن» في زمن الحجاج، قال: «وله «التفسير الرحماني» و«الزوارف في شرح عوارف المعارف»، و«شرح الفصوص» لمحيي الدين، و«شرح النصوص» للقونوي، و«أدلة التوحيد». أقول وتفسيره الموسوم بـ «تبصير الرحمن وتيسير المنان» طبع في دلهي سنة ١٢٨٦ وفي بولاق سنة ١٢٩٥ كما ذكره في معجم المطبوعات وكتابه «مرآة الدقايق» طبع في بمبي، وبالجملة المقدار المذكور من رسالة المهائمي في هذا التفسير ليس هو جملة وجملتين أو سطراً وسطرين حتى يحتمل فيه توارد الخاطرين وتوافق النظرين فهذا الانتحال ثبطنا عن الاذعان بصدق النسبة إلى من اشتهر بأنّه له والله العالم». انتهى كلام صاحبُ الذريعة ﷺ.

(١) طنطاوي بن جوهري المصري (١٢٨٧هـ/ ق ١٣٥٨هـ/ ق). عالمٌ، حكيمٌ، أديبٌ، مشاركٌ في أنواعٍ من العلوم، ولد في كفر عوض الله حجازي من أعمال مديريّة الشرقيّة ونشأ بها، والتحق بالجامع الأزهر، وتخرج بدار العلوم في القاهرة ودَرَسَ بها وبغيرها. تعلم اللغة الإنجليزيّة وألقى محاضرات في الجامعة المصرية، وناصر الحركة الوطنية. توفي بمصر. من مؤلفاته الكثيرة: «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» في ٢٦ جزءاً، نحا فيه منحىً خاصاً، ابتعد في أكثره عن معنى التفسير، وأغرق في سرد أقاصيص وفنون عصريّة وأساطير، وامتاز بمباحثه العلميّة التي طبق خلالها حوالي (٧٥٠) آية قرآنيّة على العلوم الطبيعية. جعل لسائر كتبه عناوين ضخاماً، وأكثرها رسائل منها: «النظام والإسلام» و«الحكمة والحكماء» و«الموسيقى العربية» و«الفرائد الجوهريّة في الطُرف النحويّة» و«مذكرات في أدبيات اللغة العربيّة» و«التاج المُرصَع» و«بهجة العلوم في الفلسفة العربيّة وموازنتها بالعلوم العصريّة» وغيرها الكثير.

(٢) سيّد قُطب بن إبراهيم: مفكرٌ إسلاميٌ مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية=

أُخرى هي أيضاً ليست تفسيراً للقرآن بكافة معانية، فَهُم أيضاً كشفوا غطاءً واحداً آخراً عنه.

[القرآنُ فوق تفسيرات المُفَسرين]

وللكثير من سائر المُفسرين ـ من غير هاتين الطائفتين ـ تفاسيرٌ كتفسير «مجمع البيان»[1] وهو تفسيرٌ جيدٌ جامعٌ بين أقوال العامّة والخاصة. وحالُ هذه التفاسير كحال سابقاتها فالقرآنُ ليس ذاك الكتاب الذي نستطيعُ نحنُ أو غيرنا تصنيفَ تفسيرٍ جامعٍ له يحوي كافةَ علومه كما هي، ففيه علومٌ هي فوق ما نفهم نحن، نحنُ نفهم ظاهراً منه ونُفَسِّرُ غطاءً منه والباقي يحتاجُ إلى تفسير أهل العصمة وهم المُعَلَّمون بتعليمات رسول الله.

=دار العلوم بالقاهرة ودَرّسَ فيها، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعُين مُدَرساً للعربية، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف، ثم مُراقباً فنياً للوزارة. أُوفِدَ في بعثةٍ لدراسة برامج التعليم في أميركا ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتماشى والفكرة الإسلاميّة، وبنى على هذا استقالته. انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسُجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمرُ بإعدامه، فأُعدم أيام حكومة جمال عبد الناصر. كان من بين المُفكرين الإسلاميين الأكثر وضوحاً. كُتُبُهُ كثيرةٌ مطبوعةٌ مُتَدَاولة، منها: «النقد الأدبي، أصوله ومناهجه» و«العدالة الاجتماعيّة في الاسلام» و«التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» و«كتب وشخصيات» و«أشواك» و«الاسلام ومشكلات الحضارة» و«السلام العالمي والإسلام» و«المستقبل لهذا الدين» و«معالم في الطريق» وتفسير «في ظلال القرآن» والذي ضَمَنه الكثير من الأبحاث الاجتماعيّة.

(١) «مجمع البيان في تفسير القرآن» لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي الطوسي المشهدي رحمه الله.

[الإسلامُ نهى صراحةً عن التفسير بالرأي]

وقد ظهر في الآونة الأخيرة أشخاصٌ ليسوا من أهل التفسير أصلاً أرادوا تحميل ما لديهم من أفكار على القرآن والسنة، حتى أن فئةً من اليساريين والشيوعيين عمدت إلى التستر بالقرآن أيضاً لعرض بضائعهم، وهؤلاء لا علاقة لهم أصلاً بالتفسير ولا بالقرآن فما يريدونه هو خداع شبابنا بما يقدمونه لهم على أنَّهُ هو الإسلام.

وعلى هذا فما أُريد التنبيه إليه هو أنَّهُ لا ينبغي للذين لم يصلوا بعد إلى المستويات العالية من النضوج العلمي أن يدخلوا مضمار التفسير، فلا ينبغي للشباب غير المطلع على المعارف الإسلاميّة إقتحام ميدان تفسير القرآن، وإذا حدث أنْ تطفل أمثالُ هؤلاء لغاياتٍ وأهدافٍ ما على ميدان التفسير، فلا ينبغي لشبابنا أنْ يولوا أهميةً أو يقيموا وزناً لمثل هذه التفاسير فقد ورد في الإسلام نهيٌ صريحٌ عن «التفسير بالرأي»[1]، كأنْ يعمد أيٌ كان إلى تلبيس آرائهِ على القرآن، فيُطبّقُ الماديُ أفكاره على بعض الآيات القرآنية فيُفسرُ القرآنَ وفق رأيه، أو أنْ يعمد أحدُ أصحاب الآراء المعنويّة والروحيّة إلى تأويل كُل ما في القرآن الكريم ويرجعه إلى ما يعتقد هو.

إنَّ اللازم هو أن نجتنب كُلَّ ذلك فأيدينا ليست مطلقة العنان في هذا المضمار والبابُ ليس مفتوحاً على مصراعيه لكي يعمد الإنسان إلى تحميل كُل ما يصله عقلُهُ على القرآن فيقول هذا ما يقوله القرآن.

---

(١) حديثٌ نبويٌ مشهور. قال صاحبُ عوالي اللئالي في عواليه ج٤، ص١٠٤، الحديث١٥٤: «ورُوي عنه ﷺ أنَّهُ قال: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». وجاء في مستدرك سفينة البحار للنمازي، ج١، ص٣٠٢، الحديث النبوي عن إكمال الدين: «من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب...». وروى الحُرُ العاملي ﵀ في وسائله ج٢٧، ص٢٠٢، عن صادق أهل البيت ﵈ أنَّهُ قال: «من فَسَّرَ القرآنَ برأيه، إنْ أصاب لم يُؤجَر، وإن أخطأ خَرَّ أبعد من السماء».

[ما أقوله على نحو الاحتمال لا الجزم]

وحيث أني أتحدث ببعض الكلمات حول بعض من آيات القرآن الكريم فلا أدَّعي أنَّ ما أقوله هو المراد والمقصود فيها، فما أقوله هو على نحو الاحتمال لا الجزم ولن أقول بأن المراد هو هذا لا غير.

وإستجابةً لما طلبه بعضُ السادة من أحاديث في هذا الباب قررتُ أنْ أتناولَ كُلَّ عدة أيام مرة ـ كأنَّهُ يكون في الأسبوع مرةً ـ وضمن وقت محدود السورة الأولى في القرآن وإحدى السور الأواخر وأتحدث عنها بصورةٍ مُختَصَرَةٍ إذ لا يتسنى التفصيلُ لا لي ولا للآخرين، وأُكَرِرُ القولَ بأنَّ هذا التفسير ليس على نحو الجزم وليس أنَّهُ هو المراد لا غير، إذ إنَّ مثل ذلك هو من التفسير بالرأي، فما نعرضه ما يصله نظرنا، ما نفهمه فنقوله على نحو الاحتمال.



الفصل الأول

تفسير سورة الحمد المباركة
من كتاب
(سرّ الصلاة)



إشارةٌ إجماليّةٌ إلى بعض أسرار سورة «الحمد»

[بيانٌ إجماليٌّ للفرق بين معنى البسملة في مُختلف السور القرآنيّة الكريمة]

إعلم أنَّ أهل المعرفة يعتبرون «بسم الله» بسملة كلّ سورةٍ متعلقة بالسورة نفسها، وعليه يكونُ لبسملة كلّ سورة معنىً غير ما لها للسورة الأُخرى، بل إنَّ بسملة كل قائل تختلف عن غيرها في كل قولٍ وفعلٍ.

وتوضيحُ هذا المطلب على نحو الإجمال هو: أنّه قد ثبت ـ تحقيقاً ـ أنَّ كل دار التحقّق من الغاية القصوى للعقول المهيمنة المقدسة إلى منتهى النهاية لحذاء لعالم الهيوليّ والطبيعة هو ظهور اسم الله الأعظم، ومظهر تجلّي المشيئة المطلقة وهي أمّ الأسماء الفعليّة، كما قالوا: «ظهر الوجود ببسم الله الرحمن الرحيم»[1]، فإذا لاحظنا كثرة المظاهر والتعيّنات، فإنَّ كلّ اسمٍ عبارة عن ظهور ذلك الفعل أو القول الذي يقع بعده.

---

(١) جاء هذا الوجه في معنى «البسملة» في كتاب الفتوحات المكيّة، ج٢، ص١٣٣، «السفر الثاني»، الباب الخامس، لأبي بكر محيي الدين محمد بن علي المُلقب بـ«الشيخ الأكبر» والمعروف بـ«ابن عربي». من أكبر وأشهر علماء الصوفيّة في عصور الإسلام، تعلم علم القراءات والحديث والفقه والتصوف عند علماء اشبيلية، ثم زار كثيراً من البلدان وطار صيتُهُ في الأقطار الإسلاميّة. كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات. برع في علم التصوّف وكتب الكثير من الكتب والرسائل، وقد قيل إنَّ مصنفاته زادت على المئتين وقيل الأربعمائة، منها: «الفتوحات=

[الخطوةُ الأولى للسالك... والوصول إلى التوحيد الفعلي]

والخطوة الأولى لسير السالك إلى الله هو أن يُفهم قلبه أنَّ جميع التعيّنات ظاهرةٌ باسم الله، بل إنَّها جميعاً اسم الله، وفي هذه المشاهدة تختلفُ الأسماء، وتتبع سعة كلّ اسمٍ وضيقه وإحاطته وعدم إحاطته، والمظهر والمرآة التي يظهر فيها.

واسمُ الله وإن كان مُقدّماً ـ بحسب أصل التحقّق ـ على المظاهر هو مقوّمها وقيّومها، ولكنّه بحسب التعيّن متأخرٌ عنها ـ كما هو مقرّرٌ في محله ـ فإذا أسقط السالك الإضافات، ورفض التعيّنات ووصل إلى بداية التوحيد الفعليّ، تكونُ جميعُ السّور والأقوال والأفعال «بسم الله» واحدةً، ويكونُ للجميع معنىً واحد.

[«بسم الله» أجمعُ أسماء الحق تعالى وأكثرها إحاطة]

وبحسب الاعتبار الأوّل، ليس هناك اسمٌ أجمع وأكثر إحاطة من «بسم الله» في سورة الحمد، كما يظهر من الحديث المشهور المنسوب إلى مولى الموالي[1]؛ ذلك لأنَّ متعلّقه أكثر إحاطة من سائر المتعلّقات، مثلما يقول أهل المعارف من أنَّ الحمد إشارةٌ إلى العوالم الغيبيّة العقليّة، وهي صرف الحمد لله ومحامده، ولسانُ حمدها لسانُ الذات، وأنَّ «ربّ العالمين» إشارةٌ

=المكيّة»، «فصوص الحكم» وهو من المتون الدراسيّة المُهمة في فن العرفان والتصوف، «التجليات الإلهيّة»، و«إنشاء الدوائر» وغيرها. توفي في دمشق وحُمل إلى قاسيون وبنى السلطان سليم مدرسةً عظيمةً بجوار ضريحه في صالحيّة دمشق.

(١) أمير المؤمنين ومولى الموحدين العارف الكامل أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ابن عم الرسول وزوج الطاهرة البتول وأبو الأئمة الأطهار من ذريّة المُختار عليه السلام ـ روحي وأرواح العالمين لتراب نعليه الفداء ..

إلى ظهور اسم الله في مرآة الطبيعة بما يُناسب مقام الربوبيّة حيثُ رجع النّقص إلى الكمال والملك إلى الملكوت، وهذا مختصّ بجوهر عالم الملك.

[سورةُ «الحمد» المباركة... سلسلةُ الوجود الكاملة]

والرحمانيّةُ والرحيميّةُ من صفات الربوبيّة، و«مالك يوم الدين» إشارةٌ إلى الرجوع المطلق والقيامة الكبرى، فإذا طلع صُبحُ الأزل، وتجلّى نورُ الظهور الأحديّ لقلب العارف حين طلوع شمس يوم القيامة، يحصل للسالك الحضور المطلق، فيصدع بالمخاطبة الحضوريّة بـ«إياك نعبد وإياك نستعين».

فإذا صحا من جذبة الأحديّة وحصل «الصحو بعد المحو»[1] يطلب ـ عندها ـ مقام الهداية في هذا السّير إلى الله له ولمُرافقيه.

إذن، فسورة «الحمد» هي سلسلة الوجود بكاملها عيناً وعلماً وتحقّقاً وسلوكاً ومحواً وصحواً وإرشاداً وهدايةً.

والإسم الُمظهر لها هو اسم الله الأعظم والمشيئة المطلقة «فهو مفتاح الكتاب وفاتحته وختامه» مثلما أنّ اسم الله هو الظهور والبطون والمفتاح والمختم ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[2].

---

(١) ترددت كلمتا المحو والصحو في كلمات العرفاء كثيراً، والمراد من المحو هو عندما يبلغ العارف مرحلةً يفنى فيها في ذات الحق تعالى فلا يرى نفسه مثل الآخرين، وعندما تزول آثار (الأنا) تُسمى الحالة بـ(المحق)، وكُلاً من المحو والمحق أعلى وأشرف من مقام (الغيب) والذي هو الغياب عن الناس وعدم الإحساس بهم. فالمحو والمحق فناءٌ إلا أنّه فناءٌ يُمكنُ للعارف أن يعود منه إلى حالة البقاء، ولكن لا بمعنى الانتكاس والتنزُل من المقام الذي حصل عليه، وإنّما بمعنى العودة مع البقاء بالله ﷻ، وهذه الحالة التي تفوق حالة (المحو) تُسمى بـ(الصحو). راجع: مدخل إلى العلوم الإسلاميّة، للشيخ الشهيد الأستاذ مرتضى مطهري ﵀، قسم العرفان، ص١١٤. (بتصرف).

(٢) النور: ٣٥.

[تفسيرُ سورة «الحمد» طبق ذوق أهل المعرفة]

فتفسير هذه السورة على ذوق (مسلك) أهل المعرفة هو بهذه الصورة:

بظهور اسم «الله» وهو مقام المشيئة المطلقة، والإسم الإلهي الأعظم والذي له مقام المشيئة الرحمانيّة وهو بسط الوجود المُطلق والمشيئة الرحيميّة، وهو بسط كمال الوجود (بظهور هذا الإسم) يكونُ «الله» عالم الحمد المطلق وأصل المحامد، وهي من حضرة التعيّن الأول الغيبيّ إلى نهاية أفق عالم المثال والبرزخ الأول ـ أي أنَّهُ ثابت لمقام الاسم الجامع (الله) ـ وله مقام الربوبيّة وتربية العالمين مقام السّوائيّة وظهور الطبيعة.

[الربوبيّةُ ظاهرةٌ بالرحمانيّة والرحيميّة]

ومقام الربوبيّة ظاهرٌ بالرحمانيّة والرحيميّة، والرحيميّة هي الربوبيّة، التي تبسط الفيض بالرحمانيّة في الموادّ المستعدّة، وتربيّها بظهور الرحيميّة في المهد الهيوليّ وتوصلها إلى مقامها الخاص بها.

[قبضةُ المالكيّة... والرجوع إلى عالم الغيب]

وذاك «مالك يوم الدين» الذي يقبض جميع ذرّات الوجود بقبضة المالكيّة، ويرجعها إلى مقام الغيب ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1] وهذا هو تمام دائرة الوجود المذكور في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ على نحو الإجمال، وفي «الحمد» بطريق التفصيل إذ هي خالصةٌ لله وإلى «مالك يوم الدين» كما ورد في الحديث[2].

---

(١) الأعراف: ٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٩، ص٢٢٦، كتاب «القرآن»، باب٢٩، الحديث٣، للعلامة المجلسي.

فإذا شاهد العبدُ السالك إلى الله بمرقاة «اقرأ وارقَ»[١] والعارج بمعراج «**الصلاة معراج المؤمن**» رجوع جميع الموجودات وفناء دار التحقق في الله، وتجلّى له بالوحدانيّة، يقولُ عندئذٍ بلسان فطرة التوحيد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

[المحوُ والمحق... والصحوُ بعد المحو]

ولأنَّ نور فطرة الإنسان الكامل محيطٌ بجميع الأنوار الجزئيّة، وعبادته وتوجّهه هو توجه دار التحقّق، يقولُ ذلك بصيغة الجمع «**سبّحنا فسبّحت الملائكة وقدّسنا فقدست الملائكة، ولولانا ما سبّحت الملائكة**»[٢].

وإذا قدَّم السالكُ نفسه وإنّيّته وأنانيّته بصورةٍ كاملةٍ للذّات المقدسة، ومحا ومحق كل ما سواها، تشمله الألطاف الأزليّة لمقام الغيب الأحديّ بالفيض الأقدس، وترجعه إلى نفسه، فيحصل له الصحو بعد المحو، والرّجع إلى مملكة نفسه بالوجود الحقّاني.

---

(١) راجع: أصول الكافي، ج٤، ص٤٠٨، كتاب فضل القرآن، باب «فضل حامل القرآن»، الحديث العاشر. لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكُليني الرازي رحمه الله، شيخ مشايخ حديث الإماميّة ومن أكابر علمائهم الأقدمين. كان غايةً في الحفظ والضبط، ألّفَ أول كتب الشيعة الأربعة وهو كتاب «الكافي» الذي جمعه من شتات ما كتبه الأولون، ورتبه على ثلاثة أقسام: الأُصول والفروع والروضة. من سائر كتبه: كتاب الرجال ورسائل الأئمة.

(٢) عوالي اللئالي العزيزيّة، ج٤، ص١٢٢، للشيخ المُحقق المُتتبع محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بـ«ابن أبي جمهور». عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٦٢. بحار الأنوار، ج٢٥، ص١، كتاب (الإمامة)، روايات الباب الأوّل منه «أبواب خلقهم وطينتهم وأرواحهم».

[الخوفُ من الفراق سببُ طلب الهداية]

ولكونه وقع في الكثرة، يُصبحُ خائفاً من الفراق والنفاق، فيطلب لنفسه الهداية ـ وهي الهداية المطلقة ـ لأنّ سائر الموجودات هي من أوراق وأغصان الشجرة المباركة للإنسان الكامل ـ إلى صراط الإنسانيّة المستقيم ـ وهو السيّر إلى الاسم الجامع والرجوع إلى حضرة اسم الله الأعظم الخارج من حدّ الإفراط والتفريط «المغضوب عليهم» و«الضالّين»، أو أنَّه يطلب الهداية إلى مقام البرزخيّة وهو مقام عدم غلبة الوحدة على الكثرة ولا الكثرة على الوحدة، وهو الحدّ الوسط بين الإحتجاب عن الوحدة بحجاب الكثرة وهي مرتبة «المغضوب عليهم» وبين الاحتجاب عن الكثرة بالوحدة، وهو مقام «الضالّين» والمتحيرين في جلال الكبرياء.

وصلٌ:

[بيانٌ لزوم تحقق السالك بمقام «اسم الله» في مقام العبوديّة]

روي في التوحيد عن الرضا عليه السلام[1] حين سُئل عن تفسير البسملة أنَّهُ قال: **«معنى قول القائل «بسم الله» أي: أَسِمُ على نفسي سِمَةً من سمات الله وهي العبادة»**.

قال الراوي: **فقلتُ لهُ: ما السّمة؟** قال: **«العلامة»**[2].

ويظهر من هذا الحديث الشريف أنَّ على السالك أن يتحقّق بمقام اسم الله في العبادة، والتحقّق بهذا المقام هو حقيقة العبوديّة حيثُ الفناء في حضرة الربوبيّة.

---

(١) هو الإمام أبو الحسن علي بن موسى الكاظم عليه السلام المعروف بـ«الرضا»، ثامن أئمة الهدى وأنوار الدُجى عليهم السلام، من ذريّة الحسين الشهيد بكربلاء عليه السلام، شمس الشموس وطبيب النفوس المدفون بأرض طوس، مقامُهُ مشهدٌ عظيم الشأن والهيبة، ذو قبةٍ ذهبيّةٍ راقية، تهوى إليه أفئدةُ المؤمنين من مختلف أصقاع الأرض وجهاتها الأربع.

(٢) التوحيد، ص٢٢٩، باب٣١، الحديث١. معاني الأخبار: ص٣. والكتابان للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القُمي رحمه الله، وُلد بدعوة الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، وجهُ الطائفة وفقيهها، مُحَدثٌ ورجاليٌ جليل القدر، لم يُر في القُميين مثله في الحفظ وكثرة العلم والتأليف والتصنيف، له نحوٌ من ثلاثمائة مُصنّف أهمها كتاب «من لا يحضره الفقيه» و«التوحيد» و«الإعتقادات» و«الامالي» و«معاني الأخبار» و«فضائل الشيعة»، وغيرها الكثير الكثير مما لم يصلنا وقد جاء ذكرها في فهرست كتبه. توفي في الريّ سنة ٣٨١هـ وقبرُهُ فيها بالقرب من قبر السيّد عبد العظيم الحسني رضي الله عنه، وهو مزارٌ يرده الناس ويتبركون به.

وما دام (السالك) في حجاب الإنّية والأنانيّة، فهو ليس في لباس العبوديّة، بل هو مُريدٌ لنفسه، عابدٌ لها، ومعبوده هو أهواؤه النفسانيّة ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ﴾(١) ونظره هو نظر إبليس اللعين إذ رأى نفسه وآدم عليه السلام في حجاب الأنانيّه، ففضّل نفسه عليه وقال ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾(٢) فطُرد من الساحة المُقدّسة التي هي لمُقربي الحضرة.

[مقامُ العبوديّة هو مقام التخلي عن «الأنا» وعبادتها]

فإذا جعل القائلُ «بسم الله» نفسه مُتصفةً بـ: «سمة الله» و«علامة الله» ووصل بنفسه إلى مقام الإسميّة، وأصبح نظره نظر آدم عليه السلام الذي رأى عالم التحقّق ـ والذي كان هو نفسه خلاصةً له ـ أنَّهُ «اسم الله» ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾(٣) ففي هذه الحالة تكونُ تسميته تسميةً حقيقيّةً، ويكون هو متحقّقاً بمقام العبادة (وهو مقام) التخلي عن «الأنا» وعبادتها والتعلّق بعزّ القدس والانقطاع إلى الله تحقيقاً لما ورد في ذيل حديث «رزام» عن الإمام جعفر الصادق(٤) إذ يقول عليه السلام: «**يقطع علائق الاهتمام بغير من له قصد وإليه وفد**

---

(١) الفرقان: ٤٣.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) البقرة: ٣١.

(٤) هو الإمام جعفر بن محمد الباقر عليه السلام والمُلقب بـ«الصادق» أو بـ«صادق أهل البيت» عليهم السلام سادس الأئمة الأخيار والنقباء الأطهار عليهم السلام، تبوأ مركز الإمامة الشرعيّة بعد آبائه الكرام عليهم السلام وبرز إلى قمة العلم والمعرفة في عصره فطأطأت له رؤوس العلماء إجلالاً وإكباراً وإلى عصرنا هذا، فكان بحراً زاخراً في العلم والتقوى ولم يُنازعه أحدٌ في ذلك، وكان أُستاذاً فذاً في جميع العلوم التي عرفها أهلُ عصره والتي لم يعرفوها آنذاك.

بنى عليه السلام للأمة صرحاً علمياً وفكرياً وعقائدياً وأخلاقياً فخرج على يديه الكثير من علماء الشريعة الغراء، وتصدى للرد على الفرق المُنحرفة والملاحدة والزنادقة. انصرف عليه السلام عن الصراع=

ومنه استرفد... الخ»[١].

[عروجُ السالك بـ«فاتحة الكتاب»... وطي المراحل]

فإذا تحقّق للسالك مقام الإسميّة، رأى نفسه مستغرقاً في الألوهيّة «**العبوديّةُ جوهرةٌ كُنهُها الربوبيّة**»[٢] ورأى نفسه اسم الله وعلامة الله وفانياً في الله، ورأى سائر الموجودات على هذه الحالة.

وإذا أصبح الوليُ كاملاً أصبح مُتحققاً بالإسم المطلق ووصل إلى التحقق بالعبوديّة المطلقة فصار عبداً حقيقيّاً لله.

ويمكنُ أن يكون استخدام وصف «العبد» في الآية الكريمة ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[٣] ناشئاً من كونه عروجاً ـ إلى معراج القرب وأُفق القدس ومحفل الأُنس ـ وذلك بقدم العبوديّة والإفتقار وإزاحة غبار «الإنّيّة» و«الأنا» والاستقلال.

=السياسي المكشوف مع السلطة الأمويّة ومن بعدها العباسيّة إلا أنَّهُ لم يغفل عن الخط الثوري والجهادي في أوساط الأُمة من خلال تأييده لمثل ثورة عمه الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ومن تلاه من ثوار البيت العلوي الكرام.

(١) فلاحُ السائل: ص٦٤، للسيّد ابن طاووس أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد من أحفاد السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ومن عُظماء المُعظمين لشعائر الله تعالى، كان من أعبد أهل زمانه، جليلاً كاملاً ورعاً زاهداً وصاحبَ كراماتٍ باهرة. يظهرُ من كتبه خصوصاً كتاب «كشف المحجّة» أنَّ باب لقائه مع الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام كان مفتوحاً، وكان على جانبٍ كبيرٍ من العلم والفضل والمعرفة كما تشهد به مؤلّفاته وآثاره الكثيرة ومنها: «فلاح السائل» و«إقبال الأعمال» و«الملاحم والفتن» و«مُهج الدعوات» و«جمال الأسبوع في كمال العمل المشروع» وغيرها الكثير من المؤلفات الجميلة والأسفار الجليلة.

(٢) مصباح الشريعة المنسوب للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، الباب الثاني، ص٧.

(٣) الإسراء: ١.

كما أنَّ الشهادة بالرسالة للنبي في التشهد بعد الشهادة بعبوديته له ﷺ هي لكون العبوديّة مرقاة الرسالة.

[الصلاةُ معراج المؤمن... وحقيقة العبوديّة]

والصلاة - هي معراج المؤمنين ومظهر معراج النّبوة - يكونُ البدءُ بها بعد رفع الحجب بـ«بسم الله» وذاك هو حقيقة العبوديّة «فسبحان الذي أسرى بنبيّه بمرقاة العبوديّة المطلقة» حيثُ جذبه الله بقدم العبوديّة إلى أُفق الأحديّة، وحرّره من مملكة المُلك والملكوت، ومملكة الجبروت واللاهوت؛ وأوصل سائر العباد - المُستظلّين بظل ذلك النور الطاهر (النبي) - إلى معراج القرب بسمةٍ من سمات الله وبمرقاة التحقّق باسم الله إذ إنَّ باطن ذلك هو العبوديّة.

[فاتحةُ كتاب الله... مفتاحُ كنز الله]

وإذا رأى السالك بقدر قدمه في السلوك أنَّ دائرة الوجود هي اسم الله، أمكنه عندئذٍ أن يرد في فاتحة كتاب الله ويكونُ مفتاحَ كنز الله، وحينئذٍ يرجع كل ثناء وكل المحامد إلى الله بمقام الاسم الجامع، فلا يرى لأيٍّ من الموجودات فضلاً ولا فضيلةً؛ لأنَّ إثبات فضيلةٍ أو كمالٍ لموجودٍ - سوى الله - يُناقض رؤية «الإسميّة».

وإذا قال «**بسم الله**» على الحقيقة (بصدقٍ) أمكنه عندئذٍ أن يقول «**الحمد لله**» على الحقيقة (بصدقٍ أيضاً).

أما إذا ظلَّ محجوباً عن «مقام الإسم» وكان - مثل إبليس - في حجاب «الخلق» فلا يُمكنه - والحالُ هذه - أن يُرجع المحامدَ إلى الله.

[حجابُ الأنانيّة يحجبُ عن العبوديّة والحامديّة]

وما دام في حجاب الأنانيّة، فهو محجوبٌ عن العبوديّة و(مقام) الإسميّة، وما دام محروماً من هذا المقام، فلن يصل إلى مقام «الحامديّة».

وإذا وصل إلى مقام «الحامديّة» بقدم العبوديّة وحقيقة الإسميّة، عرف حينئذٍ أنَّ صفة الحامديّة ثابتة لله أيضاً، فيعتبر ويرى أنَّ الله هو الحامد والمحمود.

ولكنَّه مادام يرى نفسه الحامد، والله هو المحمود فليس هو حامد لله وإنَّما حامدٌ لله والخلق، بل إنَّهُ حامدٌ لنفسه فقط، ومحجوبٌ عن الله وحمده.

[ثمرةٌ للتقرب بالنوافل]

وإذا وصل إلى مقام «الحامديّة» كان عندئذٍ قوله: **«أنت كما أثنيت على نفسك»**[1] فيخرج من حجاب «الحامديّة» المقرون بالجدال، والملازم لإثبات «المحموديّة» وحينئذٍ تكونُ مقالة السالك في هذا المقام على هذا النحو: «باسمه الحمد له ومنه الحمد وله الحمد».

---

(١) جاء في دعاء النبي الأعظم ﷺ في سجوده قوله: «... أعوذُ بكَ مِنك... لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، راجع: الفروع من الكافي: ج٣، ص٣٢٤، كتاب «الصلاة». باب «السجود والتسبيح و...» الحديث١٢، وكذلك مصباح المتهجد: ص٣٠٨، لشيخ الطائفة المُحدث الرجالي والفقيه الأُصولي والمُفسر الألمعي، المؤلف النحرير والمُدرس الخبير الشيخ الأعظم أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ﵀ صاحب المؤلفات الكثيرة وأبرزها «تهذيب الأحكام» و«الإستبصار» وغيرها الكثير من كتب الحديث والفقه والتفسير والعقائد والرجال. لم يبرح ﵀ في النجف الأشرف مشغولاً بالتأليف والتدريس إلى أن وافتهُ المنيّةُ في شهر محرمٍ الحرام، ودُفن في داره بوصيةٍ منه ﵀. وكذلك راجع: مصباح الشريعة: الباب٥، وعوالي اللئالي: ج١، ص٣٨٩، الحديث٢١.

وهذه هي ثمرة التقرب بالنوافل وقد وردت إشارةٌ إليها في الحديث (القُدسيّ) الشريف: «**فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه... إلخ**»[1].

[تفسير: ﴿ربّ العالمين﴾]

«**ربّ العالمين**»: إذا كان «العالمون» هم صور الأسماء وهي الأعيان الثابتة، فإنَّ الربوبيّة تكون ذاتيّة، وتكونُ راجعةً إلى مقام «الألوهيّة الذاتيّة»، إلى اسم الله الأعظم. وذلك لأنَّ الأعيان الثابتة إنَّما تحققت ـ بالتحقق العلمي ـ من خلال التجلّي الذاتيّ في مقام «الواحديّة» تبعاً للاسم الجامع المُتعيّن بتجلي الفيض الأقدس.

[معنى الربوبيّة]

ومعنى الربوبيّة في ذلك المقام المقدّس هو: التجلي بمقام الألوهيّة، وبهذا التجلّي يكونُ تعيّن جميع الأسماء، فتتعيّن أولاً العين الثابتة للإنسان الكامل، ثُم تكونُ الأعيانُ الأُخرى في ظلّه.

و(ب) الرحمانيّة والرحيميّة يكونُ إظهارُ هذه الأعيان من غيب الهويّة إلى أُفق الشهادة المطلقة، و(بهما يكونُ) إيداعُ فطرة العشق والمحبة للكمال المطلق في خميرة تلك الأعيان.

[الذاتُ المقدسة... محبوبةُ العشاق ومَطلبُ المجذوبين]

وبتلك الفطرة العشقيّة السابقة، وبذلك الجذب القهري المالك الذي يأخذ

---

(١) أصول الكافي: ج٢، ص٣٥٢، كتاب «الإيمان والكفر»، باب «من آذى المسلمين واحتقرهم»، الحديث: ٨.

بناصِيَتها (الأعيان) فتصل إلى مقام «الجزاء المطلق» حيثُ الإستغراق في بحر كمال الواحديّة ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾(١).

وبهذه الطريقة تكونُ الذاتُ المُقدّسة هي غاية آمال الموجودات ونهاية تحركها، ومنتهى مختلف اشتياقها ومرجعها، ومعشوقة الكائنات ومحبوبة العُشّاق ومطلب المجذوبين، حتى وإنَّهم وإن كانوا محجوبين عن هذا المطلوب، يرون أنفسهم عبّاداً وعشّاقاً وطلاّباً ومجذوبين لأمورٍ أُخرى.

وهذا هو حجاب الفطرة الأكبر الذي يجب على السالك إلى الله أن يخرقه بقدم معرفتة؛ وما دام لم يصل إلى هذا المقام، فلا يحقّ له أن يقول «إيّاك نعبد» أي «لا نطلب إلاّ إيّاك» ولا نبحثُ عن سواك، ولا نريدُ غيرك، ولا نُثني على سواك، ولا نستعينُ إلا بك في جميع الأمور.

[طلبُ الهداية إلى الصراط المُستقيم]

إنَّنا جميعاً ـ سلسلة الموجودات وذرّات الكائنات من أدنى مرتبة سفليّة المادّة إلى أعلى مرتبة غيب الأعيان الثابتة، طلابٌ لله وباحثون عنه، وكلٌّ منَّا وفي كل مطلوبٍ، إنَّما يطلبه هو، وإنَّما يتأجج عشقاً له مع أي محبوب ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾(٢) ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(٣).

فإذا حصلت للسالك هذه المشاهدة، ورأى جميع كيانه وأجزائه الوجوديّة ـ من القوى الملكيّة إلى السرائر الغيبيّة ـ بل رأى جميع سلسلة الوجود،

---

(١) الشورى: ٥٣.

(٢) الروم: ٣٠.

(٣) الحشر: ٢٤.

عاشقةً للحقّ طالبةً له، وأظهر هذا العشق والمحبّة، عندها يستعينُ بالحق للوصول، ويطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم ـ وهو صراط ربّ الإنسان ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١]، وهذا هو صراط «المُنعَمِ عليهم» من الأنبياء الكُمَّل والصدّيقين، وهو عبارة عن (صراط) رجوع العين الثابتة إلى مقام الله والفناء فيه، وليس الفناء في الأسماء الأُخرى الواقعة في حدود القصور أو التقصير، ويُنسبُ إلى الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: **«كان أخي موسى عينه اليمنى عمياء وأخي عيسى عينه اليسرى عمياء وأنا ذو العينين»**[٢]

---

(١) هود: ٥٦.

(٢) لم نعثر على أثرٍ لهذا الحديث في ما بين أيدينا من مصادر، إلا أنّنا وجدنا الإمام الراحل ﷺ مُعلّقاً عند إيراده لهذا الحديث في أحد خطاباته قائلاً: «يُروى ـ ولست بصدد تصحيح الرواية، أو ردّها ـ أن من المفسرين من يقولون: إنّ (المغضوب عليهم) هم (اليهود) و(الضالين) هم النصارى. وهناك رواية أخرى ـ ولا **أستطيع تأكيدها ولكنّي أنقلها عمّن نقلوها** ـ أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: «كان أخي موسى عينه اليمنى عمياء وأخي عيسى عينه اليسرى عمياء، وأنا ذو عينين». ويقول هؤلاء المفسرون: إنّ ذلك لأنّ (التوراة) اهتمت بالماديات والأمور السياسيّة والدنيويّة أكثر، وترون كيف تكالب اليهود، يأكلون الدنيا بكلتا يديهم، وما زالوا غير مكتفين، إنّهم يأكلون أميركا، ويأكلون ايران الآن أيضاً، وهم غير قانعين، يبتلعون كل مكان بأكمله. وفي كتاب حضرة عيسى كان التوجّه نحو المعنويات والروحانيّة أكثر. فـ(العين اليسرى) التي تعبر عن الجانب الطبيعي كانت (عمياء) **(ولا أستطيع تأكيد صدور الرواية عن الرسول الأكرم ﷺ لكنّي أنقلها كما نُقِلَت)** أي: لم يكن متوجّهاً إلى جهة (اليسار) التي تشير إلى الطبيعة أو أنه كان قليل التوجّه نحوها. والتوراة حسب طبيعتها كان توجهها للماديات أكثر. و(أنا ذو عينين) أي: متوجّه نحو المعنويات والماديات معاً، وترون كيف أنّ أحكام الإسلام تشهد على ذلك، ترون أحكامه وسياساته. يتصور الكثيرون، من الناس ومن أهل العلم، والقشريين المقدّسين أنّ لا ربط للإسلام بالسياسة، وأنّ الإسلام والسياسة مفصولان أحدهما عن الآخر، وهو الأمر الذي لا تسمح الحكومات بحدوثه، والذي أوحى به الينا هؤلاء الأجانب وتلك الحكومات منذ أمد، فهم يقولون: ما علاقة الإسلام أو المُعمَم بالسياسة؟ كان البعضُ إذا أراد أن يعيب على أحد المعمّمين يقول: (معممٌ سياسي)، يقولون: (الإسلامُ بعيدٌ عن السياسة، والدين على حدة، والسياسة على=

فالتكثرات كانت غالبة على الوحدة لدى موسى عليه السلام فيما الوحدة كانت غالبة على التكثر لدى عيسى عليه السلام أما الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله فلقد كان له مقام البرزخيّة الكبرى، وهو الحدّ الوسط والصراط المستقيم.

وإلى هنا فإنَّ تفسير السورة مُستندٌ على القول بأنَّ «العالمين» هم حضرات الأعيان.

[احتمالاتٌ أخرى... وتفسيراتٌ مُختلفة]

أمّا إذا كان «العالمون» هم حضرات الأسماء الذاتيّة أو الأسماء الصفاتيّة أو الأسماء الفعليّة أو العوالم المجرّدة أو العوالم الماديّة أو كليهما أو جميعها، فإنَّ تفسير السورة يختلفُ تبعاً لذلك عمّا تقدم.

كما أنَّهُ لو كان «اسم الله» في الآية الكريمة «بسم الله...» غير مقام المشيئة، مقام آخر من (مقامات) السماء الذاتيّة وغيره من الأعيان الثابتة أو الأعيان الموجودة أو العوالم الغيبيّة أو الشهادتيّة أو الإنسان الكامل، فإنَّ تفسير كامل السورة يختلف أيضاً.

كما يختلف (تفسير الآية) أيضاً إذا كان «الله» هو (مقام) الألوهيّة الذاتيّة أو

=حدة). هؤلاء لم يعرفوا الإسلام الذي تشكّلت حكومته في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله واستمرت في البقاء بعد ذلك ـ **عادلة أو غير عادلة** ـ حتى وصلت عهد أمير المؤمنين عليه السلام فعادت لتكون حكومة الإسلام العادلة. وكانت حكومته ذات سياسة من جميع الجوانب، وإلا فما هي السياسة؟ العلاقة بين الحاكم والشعب، والعلاقة بين الحاكم وسائر الحكومات، والقضاء على المفاسد الموجودة، كل ذلك سياسة. راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره الجامعة لخطاباته وبياناته وأحاديثه، الترجمة العربية، ج٣، ص٢١٥ ـ ٢١٦، النسخة الإلكترونيّة الصادرة عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره.

الظهوريّة، وفيما إذا كان «الرحمن الرحيم» في البسملة صفتين مُتعلقتين بـ«الله» أو بالإسم.

كما يظهر الكثير من الفروق (في تفسير الآية) إذا كانت «الباء» في البسملة هي للاستعانة عما إذا كانت للمُلابسة أو فيما إذا كانت مُتعلقةً بـ«ظهر» عما إذا كانت مُتعلقةً بالسورة نفسها أو أيٍّ من أجزائه.

كما أنَّهُ سيختلف تفسيرُ الآية بحسب مقامات القارئين من الوقوع في حجاب الكثرة أو غلبة الوحدة أو الصحو بعد المحو أو المقامات الأُخرى التي تقدم ذكرُها.

والإحاطة بجميع ذلك وبالتفسير الحقيقي للقرآن ـ وهو الكلام الإلهي الجامع ـ خارجٌ عن وسع أمثال الكاتب «**إنّما يعرف القرآن من خوطب به**»(١) وما ذُكر هو على سبيل الاحتمال والله الهادي.

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢. للعلامة الشيخ محمد باقر بن المولى محمد تقي المجلسي رحمه الله، مُحققٌ مُدقق، ثقةٌ أمينٌ، غواص بحار الأنوار ومُستخرج لآلي الأخبار، من أكابر الرجال في علوم الدين والشريعة العقليّة والنقليّة، في الفقه وأصوله والحديث ورجاله والكلام والعقائد والأدب، أقام فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر بصلابة. له مؤلفات باهرة ومُصنفات زاهرة، كثيرةٌ ومُفيدة بالعربيّة والفارسيّة، أشهرها: «بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار» و«مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول» وهو شرحٌ لكتاب الكافي، و«ملاذ الأخيار في شرح تهذيب الأخبار»، و«شرح الأربعين»، و«الفوائد الطريفة في شرح الصحيفة»، و«الوجيزة في الرجال»، والعديد من الرسائل في مختلف أنواع العلوم. عاش قدس سره ٧٣ سنةً قضاها في العلم والعمل وتوفي قدس سره في السابع والعشرين من شهر رمضان المُبارك لعام ١١١١ للهجرة، ودُفن في أصبهان في الباب القبلي من جامعه العتيق في القبة التي دُفن فيها أبوه رحمه الله، وفيها مدفنُ عدّةٍ من العُلماء الأمجاد.



الفصل الثاني

تفسير سورة الحمد المباركة
من كتاب
(آداب الصلاة)



بيانٌ مُجملٌ في تفسير سورة «الحمد» المباركة ونبذةٌ من آداب التحميد والقراءة

[تفسير: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾]

[إشارةٌ إلى الأقوال المختلفة في مُتعلق «بسم الله»]

إعلم أنَّ للعلماء آراء مُختلفة حول متعلق «الباء» في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقد ذكر كل واحدٍ منهم مُتعلقاً لها بحسب مشربه من العلم والعرفان، تماماً كما هو الحال عند علماء العربيّة، فقد اختلفوا في اشتقاق مُتعلق (للباء) مقدراً من مادة «الابتداء» أو «الاستعانة» مثلاً.

أما ما ورد في بعض الروايات من أنَّ «بسم الله» تعني «أستعين»[1] فهو محمولٌ، إما على التوضيح بما ينسجم مع ذوق العامة، وهذا من الأمور الشائعة كثيراً في الروايات، بل إنَّ الإختلاف الملموس في كثيرٍ من الأحاديث محمولٌ على نفس هذا الأمر، فنحنُ نجد أنَّ الإمام الرضا عليه السلام في تفسير «بسم الله» يقول: **«أسِمُ [على] نفسي بسمةٍ من سمات الله»**[2].

---

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق: باب معنى «الله» عزّ وجلّ، الحديث٢.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٣٦، وكذلك راجع: كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص٢٢٩، مع قليلٍ من التفاوت.

[ظهورُ الوجود والعوالم بتجلّي «الاسم الأعظم»]

وإما أن يكون المقصود بـ«الاستعانة» معنىً أدقّ من المُتبادر إلى أذهان العامة. فبعضُ أهل المعرفة اعتبروا أنَّ «الباء» تعودُ على فعلٍ مُقدرٍ وهو «ظهر»، ولذا يكون التقدير: «ظهر الوجود باسم الله»[١] وهذا بناءً على مسلك أهل المعرفة وأصحاب السلوك والعرفان ممن يعتبرون أنَّ كافة الموجودات وذرّات الكائنات وعوالم الغيب والشهادة إنَّما ظهرت بتجلي الاسم الجامع «الاسم الأعظم».

[معنى: «الاسم»]

وعلى هذا، يكونُ «الاسمَ» ـ الذي هو بمعنى العلامة أو العلّو والارتفاع ـ عبارة عن التجلي الإنبساطي الأفعالي للحق، وهو الذي يُطلقون عليه «الفيض المنبسط» و«الإضافة الإشراقيّة» وبناءً على هذا المسلك، فإن دار التحقق بأسره، بدءاً بالعقول المجردة وحتى آخر مراتب الوجود، عبارة عن تعيّنات هذا الفيض وتنزلات هذه اللطيفة.

وفي الآيات الإلهيّة الشريفة والاحاديث الكريمة المأثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام كثيرٌ من النصوص المؤيدة لهذا المسلك.

[خلقُ المشيئة وخلقُ الأشياء بتلك المشيئة]

فعن الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**»[٢]. وقد فُسِّر هذا الحديث الشريف بتفسيراتٍ عدّةٍ بحسب المسالك

---

(١) قال بهذا التفسير الشيخ محي الدين بن عربي، راجع الفتوحات المكيّة: ج١، ص١٠٢.

(٢) أصول الكافي: ج١، ص١١٠، كتاب التوحيد ـ باب الإرادة أنّها من صفات الفعل... ـ الحديث الرابع. وبحار الأنوار: ج٤، ص١٤٥، أبواب الصفات، الباب الرابع، باب القدرة والإرادة.

المُختلفة، إلاّ أنَّ أظهرها التفسير الموافق لهذا المسلك والذي يقول: إنَّ المراد بـ«المشيئة» هو المشيئة الأفعاليّة التي تُعبِّر عن «الفيض المنبسط»، والمراد من «الأشياء» هو مراتب الوجود التي تُمثِّل تعيُّنات وتنزّلات هذه اللطيفة، وبذا يُصبحُ معنى الحديث: إنَّ الله تعالى خلق المشيئة الأفعاليّة ـ وهي ظلّ المشيئة الذاتيّة القديمة ـ بنفسها بغير واسطة، ثم خلق سائر موجودات عالم الغيب والشهادة تبعاً لها.

[استغرابٌ لكلام المحقق الداماد قدس سره والفيض الكاشاني رحمه الله]

وقد ذكر السيّدُ المحقق الداماد قدس سره[١] ـ مع علوّ مقامه في التحقيق والتدقيق ـ تفسيراً غريباً[٢] لهذا الحديث الشريف. كذلك فإنَّ الفيض رحمه الله هو الآخر قد جانب الصواب بتفسيره لهذا الحديث[٣].

---

(١) هو السيّد الأجل محمد باقر بن شمس الدين محمد الحسيني الاسترابادي المعروف بالميرداماد، المحقق المدقق العالم الحكيم المتبحّر النقّاد ذو الطبع الوقّاد الذي حلى بعقود نظمه وجواهر نثره عواطل الأجياد، فيلسوفٌ كبيرٌ جامعٌ للعلوم العقليّة والنقليّة، وذو يدٍ طولى في العلوم الغريبة، وكان بجانب هذا شاعراً بالفارسيّة والعربيّة وله ديوان شعر باللغتين، تلمذ له الفيلسوف العظيم صدر الدين الشيرازي. سُمّي «الداماد» لأنَّ والده كان صهراً للمحقق الثاني رحمه الله فيدعى «داماد» أي «الصهر»، وله من المؤلفات: «القبسات» و«التقديسات» و«الرواشح السماويّة في شرح أحاديث الإماميّة» وهو شرحٌ لكتاب الكافي، و«الصراط المستقيم» و«الحبل المتين» و«الأُفق المُبين» في الحكمة الإلهيّة و«شارع النجاة» و«سدرة المُنتهى» و«ضوابط الرضاع» وغير ذلك من الكتب الكثيرة، وله حواش على «الكافي» و«الفقيه» و«الصحيفة السجاديّة» وغير ذلك، . وحُكي أنه لم يأوِ بالليالي إلى فراشه للاستراحة مدة أربعين سنة ولم يفت منه رحمه الله نوافله مدة تكليفه. ذهب في آخر عمره الشريف من أصبهان (أصفهان) بمرافقة السلطان شاه صفي إلى زيارة العتبات العالية فمات رحمه الله هناك وذلك في ١٠٤١هـ ودفن في النجف الاشرف.

(٢) راجع بيان المولى محمد باقر المجلسي قدس سره في مرآة العقول: ج٢، ص١٩، والوافي للفيض الكاشاني رحمه الله: ج١، ص١٠٠.

(٣) راجع كتاب الوافي: ج١، ص١٠٠. لمؤلفه الشيخ محمد علم الهدى محسن بن الشاه مرتضى،=

[اطلاقُ «الاسم» على الأمور العينيّة في القرآن والروايات]

عموماً، «الاسم» يُعبِّرُ عن نفس التجلّي الأفعالي الذي به تحققت دارُ التحقق بأسرها، وإطلاق الاسم على الأمور العينيّة من الأمور المُتكررة في كلام الله ﷻ وكلام رسوله وأهل بيت العصمة عليهم السلام، كما في قولهم: «**نحن الأسماء الحسنى**»(١)، أو ما يكثر في أدعيتهم من نظائر قولهم: «**وباسمك الذي تجلّيت به (على فلان)**»(٢).

[بيان احتمال تعلّق البسملة في سورة الحمد بنفس السورة، ووجوب تعيينها لكل سورة في الصلاة]

ويُحتملُ أن تكون «بسم الله...» المُتصدرة لكل سورة من القرآن الكريم، متعلقةً بنفس تلك السورة، فمثلاً «بسم الله...» في مطلع سورة الحمد المباركة متعلقةٌ بسورة الحمد ذاتها، وهذا ينسجمُ مع الذوق العرفاني ومسلك أهل المعرفة؛ ذلك لأنَّ الإشارة هي إلى أن حمد وثناء الحامدين إنَّما يكونُ أيضاً بقيّوميّة اسم «الله»؛ وعليه فإنَّ التسمية المستحبة شرعاً قبل كل قولٍ أو فعلٍ، هي للتذكير بأنَّ كل قولٍ أو فعلٍ يصدر عن الإنسان إنَّما يتمّ بقيوميّة

=المدعو بـ«المولى محسن الكاشاني»، والمعروف بـ«الفيض الكاشاني رحمه الله»، مُحدثٌ فقيهٌ وعارفٌ حكيمٌ، من علماء القرن الحادي عشر هجري، من تلامذة الشيخ البهائي العاملي رحمه الله والمولى محمد صالح المازندراني رحمه الله والمولى صدر المتألهين الشيرازي رحمه الله وغيرهم من أجلاء الطائفة وعظمائها، اشتهر بكثرة التأليف والتصنيف، ومن مصنفاته: «تفسير الصافي» و«الوافي» و«المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء» و«الشافي» و«علم اليقين» و«الأصول الأصليّة». توفي رحمه الله في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ١٠٩١هـ كما صرح به ولده العلامة «علم الهدى» وقبرُهُ بكاشان مزارٌ معروفٌ.

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٢٥، ص٥، أبواب خلقتهم وطينتهم وأرواحهم عليهم السلام.

(٢) راجع: دعاء «السمات» مثلاً، مصباح المتهجد: ص٤١٨.

اسم الله، وبذا فإنَّ معنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مُختلفٌ من سورةٍ إلى أُخرى. والفقهاء يقولون بوجوب تعيين «بسم الله...» لكلِّ سورة، وإذا قِيلت «البسملة» لسورةٍ مُعينةٍ فلا يجوز قراءة سورة غيرها بعدها[1].

وهذا القول المُنسجم مع المنحى الفقهي لا يخلو من وجاهةٍ، كما أنَّهُ قولٌ وجيهٌ وفقاً لما قدمناه أيضاً.

[بيانُ الكثرة واضمحلال الكثرات في مراتب الغيب والشهود وفي أسماء وصفات وتجلّيات الحق تعالى]

من جهةٍ أُخرى، فإنَّ اضمحلال الكثرات في حضرة اسم الله الأعظم، تجعلنا نقولُ بمعنىً واحدٍ لجميع «التسميات»، فكما أنَّ هذين النمطين من التحليل ـ بالكثرات من جهةٍ والتحليل باضمحلالها من جهةٍ أُخرى ـ ينطبقان على مراتب الوجود ومنازل الغيب والشهود، فإنَّهما ينطبقان على تعينات الموجودات المتكثرة ومراتب وجود وتعينات عالم الأسماء المختلفة، الرحمانيّة والرحيميّة والقهريّة واللطفيّة.

وكذا في اعتبار الاضمحلال وانمحاء الأنوار الوجوديّة في نور الفيض الأزلي المقدّس، إذ لا يبقى هناك من أثرٍ سوى للفيض المقدّس والاسم الإلهي الجامع.

وكلا هذين النمطين من التحليل يسريان على الأسماء والصفات الإلهيّة،

---

(١) راجع «تحرير الوسيلة» للإمام الخميني قُدّس سرّه: ج١، ص١٦٥، كتاب الصلاة، القول في القراءة والذكر، المسألة السابعة. وكذلك راجع: «العروة الوثقى» للسيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي قُدّس سرّه: ج١، ص٤٥٩، كتاب الصلاة، الفصل٢٤ في القراءة، المسألة: (١١)، و«مستمسك العروة الوثقى» للسيّد محسن الطباطبائي الحكيم قُدّس سرّه: ج٦، ص١٨٣.

فبناءً على التحليل الأوّل تكونُ حضرة واحديّة مقام كثرة الأسماء والصفات وجميع الكثرات، من تلك الحضرة.

وأما بناءً على التحليل الثاني فليس من اسمٍ ولا رسمٍ إلا لحضرة اسم الله الأعظم.

والتحليلان حكميان ويستندان إلى قاعدةٍ فكريّةٍ.

[وقفةٌ مع التحليل العرفاني]

اما إذا أصبح التحليلُ عرفانياً واستند إلى فتح أبواب القلب، وإلى السلوك والرياضات القلبيّة، وتجلى الحق تعالى ـ عندئذٍ ـ لقلوب أصحاب ذلك المنحى بالتجليات الأفعاليّة والأسمائيّة والذاتيّة، نبعت الكثرةُ تارةً ونبعت الوحدةُ تارةً أُخرى.

[التجلّيات في القرآن الكريم]

وقد تعرض القرآن الكريم إلى هذه التجلّيات، بصراحةٍ تارةً كما في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[1]، وعلى نحو التلميح والإشارة تارةً أُخرى، كما في سرده تعالى لمشاهدات إبراهيم عليه السلام ومشاهدات رسول الله صلى الله عليه وآله في سورتي «الأنعام»[2] و«النجم»[3] الكريمتين.

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) راجع سورة الأنعام: الآيات ٧٥ ـ ٧٩.

(٣) راجع سورة النجم: الآيات ٥ ـ ١٨.

[التجلّيات في دعاء السمات العظيم]

كذلك فقد وردت في أحاديث المعصومين وأدعيتهم عليهم السلام إشارات كثيرة إلى هذا الأمر، خصوصاً في دعاء السمات العظيم، الذي لا يتجرأ المُنكرون على إنكار سنده ومتنه، فهو مقبولٌ لدى العامّة والخاصة والعارف والعامّي، وهو بعدُ ينطوي على مضامين رفيعة ومعارف سامية، فقلبُ العارف يُصعقُ لهذا الدعاء، ونسيمُهُ ينفخ في روح السالك نفخةً إلهيّةً، تأمل في قوله عليه السلام: «... **وبنور وجهك الذي تجلّيت به للجبل فجعلته دكّاً وخرَّ موسى صعقاً، وبمجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلّمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران** عليه السلام **وبطلعتك في ساعر وظهورك في جبل فاران**...»[1].

[وظيفةُ السالك حين التسمية]

عموماً، على السالك حين التسمية، أن يُفهم قلبه أنَّ جميع الموجودات الظاهرة والباطنة وكافة عوالم الغيب والشهادة خاضعةٌ لتدبير أسماء الله، بل إنّها ظاهرةٌ بظهور أسماء الله، وإنَّ جميع حركاتها وسكناتها وجميع العالم، تحت قيّوميّة اسم الله الأعظم. أي إنَّ جميع تحميده للحق وجميع عباداته وطاعاته وتوحيده وإخلاصه تحت قيّوميّة اسم الله.

فاذا استقرت هذه اللطيفة الإلهيّة واستحكم هذا المقام في قلبه، وذلك من خلال الدأب على التذكير ـ وهو الغاية من العبادات ـ فالباري تعالى يُخاطبُ كليمه موسى بن عمران عليه السلام في خلوة الأُنس ومحفل القُدس بقوله: ﴿إِنَّنِيٓ

(١) من دعاء «السمات» والمُسمى أيضاً بدعاء «الشبور»، ويُستحبُ الدعاء به في آخر ساعة من نهار الجمعة. راجع: مصباح المتهجد للشيخ الطوسي رحمه الله: ص٤١٨، ومفاتيح الجنان، ص١٢٠.

﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[١]، فقد جعل تعالى «الذكر» هو الغاية من إقامة الصلاة ـ إنفتح لقلب العارف سبيلٌ آخر من المعارف وانجذب نحو عالم الوحدة وصار لسانُ حاله وقلبه: **«بالله الحمد لله» و«أنت كما أثنيت على نفسك»**[٢] **و«أعوذ بك منك»**[٣].

كان هذا عرضٌ إجماليٌ حول تعلق وعائديّة «الباء» في «بسم الله...» ونفحةً من المعارف المُستفادة من ذلك.

[حقيقةُ «إسم الله» ومراتبُ تجلّي الأسماء]

أما أسرار «الباء» و«النقطة تحت الباء» التي تسبتطنُ مقام الولاية العلويّة ومقام جمع الجمع القرآني، فيحتاج الخوضُ فيها مجالاً أوسع. وأمّا حقيقة الاسم فإنَّ لها مقاماً غيبياً وغيبَ غيبيٍّ، وسراً وسرَّ سريٍّ، ومقاماً ظهورياً وظهورَ ظهوريّ.

[الإسمُ المُنَزَّهُ عن الكثرات أتمُّ الأسماء]

ولما كان الاسم علامة الحق والفاني في الذات المقدسة، فإنَّ الإسلام كلّما كان أقرب إلى أُفق الوحدة وأبعد عن عالم الكثرة، كان أكمل في الإسميّة، وأتمَّ الأسماء هو الاسم المُنزّه عن الكثرات حتى الكثرة العلميّة منها، وهو التجلّي الغيبي الأحدي الأحمدي في حضرة الذات بمقام «الفيض الأقدس»، والذي ربما كانت الآيةُ ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾[٤] إشارةً إليه.

---

(١) طه: ١٤

(٢) أصول الكافي: ج٣، ص٣٢٤، باب السجود والتسبيح والدعاء فيه في الفرائض والنوافل، وما يُقالُ بين السجدتين.

(٣) راجع: مصباح المتهجد: ص٤٦.

(٤) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ النجم: ٩.

وبعده التجلّي بحضرة اسم الله الأعظم في حضرة الواحديّة ثم التجلي بـ«الفيض المقدس» وتليه التجلّيات بنعت الكثرة في حضرات الأعيان وإلى آخر مراتب دار التحقق.

وقد فصّلتُ الحديثَ عن هذا المجمل في رسالتي «مصباح الهداية»[١] و«شرح دعاء السَحَر»[٢].

[بيانُ معنى «الله» و«الرحمن» و«الرحيم» في البسملة]

و«الله» هو مقامُ الظهور بـ«الفيض المقدّس» إذا كان المراد من «الاسم» هو التعينات الوجوديّة.

واطلاق «الله» عليه إنّما كان نتيجة اتحاد الظاهر والمظهر وجواز فناء الاسم في المُسمى، ولعل الآيات الكريمة: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣] و﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[٤] تُشير إلى هذا المقام وتؤيدُ هذا الإطلاق ومقام الواحديّة وجمع الأسماء.

وبعبارةٍ أُخرى فإنّه مقام الاسم الأعظم، إذا كان المقصود بالاسم مقام التجلي بالفيض المُقدس ولعلّ هذا هو الأظهر من سائر الاحتمالات، أو إنّه

---

(١) «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»، في بيان حقيقة الخلافة والولاية وفق مباني العرفان النظري، انتهى الإمامُ الراحل ﷺ من تأليفه في شهر شوال من عام١٣٤٩هـ/ ش، وقد أُعيد طبع هذا الكتاب عام ١٣٧٢هـ/ ش مع مقدمةٍ وتحقيقٍ وتصحيحٍ جديد من قبل مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﷺ.

(٢) أوّلُ كتابٍ أَلّفه الإمام الخميني ﷺ باللغة العربيّة في شرح دعاء المُباهلة (في السَحَر) من بعض الوجوه، وذلك سنة١٣٤٧هـ/ ش.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) الزخرف: ٨٤.

مقام الذات أو مقام «الفيض الاقدس» إذا كان المقصود بالاسم هو الاسم الأعظم، وكما هو واضحٌ فإنَّ مقام «الرحمن» و«الرحيم» سيختلف باختلاف هذه الاحتمالات.

ويُحتملُ أن تكون «الرحمن» و«الرحيم» صفتين للإسم، أو لعلهما صفتان للفظ الجلالة «الله». والأقرب اعتبارهما صفتين للإسم؛ لأنَّهما في سورة الحمد صفتان للفظ الجلالة «الله»، وهذا ينفي احتمال التكرار، وإن كان من المُمكن تفسير الأمر بطريقةٍ أُخرى أيضاً إذا بُني على اعتبارهما صفتين للفظ الجلالة «الله» بتوجيه التكرار بلاغياً.

أما إذا اعتبرناهما صفتين للإسم فإنَّ هذا يؤيد أن المراد من الاسم هو الاسم العينيّ؛ لأنَّ المُتصف بصفات الرحمانيّة والرحيميّة ليس الا الأسماء العينيّة.

إذن، إذا كان المراد من (الاسم) الاسم الذاتي والتجلّي بالمقام الجمعي، تكونُ الرحمانيّة والرحيميّة من الصفات الذاتيّة الثابتة لحضرة «اسم الله» في التجلّيات بمقام الواحديّة، وتكونُ الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة الأفعاليّة من تنزلاتها ومظاهرها.

أما إذا كان المراد من (الاسم) التجلّي الجمعي الأفعالي وهو مقام المشيئة، فالرحمانيّة والرحيميّة هي من صفات الفعل.

[الرحمةُ الرحمانيّةُ والرحمةُ الرحيميّةُ]

فالرحمة الرحمانيّة هي بسط أصل الوجود وهي عامة لكافة الموجودات لكنّها من الصفات الخاصة بالحق تعالى؛ لأنَّه ما من شريك للحق تعالى في

بسط أصل الوجود؛ وسائر الموجودات قاصرة عن الرحمة الإيجاديّة إذ لا مؤثر في الوجود إلا الله ولا اله في دار التحقق إلا الله.

وأما الرحمة الرحيميّة والتي تُعدُّ هدايةُ الهُداة من رشحاتها، فهي خاصة بالسعداء وأُولي فطرة «عليين»، لكنَّها من الصفات العامّة حيثُ للموجودات الأُخرى حظٌ ونصيبٌ منها؛ وقد أشرنا فيما سبق إلى عموميّة الرحمة الرحيميّة، وقُلنا بأنَّ عدم شمولها الأشقياء إنَّما هو نتيجة نقصهم هُم، لا نتيجة محدوديّة الرحمة.

لذا كانت الهداية والدعوة شاملةً لعموم بني الإنسان، وهذا ما يدُلُّ عليه القرآنُ الكريم.

ويُمكنُ أيضاً، باعتبار أنَّ الرحمة الرحيميّة مُختصةٌ بالحق تعالى، لا يُشاركُهُ فيها أحدٌ، وقد اختلف بيانُ الرحمة الرحيميّة في الأحاديث الشريفة باختلاف النظرة والاعتبار، فقد وَرَدَ عنهم عليهم السلام القول: «**إنَّ الرحمن اسمٌ خاصٌ لصفةٍ عامَّةٍ والرحيمَ اسمٌ عامٌ لصفةٍ خاصَّةٍ**»[1].

كما ورد عنهم عليهم السلام: «**الرحمنُ بجميع خلقه والرحيمُ بالمؤمنين**

---

(١) رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام في «مجمع البيان» ج١، ص٥٤، لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المشهدي رحمه الله، عُمدةُ المُفسرين وفخرُ العُلماء الأعلام، ثقةٌ فاضلٌ من أجلاء الطائفة، مُفسرٌ وفقيهٌ ومُحَدِّثٌ، قيل بأنَّهُ قضى إلى ربه شهيداً ووُصف بـ«الشيخ الإمام الشهيد» ولم تُذكر كيفيّة شهادته، ولعلها كانت بالسم كما قال المُحَدِّث النوري قدس سره. صاحبُ مُصنفات كثيرة رائقةٌ وجليلة، أبرزها: «مجمع البيان» و«الكاف الشاف من كتاب الكشاف» و«جوامع الجامع» و«إعلام الورى بأعلام الهدى» في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، و«الآداب الدينيّة» و«النور المُبين» وغيرها. توفي عن عمرٍ ناهز التسعين ودُفن في المشهد الرضوي المُقدس في خُراسان، وقبرُهُ معروفٌ ومشهورٌ يُزارُ ويُتبركُ به.

خاصةً»[١]، وقالوا: **«يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة»**[٢]. وقالوا: **«يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما»**[٣]. إلى غير ذلك.

---

(١) أصول الكافي: ج١، ص١١٤، باب معاني الأسماء واشتقاقها. وكذلك المحاسن: ص٢٣٨، «كتاب مصابيح الظلام»، «باب جوامع من التوحيد»، الحديث٢١٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٨، ص٣٥٥، كتاب: «الصلاة»، باب: «صلاة الحاجة»، الحديث: ١٩.

(٣) أصول الكافي: ج٢، ص٥٥٧، كتاب: «الدعاء»، باب: «الدعاء للكرب والهمّ...»، الحديث: ٦. الصحيفة السجاديّة: الدعاء(٥٣) في استكشاف الهموم. وكذلك راجع: وسائل الشيعة: ج١٣، ص٣٣٦، باب استحباب الصلاة على محمد وآله ﷺ في أثناء الطواف والسعي، لمؤلفه المُحَدِث الأكبر والفقيه النحرير زعيم الشيعة في عصره محمد بن الحسن بن علي المشغري العاملي الطوسي، المعروف بـ«الحر العاملي»، أحد المحمدين الثلاثة المُتأخرين الجامعين لأحاديث الأئمة المعصومين ﷺ، يعودُ نسبُهُ إلى الحر الرياحي الشهيد مع السبط الشهيد ﷺ يوم الطف، وُلد في قرية مشغرة إحدى قرى جبل عامل، ولقد كان ﷺ عالماً عاملاً دأب طول عمره الشريف على خدمة الشريعة الغراء، فمع انشغاله بالتدريس وتربية العُلماء، أثرى المكتبة الإسلاميّة بكتبٍ ومؤلفاتٍ كثيرة أهمها «وسائل الشيعة» والذي أصبح بعد تأليفه وإلى يومنا هذا مورد استنباط الأحكام عند فقهاء مدرسة أهل البيت ﷺ. ومن جملة مؤلفاته: «إثبات الهُداة بالنصوص والمُعجزات» و«الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة» و«الفصول المُهمة في أصول الأئمة» و«الفوائد الطوسيّة»، وغيرها الكثير من المؤلفات والرسائل في أكثر من علمٍ وفن، ولقد كان عازماً على أن يشرح «وسائل الشيعة» بكتابٍ اسمه «تحرير وسائل الشيعة وتحبير مسائل الشريعة» ولكن الأجل لم يُمهلهُ لتنفيذ ما عزم عليه فلم يصدر منه إلا جزءٌ واحد. توفي ﷺ في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ١١٠٤هـ، ودُفن في إيوان حجرةٍ في صحن الروضة الرضويّة المُقدسة في طوس خُراسان، وقبرُهُ مزارٌ يحضره الموالون والمؤمنون ويتبركون به.

تحقيقٌ عرفانيٌّ

[معنى «الرحمن» و«الرحيم» في البسملة]

يقولُ علماءُ اللُغة والأدب: إنَّ «الرحمن» و«الرحيم» مشتقان من «الرحمة» ويُراد بهما المبالغة. غير أنَّ المبالغة في «الرحمن» أشدّ منها في «الرحيم».

والقياس يقتضي تقدُّم «الرحيم» على «الرحمن» ولكن لما كان «الرحمن» بمنزلة العلم الشخصي، ولا يُطلقُ على سائر الموجودات فقد تمَّ تقديمه.

كما قال بعضهم: «إنَّهما بمعنىً واحدٍ»، مُعتبرين التكرار لمُجرد التأكيد.

[وقفةٌ مع الذوق العرفاني في تقَدُّم «الرحمن» على «الرحيم»]

غير أنَّ الذوق العرفاني ـ والذي نزل القرآن بأعلى مراتبه ـ يقتضي أن يكون «الرحمن» مُقدَّماً على «الرحيم»؛ لأنَّ القرآن عند أصحاب القلوب هو نازلة التجليات الإلهيّة والصورة الكتابيّة لأسماء الربوبيّة الحسنى. ولما كان اسم «الرحمن» اكثر الأسماء الإلهيّة احاطةً بعد الاسم الأعظم، وقد ثبت تحقيقاً عند أصحاب المعرفة أنَّ التجلّي بالأسماء المُحيطة مقدّمٌ على التجلّي بالأسماء المُحاطة، كما أنَّ الاسم الأكثر إحاطةً يكونُ التجلّي به مُقدّماً، لذا كان التجلّي أولاً في الحضرة الواحديّة، هو التجلي باسم الله الأعظم، ثم يليه التجلّي بمقام الرحمانيّة ثُم التجلّي بالرحيميّة.

[ظهورُ الاسم الأعظم الذاتي مُقدَّمٌ على كافة التجلّيات الأخرى]

وهكذا هو الحال في التجلّي الظهوري الأفعالي أيضاً، حيثُ يكونُ التجلّي بمقام المشيئة ـ وهو الاسم الأعظم في هذا المشهد ـ وظهور الاسم الأعظم الذاتي مُقدماً على كافة التجلّيات الأُخرى، والتجلّي بمقام الرحمانيّة ـ والمحيطة بجميع موجودات عالم الغيب والشهادة التي وردت الإشارةُ إليها في ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] ـ مقدّمٌ على سائر التجليات الأُخرى. و«**سبقت رحمتُهُ غضبَهُ**»[2] إشارةٌ إلى هذا المعنى من بعض الوجوه.

إجمالاً، لما كانت «بسم الله...» بحسب الباطن والروح ـ صورة للتجليات الأفعاليّة وصورة ـ بحسب السرّ وسرّ السرّ ـ للتجليات الأسمائيّة، بل الذاتيّة؛ ثم لما كانت هذه التجليات تتم بمقام «الله» أولاً ثُم بمقام «الرحمن» ثُم بمقام «الرحيم»، لذا وجب أن تكون صورتها اللفظيّة الكتابيّة على هذا النحو أيضاً لتكون مُطابقةً للنظام الإلهي والرباني.

[سرُّ تأخُّر «الرحمن» و«الرحيم» على «ربّ العالمين»]

أما تأخر «الرحمن» و«الرحيم» على «ربّ العالمين» في سورة الحمد المباركة، فلعلّ السرَّ فيه يكمن في أنَّ المراد في «بسم الله...» هو ظهور الوجود من مكامن غيب الوجود، في حين إنَّ المراد في السورة المباركة هو الرجوع والبطون ـ وإن كان في هذا الاحتمال اشكالٌ! ـ.

---

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٥، ص٢٣٢، الباب الثاني أعمال خصوص يوم عرفة وليلته وأدعيتهما، وكذلك أُصول الكافي: ج٢، ص٥٢٩، كتاب «الدعاء»، باب «القول عند الإصباح والإمساء»، الحديث: ٢٠، وراجع علم اليقين: ج١، ص٥٧.

أو لعلَّ التأخر يُرادُ به الإشارة إلى إحاطة الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة، أو قد يكون هناك احتمالٌ أخر.

على أية حال فإنَّ النكتة التي ذُكرت في «بسم الله...» جديرةٌ بالتصديق، ولعلَّ هذا التصديق من بركات الرحمة الرحيميّة على قلب هذا الحقير، وله الحمدُ على ما أنعم.

بحثٌ وتحصيلٌ

[إشارةٌ إلى بعض تفسيرات وتأويلات «الرحمن» و«الرحيم» وبعض الصفات الأخرى للحق تعالى]

يقولُ علماءُ الظاهر إنَّ «الرحمن» و«الرحيم» مشتقتان من الرحمة ويُرادُ بهما العطف والرأفة. وروي عن ابن عباس(رضي الله عنه): «**إنَّهما إسمان رقيقان، أحدهما أرقُّ من الآخر، فالرحمن: الرقيق، والرحيم: العطوف على عباده بالرزق والنعم**»[1].

وقد فُسِّرت وأوّلت عند إطلاقها على الذات المقدسة واعتبرت مجازاً لما يستلزمه العطفُ والرقةُ من انفعال.

وبعضهم استند على قاعدة: «**أخذ الغايات وترك المبادىء**»[2] فقالوا بإطلاق هذه الأوصاف. واعتبروا أنَّ إطلاقها على الحق، إنَّما هو بلحاظ الآثار والأفعال، لا بلحاظ المبادىء والأوصاف. وبذا يكونُ معنى «الرحيم» و«الرحمن» في الحق تعالى: «هو ذلك الذي يتعامل مع عباده بالرحمة».

بل إنَّ المعتزلة اعتبروا أنَّ جميع أوصاف الحق على هذا النحو أو قريبة منه، وعلى هذا الرأي يكونُ اطلاقها على الحق مجازاً.

---

(١) التبيان للشيخ الطوسي: ج١، ص٣٠، مجمع البيان للشيخ الطبرسي: ج١، ص٥٢، فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ج١٣، ص٣٠٣.

(٢) قولُهُم «خذوا الغايات واتركوا المبادئ» من الكلمات المشهورة، راجع: الأمثال والحِكَم، ج٢، ص٧٢٣، وهو عبارةٌ أُخرى عن المنطق المكيافيلي القائل بأنَّ: «الغاية تُبرر الوسيلة».

[الاستخدامُ المجازيُ مُستبعدٌ في الصفات]

وعلى كل حال فالاستخدام المجازي من الأمور المُستبعدة هُنا، خاصةً مع صفة «الرحمن» التي تستلزم أمراً عجيباً إذا أُريد بها المجاز، فهذه الكلمة قد وضعت لمعنى لا يجوز ـ بل لا يُمكن ـ استعماله فيه، وفي الحقيقة فإنَّ هذا المجاز سيكونُ بلا حقيقة، فتأمل!

[بيانُ وضع الألفاظ]

وللإجابة عن أمثال هذه الإشكالات يقولُ أهلُ التحقيق: إنَّ الألفاظ موضوعة لمعانٍ عامةٍ وحقائق مطلقة، فالتقييد بالعطف والرقّة لا يدخل فيما وُضع لهُ لفظ «الرحمة»، بل إنَّ أذهان العامة هي التي اخترعته دون أن يكون له دورٌ في أصل وضع اللفظ.

[الواضعُ شخصٌ عاديٌ وليس هو الحق تعالى ولا الأنبياء عليهم السلام]

وهذا التحليل بعيدٌ ـ كما يبدو ـ عن التصديق، إذ إنَّ من المعلوم أن الواضع للفظ كان من بين الأشخاص العاديين، وهو لم يأخذ في اعتباره ـ حين الوضع ـ المعاني المجردة والحقائق المطلقة.

نعم، لو كان الواضع هو الحق تعالى أو الأنبياء عليهم السلام ـ عن طريق الوحي والإلهام الإلهي ـ لكان هذا التحليلُ وجيهاً، لكنَّ هذا الأمر ليس ثابتاً هو الآخر.

ومهما يكن الحال، فإنَّ ظاهر هذا التحليل مخدوشٌ، ولكن ليس معلوماً أن يكون هذا الظاهر هو مراد أهل التحقيق. فمن المُمكن أن يقال في بيان هذا الموضوع: إنَّ واضع الألفاظ والكلمات وان كان لم يُلاحظ المعاني

المطلقة المجردة حين الوضع، إلا أنَّ ما وضعت له هذه الألفاظ هو هذه المعاني المجردة المُطلقة بالضبط.

فمثلاً عندما أراد الواضعُ أن يضعَ لفظة «النور» فإنَّهُ أراد الإشارة إلى جهة «النوريّة» لا إلى جهة اختلاط النور بالظلمة، رُغم أنَّ الذي رآه من الأنوار هي هذه الأنوار الحسيّة الجزئيّة ـ لأنَّهُ لا يعرف غير هذه الأنوار ـ ولو أنَّهُ سُئلَ السؤال الآتي:

إنَّ هذه الأنوار الجزئيّة المحدودة ليست نوراً صِرفاً، بل هي أنوارٌ مُختلطةٌ بالظلمة والضعف، فهل لفظ «النور» الذي وضعته يُرادُ به محض النوريّة، أو النوريّة المُختلطة بالظلمة؟

لأجاب ـ بالضرورة ـ بأنَّهُ وضعه للنوريّة ولا دور للظلمة في المعنى الموضوع له بأي وجهٍ كان.

كذلك، فنحنُ نعلم أنَّ الذي وضع لفظة «النار» لم يرَ سوى هذه النيران الدنيويّة، وهي التي سبب التفاته إلى هذه الحقيقة، فهو ليس مُطلعاً على نار الآخرة ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾[1]، ويشتدُ احتمالنا لذلك إذا كان الواضعُ غير مُعتقدٍ بعالم الاخرة؛ ولكن مع ذلك فإنَّ هذا لا يؤدي إلى انتقال التقييد إلى الحقيقة المُجردة، بل إنَّ لفظة «النار» يُلحظُ فيها هذه الجنبة «الناريّة»، ونحنُ لا نقول بأنَّ الواضع جَرَّدَ المعاني فيكونُ الأمرُ مُستغرباً ومُستبعداً، إنَّما نقول إنَّ الألفاظ إنَّما وقعت في نفس جهة المعاني دون أن تقيد بقيدٍ ما، وبذا فلا وجه للاستغراب والاستبعاد.

---

(١) الهُمزة: ٦ ـ ٧.

[ضابطةٌ للقُرب إلى الحقيقة والبُعد عن المجازيّة]

وكلما كان المعنى أكثر خُلواً من الغرائب والمعاني الدخيلة كان أقرب للحقيقة وأبعد عن المجازيّة. فكلمةُ «النور» مثلاً والموضوعة لتلك «النوريّة» الظاهريّة بالذات والمظهريّة للغير، رغم أنَّ اطلاقها على الأنوار الجزئيّة الدنيويّة لا يخلو من حقيقة ـ لعدم منظوريّة جهة المحدوديّة والاختلاط بالظلمة في اطلاقها، بل إنَّ المنظور في ذلك هو الظهور الذاتي والمظهريّة ـ ولكنَّ الأشد قُرباً من الحقيقة اطلاقها على الأنوار الملكوتيّة؛ فظهورها أكمل وأقرب إلى الذاتيّة، كما أنَّ مظهريتها أشدّ كمّاً وكيفاً، فضلاً عن أنَّ اختلاطها بالظلمة والنقص أقلُّ كثيراً.

وكذا الحالُ مع الأنوار الجبروتيّة، فإطلاقُها هنا أيضاً أقرب إلى الحقيقة وفق الاستدلال المُتقدم، وهكذا إلى أن نصل إلى اطلاق هذه اللفظة على الذات المقدسة للحق تعالى، حيثُ إنَّ هذا الاطلاق سيُمثلُ الحقيقةَ الخالصةَ النقيةَ؛ لأنَّهُ جلَّ وعلا هو نور الأنوار والخالص من كل معنىً للظلمة، وهو صِرف النور والنور الصرف، بل يُمكنُ القول: إنَّ كلمة «النور» إذا كانت قد وُضعَت «للظاهر بذاته والمُظهر لغيره» فإنَّ اطلاقها على غير الحق تعالى، حقيقيٌ لذوي العقول الجزئيّة، مجازيٌ لذوي العقول المؤيَّدة وأصحاب المعرفة، والحقيقي هو اطلاقها على الحق تعالى فقط! وهكذا هي الحال مع جميع الألفاظ الموضوعة للمعاني الكماليّة، يعني الأمور التي هي من سنخ الوجود والكمال.

[أوصافُ الكمال وما هو من نمطها حقيقيّةٌ لا مجازيّة]

على هذا نقول: إنَّ في «الرحمن» و«الرحيم» و«العطوف» و«الرؤوف» وأمثالها جهةَ كمالٍ وتماميّة وجهةَ انفعالٍ ونقصٍ، والألفاظُ ـ أعلاه ـ موضوعة

لهذه الجهة الكماليّة التي تُمثلُ أصل تلك الحقيقة، أما الجهات الإنفعاليّة ـ وهي من مستلزمات النشأة والأمور الدخيلة والغريبة على تلك الحقيقة والتي تلازمت واختلطت مع تلك الحقائق بعد تنزّلها إلى البقاع الإمكانيّة والعلوم الدنيويّة النازلة، كاختلاط الظلمة بالنور في النشأة النازلة دون أن يكونَ لها دخلٌ في المعنى الذي وُضِعَت له الألفاظ ـ فإطلاقُها على الموجود الواجد لمحض جهة الكمال المُنزَّه عن جهات الإنفعال والنقص هو محضُ الحقيقة والحقيقة المحضة.

وهذا الرأي قريبٌ من وجدان أهل الظاهر، فضلاً عن قربه لذوق أهل المعرفة. وبناءً عليه يتضحُ أنَّ اطلاق مُطلق أوصاف الكمال وما هو من نمطها ـ والتي اختلطت وتلازمت من خلال التنزل في بعض النشآت مع أُمورٍ أُخرى تُنَزهُ عنها الذاتُ المُقدسة للحق جلّت عظمتُهُ ـ على الحق تعالى ليس اطلاقاً مجازيّاً، والله الهادي.

[تفسير: الحمدُ لله...]

[اختصاصُ الذات الإلهيّة المقدسة بجميع أنواع المحامد]

قولُهُ تعالى: «الحمد لله» يعني: أنَّ جميع أنواع المحامد مُختصةٌ بالذات الأُولهيّة المقدسة.

إعلم أيُّها العزيز، أنَّ هذه العبادة الشريفة تنطوي على سرّ التوحيد الخاص، بل سرّ توحيد أخص الخواص.

واختصاص كافّة محامد الحامدين بالحق تعالى عند أصحاب الحكمة وأئمة الفلسفة العالية أمرٌ واضحٌ وبيِّنٌ استناداً إلى البرهان، فمن الثابت برهانياً أن دار التحقق كافة هي ظلّ حضرة الحق المنبسط وفيضه المبسوط، وأنَّ جميع النعم الظاهرة والباطنة من أيّ منعمٍ كانت ـ بحسب ظاهرها وفي أنظار العامّة ـ هي من الحق تعالى جلَّ وعلا، لا يُشارِكُهُ في ذلك أحدٌ من الموجودات، حتى «مشاركةً إعداديّة» ذلك عند أهل الفلسفة العامّيّة، ناهيك عن الفلسفة العالية.

إذن، لمّا كان الحمد بإزاء النعمة والإنعام والإحسان، ولمّا لم يكن من مُنعمٍ في دار التحقق سوى الحق تعالى، لذا فإنَّ جميع المحامد تختص بالحق تعالى.

ولمّا لم يكن من جمالٍ وجميلٍ سوى جماله وسواه، لذا صارت المدائحُ ترجع اليه أيضاً.

وبعبارةٍ أُخرى نقول: إنَّ كل حمدٍ ومدحٍ ومن أيّ حامدٍ ومادحٍ كان صادراً، إنَّما هو في إزاء تلك الجهة من النعمة والكمال دون أن يكون لَمحل ومورد النعمة والكمال الذي ينقُص النعمة والكمال ويحددها أي نصيبٍ من الثناء والمدح بأيّ وجهٍ، بل لعلَّ ذلك مما يُنافي المدح والثناء ويُضادهما.

إذن، فجميعُ المحامد والمدائح هي من نصيب الربوبيّة ـ الذي هو الكمال والجمال ـ ولا نصيب للمخلوق ـ وهو النقص والتحديد ـ منه.

[الخلائقُ مفطورةٌ على حمد وشُكر المُنعم]

وبأسلوبٍ آخر فإنَّ الثناء على الكامل والشكر والحمد للمُنعم هي من الأُمور الفطريّة الإلهيّة التي فُطر عليها الخلق جميعاً، كما إنَّ التنفّر من النقص والناقص ومنتقص النعمة من الأمور الفطريّة الإلهيّة.

[اختصاصُ النعمة الخالصة والجمال والكمال بالحق تعالى]

لمَّا كانت النعمة الخالصة من شائبةٍ أو نقصٍ، والجمال والكمال التام المُنزّه عن كل نقصٍ، تختصُ بالحق تعالى، وإنَّ سائر الموجودات تنقص النعم المطلقة والجمال المطلق وتحددها ولا تزيدها وتؤيدها، لذا فإنَّ فطرة كل الناس هي الثناء والمدح لذاته المقدسة والتنفر من سائر الموجودات، الا أن تكون ـ تلك الموجودات ـ قد فنت في ذات ذي الجلال ـ بحسب سيرها في ممالك الكمال ومدن العشق ـ فيكونُ عشقها وحبها والثناء عليها هو عين العشق للحق تعالى والثناء عليه «**حبُّ خاصة الله هو حُبُّ الله**»[١].

---

(١) بيتٌ من الشعر للشاعر العارف جلال الدين الرومي يقولُ فيه: «حب خاصان خدا حب خدا است».. والشاعرُ هو جلال الدين محمد بن بهاء الدين سلطان العلماء محمد بن الحسين بن=

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ما ذكرناه إلى الآن هو ضمن نطاق مقامات المتوسطين الذين ما زالوا في حجاب الكثرة حتى الآن غير مُتخلصين تماماً من جميع مراتب الشرك الخفيّ والشرك الأخفى، وغير بالغين كمال مراتب الخلوص والاخلاص.

[إتحاد «الحمد» و«الحامد» و«المحمود» بحسب عرفان أصحاب القلوب]

أما إذا أردنا عرض الأمر بما يتناسب مع عرفان أصحاب القلوب الفانية، نقول: إنَّ النعم وكلَّ كمالٍ وجمالٍ وجلالٍ تكونُ في بعض الحالات الخاصة صورةً للتجلي الذاتي، وتكونُ المحامدُ والمدائحُ كافةً مُتعلقةً بالذات المقدسة للحق تعالى، بل إنَّ المدح والحمد منه وله(١).

[ليس للسالك الاكتفاء بالسير العلمي في تحصيل المعارف]

هذا بالنسبة إلى ما يشير إلى تعلُّق «بسم الله...» بـ«الحمد لله»، ولكن لتعلم أنَّهُ ينبغي للسالك إلى الله والمجاهد في سبيل الله أن لا يقنع بحدِّ العلم

=أحمد بن بكر البلخي القونوي (٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ) المعروف بـ«مولوي» شاعرٌ وصوفيٌ كبيرٌ. تلمذ عند أبيه ثم الشيخ برهان الدين المُحقق الترمذي. قعد للدرس والوعظ بعد أبيه إلى أن اتفق أن لاقى الشمس التبريزي، فترك بالمرة مزاولة علوم الظاهر واشتغل بتهذيب النفس ومراقبة الباطن. أسّس الطريقة المولويّة وجعل للموسيقى عند احتفالاتها مكاناً. من آثاره: ديوانُ شعره المثنوي المعروف بـ«مثنوي معنوي» منظومٌ فارسي مشهور في مُجلدٍ في الحِكَم والأمثال والحقائق، ديوان غزلياته المشهور بـ«ديوان كبير وكليات شمس تبريزى» و«لب اللباب فارس» و«فيه ما فيه» وغيرها من المكتوبات والمجالس.

(١) يجب أن لا يخفى أنَّ اختصاص المحامد كلها أو جنس الحمد باحتمالين في الألف واللام يُناقضُ السببيّة حتى إن كانت بمعناها الدقيق، فلا يُمكنُ توجيه المطلب إلا بلسان القرآن وعرفان أولياء الله (صلوات الله عليهم). ـ من المؤلف قدس سره ـ.

بهذه المعارف فيقضي عمره بطوله في الاستدلال الذي يُعدُّ حجاباً ـ بل إنَّهُ «الحجاب الأعظم» ـ فهذه المرحلة مما لا يمكن طيّهُ بالقدم الخشبيّة[1]، بل مما لا يُمكنُ طيُّهُ حتى بطائر سليمان[2]، فهو وادي المُقدسين، وهي مرحلة الأحرار، وما لم تُخلع نعلا حبّ الجاه والشرف والزوج والبنين، وتُلق عصا الإعتماد والتوجه إلى الغير من اليد اليمنى فلن يُمكن التقدم خطوة واحدة في هذا الوادي المقدس، فهو محلُّ المُخلصين ومنزل المُقدسين.

[سبيلُ السالك: الإخلاصُ والاعراضُ عن الكثرات والدنيا]

ولو أنَّ السالك تقدم في هذا الوادي بحقائق الإخلاص مُعرضاً عن الكثرات والدنيا، وهي وهمٌ في وهمٍ، فإنَّ المعونة ستصلُهُ من عالم الغيب ـ

(١) إشارةٌ إلى بيت شعرٍ للعارف الرومي يقولُ فيه: «**پاى استدلاليان چوبين بود / پاى چوبين سخت بى تمكين بود**» راجع: «مثنوي معنوي» الدفتر الأول، البيت ٢١٢٨، وتفسير القرآن الكريم للسيّد العلامة الشهيد مصطفى الخميني ﷺ: ج٢، ص٤٦٧، وج٤، ص٣١٩. وترجمتُهُ: «**إنَّ قدم أهل الاستدلال خشبيّةٌ، والقدم الخشبيّة ضعيفة**»، بمعنى أنَّ أهل الاستدلال يسلكون طريق العلم والمعرفة بقدمٍ خشبيّة، وكما أنَّ القدم الخشبيّة لا يُمكنُ الاعتماد عليها ولا الاستناد إليها؛ لأنَّها ضعيفة وقابلةٌ للانكسار، كذلك لا يُمكنُ الاعتماد على استدلالاتهم لضعفها ووهنها في قبال كشوفات أهل الشهود والعرفان والعيان.

(٢) إشارة إلى بيتٍ من الشعر للشاعر العارف حافظ الشيرازي يقولُ فيه: «**من به سر منزل عنقانه به خود بردم راه / قطع إين مرحلة با مُرغ سليمان كردم**»، وترجمةُ البيت كاملاً: «إنّني لم أصل منزل العنقاء بنفسي، بل طويتُ الدرب مع طائر سُليمان»، ويستخدمُ الشعراءُ وخصوصاً شعراء الشعر العرفاني «طائرَ سليمان» كنايةً عن سرعة السير في قطع المسافات وتخطي المنازل والمقامات. والشاعرُ هو الخواجا شمس الدين محمد بن محمد الشيرازي (٧٩٢ أو ٧٩١هـ) أكبر الشعراء المُتغزلين الإيرانيين، ومن كبار الشعراء المُجيدين. إبتدأ بتحصيل العلوم في عنفوان شبابه وأحاط بالفنون الأدبيّة إحاطةً تامة. كان حافظاً للقرآن الكريم وعن هذا كان تخلصه في شعره بـ«حافظ». شعرُهُ مزاجٌ من المضامين الفلسفيّة والعرفانيّة مع دقة المعاني ولطافة التعبير. توفي في مسقط رأسه ومَدفنُهُ الآن مزارٌ معروفٌ.

إذ كانت بقايا من الأنانيّة قد تخلفت لديه ـ وسيندكُّ جبلُ «إنّيته» بالتجليات الإلهيّة وتغشاهُ حالةٌ من «الصعق» و«الفناء».

[أصحابُ القلوب القاسية لا يستسيغون المقامات]

أما بالنسبة لذوي القلوب القاسية ممن لا همَّ لهم سوى تحصيل الدنيا وحظوظها، وممن لم يتعودوا ولم يعرفوا سوى الغرور الشيطاني، فإنَّ هذه المقامات مما لا يُستساغ أبداً ومما يُنسب إلى التخريف، والحالُ أنَّ فناءنا في الطبيعة والدنيا وغفلتنا الكاملة عن كافة عوالم الغيب ـ رغم أنَّها أشدُّ ظهوراً من هذا من جميع الجهات وعلى كافة الاعتبارات ـ بل غفلتنا عن ذات وصفات الذات المقدسة للحق تعالى وهي الظهور المُختصّ بذاته، وتشبثنا بأذيال البرهان والاستدلال من أجل إثبات وجود تلك العوالم والذات المقدّسة للحق جل وعلا، وهي أغرب وأعجب بمراتب من الفناء الذي يدّعيه أصحابُ العرفان والسلوك.

حيرةٌ في حيرةٍ تبعثُها هذي القصص كيف يُغشى على الخاصة من الأخس[1]

---

(١) بيتُ شعرٍ للعارف الرومي يقولُ فيه:

«حيرت اندر حيرت آيد زين قصص بيهشى خاصگان اندر اخسّ»

ويحكي الشاعرُ العارف من خلال قصيدته حادثةَ طلب الرسول الأعظم ﷺ من ملك الوحي جبرائيل عليه السلام أن يكشف له عن صورته الحقيقيّة والواقعيّة، فاستقام جبرائيل عليه السلام على صورة نفسه الحقيقيّة دون الصور التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي، وكان يأتيه في صورة الآدميين، وعندما ظهر بصورته الأصليّة استوى في أُفق الشمس الأعلى فملأ الخافقين، فغُشي على رسول الله ﷺ، وهنا النُكتة الأساسيّة في البيت وأنَّهُ كيف يُغشى على خاصة الله ﷻ وهو النبي الأكرم ﷺ من مشاهدة من هو دونه في القدر والشأن؟! فإنَّ هذا الأمر مدعاة للحيرة والتعجب!! وقيل: ما رآه أحدٌ من الأنبياء عليهم السلام في صورته الحقيقيّة غير محمد ﷺ، رآه مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء. وقد استبعد الإمامُ الراحل قدس سره ما جاء في بعض النسخ من إيرادٍ لكلمة «أخص» بدلاً عن «أخس» مُشيراً إلىٰ أنَّ الصحيح هو ما قام بإثباته قدس سره، فتأمل واغتنم.

ولا شك أنَّ الكلمة في آخر البيت هي «أخسُّ» (بالسين) ولو كانت «أخصّ» (بالصاد) لما كان الأمرُ مدعاةً لهذا القدر من الحيرة.

ففناءُ الناقص في الكامل أمرٌ طبيعيٌ يُطابقُ السُنّة الإلهيّة، في حين إنَّ الصعق والفناء في الأنزل هو المُتحقق فينا جميعاً، فقد انغمرت أسماعُنا وأبصارُنا في عالم الطبيعة حتى صرنا لا نسمع كل ذلك الدوي المُنطلق من عالم الغيب.

نقلٌ وتحقيقٌ:

[الحمدُ عند أهل اللغة]

إعلم أنَّ علماء اللُغة، وعلماء الظاهر، يقولون: إنَّ الحمد ثناءٌ اختياريٌ باللسان على الجميل، وقد حملوا تسبيح وتحميد الحق تعالى، بل مُطلق كلامه جل وعلا على نوعٍ من المجاز وذلك لغفلتهم عما سوى هذا اللسان اللحمي من الألسنة الأُخرى، كما إنَّهم حملوا كلام وتسبيح الموجودات على نوعٍ من المجاز أيضاً، فهم يحسبون التكلّم بالنسبة للحق تعالى: عبارة عن ايجاد الكلام، وفي الموجودات الأُخرى عبارة عن التسبيح والتحميد الذاتي التكويني.

[حصرُ اللغويين للنطق بنوعهم تحديدٌ للباري ﷻ وليس تنزيهاً له]

وفي الحقيقة فهُم يحصرون النُطق بنوعهم مُتوهمين أنَّ الذات المقدسة للحق جل وعلا وسائر الموجودات ليست ناطقةً، بل هي ـ والعياذُ بالله ـ خرساء تماماً، وهم يتصورون أنَّ في ذلك تنزيهاً للذات المقدسة في حين إنَّهُ تحديدٌ وتعطيلٌ. والحقُ تعالى منزّهٌ عن هذا التنزيه، وتنزيهات العامّة في معظمها تحديدٌ وتشبيهٌ، وقد أسلفنا الحديث عن كيفيّة وضع الألفاظ للمعاني العامّة والمُطلقة، ونُضيفُ هنا:

[عدمُ لزوم صدق الحقيقة اللغويّة على الحقائق الإلهيّة]

إنَّنا لسنا مُقيدين إلى هذا الحدّ بلزوم حصول الصدق اللُغوي أو الحقيقة اللغويّة على الحقائق الإلهيّة، فصحَّةُ الإطلاق والحقيقة العقليّة هي المعيار في هذه المباحث ـ وإنْ كانت الحقيقة اللغويّة ثابتةً أيضاً حسبما أوردنا في المبحث السابق ـ لذا نقول:

إنَّ اللسان والتكلم والكتابة والكتاب والحمد والمدح مراتب تتفاوت بتفاوت النشآت الوجوديّة، وكل مرتبةٍ منها تُناسب نشأةً من النشآت ومرتبةً من مراتب الوجود.

ولمّا كان الحمدُ في كل موردٍ يتُمُ على جميلٍ ما، ولمّا كان المدح يُطلقُ لجمالٍ وكمالٍ مُعينين، إذن فالحق جلّ وعلا ـ وحيثُ إنَّهُ تعالى قد شاهد جماله الجميل بحسب علمه الذاتي في حضرة غيب الهويّة وبأتمّ مراتب العلم والشهود ـ ابتهج بذاته الجميلة بأشد مراتب الأبتهاج، فهو يتجلى للذات بالتجلّي الأزلي بأعلى مراتب التجلّيات في حضرة الذات، وهذا التجلّي واظهار ما في المكنون الغيبي والمقارعة الذاتيّة هو «الكلام الذاتي» الذي يقع بلسانٍ ذاتيٍّ في حضرة الغيب، ومشاهدةُ هذا التجلي الكلامي هو سمعُ الذات[١]. **وهذا هو ثناء الذات المُقدّسة على ذات الحق، وهو ما تعجز عن إدراكه سائرُ الموجودات، فها هو ذا النبيُ الخاتم بذاته المُقدسة وصلواتُ الله**

---

(١) قولُنا «مُبتهجٌ بذاته» يجب أن لا يدفع القارئ إلى الذهاب إلى اطلاق لفظ الابتهاج في حقه تعالى، وكذا هو الحال مع ألفاظ «العشق» و«الحبّ» وأمثالها مما يُلازم نوعاً من التجدد والحدوث والانفعال والامكان بحسب معانيها العامّة المُتعارفة، فهي من الألفاظ الموضوعة للمعاني المجردة واطلاقها على الحق تعالى هو على نحو إطلاق العطوف والرحمن وأمثالها، وهذه المطالب ليست من الأمور التي تسعها الأذهان المُعتادة لعامّة الناس، فهي تحتاج إلى بحثٍ فلسفيٍ دقيق وذوقٍ عرفانيٍ مُتوقد، رزقنا الله وإياكم. ـ **من المؤلف** ﰅ ـ.

عليه يعترفُ ـ وهو أشرف الموجودات وأقربها للحق تعالى ـ بهذا العجز فيقولُ: «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(١)، ولا يخفى أنَّ «إحصاء الثناء» هو فرعٌ من المعرفة بالكمال والجمال، والثناء الحقيقي لن يتحقق ما لم تحصل المعرفة التامّة بالجمال المطلق. فغايةُ أصحاب المعرفة العرفان بالعجز.

[الباري ﷻ يمدحُ ذاتَهُ بالألسنة الخمسة]

وأهلُ المعرفة يقولون: إنَّ الحق تعالى يحمد ويمدح ويُثني على نفسه بالألسنة الخمسة وهي: لسان الذات من حيث هي، لسانُ أحديّة الغيب، لسانُ الواحديّة الجَمعيّة، لسانُ الأسماء التفصيليّة، ولسانُ الأعيان.

وهي غير لسان الظهور الذي يبدأ بلسان المشيئة ويصل إلى لسان الكثرات الوجوديّة الذي يُمثلُ لسان آخر مراتب التعيينات.

[سريانُ الحياة في أرجاء دار الوجود]

ولتعلم أنَّ الموجودات جميعاً لها حظٌّ، بل حظوظٌ من عالم الغيب ـ وهو الحياة المحضة ـ وحظوظٌ من الحياة السارية في سائر أرجاء دار الوجود، الأمرُ الثابت لدى أرباب الفلسفة العالية بالبرهان، ولدى أصحاب القلوب والمعرفة بالمشاهدة والعيان.

كما أنَّ الآيات الإلهيّة الكريمة وأخبار أولياء الوحي ﷺ تدل عليه دلالةً تامة، إلا أنَّ المحجوبين ـ من أهل الفلسفة العاميّة ومن أهل الظاهر الذين لم يتعقلوا نطق الموجودات ـ عمدوا إلى تأويلها وتوجيهها.

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٨، الباب٦١، في معنى «الشكر» ص٢٣، مصباح الشريعة: الباب الخامس، وعوالي اللئالي: ج١، ص٣٨٩.

[أهلُ الظاهر يؤاخذون على التأويل، ويؤوّلون!!]

والعجيبُ أنَّ أهل الظاهر ورغم أنَّهم يؤاخذون على أهل الفلسفة تأويلهم كتاب الله وفق عقولهم، إلا أنَّهم هم أنفسهم يقومون في هذه الموارد بتأويل كل تلك الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، لمجرد عدم فهمهم نطق الموجودات مع أنَّهم لا يمتلكون برهاناً على ذلك، فهم يؤوّلون القرآن دون دليلٍ لمجرد الأستبعاد.

[تسبيحُ الموجودات: نطقيٌّ شعوريٌّ إراديٌّ وليس تكوينيّاً ذاتيّاً]

إجمالاً، فإنَّ دار الوجود هي أصل الحياة وحقيقة العلم والشعور، وتسبيح الموجودات هو تسبيحٌ نطقيٌّ شعوريٌّ إراديٌّ، وليس تكوينيّاً ذاتياً كما يقول المحجوبون. وإنَّ لجميع الموجودات ـ وكُلٌّ بحسب حظِّه من الوجود ـ معرفةً بمقام الباري جلت عظمته.

غير أنَّ الإنسان ولما كان أكثر الموجودات اشتغالاً بالطبيعة وانغماساً في الكثرة فهو أكثرها محجوبيّة، إلا إذا خرج من جلباب البشريّة، وخرق حجب الكثرة والغيريّة وعمد إلى مشاهدة جمال الجميل دون حجاب، عندها فقط يكونُ حمدُهُ ومدحُهُ أكثر جامعيّة من جميع المحامد والمدائح، وسوف يُثني على الحق تعالى ويعبده بكافة الشؤون الإلهيّة وبجميع الأسماء والصفات.

تتميمٌ:

[الرواياتُ الدالةُ على فضيلة وجامعيّة «الحمدُ لله»]

إعلم أن العبارة الشريفة «**الحمد لله**» هي من الكلمات الجامعة ـ على ما بيَّنا ـ، ولو أنَّ شخصاً حمد الحق تعالى بها ـ مشتملةً على كل لطائفها وحقائقها ـ يكونُ قد أدّى حق الحمد بالقدر الذي تسعه الطاقة البشريّة.

وقد أشارت الأحاديثُ الشريفةُ إلى هذا المعنى. رُوي أنَّ الإمام الباقر عليه السلام «**خرج من منزلٍ فلم يجد مطيته، فقال: لئن رددها الله تعالى لأحمدنَّهُ بمحامد يرضاها، فما لبث أن أُتي بها، وعندما استوى عليها وضمّ ثيابه إليه قال: الحمدُ لله**»[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٦، ص٢٩٠ عن كشف الغُمة. مستدرك سفينة البحار للنمازي: ج٢، ص٣٨٩، والدر المنثور للسيوطي: ج١، ص١٢. مستدرك الوسائل: ج٥، ص٣١٢، كتاب الصلاة، أبواب الذكر، باب استحباب كثرة حمد الله عند ظاهر النعم، الحديث١٨، مع اختلافٍ يسير. لمؤلفه خاتمة المُحَدثين وإمام أئمة الحديث والرجال في الأعصار المُتأخرة الشيخ الحسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (١٢٥٤هـ ـ ١٣٢٠هـ). سافر الميرزا النوري رحمه الله في بداية شبابه إلى طهران ليستفيد من علمائها، وحضر عند العالم الجليل الشيخ عبد الرحيم البروجردي رحمه الله واستفاد منه كثيراً. ثم سافر إلى النجف وكان عمره ١٩ عاماً، فأقام في الحوزة العلميّة في النجف الأشرف ليستفيد من مجالس علمائها الكبار، فحضر عند العالم الكبير عبد الحسين الطهراني قدس سره المشهور بـ«شيخ العراقيين» وعند الشيخ الأنصاري رحمه الله ولكنّه لم يحظ سوى بشهور عدة حيث توفي الشيخ الأنصاري رحمه الله سنة ١٢٨١هـ، ثم التزم درس السيّد المُجدد الشيرازي قدس سره. كان=

ورُوي أنَّ الرسول الأكرم ﷺ قال: «**لا اله الا الله نصفُ الميزان، والحمدُ لله يملؤه**»[١]. والسببُ في ذلك ـ كما أوضحناه ـ أنَّ «الحمد لله» جامعةٌ للتوحيد أيضاً.

ورُوي عن رسول الله ﷺ قوله: «**إنَّ قول العبد «الحمد لله» أرجح في ميزانه من سبع سماوات وسبع أرضين**»[٢].

رُوي عنه ﷺ قوله: «**لو أنَّ الله أعطى الدنيا بأسرها لعبدٍ من عبيده، فيقولُ العبدُ: «الحمد لله»، لكان الذي أتى به أفضل مما أُعطي**»[٣].

=الشيخ النوري آيةً من آيات الله العجيبة كمنت فيه مواهبٌ غريبةٌ وملكات شريفة أهلته لأن يُعد في الطليعة من علماء الشيعة الذين كرسوا حياتهم طوال أعمارهم لخدمة الدين والمذهب، فقد نذر نفسه لخدمة العلم ولم يكن يهمه غير البحث والتنقيب والفحص والتتبع وجمع شتات الأخبار وشذرات الحديث ونظم متفرقات الآثار، حتى يُخيل للواقف على أمره أن الله خلقه لحفظ البقية الباقية من تراث آل محمد ﷺ. فقد ترك رحمه الله العديد من المؤلفات الجليلة منها: (مستدرك الوسائل) وهو أشهر وأكبر كتاب له، و(دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام) و(جنة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجة عجل الله فرجه) و(النجم الثاقب في أحوال إمام الزمان الغائب عجل الله فرجه) وغيرها الكثير من المُصنفات والرسائل القيمة. توفي رحمه الله بعد عودته إلى النجف من زيارة كربلاء في ليلة الأربعاء ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ هـ، بعد عُمرٍ حافلٍ بخدمة علوم محمد وآل محمد ﷺ، ودفن رحمه الله في الصحن المطهر لأمير المؤمنين عليه السلام في باب القبلة.

(١) وسائل الشيعة: ج٧، ص١٧٤، كتاب: أبواب الذكر، باب: استحباب كثرة حمد الله عند تظاهر النعم، الحديث الأول. الأمالي للشيخ المفيد: ص٢٤٦. الأمالي للشيخ الطوسي: ص١٩. وجاء في بحار الأنوار: ج٩٠، ص١٧٥، وفي الكافي: ج٢، ص٥٠٦ باب التسبيح والتهليل والتكبير، وفي مستدرك الوسائل: ج٥، ص٣٢٥، وفي مسند ابن حنبل: ج٤، ص٢٦٠، مع تفاوتٍ يسيرٍ، حيث رُوي عنه ﷺ أنَّهُ قال: «سبحان الله نصف الميزان والحمدُ لله يملؤه».

(٢) مستدرك الوسائل: ج٣، ص٢٧٠، باب استحباب لبس الثوب الغليظ والخلق في البيت لا بين الناس، ورقع الثوب وخصف النعل، الحديث: ٢٦.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٥، ص٣١٤، باب استحباب حمد الله عند تظاهر النعم، الحديث: ٢٤.

ورُوي عنه ﷺ: **«ليس شيءٍ أحب إلى الله من قول القائل: «الحمد لله»، ولذلك أثنى به على نفسه»**[1]، والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ.

(١) المصدر السابق: ج٥، ص٣١٤، باب استحباب حمد الله عند تظاهر النعم، الحديث: ٣١.

[تفسير: ﴿ربّ العالمين﴾]

قوْلهُ تعالى: «ربّ العالمين».

[دلالةُ المعاني المُختلفة لكلمة «ربّ» على الأسماء الذاتيّة والصفاتيّة والفعليّة]

إذا كانت «ربّ» بمعنى «المُتعالي» و«الثابت» و«السيّد» فهو من الأسماء الذاتيّة.

واذا كانت بمعنى «المالك» و«الصاحب» و«الغالب» و«القاهر» فهو من الأسماء الصفاتيّة.

وإذا كانت بمعنى «المربّي» و«المُنعم» و«المُتمّ» فهو من الأسماء الأفعاليّة.

ولكن إذا كان «العالَم» بمعنى «ما سوى الله» فإنَّ ذلك يشمل كافة مراتب الوجود ومنازل الغيب والشهود، وعليه يجب اعتبار «رب» من أسماء الصفات.

وإذا كان المراد من «العالَم» هو «عالم المُلك» التدريجي الحصول والكمال، فإنَّ المراد من «الرب» هو اسم الفعل.

وعلى أيّة حال فليس المقصودُ هنا «اسم الذات».

ولعلَّ المراد «الربّ» ـ بناءً على كون أنَّ «العالمين» هي هذه العوالم المُلكيّة التي تصل إلى الكمال المُناسب لها تحت التربية والتدبير الإلهيين ـ هو المُربّي، وهو من الأسماء الأفعاليّة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّنا لا نتعرض في هذه الرسالة إلى ذكر الجوانب التركيبيّة واللغويّة والأدبيّة للآيات الشريفة، فهذا مما تعرّض له الآخرون في الغالب، أما ما نحرص على ذكره هنا فهو بعض ما لم يُتعرّض له أصلاً، أو ما ذُكر بصورةٍ ناقصةٍ.

[تقسيمُ ابن عربي الأسماء إلى «ذاتيّة» و«صفاتيّة» و«أفعاليّة»]

ولتعلم أنَّ تقسيم الأسماء إلى أسماء «الذات» و«الصفات» و«الأفعال» ـ كما قدمنا ـ إنّما هو على وفق ما اصطلح عليه أربابُ المعرفة.

فقد أورد بعضُ مشايخ أهل المعرفة في كتاب «إنشاء الدوائر»[1] تقسيماً للأسماء إلى «أسماء الذات» و«أسماء الصفات» و«أسماء الأفعال» كما يلي:

اسماءُ الذات، وهي: «هو الله، الربّ، الملكُ، القدوسُ، السلامُ، المؤمنُ، المُهيمنُ، العزيزُ، الجبارُ، المُتكبرُ، العليُّ، العظيمُ، الظاهرُ، الباطنُ، الأولُ، الآخرُ، الكبيرُ، الجليلُ، المجيدُ، الحقُ، المُبينُ، الواجدُ، الماجدُ، الصمدُ، المُتعالي، الغنيُّ، النورُ، الوارثُ، ذو الجلال، الرقيبُ.

وأسماءُ الصفات، وهي: الحيُّ، الشكورُ، القهارُ، القاهرُ، المُقتدرُ، القويُ، القادرُ، الرحمنُ، الرحيمُ، الكريمُ، الغفّارُ، الغفورُ، الودودُ، الرؤوفُ، الحليمُ، الصبورُ، البرُّ، العليمُ، الخبيرُ، المُحصي، الحكيمُ، الشهيدُ، السميعُ، البصيرُ.

---

(١) كتابُ «إنشاء الدوائر الإحاطيّة على الرقائق على مُضاهاة الإنسان للخالق والخلائق» للشيخ الأكبر ابن عربي، ويُعرف بـ«إنشاء الجداول والدوائر» والمشهور بـ«إنشاء الدوائر»، وهو رسالة أرسلها ابن عربي لعبد الله الحبشي، وقد طُبع بضميمة كتابين آخرين هما «عقلة المستوفر» و«التدبيرات الإلهيّة في إصلاح المملكة الإنسانيّة» في مطبعة بريل في مدينة ليدن في هولندا.

وأسماءُ الأفعال، وهي: المُبدىءُ، الوكيلُ، الباعثُ، المُجيبُ، الواسعُ، الحسيبُ، المُقيتُ، الحفيظُ، الخالقُ، البارىءُ، المُصوّرُ، الوهّابُ، الرّزّاقُ، الفتاحُ، القابضُ، الباسطُ، الخافضُ، الرافعُ، المُعزُّ، المُذلُّ، الحكيمُ، العدلُ، اللطيفُ، المُعيدُ، المحْيي، المُميتُ، الوالي، التوّابُ، المُنتقمُ، المُقسطُ، الجامعُ، المُغني، المانعُ، الضارُّ، النافعُ، الهادي، البديعُ، الرشيدُ»[1].

[معيارُ ابن عربي في التقسيم]

وقد قيل في شأن المعيار في هذا التقسيم: إنَّ الأسماء وإن كانت جميعاً أسماء للذات ولكنَّها تُسمى أسماء ذاتيّة بلحاظ ظهور الذات، وتُسمى صفاتيّة وأفعاليّة بلحاظ ظهور الصفات والأفعال.

أي إنَّ الاسم يتبع الاعتبار الأظهر، لذا قد يحدث أن يجتمع في بعض الأسماء اعتباران أو أكثر، فيكونُ الاسم أحياناً من الأسماء الذاتيّة الصفاتيّة الأفعاليّة، أو من نوعين منها كما هو الحال مع اسم «الربّ» ـ كما تقدم ذكره ـ.

[المختار في التقسيم]

وإني لا أستسيغ هذا الرأي، كما أنَّهُ لا يُطابق الذوق العرفاني، وما يُمكنُ أن يُقال بشأن هذا التقسيم: هو أنَّ المعيار في هذه الأسماء يعتمدُ على تحقيق الفناء الأفعالي للسالك بقدم المعرفة، اذ إنَّ الحق تعالى سيتجلى بعدها في قلبه تجلياتٍ بأسماء الأفعال.

---

(١) راجع: «إنشاء الدوائر» لابن عربي: ص٢٨.

أما بعد الفناء الصفاتي، فإنَّهُ تعالى سيتجلى بالصفات الأفعاليّة.

وكذا فإنَّهُ تعالى سيتجلى له بتجليات أسماء الذات بعد الفناء الذاتي.

فإذا كان قلبه قادراً على الحفظ، فإنَّ ما يخبر عنه ـ بعد الصحو من المشاهدات الأفعاليّة ـ هو أسماء الأفعال، وما يخبر عنه في المشاهدات الصفاتيّة، هي أسماء الصفات، وهكذا هو الحال مع أسماء الذات. وفي المقام تفصيلٌ يخرج عن وسع هذه الصفحات.

يبقى أن نقول أنَّ المذكور في «إنشاء الدوائر» لا يصحُّ بناءً على نفس المعيار الذي وضعه صاحبه، كما يتضح ذلك من خلال ملاحظة الأسماء.

[إشارةُ القرآن الكريم إلى التقسيم الثلاثي للأسماء]

ويمكنُ القول بأنَّ القرآن الكريم، قد أشار لهذا التقسيم ـ إلى «الأسماء الثلاثة» ـ وذلك في الآيات الأواخر من سورة الحشر الشريفة. يقولُ تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ... الآيات﴾[1].

فلعلَّ أولى الآيات ـ المقصودة ـ تُشير إلى الأسماء الذاتيّة، وثانيها، تُشير إلى الأسماء الصفاتيّة، وثالثتها تُشير إلى الأسماء الأفعاليّة.

[علةُ تقديم «الذاتيّة» على «الصفاتيّة» والأخيرة على «الأفعاليّة»]

وتقديمُ «الذاتيّة» على «الصفاتيّة»، والأخيرة على «الأفعاليّة»، إنَّما هو بحسب ترتيب الحقائق الوجوديّة والتجليات الإلهيّة، لا بحسب ترتيب مُشاهدات أصحاب المشاهدة، والتجلّيات الحاصلة في قلوب أرباب القلوب.

---

(١) الحشر: ٢٢ وما بعدها.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ في هذه الآيات الكريمة أسراراً أُخرى لا يناسب ذكرها المقام.

أمّا كون الآية الثانية تُشير إلى الأسماء الصفاتيّة والثالثة إلى الأسماء الأفعاليّة فأمرٌ واضحٌ.

أمّا كون «عالم الغيب والشهادة» و«الرحمن» و«الرحيم» من الأسماء الذاتيّة، فيستندُ إلى كون «الغيب» و«الشهادة» عبارة عن الأسماء الباطنة والظاهرة، وأنَّ «الرحمانيّة» و«الرحيميّة» هي من تجليات «الفيض الاقدس» لا «الفيض المُقدس».

وتخصيصُ هذه الأسماء «بالذكر» رغم أنَّ «الحيّ» و«الثابت» و«الربّ» وأمثالها تبدو أقرب للأسماء الذاتيّة، لعلَّهُ ناشئٌ من إحاطتها؛ إذ إنَّها من أمهات الأسماء. والله العالم.

تنبيهٌ:

[الأقوالُ والاحتمالات حول المراد من «العالمين» و«ربّ العالمين»]

إعلم أنَّهُ قد وقع اختلافٌ عظيمٌ في لفظة «العالمين» واشتقاقها ومعناها.

فالبعضُ قالوا: إنَّها جمعٌ يشتمل على جميع صنوف الخلق من ماديّة ومُجردة، وكلُّ صنفٍ يُمثلُ بنفسه «عالماً» لوحده، وهذا الجمعُ لا مفرد له من جنسه، وهذا هو القول المشهور.

وبعضٌ آخر قالوا: إنَّ «العالَم» (بفتح اللام) هو اسمُ مفعولٍ و«العالِم» (بكسر اللام) اسمُ فاعلٍ، فـ«العالمين» بمعنى «المعلومين». وهذا القول، علاوةً على أنَّهُ بعيدٌ ويفتقدُ الشاهد، فإنَّ اطلاق وصف «ربّ المعلومين» باردٌ للغاية ولا محل له.

وبعضٌ آخر اعتبرها مُشتقةً من «العلامة» وفي هذه الحال فهي تُطلق على جميع الموجودات؛ ذلك لأنَّ هذه الموجودات بأسرها هي علامات وآيات وآثار للذات المقدسة. واستخدامُ «الواو» و«النون» هو باعتبار اشتمالها على ذوي العقول وتغليبهم على سائر الموجودات الأُخرى.

وبعضٌ اعتبرها مُشتقةً من «العلم». وعلى كلِّ حال، فاطلاقها على كافّة الموجودات صحيحٌ كما أنَّ إطلاقها على ذوي العقول إطلاقٌ وجيهٌ.

أما مُفردةُ «العالَم» فتُطلق على ما سوى الله، وتُطلقُ أحياناً على كلِّ صنفٍ

وكُلِّ فردٍ أيضاً، فإذا كان مُطلقُها من أهل العُرف واللُغة، فإطلاقُها إنَّما هو باعتبار كُلِّ فردٍ علامة لذات الباري: «ولهُ في كُلِّ شيءٍ آية»[١].

[نظرُ العُرفاء الإلهيين]

وإذا كان مُطلِقُها عارفاً الهيّاً، فعلى اعتبار أنَّ كلَّ موجودٍ هو ظهور الاسم الجامع المُشتمل على كُلِّ الحقائق بطريق ظهور أحديّة الجمع وسرّ الوجود.

وعلى ذلك يُمكنُ اعتبار جميع العالم وأيَّ جزءٍ من أجزائه هو الاسم الأعظم بمقام أحديّة الجمع «والأسماء كلُّها في الكُلّ وكذا الآيات».

وبناءً على ما تقدم فإنَّ إشكال الفيلسوف العظيم صدر الملّة والدين قدس سره[٢]

(١) قال أبو العتاهية في ديوانه ص١٠٤: «وفي كُلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ (شاهدٌ)/ يدُلُ على أنّهُ واحدُ».

(٢) صدر الدين محمد بن إبراهيم قدس سره، الشيرازي مولداً والقُمي مسكناً (٩٧٩هـ - ١٠٥٠هـ)، المعروف بـ«صدر المتألهين» و«الملا صدرا»، من أعظم الحكماء الاسلاميين، فقد كان واسع العلم بالمكاتب الفلسفيّة الاسلاميّة المنوّعة، فضلاً عن تبحره في الكلام والحكمة والعرفان، مُتمكناً من تدقيق وتحليل معضلات هذا الفن تمكناً تاماً، تعلم مقدمات العلوم ورحل إلى أصفهان فحضر درس الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله والميرداماد رحمه الله، ثم ذهب إلى «كهك» من قرى «قم» واعتكف في جبالها وانعكف على العبادة والرياضة لمدة خمسة عشر عاماً. يقول رحمه الله:

«قد صرفنا العمر في بحث العلوم	لم يفدنا بحثنا غير الهموم
كل عمر ضاع في غير الحبيب	لم يكن فيه سوى الحسرة نصيب
أيها الساقي أدر كأساً بنا	ينجبر ما فات من أوقاتنا

فلما رأيتُ الحال على هذا المنوال من خلوّ الديار عمّن يعرف قدر الأسرار وعلوم الأحرار، وأنّه قد اندرس العلم وأسراره، وانطمس الحق وأنواره... ضربتُ عن أبناء الزمان صفحاً، وطويت عنهم كشحاً، فألجأني خمود الفطنة وجمود الطبيعة لمُعاداة الزمان وعدم مُساعدة الدوران، إلى أن انزويت في بعض نواحي الديار، واستترت بالخمول والانكسار، منقطَع الآمال، منكسر البال، متوفراً على فرض أؤدّيه وتفريطٍ في جنب الله أسعى في تلافيه، لا على درسٍ ألقيه أو تأليفٍ أتصرّفُ فيه، إذ التصرف في العلوم والصناعات، وإفادة المباحث، ودفع المعضلات وتبيين=

إشكالٌ واردٌ على أمثال البيضاوي[١]، فهولاء لم يتذوقوا من هذا المشرب. لكنَّهُ لا يصُحُّ ـ أي الإشكال ـ على مسلك أصحاب العرفان، ولم نذكر كلام البيضاوي وكلام الفيلسوف لطولهما، ومن أراد فليُراجع تفسير سورة الفاتحة للفيلسوف المرحوم[٢].

=المقاصد ورفع المشكلات مما يحتاج إلى تصفية الفكر، وتهذيب الخيال عما يوجب الملال والاختلال... فتوجّهت توجهاً غريزياً نحو مُسبّب الأسباب، وتضرّعتُ تضرُّعاً جبليّاً إلى مُسهّل الأمور الصعاب. فلما بقيت على هذا الحال من الاستتار والانزواء، والخمول والاعتزال زماناً مديداً، وأمداً بعيداً، اشتعلت نفسي بطول المُجاهدات اشتعالاً نوريّاً، والتهب قلبي لكثرة الرياضات التهاباً قويّاً، ففاضت عليها أنوارُ الملكوت، وحلّت بها خبايا الجبروت، ولحقتها الاضواءُ الأحديّة، وتداركتها الألطافُ الإلهيّة، فاطلعتُ على أسرار لم أكن أطلع عليها إلى الآن، وانكشفت لي رموزٌ لم تكن منكشفةً بهذا الانكشاف من البرهان، بل كل ما علمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والعيان...». وهناك ألّفَ كتابَهُ العظيم «الحكمة المُتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة» فكان نتاج طي تلك الحقبة، ثم قرر بناء مدرسته المعروفة بـ«الحكمة المُتعالية» وفق كتابه هذا فبالغ في بسطه وتحريره. وله أيضاً: «الشواهد الربوبيّة في المناهج السلوكيّة» و«أسرار الآيات» و«مفاتيح الغيب» و«شرح على أصول الكافي» و«تفسير القرآن الكريم».

(١) راجع تفسير «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» المُشتهر بـ«تفسير البيضاوي» ج١: ص٢٨، لمؤلفه القاضي المفسّر ناصر الدين أبي الخير، عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي (ت ٦٨٥ هـ)، ويعتبر كتابه من أهمّ كتب التفسير بالرأي، وقد جمع فيه بين التفسير والتأويل على قانون اللغة العربيّة، وقرّر الأدلة على أصول السّنّة. وقد اختصره مؤلّفه من «كشاف» الزمخشري «محمود بن عمر أبي القاسم» (ت ٥٣٨ هـ) مع ترك ما فيه من اعتزالات، كما استمدّه من «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي محمد بن عمر بن حسين الشافعي الطبرستاني (ت ٦٠٦ هـ) وبه تأثر عند عرضه للآيات الكونيّة ومباحث الطبيعة، ومن تفسير الراغب الأصبهاني الحسين بن محمد بن المفضل أبي القاسم (ت ٥٠٢ هـ) المُسمى «تحقيق البيان في تأويل القرآن». من مؤلفاته: «طوالع الأنوار» و«لُب اللُباب».

(٢) راجع تفسير القرآن الكريم للمُلا صدرا رحمه الله: ج١، ص٧٩.

[المرادُ من «العالمين» فيما لو كان «الربّ» من أسماء الصفات]

وإذا كان «الربّ» من أسماء الصفات بمعنى «المالك» و«الصاحب» ونظائر ذلك، فمن المُحتمل أن يكون المراد من «العالمين»: جميع ما سوى الله سواءً أكانت موجودات عالم المُلك أم الموجودات الغيبيّة المُجردة.

[المراد من «العالمين» فيما لو كان «الربّ» من أسماء الأفعال]

وإذا كان من أسماء الأفعال ـ ولعلّ هذا هو الأظهر ـ فالمُرادُ من «العالمين» هو: عالم الملك فقط؛ لأنَّ «الربّ» في هذه الحالة بمعنى «المُربّي» وهذا المعنى يستلزم التدرج والعوالم المُجردة مُنزّهةٌ عن التدرج الزماني، وإنْ كُنتُ أرى أنَّ «روح التدرج» مُتحققةٌ في «عالم الدهر».

وبهذا المعنى نكونُ قد أثبتنا الحدوث الزماني ـ بمعنى روح الزمان ودهريّة التدريج ـ في العوالم المُجردة، والحدوثُ الزماني يُعدُّ في المسلك العرفاني ثابتاً لجميع العوالم ولكن ليس بذلك المعنى الذي يفهمه المتكلمون وأصحابُ الحديث.

تنبيهٌ آخر

[تناسبُ مقام ربوبيّة العالمين مع التحميد]

لما كان «الحمد» في مقابل «الجميل»، ولما كان المُستفاد من الآية الشريفة ثبوت «الحمد» لمقام الاسم الأعظم، وهو الاسم الجامع الذي له مقام ربوبيّة العالمين والرحمة «الرحمانيّة» و«الرحيميّة» وأنَّهُ «مالك يوم الدين» وجب أن يكون لهذه الأسماء الشريفة ـ الربّ والرحمن والرحيم والمالك ـ دورٌ رئيسٌ في التحميد. وسنتطرقُ إلى هذا الموضوع بشكلٍ مُفصلٍ عند الحديث عن تفسير قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

أما هُنا فسوف نتحدث عن علاقة مقام ربوبيّة العالمين مع التحميد، فهما مرتبطان من جهتين:

الأولى: لمّا كان الحامدُ من العالمين ـ بل لعلّهُ عالمٌ بذاته، لا بل إنَّ أهل المعرفة يرون أنَّ كلاً من الموجودات هو عالم بذاته ـ لذا فهو يحمد الحق الذي يخرجه بيد مقام الربوبيّة من ضعف العدم الهيولاني ونقصه ووحشته وظلمته إلى قوّة عالم الإنسانيّة وكماله وطمأنينته ونورانيته، ويجعله يعبر المنازل الجسميّة والعنصريّة والمعدنيّة والنباتيّة والحيوانيّة، ومن خلال نظام مُرتبٍ وبحركاتٍ ذاتيّةٍ وجوهريّةٍ وبأنماطٍ من العشق الفطري والجبلّي ويوصلُهُ إلى منزل الانسانيّة وهو أشرف منازل الموجودات، ثُم يستمرُ في تربيته ليوصله إلى:

حيثُ أصِلُ إلى ما لا يخطر في أوهامك

وأصيرُ عدماً مثلما تتلاشى النغمة

فأقولُ: إنَّا إليه راجعون[١].

الثانية: لمّا كانت تربية نظام عالم الملك من الفلكيات والعُنصريات والجوهريات والعرضيات هي مقدمة وجود الانسان الكامل الذي هو في الحقيقة وليدُ عصارة عالم التحقُّق والغاية القصوى للعالمين وهو آخر وليدٍ على هذا الأساس؛ ولما كان عالم الملك متحركاً بالحركة الذاتيّة الجوهريّة، وإنَّ هذه الحركة تكامليّة تُمثل نهايتها غاية الخلقة ونهاية السير، وإنَّا لو نظرنا إلى الجسم الكلي والطبع الكلي والنبات الكلي، والحيوان الكلي والانسان الكلي، ـ بصورةٍ عامة ـ نرى إنَّ الإنسان هو الوليد الأخير الذي ظهر إلى الوجود بعد الحركات الذاتيّة الجوهريّة للعالم وانتهى إليها.

إذن، فيدُ تربية الحق تعالى، تقومُ بتربية الإنسان في جميع دار التحقق، والإنسان هو الأوّل وهو الآخر.

وما تقدم ذكره يصدق على الأفعال الجزئيّة بلحاظ مراتب الوجود، وإلا فلا غاية لفعل الحق تعالى بحسب الفعل المطلق؛ سوى ذاته المقدسة ـ كما هو الثابت في محله ـ.

[الإنسانُ مخلوقٌ لأجل الله ﷻ ومصنوعٌ لذاته المُقدسة]

فإذا نظرنا إلى الأفعال الجزئيّة، نرى أنَّ غاية خلق الإنسان هو عالم الغيب

---

(١) مضمونُ قطعةٍ شعريّة لجلال الدين الرومي يقولُ فيها:

«بار ديگر أز ملك قربان شوم/ آنجه اندر وهم نايد آن شوم

پس عدم كردم عدم چون ارغنون/ «گويدم كانّا إليه راجعون».

المُطلق، كما تُشير إلى ذلك الأحاديث القُدسيّة: **«يابن آدم خلقتُ الأشياءَ لأجلك وخلقتُك لأجلي»**[(١)]، كما أنَّ الباري تعالى أشار إلى ذلك في القرآن الكريم، حينما خاطب موسى بن عمران عليه السلام بالقول: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِى﴾[(٢)] وأيضاً: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾[(٣)].

فالإنسانُ إذن مخلوقٌ لأجل الله ومصنوعٌ لذاته المقدسة، وهو المصطفى المختار من بين جميع الموجودات، وغايةُ سيره الوصول إلى باب الله والفناء

---

(١) الجواهر السَنيّة للحر العاملي رحمه الله: ص٣٦١. علم اليقين للفيض الكاشاني رحمه الله: ج١، ص٣٨١. مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسي: ص٣٣٣، الفصل١٦٠، دليلٌ آخر على أنَّ الحكم له عليه السلام يوم الدين والرد على المُعترضين.

يقول الميرزا محمد تقي الأصفهاني في مكيال المكارم ج١، ص٣٧٤ بعد إيراده لهذا الحديث القدسي الشريف: «أقول: الذي يختلج بالبال في معنى هذا الحديث وجوه: أحدها: أن الغرض الأولي الأصلي كان وجود محمد صلى الله عليه وآله فهو المقصود بالأصالة دون سائر المخلوقات، فلو لم يخلقه الله تعالى لم يخلق غيره.

والثاني: أن الله عز وجل خلق محمدا وآله صلى الله عليهم، لظهور قدرته وكمال علمه لأنَّ كمال المصنوع يدل على كمال صانعه فظهور قدرة الله وعلمه بنحو الكمال تحقق بخلقه محمداً والآل صلى الله عليهم. ثم خلق سائر المخلوقات لظهور شؤونهم وكمالاتهم وقدرهم «صلوات الله عليهم أجمعين» في جميع العوالم.

والثالث: أنَّ الله تعالى خلق محمداً وآله صلى الله عليهم، وجعله واسطةً في جميع الفيوضات والإفاضات، كما يدل على ذلك عبارات الزيارة الجامعة مُضافاً إلى سائر الأخبار المتضافرة، بحيث لا يصل فيضٌ إلى شيءٍ، إلا ببركتهم ووساطتهم، وحيث إنَّ أعلى أنواع الفيض هو الوجود، فقد أوجد الله عز وجل جميع من سواهم ببركتهم ولولا ذلك لما أوجد اللهُ تعالى أحداً. ويُحتمل أن يكون هذا أيضاً معنى قول الصادق عليه السلام في الحديث المعروف المروي في أصول الكافي ج١، ص١١٠، باب الإرادة وصفات الفعل، الحديث٤: «خلق اللهُ المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة» بأن يكون المراد بالمشيئة الحقيقة المُحمديّة، فإنَّ وجوده صلى الله عليه وآله مطلوبٌ بنفسه وبالآصالة، وخَلَقَ الله عز وجل سائر المخلوقات ببركته ووساطته.

(٢) طه: ٤١.

(٣) طه: ١٣.

في ذات الله والاعتكاف في فِناء الله، وإنَّ معاده إلى الله ومن الله وفي الله وبالله[١]. يقولُ تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾[٢].

[الموجوداتُ ترجع إلى الحق تعالى بتوسط الإنسان]

أما الموجودات الأُخرى فترجع إلى الحق تعالى بتوسط الإنسان، بل إنَّ مرجعها ومعادها إلى الإنسان كما وردت الاشارة في الزيارة الجامعة الكاشفة لنفحةٍ من مقامات الولاية، يقول: «**وإيابُ الخلق اليكم وحسابهم عليكم**»[٣]، ويقول: «بكم فتح الله وبكم يختم»[٤]، كما يقول تعالى في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[٥].

[التوحيدُ في الزيارة الجامعة]

وفي العبارة التي أوردناها من الزيارة الجامعة: «**وإيابُ الخلق اليكم وحسابهم عليكم**» سِرٌّ من أسرار التوحيد وإشارةٌ إلى أنَّ الرجوع إلى الإنسان الكامل هو رجوعٌ إلى الله، لأنَّ الإنسان الكامل هو الفاني المُطلق والباقي

(١) إشارة إلى مقام: «لم أعبد رباً لم أره، وما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله فيه أو قبله أو معه»، وقد وردت أخبارٌ عن مولى الموحدين وقدوة العارفين علي بن أبي طالب عليه السلام تدل على هذا المعنى، راجع: شرح الأسماء الحُسنى للملا هادي السبزواري: ج١، ص ١٨٩، والأسفار الأربعة: ج١، ص١١٧ نحوه.

(٢) الغاشية: ٢٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج١، ص٣٠٧ «الزيارة الجامعة الكبيرة». و«من لا يحضره الفقيه» للصدوق: ج٢، ص٦١٢، و«بحار الأنوار» للعلامة المجلسي: ج٩٧، ص٣٤٤، وكذلك ج٩٩، ص١٥١.

(٤) راجع المصادر السابقة مع رعاية تفاوت الصفحات لتفاوت الفقرات.

(٥) الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦.

ببقاء الله، فليس له تعيُّنٌ وإنّيةٌ وأنانيةٌ من ذاته، بل هو من الأسماء الحسنى والاسم الأعظم. وقد ورد كثيرٌ من الإشارات إلى هذا المعنى في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة(١).

[القرآنُ الكريم جامع لطائف التوحيد وأسراره ودقائقه]

فالقرآنُ الكريم جامعٌ للطائف التوحيد وأسراره ودقائقه إلى درجةٍ تحارُ بها عقولُ أهل المعرفة، وفي الحقيقة فإنَّ هذا هو الاعجاز الأكبر لهذه الصحيفة السماويّة النورانيّة، فاعجازه لا ينحصرُ في حُسن التركيب ولطف البيان وغاية الفصاحة وذروة البلاغة فقط، أو في كيفيّة الدعوة والاخبار عن المُغيبات، ولا في إحكام الأحكام وإتقان تنظيم الأُسرة وأمثال ذلك، مما يُمثل ـ مُستقلاً ـ اعجازاً يفوقُ الطاقة ويخرق العادة.

---

(١) إنّما كان أمرُ الخلائق إليهم لأنهم عليهم السلام ولاة أمره ونهيه في الدنيا والآخرة، والأمرُ كُلُّهُ لله، فلمن شاء من خلقه جعله إليه، ولا شك أن رجوع الخلق يوم القيامة إليهم، وحسابهم عليهم، فيدخلون وليّهم الجنة، وعدوهم النار كما ورد في كثيرٍ من الأخبار أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قسيم الجنة والنار، فقد روى الكُليني رحمه الله في الكافي في الروضة ج٨، ص١٥٩، الحديث١٥٤ «حديث الناس يوم القيامة»، عن صادق أهل البيت عليهم السلام أنّهُ قال: «يا جابر إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين لفصل الخطاب، دعي برسول الله صلى الله عليه وآله، ودُعي بأمير المؤمنين عليه السلام، فيُكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلةً خضراء تُضيء ما بين المشرق والمغرب، ويُكسى عليّ عليه السلام مثلها، . . . ثم يصعدان عندها الوسيلة، ثم يُدعى بنا، فيُدفعُ إلينا حسابُ الناس، فنحنُ والله نُدخلُ أهلَ الجنة الجنةَ وأهلَ النار النار. ثم يُدعى بالنبيين عليهم السلام، فيُقامون صفين عند عرش الله عزّ وجلّ حتى نفرغ من حساب الناس، فإذا دخل أهلُ الجنة الجنة وأهلُ النار النار، بعث ربُّ العزة عزّ وجلّ علياً عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنة وزوجهم، فعليٌ ـ والله ـ الذي يُزوج أهل الجنة في الجنة، وما ذاك إلى أحدٍ غيره، كرامةً من الله عز ذِكره، وفضلاً فضّلَهُ به ومَنَّ به عليه، وهو ـ والله ـ يُدخلُ أهل النار النار، وهو الذي يُغلق على أهل الجنة أبوابها، لأنَّ أبواب الجنة إليه، وأبواب النار إليه».

[علةُ ادراك الجانب الاعجازي البلاغي دون غيره من الجوانب]

بل يُمكنُ القول: إنَّ اشتهار القرآن الشريف بالفصاحة وذيوع إعجازه في هذا الجانب دون سائر جوانبه الاعجازيّة الأُخرى، يرجع إلى أنَّ العرب في الصدر الأوّل كانوا خبراء بهذا الجانب البلاغي، فأدركوا هذا الجانب دون غيره، فهُم لم يُدركوا الجوانب الإعجازيّة الأُخرى في القُرآن والتي تزيد أهميّةً وسُمّواً وتحتاج إلى مستوى ادراكي أرفع مما يحتاجه الجانبُ الاعجازيُّ البلاغي.

وفي عصرنا الحاضر ايضاً ترى أنَّ أولئك المُشتركين مع عرب الجاهليّة في أُفقهم الادراكي لا يفهمون من هذه اللطيفة الإلهيّة سوى التركيبات اللفظيّة والمُحسنات البديعيّة والبيانيّة.

[المعارفُ القرآنيّة... قِبلَةُ العارفين بلطائف أسرار التوحيد والتجريد]

وأما العارفون بأسرار المعارف ودقائقها، العالمون بلطائف التوحيد والتجريد فإنَّ وجهة نظرهم في هذا الكتاب الالهي وقِبلة آمالهم في هذا الوحي السماوي، هي ذات هذه المعارف، ولا يهتمون كثيراً بالجوانب الأُخرى، وكُلُّ من ينظر في العرفان القرآني وفي عرفاء الاسلام الذين اكتسبوا معارفهم من القرآن، ثم يُقارن بينهم وبين علماء سائر الأديان ومؤلفاتهم ومعارفهم يُدرك الأصل في المعارف الإسلاميّة والقرآنيّة والتي تُمثل أُسُّ أساس الدين والديانة والغاية القُصوى لبعث الرُسُل وانزال الكتب.

وعندها لا يُحتاج إلى كبير جهدٍ لإدراك أنَّ هذا الكتاب وحيٌ الهيٌّ وأنَّ هذه المعارف هي معارف إلهيّة.

إيقاظٌ إيمانيٌ

[الربوبيّة التكوينيّة والتشريعيّة للحق تعالى]

إعلم أنَّ ربوبيّة الحق (تعالى وجلّ شأنه) للعالمين على نمطين:

الأوّل: «الربوبيّة العامّة» التي تشترك فيها كافّة موجودات العالم، وهي تُشكل أنواع التربية التكوينيّة التي تنقل كلَّ موجودٍ من حدِّ النقص إلى الكمال الذي يُناسبه وذلك تحت تدبير الربوبيّة.

فجميعُ الترقيّات الطبيعيّة والجوهريّة والحركات والتطورات الذاتيّة والعرضيّة تقعُ تحت تصرفات الربوبيّة وتدبيرها.

وإجمالاً، فبدءاً من منزل مادة المواد والهيولى الأوّليّة وانتهاءً بمنزل الحيوانيّة وحصول القوى الجسمانيّة والروحانيّة الحيوانيّة، هي المشمولة بالربوبيّة التكوينيّة (العامّة)، وكُل واحدةٍ من هذه المراتب تشهد بأنَّ «الله جلَّ جلالُهُ ربّي».

الثاني: «الربوبيّة التشريعيّة» والتي يختصُّ بها النوع الانساني دون أن يكون فيها للموجودات الأُخرى نصيب، وهي تربية الهداية إلى طريق النجاة والتوجيه إلى سُبل السعادة والانسانيّة والتحذير مما يعوق التقدم نحوها، الأمر الذي يتمُّ على يد الأنبياء عليهم السلام.

[سبيلُ الوصول إلى مرتبة كمال الانسانيّة]

فمن يجعل نفسه خاضعاً لتربية وتصرّف ربّ العالمين مُختاراً، ويُصبحُ مربوباً لهذه الربوبيّة بحيث تصير تصرُّفات أعضائه وقواه الظاهريّة والباطنيّة تصرُّفاتٍ الهيّة وربوبيّة وليست نفسانيّة، فإنَّهُ يصل إلى مرتبة كمال الانسانيّة الخاصة بالنوع الانساني.

فالانسان ما دام في منزل الحيوانيّة فهو يتحرك كما تتحرك سائر الحيوانات، وأمامه طريقان عليه أن يطوي أحدهما مُختاراً:

الأوّل: منزل السعادة وهو الصراط المُستقيم لربّ العالمين ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

والثاني: طريق الشقاء، طريق الشيطان الرجيم المُنحرف.

فإذا جعل قوى مملكة وجوده وأعضاءها تحت تصرّف ربّ العالمين وتربى بتربيته فإنَّ القلب ـ الذي يُمثلُ سلطان هذه المملكة ـ سيستسلم لربّ العالمين تدريجياً، ثم ما أن يُصبح مربوباً لربّ العالمين إلا وتقتدي به سائر الجنود، فتُصبح المملكة مربوبةً برُمتها للربّ، وفي هذه الحال يُمكنُ للسانه الغيبي ـ وهو ظلُّ القلب ـ أن يُجيب (عندما يسألُهُ ملائكةُ عالم القبر: من ربك؟): «**الله جلَّ جلالُهُ ربي**»[٢].

---

(١) هود: ٥٦.

(٢) ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام أنَّهُ قال: «يجيء الملكان منكر ونكير إلى الميت حين يُدفن أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يخطان الأرض بأنيابهما ويطأن في شعورهما فيسألان الميت من ربك؟ وما دينك؟ فإذا كان مؤمناً قال: الله ربي وديني الاسلام، فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرانيكم؟ فيقول: أعن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله تسألاني؟ فيقولان له: تشهد أنّه رسول الله، فيقول: أشهد أنه رسول الله، فيقولان له: نم نومة لا حلم فيها، ويُفسحُ له في قبره تسعة أذرع، ويُفتحُ له بابٌ إلى الجنة، ويرى مقعده فيها. وإذا كان=

ولما كان لا بد لمثل هذا الشخص أن يكون مُطيعاً لرسول الله ﷺ مُقتدياً بأئمة الهدى عليهم السلام عاملاً بكتاب الله، فإنَّهُ سينطلق بالقول: محمد ﷺ نبيّي، وعليٌّ وأولاده المعصومون عليهم السلام أئمتي والقُرآنُ كتابي[١].

أما إذا لم يجعل الانسانُ قلبه الهياً وربانياً، ولم يُخطّ على صفحته عبارة «لا اله الا الله محمد رسول الله عليٌّ ولي الله» ولم يُصيّر منها صورةً لباطن النفس، وإذا لم ينتسب إلى القرآن الكريم من خلال العمل به والتفكر والتذكر والتدبّر فيه، ولم يؤسس بذلك ارتباطاً روحياً معنوياً به فإنَّ كافّة المعارف ستُمحى حينئذٍ من ذهنه عند اشتداد مرض الموت وسكراته، وهذه هي الطامّة الكُبرى.

=الرجل كافراً دخلا عليه وأُقيم الشيطانُ بين يديه، عيناه من نحاس، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الذي قد خرج من بين ظهرانيكم؟ فيقولُ: لا أدري، فيُخليان بينه وبين الشيطان فيُسلط عليه في قبره تسعة وتسعين تنيناً لو أن تنيناً واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شجراً أبدا، ويفتح له باب إلى النار ويرى مقعده فيها. راجع: فروع الكافي للكليني رحمه الله، ج٣، ص٢٢٥، كتاب «الجنائز»، باب ١٥٩ «المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل»، الحديث: (٧).

(١) جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّهُ قال: «أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا محمد، هذا الأمر بعدك لنا أم لمن؟ قال ﷺ: «يا صخر الأمرُ بعدي لمن هو بمنزلة هارون من موسى»، قال: «فأنزل الله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ * ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ منهم المصدق بولايته وخلافته، ومنهم المكذب بهما، ثم قال ﷺ: «﴿كَلَّا﴾ وردٌ هو عليهم ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ خلافته بعدك انها حق ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾»، ويقول: يعرفون ولايته وخلافته إذ يُسألون عنها في قبورهم فلا يبقى ميتٌ في شرقٍ ولا غربٍ ولا في برٍ ولا في بحرٍ إلا ومنكرٍ ونكيرٍ يسألانه عن الولاية لأمير المؤمنين بعد الموت، يقولان للميت من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ومن امامك؟. راجع: مناقب آل أبي طالب، لابن شهر أشوب، ج٢، ص٢٧٦، فصلٌ «في أنَّهُ حبل الله والعروة الوثقى وصالح المؤمنين والأُذن الواعية والنبأ لعظيم».

[شدائدُ سكرات الموت تُذهلُ أصحاب القلوب الغافلة عن العقائد الحقة]

عزيزي، إنَّ الانسان ينسى ـ بسبب اصابته بمرض «الحصبة» ونتيجةً لضعف قوى الدماغ ـ جميع ما لديه من المعلومات التي أصبحت ـ من خلال شدّة التذكر لها والأُنس بها ـ جزءاً ثانوياً من «فطرته».

كذلك فإنَّهُ إذا تعرّض لحادثةٍ مُفجعةٍ، ذَهَل عن شؤونه الأُخرى، وشُطب على معلوماته بخطّ النسيان، فما بالك إذا اشتدت عليه أهوال الموت وشدائده وسكراته[1]؟! فإذا لم يكن سمعُ قلبه مُرهفاً ولم يكن فؤاده سميعاً، فإنَّ تلقينه العقائد حين الموت وبعده[2]، لن يُغيّر من حاله شيئاً.

---

(١) سَكْرَةُ الموت: كناية عن الكرب والغشية الحاصلة عنده والتي تغشى المُحتضر فتُفقدُهُ تمييزه ومعقوله، وهي حالة تشبه حالةَ الثَمِل السَكران تظهر على الإنسان وتغمرُهُ حين نزع روحه بصورة الاضطراب والانقلاب والتبدّل، وربّما استولت هذه الحالة على عقل الإنسان فأذهبتهُ وسلبت شعوره واختياره، حالُها حال الشراب المُسكر، إلا أن سكرة الشراب مُنعِمة تُدخلُ البهجةَ المُجرمة، وسكرةُ الموت مؤلمةٌ تُدخلُ الحزنَ والحسرة، وعند ذلك يظهرُ للمُحتضر الحق، ويتضحُ له الأمر، ويُدرك مكانه، ويرى عمله وأنَّ ما جاءت به الرسل من الأخبار بالبعث والثواب والعقاب حقّ لا شك فيه ولا مراء. تلك مواقفٌ شديدة على غير المؤمنين، أما المؤمنون فعند سكرات الموت يبشون ويفرحون لما يرون من مقدمات الخير الذي ينتظرهم.

(٢) المراد من تلقين الميت هو إلقاء الكلام عليه بقصد إفهامه عقائده، ويستحبُ تكرار الالقاء، وتلقينه الشهادتين والإقرار بالأئمة عليهم السلام وعقائده الحقة وكلمات الفرج وهي: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ الارضين السبع وما فيهن وما بينهن وربّ العرش العظيم، والحمدُ لله ربّ العالمين. ويستحبُ التلقين قبل الموت حين اشتداد حالة النزع وبعده عقب دفنه وانزاله في اللحد قبل إشراج اللِبن عليه. وهناك أحكام أُخرى من مُستحبات ومكروهات تُراجع في الكتب الفقهيّة والرسائل العمليّة المُبينة للأحكام الشرعيّة.

[تلقينُ العقائد الحقة ينفعُ أصحاب القلوب العارفة بها]

فالتلقينُ إنما ينفع أولئك الذين عرفت قلوبُهُم العقائد الحقة، وانفتحت أسماعُ قلوبهم، فإذا حلّت سكراتُ الموت واشتدت وطأتُهُ وسببت لهم غفلةً ما، جاء التلقينُ ليكون وسيلةً توصلُ ملائكة الله بواسطتها العقائد الحقّة لأسماع قلوبهم، ولكن إذا كان الانسان أصمَّ فاقداً لحاسة السمع المُناسبة لعالم البرزخ والقبر، فإنَّهُ لن يسمع التلقين أبداً، ولن يُغيّر التلقينُ من حاله شيئاً. وفي الأحاديث الشريفة اشارات كثيرة إلى بعض ما تقدم عرضُهُ.

[تفسير: ﴿الرحمن الرحيم﴾]

[بيانُ مقامات أسماء وصفات الحق تعالى]

إعلم أنَّ لجميع أسماء الحق (تعالى وجلّ وعلا) وصفاته مقامين ومرتبتين بصورةٍ عامّة:

الأولى: مقام الأسماء والصفات الذاتيّة الثابتة في حضرة الواحديّة، كالعلم الذاتي وهو من الشؤون والتجلّيات الذاتيّة، والقدرة والارادة الذاتيّة وسائر الشؤون الذاتيّة.

الثانية: مقام الأسماء والصفات الأفعاليّة الثابتة للحق بالتجلّي بالفيض المقدس، كالعلم الافعالي الذي اعتبره الإشراقيون ثابتاً وعَدُّوهُ مناطاً للعلم التفصيلي.

وقد قدّم سماحةُ أفضل الحُكماء الخواجة نصير الدين[1] ـ نضَّر اللهُ وجهه ـ

(١) هو حجة الفرقة الناجية الفيلسوف المحقق والحكيم المُدقق محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الجهرودي المعروف بـ«الخواجة نصير» و«المُحقق الطوسي»، ممدوح أكابر الآفاق ومجمع مكارم الأخلاق الذي لا يحتاج إلى التعريف لغاية شهرته مع أن كل ما يقال فيه فهو دون رتبته. وُلد سنة ٥٩٧هـ بطوس ونشأ بها ولذلك اشتهر بـ«الطوسي»، وصنَّفَ كُتُباً ورسائل نافعة نفيسة في فنون العلم. من مؤلفاته: «تجريد الكلام» وهو كتابٌ كاملٌ في شأنه، وصفه الفاضلُ القوشجي بأنَّهُ «مخزونٌ بالعجائب مشحونٌ بالغرائب صغير الحجم وجيز النظم كثير العلم جليل الشأن حسن الانتظام مقبول الأئمة العظام ولم يظفر بمثله علماء الأعصار وهو في الأشتهار كالشمس في رابعة النهار»، شرحه جمعٌ من أعاظم العُلماء أولهم آية الله العلامة الحلّي رحمه الله، وله كتاب «التذكرة=

البرهان على ذلك، وتابع الإشراقيين على أنَّ العلم الأفعالي هو الميزان في العلم التفصيلي.

وهذا المطلب وإنْ كان خلافاً لأهل التحقيق ـ فالعلمُ التفصيلي ثابتٌ في مرتبة الذات، وكشف العلم الذاتي وتفصيله يُمثلُ درجةً أعلى وأكثر من العلم الأفعالي، كما هو ثابت في محله وكما هو مُحقق بالبرهان النوري ـ ولكن أصل المطلب هو:

كون نظام الوجود يُمثلُ علماً أفعالياً تفصيلياً للحق تعالى، ثابتٌ ومُحققٌ على وفق سُنَّةِ البرهان ومشرب العرفان، وإنْ كان المسلك الأعلى والذوق العرفاني الأحلى هو طريقة غير هذه الطرق إذ إنَّ «مذهب العاشق مُستقلٌ عن باقي المذاهب»[١].

=النصيريّة» في علم الهيئة الذي شرحه النظام النيسابوري، و«الأخلاق الناصريّة» و«آداب المُتعلمين» و«أوصاف الأشراف» وكتاب «قواعد العقايد» و«تحرير المجسطي» و«تحرير أصول الهندسة لاقليدس» إلى غير ذلك. حُكي أنَّهُ ﷺ قد عمل الرصد العظيم بمدينة «مراغة» واتخذ في ذلك خزانة عظيمة ملأها من الكتب وكانت تزيد على أربعمئة ألف مجلّد، وكان من أعوانه على الرصد من العلماء جماعة أرسل اليهم الملك «هولاكو خان» منهم العلامة قطب الدين الشيرازي رحمه الله ومؤيد الدين العروضي الدمشقي وكان مُتبحراً في الهندسة وآلات الرصد، ومحيي الدين الأخلاطي وكان مُهندساً مُتبحراً في العلوم الرياضيّة وغيرهم من الفضلاء، فضبطوا حركات الكواكب. توفي ﷺ في يوم الغدير سنة ٦٧٣هـ ودُفن في جوار الإمامين موسى بن جعفر الكاظم ومحمد بن علي الجواد عليهما السلام في المكان الذي أُعدّ للناصر العبّاسي والذي لم يُدفن فيه.

(١) مضمونُ بيتِ شعري للعارف الرومي يقولُ فيه: «مذهب عاشق زمذهبها جُداست/ عاشقان را مذهب وملت خُداست». راجع: «مصارع المصارع»، ص١٤١. و«شرح الاشارات»، النمط السابع، الفصل(١٦).

[تجلّيات الرحمة الرحيميّة والرحمانيّة للحق تعالى في ﴿الرحمن الرحيم﴾]

إجمالاً، فللرحمة الرحمانيّة والرحيميّة مرتبتان وتجلّيان:

الأوّل: التجلي بالفيض الأقدس في مجلى الذات في حضرة الواحديّة.

الثاني: التجلي بالفيض المقدس في مجلى الأعيان الكونيّة.

وفي سورة «الحمد» المُباركة يُمكنُ ترجيح اعتبار هاتين الصفتين ـ «الرحمن» و«الرحيم» ـ تابعتين للاسم على كونهما من الصفات الأفعاليّة، إذا كانتا من الصفات الذاتيّة ـ كما هو الأظهر ـ في الآية الشريفة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وعليه لا يكونُ في هذا المقطع أيُّ تكرارٍ أصلاً، لكي يُقال إنَّهُ للتأكيد والمُبالغة.

[معنى الآيات الشريفة]

وبناءً على هذا الاحتمال يكونُ ـ والعلمُ عند الله ـ معنى الآيات الشريفة كالتالي:

«بمشيئته الرحمانيّة والرحيميّة يكونُ الحمدُ لذاته الرحمانيّة والرحيميّة».

ولما كان مقامُ «المشيئة» هو مظهر الذات المُقدّسة، فإنَّ مقام «الرحمانيّة» و«الرحيميّة» ـ وهو من تعينات مقام المشيئة ـ هو مظهر الرحمانيّة والرحيميّة الذاتيّة.

وهناك احتمالات أُخرى تركنا الخوض فيها لأظهريّة الاحتمال المُتقدّم.

[تفسير: ﴿مالك يوم الدين﴾]

[تعدُد القراءات في «مالك» و«مَلِك»]

قرأ كثيرٌ من القُرّاء «مَلِك» (بفتح الميم وكسر اللام) وقد ذُكرت لكلتا القراءتين «مالك» و«مَلِك» مُرجحات مُعينة، وقد بلغ الأمر أنْ صنَّفَ أحدُ كبار العلماء رحمه الله رسالةً في ترجيح «مَلِك» على «مالك». غير أنَّ ما ذكره كلا الطرفين من المُرجحات ليس مما يولّد الاطمئنان.

[تَعَيُّنُ قراءة «مالك» على «مَلِك»]

والذي يبدو لي هو أرجحيّة القراءة بـ«مالك» بل إنَّها هي المُتعينة[1]، فسورة الحمد المُباركة وسورة التوحيد المباركة ليستا كسائر السور القرآنيّة، إذ إنَّ المُسلمين يتلونها في الفرائض والنوافل، مما يؤكد سماع مئات الملايين من المسلمين لها من مئات الملايين الآخرين وهؤلاء سمعوها من الملايين من أسلافهم وهكذا. وبذا يثبت أنَّ سماعهما وتناقلهما بين المسلمين على هذه الصورة من أئمة الهدى عليهم السلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله دون زيادة أو نقصان ولو حرفٍ واحد. وجليٌّ عدم أهميّة القراءة الثانية «مَلِك» رغم قراءة أكثر القُراء بها، وترجيح الكثير من العلماء لها، إذ بقيت القراءة الأولى «مالك» قطعيّة ثابتة

---

(١) يقولُ الإمام الخميني قدس سره في رسالته «تحرير الوسيلة» ج١، ص١٥٢، المسألة١٥: «يجوز قراءة «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» و«مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ»، ولا يبعد أن يكون الأوّل أرجح».

متواترة فلم يُتابع أحدٌ من أولئك القُرّاء أو العلماء. ورُغم أنَّ العلماء أجازوا اتّباع أيٍّ من القُراء إلا أنَّ أحداً ـ إلا من شذَّ ومن لا يُعتنى بقوله ـ لم يلتزم بالقراءة «مَلِك» ـ في مقابل القراءة المشهورة في صلواته، حتى إذا كان قد التزم قراءتها فمن باب الاحتياط، كأن يقرنها بالقراءة الثانية «مالك» كما كان يفعل شيخُنا في العلوم النقليّة الحاج الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري قدس سره[1] وذلك استجابةً لطلب أحد العلماء الأعلام المُعاصرين. غير أنَّ هذا الاحتياط ضعيفٌ للغاية بل إنَّهُ في رأيي مقطوع الخلاف.

[القولُ بأنَّ مَرَّدَ الاشتباه بين «مَلِك» و«مالك» يرجع إلى الخط الكوفي... ضعيفٌ]

وبناءً على الايضاح المُتقدم، يتضح ضعف ما قيل من أنَّ الاشتباه قد وقع بين «مَلِك» و«مالك» في الخط الكوفي، فمثل هذا الإدعاء قد يُمكنُ القول به

---

(١) هو آية الله العظمى المحقق، الزاهد العابد الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي رحمه الله، مُشيد أركان الحوزة العلميّة في قم المُقدسة. وُلد في قرية مهرجرد سنة ١٢٧٦ ه‍، وكان مبدأ تحصيله في يزد، ثم هاجر إلى العراق فتلمذ في المتون على العلامتين الميرزا إبراهيم الشيرواني قدس سره، والشيخ فضل الله النوري رحمه الله، وفي أبحاث الخارج على المُحققين السيّد الفشاركي رحمه الله والآخوند الخراساني رضي الله عنه. كان له مقام سام ودرجة رفيعة عند الميرزا محمد تقي الشيرازي رضي الله عنه، لذا أرجع الميرزا رحمه الله مقلديه إليه في موارد الاحتياط من فتاواه. هاجر إلى إيران أثناء الحرب العالميّة الأولى، فسكن مدينة أراك مدة، ثم استقر به المقام في مدينة قم المشرفة، فتقاطر إليه العلماء الفضلاء من كل حدب وصوب، وغصت المدارس بهم، وقام بأعباء تعليمهم وإعاشتهم، وأشرف على التعليم، ويُعدُ إمامُنا الراحل الخميني العظيم قدس سره من أكابر تلاميذه وطلابه، ومنهم أيضاً آية الله العظمى الآراكي قدس سره وآية الله الثقفي رحمه الله وغيرهم كثيرون. كانت له خدمات جليلة للاسلام والمسلمين. التحق بالرفيق الأعلى سنة ١٣٥٥هـ. من مؤلفاته: «درر الفوائد» في علم الأُصول، و«كتاب الصلاة» و«كتاب النكاح» و«كتاب المواريث» في علم الفقه، و«تقرير أبحاث أستاذه السيّد الفشاركي».

بشأن السور غير المُتداولة على الألسن بكثرة ـ وإنْ كان القول بذلك فيه اشكالٌ أيضاً ـ أما بشأن هذه السورة الثابتة الشكل من خلال كثرة التسامع والقراءة فهو ادعاءٌ أجوف وقولٌ غير مُعتبر كما هو واضح.

[ما تقدم في «مَلِك» و«مالك» يصدق على «كُفواً» أيضاً]

والكلام المُتقدم يصدُقُ على كلمة «كفواً» أيضاً، فلا بُدَّ أنَّ قراءتها بالواو المفتوحة والفاء المضمومة ثابتةٌ أيضاً بالتسامُع[1]، رُغم أنَّها قراءة «عاصم» فقط، والقراءات الأُخرى المُعارضة لم تقدح بأهميّة هذه القراءة، وإنْ كان البعض يتوهمون أنَّهم يعملون بالاحتياط عندما يلتزمون قراءة الأكثريّة وهي القراءة بضمّ الفاء وبالهمزة، غير أنَّ هذا احتياطٌ في غير محله.

[الرواياتُ تَحُثُ على القراءة كما يقرأ الناس]

وإذا أردنا مناقشة الأمر الذي تحثُّ عليه الروايات بالتزام القراءة كما يقرأ الناس[2] ـ والمناقشة هنا واردة ـ فقد نصل إلى أنَّ المراد من هذه الروايات هو «القراءة كما يقرأ نوع عموم الناس» وليس «إنَّكم مُخيَّرون بين القراءات السبع مثلاً». وعليه سيكون من الخطأ قراءة «مَلِك» و«كُفؤاً» بغير النحو المشهور بين المسلمين والمسطور في الصحف.

---

(١) يقول الإمام الخميني ﷺ في رسالته «تحرير الوسيلة» ج١، ص١٥٢، المسألة١٥: «في «كُفُواً أَحَدٌ» وجوه أربعة: بضم الفاء وسكونه مع الهمزة أو الواو، ولا يبعد أن يكون الأرجح بضمّ الفاء مع الواو.

(٢) وردت بهذا المضمون رواياتٌ كثيرة، منها قوله ﷺ: «... إقرأ كما يقرأ الناس» و«إقرأوا كما تعلمتم»، راجع: وسائل الشيعة، ج٦، ص١٦٢، كتاب الصلاة، أبواب القراءة في الصلاة، الباب٧٤، الحديث ١ ـ ٣.

[الإحتياطُ يقتضي القراءة وفق المتداول والمشهور]

وعلى أيّة حال فالاحتياط إنّما يكون في قراءتها وفق النحو المُتداول بين الناس والمشهور على الألسن والمسطور في القرآن، لأنَّ هذا النحو من القراءة صحيح في كلّ مسلك، والله العالم[١][٢].

(١) وإنْ كان جوازُ القراءة المُطابقة لإحدى قراءات القُراء اجماعياً على الظاهر. ـ من المؤلف رحمه الله ـ.

(٢) يقولُ الإمام الخميني قدس سره في رسالته «تحرير الوسيلة» ج١، ص١٥٢، المسألة١٤: «الأحوط عدم التخلّف عن إحدى القراءات السبع، كما أنَّ الأحوط عدم التخلّف عمّا في المصاحف الكريمة الموجودة بين أيدي المسلمين، وإن كان التخلّف في بعض الكلمات مثل «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ» و«كُفُواً أَحَدٌ» غير مضرّ، بل لا يبعد جواز القراءة بإحدى القراءات.

تحقيقٌ حِكَميٌّ

[بيانُ كيفيّة مالكيّة الحق تعالى وأنَّها تختلفُ عن مالكيّة العباد والسلاطين]

إعلم أنَّ مالكيّة الحق تعالى تختلف عن مالكيّة العباد لممتلكاتهم، ومالكيّة السلاطين لممالكهم، فهذه اضافات اعتباريّة، في حين إنَّ اضافة الحق إلى الخلق ليست من هذا القبيل، وإنْ كان هذا النحو من المالكيّة ثابتاً طوليّاً للحق تعالى عند علماء الفقه، غير أنَّ هذا لا ينافي الملحوظ والمذكور في هذا الرأي أيضاً.

كما أنَّ مالكيّة الحق تعالى ليست من نوع مالكيّة الانسان لأعضائه وجوارحه، ولا من نمط مالكيّته لقواه الظاهريّة والباطنيّة، وإنْ كان هذا النمط أقرب لمالكيّة الحق تعالى من سائر أنماط المالكيّة.

كذلك فهي أيضاً ليست كمالكيّة النفس لأفعالها الذاتيّة التي هي من شؤون النفس، كفعله في ايجاد الصور الذهنيّة التي يخضع قبضها وبسطها لإرادة النفس ـ إلى حدٍ ما ـ.

وهي ليست كمالكيّة العوالم العقليّة لما دونها وإنْ كانت هذه متصرفة في تلك العوالم بالاعدام والايجاد؛ لأنَّ جميع موجودات دار التحقق الامكاني ـ الثابت في نواصيها ذُلُّ الفقر ـ محدودةٌ بحدود ومُقدَّرةٌ بقدر ولو بحدٍّ

الماهيّة. وكُلُّ ما كان محدوداً بحدٍّ فلهُ بينونةٌ عزليّةٌ عن فعله بقدر محدوديّته دون أنْ تكون له إحاطة قيوميّة حقانيّة؛ فتمامُ الأشياء متباينة ومتقابلة ـ بحسب مرتبة ذاتها ـ مع منفعلاتها. ولهذا السبب لا تكون لها إحاطة ذاتيّة قيوميّة.

أما مالكيّة الحق تعالى ـ وهي بإضافةٍ إشراقيّةٍ وإحاطةٍ قيوميّةٍ ـ فهي المالكيّة الذاتيّة الحقيقيّة الحقّة، وهي تخلو من أيّة شائبةٍ لبينونةٍ عزليةٍ في ذاته وصفاته عن أيّ موجودٍ من الموجودات.

[مالكيّةُ الحق تعالى تعمّ جميع العوالم على حدٍ سواء]

ومالكيّة الحق تعالى لجميع العوالم هي مالكيّة مُتجانسة مُتساوية ليس فيها تفاوت بين موجودٍ وموجودٍ مُطلقاً، ودون أنْ تكون أكثر إحاطةً أو أقرب إلى عوالم الغيب والمجردات منها إلى العوالم الأُخرى؛ لأنَّ ذلك يستلزم المحدوديّة والبينونة العزليّة وهو مُلازمٌ للافتقار والامكان ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ.

ولعلَّ الإشارة إلى ذلك واضحةٌ في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾[1]، و﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2] و﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] و﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[4] و﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾[5].

وكذا قول رسول الله ﷺ: «**لو دليتم بحبلٍ إلى الأرضين السفلى لهبطتم**

---

(١) الواقعة: ٨٥.

(٢) ق: ١٦.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) الزخرف: ٨٤.

(٥) البقرة: ١٠٧.

على الله»[١]. وقول الإمام الصادق عليه السلام: «**فلا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكانٍ أقرب منه إلى مكان**»[٢].

وقول الإمام علي النقي عليه السلام[٣]: «**واعلم أنَّهُ إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش والأشياء كُلُّها له سواءٌ علماً وقدرةً وملكاً وإحاطةً**»[٤].

---

(١) علم اليقين للفيض الكاشاني: ج١، ص٥٤.

(٢) أصول الكافي للكليني: ج١، ص١٧٦، باب الحركة والانتقال، الحديث٣. بحار الأنوار: ج٣، ص٣٤، باب إثبات الصانع والاستدلال على عجائب صنعه على وجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، الحديث٧. توحيد الشيخ الصدوق رحمه الله ص٢٥٤.

(٣) هو الإمام العاشر والبدر الباهر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ذو الشرف والكرم والمجد والأيادي أبو الحسن الثالث علي النقي الهادي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. ولد عليه السلام في المدينة للنصف من ذي الحجة سنة ٢١٢هـ، وقيل يوم الجمعة في الثاني من رجب الأصب، وقيل في خامسه من تلك السنة. أمّه المعظّمة الجليلة «سمّانة المغربيّة»، وفي «الدر النظيم» هي تعرف بـ«السيّدة» وتكنّى «أم الفضل». تقلّد منصب الإمامة الإلهيّة بعد أبيه الإمام محمدِ الجواد عليه السلام وكان في الثامنة من عمره الشريف فكان مثالاً آخر للإمامة المبكرة. استشهد عليه السلام مسموماً بسرّ من رأى في يوم الأثنين الثالث من رجب سنة ٢٥٤هـ، كانت مدة امامته ثلاثاً وثلاثين سنة وأشهراً، وكان في أيام امامته بقية ملك المعتصم ثم ملك الواثق ثم ملك المتوكل ثم ملك المنتصر ثم ملك المستعين ثم ملك المعتز. دفن عليه السلام في داره بسرّ من رأى، وخرج ولدُهُ أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام في جنازته وقميصه مشقوق وصلّى عليه ودفنه. قال المسعودي: «وكانت وفاة أبي الحسن عليه السلام في خلافة المعتز بالله وذلك في يوم الأثنين لأربعٍ بقين من جمادي الاخرة سنة ٢٥٤هـ وهو ابن أربعين سنة، وقيل أبن اثنين وأربعين، وقيل أكثر من ذلك. وسمع في جنازته جارية تقول: «ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً». وفي عصرنا القريب قامت الفرقة الضالة المُكفرة بتفجير مرقده الشريف وبيته المبارك في سامراء حقداً وبغياً وعدواناً ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

(٤) أصول الكافي للكليني: ج١، ص١٧٦، باب الحركة والانتقال، الحديث٤. الفصول المهمة في أصول الأئمة، للحُر العاملي رحمه الله، ج١، ص٢١١.

[وجهُ اختصاص مالكيّة الحق تعالى بـ«يوم الدين»]

ولكن ومع أنَّ مالكيّة الذات المقدّسة هي على السواء لجميع الأشياء وكافة العوالم إلا أنَّهُ تعالى يقول في الآية الشريفة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. فما هذا التخصيص؟

لعلّه يرتبط بكون «يوم الدين» هو «يوم الجمع»، وعليه فإنَّ المالك ليوم الدين ـ وهو يوم الجمع ـ يكونُ بالضرورة مالكاً للأيام المتفرقات الأُخرى، «والمتفرقات في النشاة الملكيّة مجتمعاتٌ في النشأة الملكوتيّة».

أو لعلّه يستند إلى أنَّ ظهور مالكيّة الحق ـ تعالى مجده ـ وقاهريته يكون في يوم الجمع، الذي يمثل يوم رجوع الممكنات إلى باب الله، وصعود الموجودات إلى فِنائه.

ويُمكنُ القول ـ في تفصيل هذا المُجمل وبما يُناسب المقام ـ إنَّ نور الوجود وشمس الحقيقة مادامت في سير تنزّلي من مكامن الغيب باتجاه عالم الشهادة، فهو متوجهٌ نحو الاحتجاب والغيبة.

[الإنسانُ المُحتَجِبُ في الحُجُب محجوبٌ عن مشاهدة جمال الأزل]

وبعبارةٍ أُخرى، ففي كُلِّ تنزّل تعيُّن، وفي كل تعيُّن وتقيُّد حجاب، ولما كان الانسان مجمع التعيُّنات والتقيُّدات، فهو محتجبٌ بجميع الحجب الظلمانيّة السبعة والحجب النوريّة السبعة، والتي تُؤوّل بالأرضين السبع والسماوات السبع. ولعلَّ الرد إلى «أسفل سافلين» هو الاحتجاب بجميع أنواع الحجب، ويُمكنُ التعبير عن هذا الاحتجاب لشمس الوجود والنور الصرف في أُفق التعيُّنات بـ«الليل» وبـ«ليلة القدر». ومادام الإنسانُ مُحتجباً

في هذه الحُجب، فهو محجوبٌ عن مشاهدة جمال الأزل ومعاينة النور الأوّل.

ولكن لما كانت جميع الموجودات في سيرٍ صعوديٍ من منازل عالم الطبيعة السفليّة من خلال الحركات الطبيعيّة المودعة في جِبلَّتِها والناتجة عن نور جاذبة الفطرة الإلهيّة وفقاً لتقدير «الفيض الأقدس» في «الحضرة العلميّة»، فهي ترجع إلى الوطن الأصلي والميعاد الحقيقي.

[المُلكُ لله الواحد القهار]

وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة بكثرة، وعندها ستتخلص مرّةً أُخرى من الحجب النورانيّة والظلمانيّة، فتتجلى مالكيّة وقاهريّة الحق تعالى، ويتجلى الحقُّ بالوحدة والقهاريّة.

وإذا تحقق ـ في تلك المرحلة ـ رجوع الآخر إلى الأوّل واتصل الظاهرُ بالباطن، وسقط حكمُ الظاهر، وظهرت حكومةُ الباطن، يأتي الخطاب عندئذٍ من حضرة المالك على الاطلاق ـ ولا مُخاطِب هناك سوى الذات المُقدّسة ـ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[1]، ولما لم يكن من مُجيبٍ سوى الحق تعالى، فإنَّهُ يُجيب﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[2].

[«يومُ الدين»: يومُ خروج شمس الحقيقة]

وذلك اليوم المطلق ـ وهو يوم خروج شمس الحقيقة من حجاب أُفق

(١) غافر: ١٦.

(٢) غافر: ١٦.

التعينات ـ هو ـ بأحد المعاني ـ «يوم الدين»؛ لأنَّ كُلَّ موجودٍ من الموجودات يفنى في ظلِّ الاسم المناسب له في الحق تعالى.

فاذا انطلقت «نفخةُ الصُّور»[1]، ظهر من هذا الاسم واقترن بتوابع ذلك

---

(١) «النفخ» معناه معروفٌ، و«النفخةُ» بمعنى المرّة منه، و«الصُّور» هو المزمار أو «البوق» والذي يُستعمل في القضايا العسكريّة عادةً لجمع الجنود أو تفريقهم أو الاستعداد أو الذهاب للراحة والنوم، أو إذا أريد جمع الناس نُفخ في الأبواق إعلاماً لهم حتى يجتمعوا. وقد وردت «نفخة الصُّور» في القرآن الكريم من خلال عدة آيات كريمات، والظاهر منها أنَّهُ يُنفخ في الصور مرّتين: النفخةُ الأولى وتدعى بنفخة الفزع أو الصعق وهي التي تكون في نهاية الدنيا ويموتُ عند سماعها جميعُ الخلق ويتلاشى نظامُ العالم الدنيوي، والنفخةُ الثانية حيثُ يُنفخُ فِي الصُّورِ نفخة الإحياء بعد نفخة الإماتة، وهي نفخةُ «القيام والجمع والحضور» وتكون في بداية يوم الوعيد. وقد يُقال بأنَّ التعبير بـ«النفخ» إنما جاء على سبيلِ الحقيقة، باعتبار أنه يحصل فعلاً بوسائل لا نملك أمر معرفتها بالتحديد، أو أنه جاء على سبيل الكناية باعتبار أنه صوت يوقظ النائمين بدويّه، يوحي بما يوقظ الموتى بقوّته.

وقيل في الصُّور وجهان:

أحدهما: إنّه جمع صورة، ينفخ اللّهُ في الصور بأن يُحييها يوم القيامة.

الثاني: إنَّ الصُّورَ قرنٌ ينفخ إسرافيل فيه النفخة الأولى فيموتُ الخلق، والنفخةَ الثانية فيحيون يوم القيامة وهو يوم الوعيد الذي وعد اللّه، حيثُ تُقام فيه أعظم وأرهب محكمة في عالم الإنسان، حيث تقف الإنسانيّة وبكل أجيالها التي تعاقبت على هذه الأرض، وهناك تتقطع بينهم الأسباب فيتبرأ الواحدُ من أقرب الخلق إليه، وهُناك يُعاقبُ الله فيه من كفر به وعصى أمره، ويثيبُ من آمن به وامتثل. وقد يُعَبَّر عن نفخة الإحياء بنقر الناقور، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ فالصُّور بوقٌ لا كالأبواق، كما ونفختها لا تشبه النفخات فإنَّها صيحة الحق والصيحة بالحق.

قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الصُّور من لؤلؤةٍ بيضاء في صفاء الزجاجة، ثم قال للعرش خُذ الصُّور، فتعلق به، ثم قال: كن، فكان إسرافيل، فأمره أن يأخذ الصُّور، فأخذه وبه ثُقَبٌ بعدد كل روح مخلوقة، ونفس منفوسة، لا تخرج روحان من ثقبٍ واحدٍ، وفي وسط الصُّور كُوَّةٌ كاستدارة السماء والأرض، وإسرافيلُ واضعٌ فَمَهُ على تلك الكُوَّة، ثم قال له الرب تعالى: قد وكلتك بالصُّور، فأنت للنفخة وللصيحة، . . . . ولم يطرف منذ خَلَقَه الله ينظر متى يؤمر به». وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في الصلاة على حملة العرش: «وإسرافيل صاحب الصُّور=

الاسم ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[١].

والإنسانُ الكامل في هذا العالم يخرج من هذه الحُجُب بحسب سلوكه إلى الله وهجرته إليه، فتظهر أحكامُ القيامة والساعة ويوم الدين وتثبت له.

إذن، فإنَّ الحق سيظهر مع مالكيته لقلبه في هذا المعراج الصلاتي، ويكون لسانُهُ مُترجماً لقلبه، ويكونُ ظاهرُهُ لسان مشاهدات باطنه. وهذا أحد أسرار اختصاص المالكيّة بيوم الدين.

=الشاخص، الذي ينتظر منك الإذن، وحلول الأمر، فيُنبّه بالنفخة صرعى رهائن القبور». ونقل الشيخ الطوسي ﵀ في مصباح المتهجد ص٧٤٤ في دعاء أم داوود: «اللّهم صلِّ على إسرافيل حامل عرشك وصاحب الصُّور المنتظر لأمرك».

(١) الشورى: ١٦.

إلهامٌ عرشيٌّ

[«العرشُ» وحملتُهُ وفقاً للنظرة العرفانيّة والطريقة البرهانيّة]

إعلم أنَّ هناك اختلافاً حول مفهوم «العرش» و«حملة العرش» يمتد حتى إلى ظواهر الأخبار الشريفة أيضاً، وإنْ كانت الروايات مُتفقةً حسب بواطنها.

فالعرش ـ وفقاً للنظرة العرفانيّة والطريقة البرهانيّة ـ كلمةٌ تُطلق على العديد من المعاني.

أحدُ معانيها ـ مما لم أجدهُ على لسان القوم ـ : الحضرةُ الواحديّة، وهي مستوى «الفيض الأقدس» وحملةُ العرش بناءً على هذا المعنى أسماءٌ أربعة هي من أُمهات الأسماء وهي: «الأول» و«الآخر» و«الظاهر» و«الباطن».

والمعنى الآخر ـ مما لم أجدهُ لدى القومِ أيضاً ـ : «الفيض المُقدَّس»، وهو مستوى الاسم الأعظم، وحملته هُم «الرحمن» و«الرحيم» و«الربّ» و«المالك».

والآخر: جملةُ «ما سوى الله» وحملة العرش هنا هم الملائكة الأربعة: «إسرافيل» و«جبرائيل» و«ميكائيل» و«عزرائيل».

والآخر: «الجسم الكُلُّ» وحملتُهُ الملائكة الأربعة الذين هم صُوَرُ «أرباب الأنواع»، وقد رُوي في الكافي ما يُشيرُ إلى ذلك[1].

---

(١) راجع الأصول من الكافي: ج١، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ص١٧٩ ـ ١٨٣، وفي الباب سبعُ أحاديث.

كما أُطلق حيناً على «العلم»[1]، وقد يكونُ المُراد من «العلم»: العلم الفعلي للحق والمُتمثل بمقام الولاية الكبرى، وحملتُهُ: أربعةٌ من الأولياء الكُمّل في الأُمم السابقة وهم: نوح وابراهيم وموسى وعيسى (على نبينا وآله وعليهم السلام)، وأربعةٌ من الكُمّل في هذه الأُمة وهم: الرسول الخاتم وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام[2].

[سورةُ الحمد المباركة و«عرش الوحدانيّة»]

بعد أن عرفت هذه المقدمة، إعلم أنَّ تخصيص الأسماء الشريفة الأربعة: «الربّ» و«الرحمن» و«الرحيم» و«المالك» بعد ذكر اسم «الله» في سورة الحمد

---

(١) قال الفيض الكاشاني رحمه الله في الوافي ج١، ص١١٢ ما نصه: «كأنَّ المُراد بالكرسي في هذه الأحاديث هو العلم، ويؤيد هذا ما رواه الصدوق رحمه الله في توحيده بإسناده عن حفص بن غياث، حيثُ فَسَّر الإمامُ الصادق عليه السلام الكُرسي بالعلم». راجع: توحيد الصدوق ص٣٢٧.

(٢) قال الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه «الاعتقادات» ص٤٦ : «وأما العرش الذي هو العلم، فحملته أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين. فأما الأربعة من الأولين: فنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى. وأما الأربعة من الآخرين: فمحمد، وعلي، والحسن، والحسين، صلى الله عليهم، هكذا رُوي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته، وإنّما صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم لأنّ الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا صلى الله عليه وآله كانوا على شرائع الأربعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ومن قبل هؤلاء صارت العلوم إليهم، وكذلك صار العلمُ من بعد محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام إلى من بعد الحسين من الأئمة عليهم السلام. وقال العلامةُ المجلسي رحمه الله في مرآة العقول ج٢، ص٨٠ : «المُراد بقوله أربعةٌ منا محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، والأربعة الأُخرى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام كما ورد في الخبر، وسائر الأئمة داخلون في الحسين عليه السلام؛ لأنّهم من صُلْبِهِ، وقيل: الأربعة الأخيرة سلمان وأبو ذر ومقداد وعمّار، والأوّل أصوب لما روي عن الكاظم عليه السلام أنَّهُ قال: «إذا كان يوم القيامة كان حملةُ العرش ثمانية: أربعة من الأوّلين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأربعة من الآخرين: محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام».

الشريفة والذي يُشير إلى الذات، قد يكون لكون هذه الأسماء الأربعة الشريفة ـ بحسب الباطن ـ هي الحاملة لعرش «الوحدانيّة» ومظاهرها هم الملائكة الأربعة المقرّبون للحق، الحاملون لعرش «التحقق».

[حَمَلةُ عرش «التحقق» في سورة الحمد]

وبذا يكونُ:

إسمُ «الربّ» المبارك هو باطن «ميكائيل» الموكل بمظهريّة الربّ بالأرزاق، ومُربّي دار الوجود.

واسم «الرحمن» الشريف، هو باطن «إسرافيل» منشئ الأرواح ونافخ الصوُر وباسط الأرواح والصور، كما أنَّ بسط الوجود هو باسم «الرحمن» أيضاً.

واسم «الرحيم» الشريف، هو باطن «جبرائيل» الموكل بتعليم الموجودات وتكميلها.

واسم «المالك» الشريف، هو باطن «عزرائيل» الموكل بقبض الأرواح والصور وارجاع الظاهر إلى الباطن.

إذن، فالسورة الشريفة ـ إلى «مالك يوم الدين» ـ تشتملُ على عرش الوحدانيّة وعرش التحقق، وتُشيرُ إلى حملتها.

[كاملُ دائرة الوجود... وسرُّ النقطة التي تحت الباء]

وعليه، فإنَّ كامل دائرة الوجود وتجليّات الغيّب والشهود التي يُترجمُها القرآنُ الكريم، مذكورةٌ في هذه السورة الشريفة إلى هذا المقطع، والمعنى موجودٌ بأجمعه في «بسم الله. . .» وهو الاسم الأعظم، كما أنَّهُ موجودٌ في

«الباء» وهي سرُّ السببيّة، وإنَّ علياً عليه السلام هو سرُّ الولاية والسببيّة، فهو النقطة التي تحت «الباء»[١]، والله العالم.

(١) قال الحافظ رجب بن رجب البرسي الحلّي في مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الفصل الثالث، في معنى حرف الباء والنقطة، ص٤٥ : «وأما الألف المبسوط ـ وهو الباء ـ : ب، فهي أوّلُ وحيٍ نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأوّل صحيفة آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم، وسرُّها من انبساط الألف فيها وسرُّ القيامة بقيام طرفه، وهو سرُّ عالم الاختراع والأنوار، والأسرار الحقيقيّة مرتبطةٌ بنقطة الباء، وإليها الإشارة بقول أمير المؤمنين عليٍ عليه السلام : «أنا النقطة التي تحت الباء وسرُّ الباء المبسوطة». وقال القندوزي في ينابيع المودة لذوي القُربى، ج١، ص٢١٣: «وفي الدر المنظم: إعلم أنَّ جميع أسرار الكتب السماويّة في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء. قال الإمام علي (كرم الله وجهه): أنا النقطة التي تحت الباء». وكذلك راجع الأنوار النعمانيّة للمُحدِّث السيّد نعمة الله الجزائري رحمه الله ج١، ص٤٧.

تنبيهٌ عرفانيٌّ :

[فاتحةُ الكتاب... وكيفيّةُ السلوك الإنساني]

لعلَّ في تقديم «الربّ» وذكر «الرحمن» و«الرحيم» بعده، وفي تأخير «المالك» عنهما، إشارة لطيفة إلى كيفيّة السلوك الإنساني، من النشأة الملكيّة الدنيويّة إلى الفناء الكلّي، أو إلى مقام الحضور عند مالك الملوك.

فالسالك مادام في مبادىء السير، فهو خاضعٌ للتربية التدريجيّة لـ«ربّ العالمين»، فهو في نفسه من العالمين، وسلوكه خاضعٌ لتصرف الزمان والتدريج. فإذا انسلخ ـ بواسطة السلوك ـ من عالم الطبيعة المتصرّم تجلّت في قلبه مرتبةُ «الأسماء المحيطة» التي لا تتعلق بالعالم الذي تغلب عليه جنبة السوء فقط.

ولما كان للاسم الشريف «الرحمن» مزيد من الاختصاص من بين «الأسماء المحيطة» فقد ورد ذكره.

ولما كان «الرحمن» هو ظهور الرحمة ومرتبة البسط المطلق، لذا تقدم ذكره على «الرحيم» الذي هو أقرب إلى أفق البطون.

[تمامُ دائرة سير السالكين إلى الحق مذكورةٌ في سورة الحمد المباركة]

إذن، ففي السلوك العرفاني تتجلّى أولاً الأسماء الظاهرة ثم تليها الأسماء الباطنة ـ لأنَّ سيّر السالك هو من الكثرة إلى الوحدة ـ وهكذا حتى ينتهي إلى

الأسماء الباطنيّة المحضة ـ ومنها اسم «المالك»، وعندها تضمحلُّ ـ في التجلّي بالمالكيّة ـ كثراتُ عالم الغيب والشهادة ويحصل الفناء الكلّي والحضور المطلق. فإذا تخلّص من حجب الكثرة ووصل إلى الوحدة والسلطنة الإلهيّة وفاز بمشاهدة الحضور، عندها يقوم بالمخاطبة الحضوريّة فيقول: «إياك نعبد».

إذن، فتمام دائرة سير السائرين مذكورةٌ في هذه السورة الشريفة، بدءاً بآخر حجب عالم الطبيعة وانتهاءً برفع كافة الحجب الظلمانيّة والنورانيّة وحصول الحضور المطلق، الذي يُمثل القيامة الكبرى للسالك وقيام ساعته.

[أنا والساعة كهاتين]

ولعلّ المقصود من الذين استثنتهم الآية الكريمة: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1] هم أفراد هذا النوع من أهل السلوك؛ لأنَّ الصعق والمحو قد حصل لهم قبل النفخ في الصوُر.

ولعلّ هذا المعنى هو أحد الاحتمالات المُرادة من الحديث المأثور عن الرسول الأكرم ﷺ عندما قال: «أنا والساعة كهاتين» وجمع بين سبابتيه[2].

(١) الزُمر: ٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ج١٦، ص٢٥٦، الباب التاسع، باب مكارم أخلاقه وسيره وسننه ﷺ. مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٣٢٤، باب وجوب اظهار العلم عند البدع، وتحريم كتمه إلا لتقيّة وخوف، وتحريم الابتداع. الأمالي للشيخ المفيد ﵀: ص٢١٢، المجلس الرابع والعشرين. وكذلك: مسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص١٢٤. وصحيح مسلم: ج٣، ص١١، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

تنبيهٌ أدبيٌّ

[المُرادُ من «الدين»]

ورد في التفاسير المتداولة أو التي يُنقلُ عنها، اعتبار معنى «الدين» هو: الجزاء والحساب. وقد ذُكر هذا المعنى في كتب اللغة أيضاً.

وقد استدلَّ عُلماءُ اللغة على صحّة تفسيرهم بشواهد من أقوال شعراء العرب، كقول الشاعر: «واعلم بأنّك بما تدين تُدان» وكذلك القول المنسوب إلى شهل بن ربيعة: «ولم يبقَ سوى العدوان دنّاهم كما دانوا»[1]، لذا قالوا بأنَّ «الديّان» ـ وهو من الأسماء الإلهيّة ـ هو بهذا المعنى أيضاً[2].

ولعلَّ المُراد من «الدين»: هو الشريعةُ الحقّة.

[يومُ القيامة هو يوم الدين]

ولما كانت آثار الدين تظهر في يوم القيامة وتخرج الحقائق الدينيّة من

---

(١) راجع جامع الشواهد: باب الفاء مع اللام، ص١٨٥، عن شهل بن شيبان، والبيتُ الكامل هو:

فلما اصبح الشرّ أمسى وهو عريانُ ... ولم يبقى سوى العدوان دناهم كما دانوا

(٢) قالُ أبو العتاهية في ديوانه:

ويحَكَ يا مُغتَصِبَ المسكينِ ... وَيحَكَ من ديّانِ يومِ الدينِ

الدينُ لله هو الديّانُ ... وحجةُ الله هو السلطانُ

تُدانُ يوماً ما كما تَدينُ ... ويحك يا مسكينُ يا مسكينُ

الحجاب، وجب أن يُقال لذلك اليوم: «يوم الدين»، مثلما أن يومنا هذا هو «يوم الدنيا» لأنَّهُ يوم ظهور آثار الدنيا وعدم ظهور الصورة الحقيقيّة للدين.

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[١]، وتلك هي الأيام التي يتعامل فيها الحقُ تعالى بالقهر والسلطنة مع قومٍ ما.

ويوم القيامة هو «يوم الله» وهو «يوم الدين» لأنَّهُ يوم ظهور السلطنة الإلهيّة ويوم بروز حقيقة دين الله.

---

(١) إبراهيم: ٥.

[تفسير: ﴿إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين﴾]

[متى يُدركُ السالكُ حقيقةَ ﴿إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين﴾؟]

إعلم أيها العزيز، أنَّ السالك بعد أن يُدرك في طريق المعرفة، أنَّ جميع المحامد والمدائح مختصّةٌ بذات الحق المقدسة، وبعد أن يوقن أنَّ قبض الوجود وبسطه منه تعالى، ويعرف أنَّ أَزِمَّةَ الأمور في الأول والآخر والمبدأ والمنتهى بيد مالكيته تعالى، وبعد أن يتجلّى توحيدُ الذات والأفعال في قلبه، فإنَّه سيحصر عندها العبادة والاستعانة بالحق تعالى، وسيرى أنَّ جميع دار التحقق خاضعٌ للذات المقدسة ـ طوعاً وكرهاً ـ وأنَّهُ ليس من قادرٍ في دار التحقق حتى ينسب الاعانة إليه.

[مناقشةُ مقولة أنَّ «حصر الاستعانة بالحق تعالى ليس حقيقياً»!!]

غير أنَّ بعض أهل الظاهر يقولون: بأنَّ حصر العبادة حقيقي فيما أنَّ حصر الاستعانة ليس حقيقياً، بدليل أنَّ الاستعانة بالغير مُمكنةٌ أيضاً، والقرآنُ المجيد يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[1]، ويقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[2]، ويُضيفون بأنَّ من المعلوم بالضرورة بأنَّ سيرة النبي

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) البقرة: ٤٥.

الأكرم ﷺ وأئمة الهدى ﷺ الهداة وصحابتهم وسائر المسلمين كانت تقوم على الاستعانة بغير الحق في غالبيّة الأمور المباحة، كالاستعانة بالدابة والخادم والزوجة والرفيق والرسول والأجير وغير ذلك. وهذا وفقاً لمنحى أهل الظاهر.

[التوحيدُ الأفعالي... ولا مؤثر في الوجود إلا الله]

في حين إنَّ من له اطلاعٌ على التوحيد الأفعالي للحق تعالى، ويرى أنَّ نظام الوجود إنَّما هو صورة فاعليّة الحق تعالى، ويُدرك حقيقةَ «لا مؤثر في الوجود إلا الله»(١) ـ إما عن طريق البرهان أو عن طريق المشاهدة ـ سيحصر الاستعانة ـ وبعين البصيرة والقلب النوراني ـ بالحق تعالى حصراً حقيقياً، وسيرى أنَّ إعانة الموجودات الأُخرى هي صورةٌ لإعانة الحق.

---

(١) ثبت في الفلسفة الإسلاميّة والحكمة الإلهيّة «أن لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى»وهذا ما يُعبر عنهُ بـ«توحيد الأفعال» أو «التوحيد الأفعالي»، بمعنى أنَّ جميع ما يُرى من الأسباب والوسائط مثل الدواء لرفع الأمراض والسموم لإزهاق النفوس والنار للإحراق والشمس للنهار، كل ذلك معدات ومسببات ووسائط للإيجاد لا على نحو الاستقلال عن علة العلل ومسبب الأسباب، وإنما هي فعل الله تعالى وبإذنه ﷻ، ومثاله: انعكاس نور الشمس من المرآة على الجدران، فلا تنسب الإنارة إلى المرآة، وإنما هي للشمس، وما المرآة إلا واسطة. ونظيرُ ذلك عملُ الجند بوظائف موافقة لإرادة أمرائهم، ثم يُنسب فتحُ البلاد والظفرُ على الأعداء والغلبةُ في الحرب إلى القادة والأمراء، ومن بعدُ إلى كل واحدٍ من أفراد الجيش، وهكذا يُنسبُ التأثيرُ إلى الأمير أولاً وبالذات وبعده إلى الجند ثانياً وبالعرض. هذا الإيمان بأن الله ﷻ هو المؤثر الحقيقي في العالم وأنَّهُ «لا مؤثر في الوجود إلا الله» لا يعني إنكار عالم الأسباب والمُسببات، إنَّما يعني أنَّ تأثير الأسباب إنما كان بأمر الله، فالله سبحانه هو الذي خلق النار مُحرقةً، والشمسَ منيرةً. وثمرة هذا الاعتقاد أن يصبح الإنسان معتمداً على الله ﷻ دون سواه، فيرى أن الله هو القادر وهو العظيم، وأن لا قدرة ولا عظمة إلا له، وكُلُّ ما سواه لا حول له ولا قوة، وأنَّهُ إن كانت له قوة فهي من الله ﷻ، فهو المانح للقدرة والقوة والاختيار، وبهذا يكون ﷻ هو المستحق حصراً بأن يُتكل ويُعتمد عليه في الأمور كلها.

[حملُ الاستعانة على المجازيّة شركٌ خفيٌ]

كذلك فإنّه، وبناءً على قول أهل الظاهر، سيفقد اختصاص المحامد بالحق تعالى معناه، لأنّ سائر الموجودات لها ـ بناءً على هذا المنحى ـ تصرفات واختيارات وجمال وكمال، فهي إذن تليق بالمدح والحمد، بل إنّ الإحياء والإماتة والرزق والخلق وغيرها، ستكونُ أموراً مشتركةً بين الحق والخلق.

وهذا ـ في نظر أهل الله ـ شركٌ، عبَّرت عنه الروايات بـ«الشرك الخفيّ» حتى أنّها عدَّت إدارة الخاتم من أجل تذكر أمرٍ ما من الشرك الخفيّ[1].

[حصرُ العبادة والاستعانة بالحق فرعُ تجلّي حقيقة التوحيد في القلب]

إجمالاً، فإنَّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ من متفرعات ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ التي تشير إلى التوحيد الحقيقي. فمن لم تتجلَّ حقيقةُ التوحيد في قلبه، ولم يُطهّر قلبه من مُطلق الشرك، لا يكونُ لقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حقيقة، ولا يمكنُهُ حصر العبادة والاستعانة بالحق، ولن يُصبح متوجهاً لله، طالبا له تعالى.

أما إذا تجلى التوحيدُ في قلبه، انصرف ـ بمقدار ذلك التجلّي ـ عن الموجودات، وتعلّق بقدس الحق حتى يُشاهد أنَّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تقعُ بسم الله، وتتجلى في قلبه بعضٌ من حقائق **«أنت كما أثنيت على نفسك»**[2].

---

(١) روي عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّهُ قال: «إنَّ الشرك أخفى من دبيب النمل، وقال: منه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة وشبه ذلك». راجع بحار الأنوار ج٦٩ ص٩٦، نقلاً عن معاني الأخبار ص٣٨٩.

(٢) أصول الكافي: ج٣، ص٣٢٤، باب السجود والتسبيح والدعاء فيه في الفرائض والنوافل، وما=

. . . .

=يُقالُ بين السجدتين. وكذلك روى الميرزا النوري في مستدرك الوسائل: ج٤، ص٣٢١، باب: استحباب الدعاء في سجود التلاوة بالمأثور، عن عوالي اللئالي أنّهُ: «رُوي في الحديث انه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ سجد النبي ﷺ، فقال في سجوده: «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

تنبيهٌ إشراقيٌّ

[بيانٌ لنكتة الالتفات من الغيب إلى الخطاب في سورة الحمد المُباركة]

يتضحُ مما تقدم سرُّ العدول في الخطاب من الغائب إلى الحاضر في هذه السورة المُباركة.

فهذا الأمر وإنْ كان في ذاته من مُحسّنات الكلام ومن المزايا البلاغيّة المُتداولة كثيراً في كلام الفُصحاء والبُلغاء، ومما يؤدي إلى حُسن الكلام، فضلاً عن أنَّ الانتقال من حالٍ إلى حال ـ بحدِّ ذاته ـ يُزيلُ السأم عن المُخاطَب، ويبعثُ في روحه نشاطاً مُتجدداً، غير أنَّهُ ولكون الصلاة هي معراج الوصول إلى حضرة القدس ومرقاة الحصول على مقام الأُنس، فإنَّ المُراد في هذا السورة الشريفة إنَّما هو الأمر بالترقي الروحاني والسفر العرفاني.

[السلوك المعنوي: سفرٌ إلى الله وخروجٌ من الحُجُب]

إذ لمّا كان العبدُ في بداية السلوك إلى الله مسجوناً ومحجوباً بالحُجُب الظلمانيّة لعالم الطبع والحُجُب النورانيّة لعالم الغيب، وإنَّ السفر إلى الله هو خُروجٌ من هذه الحُجُب بواسطة السلوك المعنوي، وإنَّ الهجرة إلى الله هي ـ في الحقيقة ـ رجوعٌ إلى الله من بيت النفس والخلق، وتركٌ للكثرات، ونفضُ

غُبار الغَيريّة، وحصولُ التوحيدات، والغيبة عن الخلق، والحضورُ لدى الربّ، فهو إذا رأى في الآية الشريفة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ انطواءً للكثرات تحت سطوع نور المالكيّة والقاهريّة، فستحصل له عندئذٍ حالة المحو عن الكثرة، ويتحقق له الحضور في الحضرة، فيعرض العبوديّة حينها بالمُخاطبة الحضوريّة ومشاهدة الجمال والجلال، ويبلغ محضر القدس ومحفل الأُنس بتوجهه إلى الله وسعيه في طلبه تعالى.

[إمكان وصول السالك في «إيّاك نعبُدُ» إلى مقام التوحيد الذاتي]

فلعلَّ السرَّ في أداء هذا المقصد بالضمير «إيّاك» يكمن في أنَّ هذا الضمير مُتعلقٌ بالذات، والكثرات مضمحلةٌ فيه. لذا أمكن حصول حالة التوحيد الذاتي للسالك في هذا المقام، وانصرافُ قلبه عن كثرة الأسماء والصفات ايضاً، فتُصبحُ وجهة القلب هي حضرة الذات ودون حُجُب الكثرات.

[توحيدُ مولى الموحدين عليه السلام: نفيُ الصفات عنه]

وهذا بالذات هو «كمالُ التوحيد» الذي يقول عنه إمامُ المَوحِدين وسيّدُ العارفين وأميرُ العاشقين ورائدُ المجذوبين والمحبوبين أميرُ المؤمنين (صلواتُ الله عليه وعلى أولاده المعصومين): **«وكمال التوحيد نفي الصفات عنه»**[1] لأنَّ الصفة هي وجهة الغيريّة والكثرة.

---

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج١، ص١٥، من خطبةٍ له عليه السلام في ابتداء خلق السماوات والأرض وخلق آدم عليه السلام، وفيها تمجيدُ الله عزّ وجلّ وبيان قدرته. التوحيد للصدوق: ص٥٧. أصول الكافي: ج١، ص١٤٠، كتاب: التوحيد، باب جوامع التوحيد، الحديث السادس. بحار الأنوار: ج٤، ص٢٨٥، الباب الرابع، جوامع التوحيد.

أقولُ: إنّهُ بفرض زيادة الصفات على الذات يلزم احتياج الذات إلى تلك الصفات الزائدة عليها، =

وهذا التوجه للكثرة ـ حتى الأسمائيّة منها ـ بعيدٌ عن سرائر التوحيد وحقائق التجريد، ولعلَّه هو السرّ في خطيئة آدم عليه السلام عندما توجه نحو الكثرة الأسمائيّة المُتمثلة في روح الشجرة المنهيّ عنها[١].

=وهذا ما لا يُمكنُ تصورهُ في الباري عزّ وجلّ، فإنَّ المُحتاج لا يكونُ واجبَ الوجود ولا يكونُ غنياً عن كلِّ شيءٍ، وهذا ما يَنفي الوجوب الذاتي والغنى المُطلق للحق تعالى، فيكونُ ـ حينئذٍ والعياذُ بالله ـ مثلُهُ مثل المخلوقات المُمكنة والمُحدَثة والمسبوقة بالعدم، والحدوث والسبق بالعدم يُخالفُ القِدَم ومما يمتنع فرضُهُ في الأزلي. كذلك فإنَّ من وصف الله سبحانه وتعالى بصفةٍ زائدةٍ على ذاته خارجةٍ عنها فقد جعل الصفاتَ قريناً للذات في الوجود، ومن قَرَنَه بغيره فقد جعله ثانياً، وحينئذٍ يصدُقُ عليهما أنهما «واجب الوجود»، وبهذا يكونُ قد جزأه لأنَّ كلَّ واحدٍ من القديمين جزءٌ لذلك الواجب، ومن جزأه لم يعرفه حق معرفته إذ جعله في عداد المُمكنات؛ لأنَّ واجب الوجود لا يتعدد ولا يتجزأ كما هو ثابتٌ في علم الكلام. فكما أنَّ أول التوحيد نفيُ الشريك عنه عزّ وجلّ، كذلك لا بُدَّ من نفي التركيب والصفات الزائدة عليه. من هنا فصفاته عزّ وجلّ هي عينُ ذاته، فعلمُهُ وقدرتُهُ وإرادتُهُ وحياتُهُ وسمعُهُ وبصرُهُ، كُلُها موجودةٌ بوجود ذاته، وذاتُهُ جامعةٌ ومستوعبةٌ لها، وليست هي على كثرتها وتعددها زائدة على الذات خارجة عنها، وهذا القول هو غاية العرفان ومُبتغى كُلِّ إنسان.

(١) المشهورُ عند عُلماء الإماميّة «أعزهم الله» حمل آية خطيئة آدم عليه السلام مع ما وقع عليها من المعاتبات، وكذلك مثيلاتها من الآيات على ترك الأولى بدون أن يكون خطأ في الاجتهاد، بل يكون تعمُداً لترك الأولى عندهم، فالأنبياءُ عليهم السلام معصومون من الذنب والزلل والغواية طيلة حياتهم، قبل النبوة وخلالها، وإلى أخر أعمارهم الشريفة. من هنا يقولُ العلامةُ الطباطبائي قدس سره في تفسير الميزان ج١، ص١٣٧، تحت عنوان «بحثٌ قرآنيٌ» في جنة آدم عليه السلام: «بقى هنا شيءٌ وهو القول في خطيئة آدم عليه السلام فنقول: ظاهرُ الآيات في بادي النظر وإنْ كان تحقق المعصية والخطيئة منه عليه السلام كما قال تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ الآية، وكما اعترف به فيما حكاه الله عنهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الآية. لكن التدبر في آيات القصة والدقة في النهي الوارد عن أكل الشجرة يوجبُ القطع بأنَّ النهي المذكور لم يكن نهياً مولوياً وانما هو نهيٌ إرشاديٌ يُرادُ به الإرشاد والهداية إلى ما في مورد التكليف من الصلاح والخير، لا البعث والإرادة المولوية. ويدُلُ على ذلك أولاً: أنَّهُ تعالى فرَّعَ على النهي في هذه السورة وفي سورة الأعراف أنَّهُ ظُلمٌ حيثُ قال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثم بَدَّلَهُ في سورة طه من قوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ مُفرّعاً إياه على ترك الجنة، ومعنى الشقاء=

. . . .

=التعب، ثم ذكر بعده كالتفسير له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ الآيات. فأوضَحَ أنَّ المُراد بالشقاء هو التعب الدنيوي الذي تستتبعه هذه الحياة الأرضية من جوعٍ وعطشٍ وعراءٍ وغير ذلك. فالتوقي من هذه الأمور هو المُوجبُ للنهي الكذائي، لا جهة أخرى مولوية، فالنهيُ إرشاديّ، ومخالفةُ النهي الإرشادي لا توجبُ معصيةً مولويّةً، وتعدياً عن طور العبوديّة، وعلى هذا فالمراد بالظلم أيضاً في ما ورد من الآيات ظلمهما على أنفسهما في القائها في التعب والتهلكة دون الظلم المذموم في باب الربوبيّة والعبوديّة وهو ظاهرٌ. وثانياً: أنَّ التوبة، وهي الرجوعُ من العبد إذا استتبع القبول من جانب المولى أوجب كون الذنب كلا ذنب، والمعصيةُ كأنها لم تصدر، فيُعامل مع العاصي التائب معاملةَ المُطيع المُنقاد، وفي مورد فعله معاملة الامتثال والانقياد. ولو كان النهيُ عن أكل الشجرة مولوياً وكانت التوبةُ توبةً عن ذنب عبوديٍّ ورجوعاً عن مخالفة نهي مولويٍّ كان اللازمُ رجوعهما إلى الجنة مع أنهما لم يرجعا. ومن هنا يعلم أن استتباع الأكل المنهي للخروج من الجنة كان استتباعاً ضرورياً تكوينياً، نظير استتباع السم للقتل والنار للاحراق، كما في وارد التكاليف الارشادية لا استتباعاً من قبيل المجازاة المولويّة في التكاليف المولويّة، كدخول النار لتارك الصلاة، واستحقاق الذم واستيجاب البُعد في المخالفات العموميّة الاجتماعيّة المولويّة».

تحقيقٌ عرفانيٌّ

[بيانُ وجه صيغة الجمع في ﴿إيّاك نعبُدُ وإيّاك نستعين﴾]

إعلـم أنَّ أهل الظاهر، ذكروا تسويغات عدّة في تعليل ورود «نعبُدُ» و«نستعين» بصيغة (جمع المتكلم) مع أنَّ العابد واحدٌ.

فمنها قولهم: إنَّ العابد رأى فيها حيلةً شرعيّةً يضمنُ بواسطتها وقوع عبادته موقع القبول لدى حضرة الحق تعالى، وذلك عند تقديمه عبادته ـ ضمن عبادة سائر المخلوقين بما فيهم كُمَّل الأولياء ممن يقبل الحق تعالى عبادتهم ـ إلى حضرة القدس ومنبع الرحمة، لكي تُقبل عبادته ضمنياً، فليس من عادة الكريم تبعيض الصفقة الواحدة.

ومنها: أنَّ أداء العبادة جاء بصيغة الجمع لأنَّ تشريع الصلاة جاء في البداية جماعةً.

غيَّر أنَّا كُنا قد ذكرنا في مبحث «السر الإجمالي للأذان والإقامة» مطلباً قد يكشف إلى حدٍّ ما سرَّ ورود صيغة الجمع هنا[1]. فقد قلنا إنَّ الأذان هو: إعلامٌ لقوى السالك الملكيّة والملكوتيّة للحضور في المحضر، وإنَّ الإقامة هي: إيقاف تلك القوى على أهبة الاستعداد في ذلك الحضور. فإذا تمَّ

---

(١) راجع كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ«الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، ص١٨٣، الباب الأوّل، بعض آداب الأذان والإقامة، الفصل الأوّل، سرُّ الأذان والإقامة إجمالاً وبعض آدابهما العامة.

للسالك إحضارُ قواه الملكيّة والملكوتيّة في المحضر، وقدّم قلبه ـ وهو زعيمها ـ ليؤمَّها فقد قامت الصلاةُ «**والمؤمنُ وحده جماعة**»[1]. وعليه فإنَّ «نعبُدُ» و«نستعين» و«اهدنا» تُشير إلى هذه المجموعة الحاضرة في محضر القدس.

وقد أشارت الرواياتُ والأدعيةُ المأثورةُ عن أهل بيت العصمة والطهارة ـ وهم منابع العرفان والشهود ـ إلى هذا المعنى.

[المختار في مسالة ورود ﴿إيّاك نعبُدُ وإيّاك نستعين﴾ بصيغة جمع المُتكلم]

والوجهُ الآخر الذي أراهُ هو الآتي:

لما كان السالكُ قد خصَّ وقصر جميع المحامد وكل ثناءٍ من أيّ حامدٍ ومُثنٍ في المُلك والملكوت على الذات المُقدسة للحق تعالى، وذلك بقوله «الحمدُ لله». ثم لما كان قد ثبت ظاهراً في أدلة أئمة البرهان وقلوب أصحاب

---

(١) جاء في الكافي، ج٣، ص٣٧١، باب فضل الصلاة في الجماعة، عن أبي جعفر عليه السلام أنّهُ قال: «إن الجهني أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني أكون في البادية ومعي أهلي وولدي وغلمتي فاؤذن وأُقيم وأُصلي بهم، أفجماعة نحن؟ فقال: نعم، فقال: يا رسول الله إن الغلمة يتبعون قطر السحاب وأبقى أنا وأهلي وولدي فاؤذن وأُقيم وأُصلي بهم، فجماعة نحن؟ فقال: نعم، فقال: يا رسول الله فإنَّ ولدي يتفرقون في الماشية وأبقى أنا وأهلي فاؤذن وأُقيم وأُصلي بهم، أفجماعة نحن؟ فقال: نعم، فقال: يا رسول الله إنَّ المرأة تذهبُ في مصلحتها فأبقى أنا وحدي فاؤذن وأُقيم فأُصلي، أفجماعة أنا؟ فقال صلى الله عليه وآله: **نعم المؤمنُ وحده جماعة**».

أقول: لا يخفى أنّهُ في مقام العمل والفتوى كان الإمامُ الخميني قدس سره قد أفتى في كتابه «تحرير الوسيلة»، ج١، ص٢٦٥، فصلٌ في صلاة الجماعة، المسألةُ الثانيةُ، قائلاً: «أقلُّ عددٍ تنعقدُ به الجماعةُ في غير الجمعة والعيدين إثنان أحدهما الإمام، سواءٌ كان المأمومُ رَجُلاً أم امرأة، بل أو صبياً مُميزاً على الأقوى» (أهـ). وعلى هذا مشهور فقهاء الإماميّة (أعزهم الله).

العرفان، أن دائرة الوجود بأسرها ـ بملكها وملكوتها وقضّها وقضيضها ـ لها حياةٌ شعوريّةٌ إدراكيّةٌ حيوانيّةٌ ـ بل انسانيّة ـ وأنّها حامدةٌ ومُسَبِّحَةٌ للحق تعالى عن إدراكٍ واستشعارٍ، ولما كان الخضوعُ في الحضرة المُقدسة للكامل والجميل المُطلق منقوشاً في فطرة جميع الموجودات ـ والنوع الانساني خاصةً ـ فإنَّ نواصيها ساجدة على أعتاب حضرته القدسيّة، يؤيدُ هذا البرهان الحكمي المتين قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] كما تعضدهُ آياتٌ كريمةٌ أخرى، وأخبارٌ مأثورةٌ عن المعصومين عليهم السلام تفيضُ بهذه اللطيفة الإلهيّة.

فاذا أدرك السالكُ إلى الله هذه الحقيقة بالاستدلال البرهاني أو بالذوق الإيماني أو المشاهدة العرفانيّة، أدرك حينئذٍ ـ وفي أي مقامٍ كان ـ بأنَّ جميع ذرات الوجود وسَكَنة الغيب والشهود عابدةٌ للمعبود المُطلق، طالبةٌ لموجدها، وعندها سيُعلن بصيغة الجمع أنَّ جميع الموجودات عابدةٌ للذات المقدسة للحق تعالى ومستعينةٌ بها في جميع حركاتها وسكناتها.

---

(١) الإسراء: ٤٤.

تنبيهٌ ونكتةٌ

[ما قيل في وجهُ تقديم «إيّاك نعبُدُ» على «إيّاك نستعين»]

إعلم أنَّهم ذكروا في تقديم «إيّاك نعبُدُ» على «إيّاك نستعين» ـ رغم أنَّ القاعدة تقتضي تقدم الاستعانة في العبادة على العبادة نفسها ـ عدّة مسوّغات منها:

أنَّ العبادة مُقدّمةٌ على «الاستعانة» لا على «الإعانة»، وقد تكون الإعانةُ دون استعانة.

وقالوا: لما كانت العبادة والاستعانةُ مرتبطين، فلا فرق في التقديم والتأخير بينهما، تماماً كما لو قلت: «قضيتَ حقي فأحسنتَ إليّ» أو «أحسنتَ إليَّ فقضيتَ حقي».

وقالوا أيضاً: إنَّ الاستعانة المُتأخرة في السياق هي للعبادة اللاحقة لا للعبادة الحالية.

ولا يخفى على أرباب الذوق برودة هذه المسوّغات.

[السرُّ في التقديم]

ولعلَّ السرَّ في ذلك التقديم يكمن في أنَّ حصر الاستعانة بالحق تعالى ـ بحسب مقام السلوك إلى الله ـ متأخرٌ عن حصر العبادة به تعالى، كما هو واضح.

إذ من المعلوم أنَّ الكثير من الموحّدين في العبادة والحاصرين للعبادة بالحق تعالى هم مشركون في الاستعانة، فهم لا يحصرون الاستعانة به تعالى، نظير ما نقلناه عن بعض أرباب التفسير من قولهم «إنَّ حصر الاستعانة ليس حقيقياً».

[بيانُ المراد من حصر العبادة وحصر الاستعانة]

إذن، فحصرُ العبادة بالحق ـ بالمعنى المُتعارف ـ هو من أوائل مقامات الموحدين، في حين إنَّ حصر الاستعانة: هو ترك غير الحق مطلقاً. ولا يخفى أنَّ المقصود بـ«الاستعانة» هو الاستعانة في مطلق الامور لا بـ«الاستعانة» في العبادة فقط. وهذه لا تكون إلا بعد رفض الأسباب وترك الكثرات والإقبال التام على الله.

وبعبارةٍ أخرى، فإنَّ حصر العبادة هو: التوجه إلى الحق وطلبه تعالى، وترك طلب غيره، أما حصر الاستعانة: فهو رؤية الحق تعالى وترك رؤية غيره. وتركُ رؤية الغير في مقامات العارفين ومنازل السالكين مُتأخّرٌ عن ترك طلب الغير.

فائدةٌ عرفانيّةٌ

[قلبُ السالك والموحد الحقيقي لا يرى الكثرات]

إعلم أيُّها العبدُ السالكُ، أنَّ حصر العبادة والاستعانة بالحق، ليس من مقامات الموحّدين ومدارج السالكين الكاملة؛ لأنَّ فيه ادّعاءً يُنافي التوحيد والتجريد، بل إنَّ رؤية العبادة والعابد والمعبود والمُستعين والمُستعان به والاستعانة تتنافى مع التوحيد. ففي التوحيد الحقيقي الذي يتجلّى لقلب السالك تتلاشى هذه الكثرات وتضمحلُّ رؤيةُ هذه الأُمور. نعم، الكثرةُ لا تكونُ حجاباً لأولئك الذين تحقق لهم مقام الصحو من الجذبة الغيبيّة وعادوا إلى أنفسهم منها.

[طوائفُ الناس وأحوالهم]

فالناسُ طوائف عِدّة:

فطائفةٌ «محجوبون» أمثالنا نحنُ الغارقين في حُجُبِ الطبيعة الظلمانيّة.

وطائفةٌ «سالكون» وهم المسافرون إلى الله والمهاجرون إلى حضرته القدسيّة.

وطائفةٌ «واصلون» وهم الخارجون من حُجُبِ الكثرة، المُشتغلون بالحق، الغافلون المحجوبون عن الخلق، الذين حصل لهم الصعق الكلّي والمحو المطلق.

وطائفةٌ هم «الراجعون إلى الخلق» الذين لهم سمة «المكمّلين والهادين» كالأنبياء العظام وأوصيائهم ﷺ. وهؤلاء وإنْ كانوا واقعين في الكثرة مشغولين بإرشاد الخلق، إلا أنَّ الكثرة لا تحجبهم، فهُم في مقام البرزخيّة.

[اختلاف مراتب حصر العبادة والاستعانة بالحق تعالى بحسب حالات ومقامات الأفراد والسالكين]

وبناءً على هذا فإنَّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تختلفُ باختلاف حالات هذه الطوائف.

فهي منّا ـ نحنُ المحجوبين ـ مُجردُ ادّعاءٍ وشكلٍ ظاهري. وإذا انتبهنا لحجابنا وأدركنا نقصنا، اكتسبت عباداتُنا نورانيّة ـ بمقدار معرفتنا بنقصاننا ـ وشملتنا ألطافُ الحق تعالى.

وهي من السالكين، قريبةٌ من الحقيقة بمقدار قِدم سلوكهم.

وهي من الواصلين نسبة إلى رؤية الحق حقيقة، ونسبة إلى رؤية الكثرة، صورة صرفة وجري على العادة.

وهي من الكاملين، صرفُ الحقيقة، فهم ليسوا محجوبين لا بحجابٍ حقيٍّ ولا بحجابٍ خلقيٍّ.

إيقاظٌ إيمانيٌّ

[العبادةُ مع الغفلة عن الحق تعالى مُجردةٌ عن الحقيقة]

إعلم أيُّها العزيز، أنّنا مادمنا في حُجُبِ عالم الطبيعة السميكة، مُستهلكين أعمارنا في إعمار الدنيا وتحصيل لذائذها، غافلين عن الحق تعالى وذكره والتفكُر به تعالى، فإنَّ جميع عباداتنا وأذكارنا وقراءاتنا مُجردةٌ عن الحقيقة، ولا يُمكننا حصر المحامد بالحق تعالى من خلال «الحمد لله»، أو الاهتداء إلى سبيلٍ من الحقيقة من خلال «إيّاك نعبُدُ وإيّاك نستعين»، فنحنُ منكوسو الرؤوس يلبسنا العارُ من هذه الدعاوى الجوفاء في محضر الحق تعالى وملائكته المُقرَبين وأنبيائه المُرسَلين وأوليائه المعصومين.

وإلا كيف يُمكنُ لمن دأب على مدح أهل الدنيا بفعله وقوله أنْ يقول: «الحمد لله»؟ وبأي لسانٍ يُمكنُ لمن كان قلبُهُ مُتعلقاً بالطبيعة الخالية حتى من عُرف الألوهيّة، وكان توكّله على الخلق وثقته بهم أن يقول: «إيّاك نعبُدُ وإيّاك نستعين»؟!

إذن، إذا كنت أهلاً لهذه المُنازلة، فلتشد أحزمة العزم، ولتسعَ ابتداءً في إيصال هذه الحقائق واللطائف التي ذكرناها في طيّات هذه الرسالة، ولتُحيِ فؤادك بذكر الحق تعالى، لعلَّ نفحةً من التوحيد تصلُ بذلك إلى شامّة قلبك، وعسى أن تجد سبيلاً إلى صلاة أهل المعرفة.

أما إذا لم تكن أهلاً لتلك المُنازلة، فلتجعل ـ في الأقل ـ نقصك نُصب

عينيك، ولتلتفت إلى ذلتك وعجزك، ولتُمارس عبادتك مُستشعراً العار والخجل، وإيّاك أن تدّعي العبوديّة. ولتكن قراءتك تلك الآيات الشريفة التي لم تتحقق بلطائفها بلسان الأولياء الكُمَّل، وإلا فاجعل قراءتك ناظرةً إلى صرف صورة القرآن، حتى لا تكون دعواك باطلةً وادّعاؤك كاذباً - في الأقل -.

فرعٌ فقهيٌّ

[بيانُ جوازِ قصد الإنشاء في مثل ﴿إيّاك نعبُدُ وإيّاك نستعين﴾]

إعلم أنَّ بعض الفقهاء لم يُجز الإنشاء في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مثلاً، مُعتبرين ذلك ينافي القرآنيّة والقراءة؛ لأنَّ القراءة هي نقلُ كلام الآخر.

وهذا القول ليس وجيهاً، فالإنسانُ يُمكنه أنْ يمدح شخصاً بكلامٍ من عنده أو بكلام الآخرين، فلو أنَّنا مدحنا شخصاً بشعر لـ «حافظ»[1] مثلاً، فسيصدق علينا (أنَّنا مدحنا) كما يصدق علينا (أنّنا قرأنا شعراً لحافظ).

عليه، فإذا أنشأنا حصر جميع المحامد ـ حقاً ـ بالحق تعالى بقولنا «الحمدُ لله ربِّ العالمين»، وحصرنا العبادة به تعالى بقولنا «إيّاك نعبُدُ» فسيصدُقُ علينا (أنّنا حمدنا الله بكلامه) و(حصرنا العبادة به تعالى بكلامه) أيضاً. بل لو أنَّ أحداً جَرَّدَ الكلام من معنى الإنشاء فسيكونُ عملُهُ مخالفاً للاحتياط، إذا لم نقل إنَّ قراءته باطلةٌ.

نعم، لو أنَّ شخصاً لم يكن يعرف معنى ما يقرأ، فلا يجب عليه تعلّم معانيها، بل يكفيه قراءة ما يقرأ بما لها من معنى[2].

---

(١) الشاعر حافظ الشيرازي، وقد تقدمت ترجمتُهُ فراجع.

(٢) نعم، قيل باستحباب ملاحظة معاني ما يقرأ والاتعاظ بها. راجع: تعليقة الإمام الخميني قدس سره على العروة الوثقى ص٣٧٥ (موافقاً على ما ورد في المتن). وقال الإمام الخميني قدس سره في تحرير الوسيلة، ج١، ص١٥٥، فيما ينبغي للمُصلي حال الصلاة، المقدمة السادسة، في إحضار=

[الإشارةُ إلى حالة الإنشاء عند القارئ في الروايات الشريفة]

والرواياتُ الشريفةُ تُشيرُ إلى حالة الإنشاء لدى القارىء، نظير قوله في الحديث القُدسي: «**فإذا قال ـ أي العبد ـ في صلاته** ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **يقول الله: ذكرني عبدي. وإذا قال** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، **يقولُ الله: حمدني عبدي... إلخ...**»[1]. فما لم يتحقق إنشاء «التثنية» و«الحمد» من قبل العبد، فلا معنى لقوله «ذكرني» و«حمدني». أو نظير قوله في أحاديث المعراج: «**الآن وصلت فسَمِّ باسمي**»[2].

ويُستنتجُ من الحالات التي كانت تنتابُ أئمة الهدى عليهم السلام في الصلاة عند قولهم «مالك يوم الدين» و«إيّاك نعبدُ»، وقيام بعضهم بتكرار هذه الآيات،

=القلب في الصلاة: «ينبغي للمُصلّي إحضار قلبه في تمام الصلاة أقوالها وأفعالها، فإنَّهُ لا يُحسبُ للعبد من صلاته إلا ما أقبل عليه. ومعناه الإلتفات التامّ إليها وإلى ما يقول فيها، والتوجّه الكامل نحو حضرة المعبود ـ جلَّ جلالُهُ ـ واستشعار عظمته وجلال هيبته، وتفريغ قلبه عمّا عداه، فيرى نفسه مُتمثّلاً بين يدي ملك الملوك عظيم العُظماء مُخاطباً له مُناجياً إيّاه، فإذا استشعر ذلك وقع في قلبه هيبتُهُ يهابه، ثم يرى نفسه مُقصّراً في أداء حقه فيخافه ثُمَّ يُلاحظ سعةَ رحمته فيرجو ثوابه، فيحصل له حالة بين الخوف والرجاء، وهذه صفةُ الكاملين، ولها درجاتٌ شتى ومراتبٌ لا تُحصى على حسب درجات المُتعبّدين. وينبغي له الخضوع والخشوع والسكينة والوقار... وأن يكون صادقاً في مقالته: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ لا يقول هذا القول وهو عابدٌ لهواه ومُستعينٌ بغير مولاه...».

(١) راجع: التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ص٥٨. وتفسير التبيان للشيخ الطوسي رحمه الله، ج١، ص٤٦. وصحيح مسلم، ج٢، ص٩، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعةٍ، «مع اختلافٍ يسير».

(٢) راجع: علل الشرائع للشيخ الصدوق، ج٢، ص٣١٥. ووسائل الشيعة، ج٥، ص٤٦٦، أبواب أفعال الصلاة، باب كيفيتها وجملة من أحكامها وآدابها. وبحار الأنوار، ج١٨، ص٣٥٨، الباب الثالث، إثبات المعراج ومعناه وكيفيته وصفته وما جرى فيه ووصف البُراق.

أنَّهم كانوا يُنشئون ولم يكن الأمر مجرد القراءة أو من قبيل **«إسماعيل يشهد أن لا اله الا الله»**[١].

واختلاف مراتب صلاة أهل الله، إنَّما يرجع في الأساس إلى الاختلاف في مراتب قراءتهم كما اشرنا إلى نبذةٍ من ذلك فيما مَرَّ. وهذا لا يتحقق إلا أنْ يكون للقارىء قصد الإنشاء في القراءة والأذكار. والشواهدُ على هذا المعنى كثيرةٌ جداً.

على أيّة حال، لا إشكال في قصد الإنشاء لهذه المعاني بالكلام الإلهيّ.

(١) روي أنَّ الإمام الصادق عليه السلام كتب هذه العبارة في حاشية كفن ولده إسماعيل. راجع: بحار الأنوار: ج٤٧، ص٢٤٨. ووسائل الشيعة، ج٣، ص٥٢، كتاب الطهارة، أبواب التكفين، الباب٢٩، باب استحباب كتابة اسم الميت على الكفن وأنّه يشهد أن لا إله إلا الله، الحديث: ٢.

فائدةٌ

[معنى «العبادة»]

يَعتَبرُ أهلُ اللغة أنَّ «العبادة» تعني: غاية الخضوع والتذلل، وهم يقولون: إنَّ العبادة ما دامت تُمثل أعلى مراتب الخضوع، فهي لا تليق إلا بمن هو في أعلى مراتب الوجود والكمال وعلى أعظم مراتب النعم والاحسان، لذا فإنَّ عبادة غير الحق تكون شركاً.

غير أنَّ من المُمكن أن يكون المراد من (العبادة) في الحقيقة معنى أوسع مما ذُكر، وذلك عند اعتبارها خضوعاً للخالق وللربّ، مما يستلزم اتخاذ المعبود إلهاً وربّاً أو مُشابهاً له أو نظيراً له أو مظهراً له مثلاً، ومن هنا تكونُ عبادةُ غير الحق تعالى شركاً وكُفراً. وإلا فإنَّ مطلق الخضوع دون اقترانه بهذا الاعتقاد أو الجزم بهذا المعنى ـ ولو تكلُّفاً ـ لا يصير ـ وإن بلغت غايتُهُ ـ سبباً للكفر أو الشرك، وإنْ كان بعضُ أنواعه مُحرّمةً، كوضع الجبهة على الأرض تخضُّعاً للغير، فهذا وإنْ كان لا يُعدُّ عبادةً فهو ـ على الظاهر ـ مُحرّمٌ شرعاً.

[تعظيمُ خاصّة الله تعظيمٌ لله ﷻ]

إذن، إذا اقترنت مظاهرُ التعظيم والاحترام التي يُبديها أصحابُ الأديان تجاه عظمائهم، بالاعتقاد بكونهم عباداً مُحتاجين للحق تعالى في كل شيء ـ في أصل الوجود وكماله ـ وبكونهم عباداً صالحين لا يملكون لأنفسهم نفعاً

ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً، وأنّهم مُقربون لحضرة الحق تعالى مشمولون بألطافه نتيجة عبوديّتهم، وهُم بعد ذلك وسيلة لاستجلاب عطاياه تعالى، فلن يكون فيها أيّة شائبة للشرك والكفر، فتعظيمُ خاصة الله تعظيمٌ لله تعالى و**«حُبُّ خاصّة الله حُبٌّ لله»**[١].

[إمتيازُ الشيعة الإثني عشريّة بتوحيد وتنزيه وتقديس الحق تعالى وعبادته عبادةً خالصةً]

وبين الطوائف التي تؤمنُ بـ«أُشهدُ الله وكفى به شهيداً» طائفةٌ تمتاز ـ ببركة أهل بيت الوحي والعصمة وخزّان العلم والحكمة ـ عن جميع طوائف الأُسرة الإنسانيّة بتوحيدها وتقديسها وتنزيهها للحق تعالى، وهي طائفة الشيعة الأثني عشريّة التي تشهد كُتُبُ أصول عقائدها، ككتاب «الكافي» الشريف، والكتاب الشريف «التوحيد» للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه)، وسائر التُراث المُجتمع لديها من خطب وأدعية الأئمة المعصومين ـ معادن الوحي والتنزيل ـ على انفرادهم بمثل هذه العلوم التي لم يشهد التاريخ البشري لها نظيراً. فالحقُّ تعالى لم يُقدّس ولم يُنزَّه ـ بعد الكتاب المقدس للوحي الإلهي، بمثل ما ظهر منهم من التقديس والتنزيه له تعالى.

[اتهامُ الشيعة دافعةُ مناصبة العداء]

ورغم أنَّ الشيعة ـ في جميع الأمصار والأعصار ـ يُتابعون أئمة الهدى المعصومين المُنزّهين الموحّدين أولئك، ويعرفون الحق ويُنزهونه ويُوحدونه بما قيّضَ لهم أهلُ البيت عليهم السلام من البراهين الواضحات، إلا أنَّ بعض

(١) بيتٌ من الشعر للعارف الرومي وقد تمت الإشارةُ إليه فراجع.

الطوائف ممن يتجلى إلحادُها من عقائدها وكتبها، فتحت باب اللعن على الشيعة فاتهمت ـ بدافع من مناصبة العداء التي تنطوي عليها سرائرهم ـ أتباع أهل بيت العصمة بالشرك والكفر. وهذا الأمر وإنْ كان بضاعةً كاسدةً في سوق أهل المعرفة والحكمة، إلا أنَّهُ يُعدُّ ـ ونتيجةً لما يترتب عليه من مفسدةٍ تتمثلُ في إبعاد العوام والبُسطاء والجُهّال من الناس عن معادن العلم وسَوْقِهم نحو الجهل والشقاء ـ جريمةٌ كُبرى بحق بني الإنسان لا يُمكنُ تجاوزُها أبداً.

من هُنا ـ ووفقاً للموازين العقليّة والشرعيّة ـ فإنَّ المسؤوليّة والوزر المُترتب على انحراف هذه المجموعة القاصرة الجاهلة اليائسة، تتوجهُ إلى هؤلاء الجائرين الذين حالوا دون نشر المعارف والأحكام الإلهيّة من أجل تحقيق أطماعهم الدنيئة ولأيامٍ معدودات، فتسببوا بذلك في تعريض بني الإنسان للشقاء والبؤس وضَيَّعوا هباءً جميعَ الجهود التي بذلها خيرُ البشر ﷺ وأبطلوا آثارها، وأغلقوا باب الوحي والتنزيل بوجه الناس. اللّهم العنهم لعناً وبيلاً وعذّبهم عذاباً أليماً.

تفسير: ﴿إهدنا الصراطَ المُستقيم * صِراطَ الذين أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

[سورةُ الحمد ومنهجُ سلوك أرباب المعرفة]

إعلم أيُها العزيز، أنَّ سورة «الحمد» المباركة ـ وكما قدمنا ـ تنطوي على إشارةٍ إلى منهج سلوك أرباب المعرفة والارتياض. ففيها ـ بدءاً من البسملة «التسمية» وحتى «إيّاك نعبُدُ...» ـ بيان لكافة مراحل السلوك من الخلق إلى الحق. فإذا ترقى السالكُ من التجلّيات الأفعاليّة إلى التجلّيات الصفاتيّة ومنها إلى التجلّيات الذاتيّة، وخرج من الحجب النورانيّة والظلمانيّة وبلغ مقام الحضور والمشاهدة، حصلت له حينئذٍ مرتبة الفناء التام والاستهلاك الكلّي.

فإذا انتهى السيرُ نحو الله بغروب أفق العبوديّة وطلوع سُلطة المالكيّة في «مالك يوم الدين» حصلت ـ في نهاية هذا السلوك ـ حالة التمكن والاستقرار ورجع السالكُ إلى نفسه وتحقق مقامُ الصحو، فينتبه السالكُ إلى مقامه ولكن تبعاً للتوجّه إلى الحق، وعلى عكس حالة الرجوع إلى الله حيث يكونُ التوجه للحق تبعاً للتوجه إلى الخلق.

[المقامُ الذي يقولُ فيه السالك ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾]

وبعبارةٍ أخرى، فإنَّ السالك يرى الحق ـ أثناء السلوك إلى الله ـ في

الحجاب الخلقي ويُشاهدُ الخلق بعد الرجوع من مرتبة الفناء الكلّي ـ الحاصلة في «مالك يوم الدين» ـ في حجاب الحق.

عندها يقول «إيّاك نعبُدُ» مُقَدماً الضمير «إيّا» مع كاف المخطاب، على ذاته وعبادته.

ولما كانت هذه الحالة محتملة الزوال، وكان الانزلاق في هذا المقام محتملاً، لذا فإنَّ السالك يطلب الثبات والإلزام لنفسه من الحق تعالى، وذلك بقوله «إهدنا» أي «ألزمنا» كما فُسِّرت بذلك.

والجديرُ بالذكر أنَّ المقام الذي ذكرناه والتفسير الذي قدمناه يختصُّ بالكُمَّل من أهل المعرفة، ممن يُصبحُ الحقُ تعالى حجاباً لهم عن الخلق في المقام الأول ـ مقام الرجوع من السير إلى الله ـ في حين يكون مقام كمالهم، هو حالة البرزخيّة الكبرى التي لا يكونُ الخلقُ فيها حجاباً لهم عن الخلق ـ كما هو حالنا نحو المحجوبين ـ كما لا يكون الحقُ حجاباً لهم عن الخلق ـ كما في الواصلين المشتاقين والفانين المجذوبين ـ فيكونُ «الصراطُ المستقيم» بالنسبة لهم: عبارة عن تلك الحالة البرزخيّة المتوسطة بين النشأتين وهي صراط الحق.

[المُرادُ من ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ و﴿المغضوب عليهم﴾]

وبناءً على هذا يكونُ المراد من ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ هم أولئك الذين قدّر الحق تعالى ـ بالتجلّي بالفيض الأقدس في الحضرة العلميّة ـ حملهم للاستعداد واللياقة المُناسبة، فأرجعهم إلى مملكته بعد فنائهم التامّ.

أمّا ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ فهم ـ بناءً على نفس التفسير ـ المحجوبون قبل الوصول، و«الضالّون» هم الفانون في الحضرة.

[تفسيرُ: ﴿الصراط المُستقيم﴾]

امَّا غير الكُمَّل، فإذا لم يكونوا من أهل السلوك، فلا تصدق عليهم هذه المعاني، «فالصراط» بالنسبة لهم هو صراط ظاهر الشريعة، ولهذا فُسِّر «الصراط المستقيم» بالدين والاسلام وأمثال ذلك.

أما إذا كانوا من أهل السلوك، فسيكون المراد من «الهداية» بالنسبة لهم هو الارشاد، والمراد بـ«الصراط المستقيم»: هو أقرب طرق الوصول إلى الله المُتمثل في طريق رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين).

كذلك فقد يُفسَّرُ «الصراطُ المُستقيم» برسول الله وأئمة الهدى وأمير المؤمنين عليهم السلام. فقد روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطَّ خطاً مستقيماً وحوله خطوطاً أخرى، ثم أشار إلى أنَّ الخط المستقيم الأوسط يُمثلُهُ هو صلى الله عليه وآله[1].

[المُرادُ من «الأمة الوسط» في: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلناكُم أمَّةً وَسَطاً﴾]

ولعلَّ المراد من «الأمة الوسط» في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[2] هو الوسطيّة بالقول المُطلَق وبجميع المعاني، فمنها الوسطيّة في المعارف والكمالات الروحيّة التي تُمثلُ مقامَ البرزخيّة الكبرى، والوسطيّة العظمى. لذا فقد اختصّ هذا المقام بالكُمَّلِ من أولياء الله، فقد ورد في الحديث أنَّ المقصود ـ في الآية ـ هم أئمة الهدى عليهم السلام. يقولُ الإمامُ

---

(١) روى الشيخ الطبرسي رحمه الله في جوامع الجامع، ج١، ص٦٣١، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله خطَّ خطاً ثم قال: «هذا سبيلُ الرشد»، ثم خطَّ عن يمينه وعن شماله خطوطاً ثم قال: «هذه سُبلٌ على كُلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾. وكذلك جاء هذا المعنى في كتاب علم اليقين، ج٢، ص٩٦٧ مع تفاوتٍ يسيرٍ في متن الحديث.

(٢) البقرة: ١٤٣.

الباقر عليه السلام ليزيد بن معاوية العجلي: **«نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه»**[١]. ويقولُ عليه السلام: **«إلينا يرجع الغالي، وبنا يلحق المُقَصّر»**[٢] وفيه إشارةٌ واضحةٌ إلى ما تقدم.

---

(١) أصول الكافي: ج١، ص١٩٠، كتاب الحجة، باب: «أنَّ الأئمة عليهم السلام شهداء الله على خلقه» الحديث الثاني. بحار الأنوار: ج٢٣، ص٣٣٤، باب عرض الأعمال عليهم عليهم السلام وأنّهم الشهداء على الخلق. ومناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣١٤، باب إمامة أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام.

(٢) الخصال، للشيخ الصدوق، ص٦٢٧. تحف العقول، ص١١٦. تفسير العيّاشي، ج١، ص٨١، الحديث١١١. والمعنى: أنَّ كُلَّ من جاوز آل محمد صلى الله عليه وآله فالواجب أن يرجع إليهم، وكل من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم؛ لأنّهم عليهم السلام هم الطريق القويم والصراط المستقيم، وهم سبل النجاة، ومن غلا في دينه وتجاوز بالافراط حدود دين الله وشرعه فإنّما نجاتُهُ بالرجوع إليهم وإلى سيرتهم وأحكامهم عليهم السلام لأنَّ معالم الشرع والدين الحنيف إنّما تؤخذُ عنهم فَهُم بيتُ الوحي ومهبطه ومعدن الرسالة.

تنبيهٌ إشراقيٌ وإشراقٌ عرفانيٌّ

[حُبُ الموجودات للكمال المُطلق حُبٌ ذاتيٌ وعشقٌ جِبلِّيٌ]

إعلم أيُها الطالبُ للحق والحقيقة، أنَّ الحق تعالى قد أودع وأبدع الحبَّ الذاتي والعشق الجِبلِّي في فطرة الموجودات جميعاً؛ لكي تتوجه بهذه الجذبة الإلهيّة ونار العشق الرباني إلى الكمال المطلق، وتكونُ طالبةً للجميل على الاطلاق، عاشقةً له؛ ذلك لأنَّهُ تعالى خلق نظام الوجود ومظاهر الغيب والشهود بناءً على الحب الذاتي والمعروفيّة في حضرة الأسماء والصفات بمقتضى الحديث القُدسي: **«كُنتُ كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أنْ أُعرَف فخلقتُ الخلقَ لكي أُعرَف»**[1].

إذن، فالله تعالى قد جعل في كُلِّ موجودٍ من الموجودات نوراً إلهيّاً فطريّاً يُدرك به سبيل الوصول إلى المقصد والمقصود. والنارُ والنورُ هذان، أحدهما «رفرف الوصول» والآخر «بُراق العروج». ولعلَّ «بُراق» و«رفرف»

---

(١) راجع: مشارق أنوار اليقين، ص٥٧، الفصل (٢٣) في أقسام الوجود ومعنى «كنتُ كنزاً مخفياً...». بحار الأنوار: ج٨٤، ص١٩٩، «كتاب الصلاة»، الدعاء في قنوت الوتر، وكذلك في ج٨٤، ص٣٤٤، في سند دعاء الصباح وشرح بعض لغاته.

ويقولُ الإمام الخميني ﷿ في تعليقته على كتاب فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي، ص٥٦: «... (كُنتُ كنزاً مَخفياً فأحببتُ أنْ أُعرَف) أي: احببتُ أَنْ أُعرف ذاتي بمقام الكنزيّة التي هي مقام الواحديّة التي فيها الكثرة الأسمائيّة المُختفية، (فخلقتُ الخلقَ لكي) أتجلى من الحضرة الأسمائيّة إلى أعيان الخلقيّة. و(أعرف) نفسي في المرائي التفصيليّة.

رسول الله ﷺ رقيقة هذه اللطيفة والصورة الملكيّة المُمثلة لهذه الحقيقة، لهذا نزلت من الجنة، وهي باطن هذا العالم.

[خروجُ الموجودات من التعيُّنات الظلمانيّة ببركة اسم «الهادي»]

ولما كانت هذه الموجودات قد تنزلت في مراتب التعينات وحُجبت عن الجمال الجميل للمحبوب (جَلَّتْ عَظَمَتُهُ)، فإنَّ الحق تعالى يُخرجها بتلك النار والنور من حجب التعينات الظلمانيّة و«الإنّيّات النورانيّة» بالاسم المبارك الهادي الذي يُمثلُ حقيقة هذه الرقائق، ويوصلُها إلى أقرب الطرق المؤدية إلى المقصد الحقيقي وجوار محبوبها. فذاك «النور» هو «هداية» الحق تعالى، وتلك «النار» هي «التوفيق الإلهي» والسلوك نحو الطريق الأقرب للصراط المستقيم. والحق تعالى هو على هذا الصراط المستقيم، ولعلَّ في قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1] إشارة إلى هذه الهداية وهذا السير وهذا المقصد كما هو جليٌّ لأهل المعرفة.

[لكُلِّ موجودٍ من الموجودات صراطٌ خاصٌ به]

ولتعلم أيُّها العزيز، بأنَّ لكلِّ موجودٍ من الموجودات صراطاً خاصّاً به ونوراً وهدايةً مُعيَّنةً، **«والطرقُ إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»**[2].

---

(١) هود: ٥٦.

(٢) حديثٌ منسوبٌ إلى النبي الأعظم ﷺ، راجع: جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص ٨ ـ ٩٥ ـ ١٢١، للسيّد العارف الحكيم المفسر حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي. من تصانيفه «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» في علم التوحيد وأسراره وحقائقه وأسرار الأنبياء والأولياء، ويُقالُ له «جامع الأنوار» وهو مشتمل على ثلاثة أصول وفي كل أصل أربع قواعد حاول فيه=

[الصراطُ الإنساني أطولُ وأشدُّ ظُلمةٍ من كُلِّ صراط]

ولما كان في كُلِّ تَعيُّنٍ حجابٌ ظلمانيٌّ، وفي كُلِّ وجودٍ وإنيّةٍ حجابٌ نورانيٌّ، ولما كان الانسان مجمع التعيُّنات وجامع الوجودات، فهو أشدُّ الموجودات محجوبيّةً عن الحق تعالى، ولعلَّ الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾(١) تُشيرُ إلى هذا المعنى.

من هنا فإنَّ الصراط الانساني أطولُ وأشدُّ ظلمةٍ من الطرق الأخرى.

كذلك، لما كان «ربُّ» الانسان هو حضرة اسم الله الأعظم الذي تكونُ فيه كافة الأسماء المتقابلة كالظاهر والباطن والأول والآخر والرحمة والغضب وسائر الأسماء على السواء بالنسبة له، لذا وجب أن يحصل الانسان في منتهى سيره على مقام البرزخيّة الكبرى، وعليه كان صراطُهُ أدقَّ من كُلِّ صراط.

=الجمع بين المتضادات والمتعارضات من أقوال الصوفية وتوجيه كلماتهم بما ينطبق على الشريعة، فحقق بذلك مطالب الصوفيّة الحقة ونقحها تمام التحقيق والتنقيح خصوصاً مطلب التوحيد، وقال فيه: «لم أزل من أيام الشباب بل من زمن الطفولية إلى الآن وهو زمن الكهولة وأنا مشغول بتحصيل عقائد أجدادي الطاهرين الأئمة المعصومين بحسب ظاهر الشريعة المخصوص بالشيعة الإماميّة وبحسب الباطن الحقيقي المخصوص بطائفة الصوفيّة، فوفقتُ بعناية الله تعالى للتوفيق بين الطائفتين ومطابقة كل واحد منهما بالآخر، وصرت جامعاً بين الشريعة والحقيقة، وقلت الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»، وقال في «مجالس المؤمنين» إنه ذكر فيه أسامي كل من الأوصياء الاثني عشر لأولي العزم من الرسل على نبينا وآله وعليهم السلام. وله «أمثلة التوحيد»، «تفسير القرآن»، «جامع الحقائق»، «رافعة الخلاف في وجه سكوت أمير المؤمنين عن الاختلاف»، «المعتمد من المنقول فيما اوحىٰ إلى الرسول ﷺ»، «رسالة الأركان في فروع شرائع أهل الايمان»، «رسالة الأمانة»، «الكشكول فيما جرى على آل الرسول»، «لب الاصطلاحات الصوفية» جردها من كتاب عبد الرزاق الكاشي القسم الأول منها، «مدارج السالكين في مراتب العارفين» القسم الثاني من الاصطلاحات المذكورة، «نص النصوص في شرح الفصوص»، وغيرها الكثير من التصانيف والمؤلفات والرسائل الراقية.

(١) التين: ٥.

تنبيهٌ إيمانيٌّ

[مراتب ومقامات الهداية]

يتضحُ مما تقدم، أنَّ للهداية مراتب ومقاماتٍ تتناسب مع مسارات السائرين ومراتب سلوك السالكين إلى الله، وها هنا نُشير إلى بعض هذه المقامات على نحو الاجمال ليتبين ضمنياً وبما يتناسب مع كل مرتبةٍ من المراتب معنى «الصراط المستقيم» و«صراط المفرطين» و«صراط المُفَرِّطين» - وهما «المغضوب عليهم» و«الضالين» على التوالي -.

المرتبة الأولى: نور الهداية الفطرية.

وقد تقدمت الإشارةُ إليه في المبحث السابق، ويكونُ «الصراطُ المستقيم» في هذه المرتبة من الهداية عبارةً عن السلوك إلى الله دون الاحتجاب بالحجب المُلكيّة أو الملكوتيّة أو دون الاحتجاب بحجب المعاصي القالبيّة أو القلبيّة، أو دون الاحتجاب بحجب الغلوّ أو التقصير، أو دون الاحتجاب بالحجب النورانيّة أو الظلمانيّة، أو دون الاحتجاب بحجب الوحدة أو الكثرة، ولعلَّ الآية الكريمة: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[1] تشير إلى هذه المرتبة من الهداية وإلى الاحتجابات التي ذكرناها، الأمرين الذين يقدّران بالتجلّي بحضرات الأعيان الثابتة في «حضرة القدر» وهي عندنا «مرتبة الواحديّة»،

---

(١) فاطر: ٨.

وتفصيلُ ذلك يخرجُ عن إطار هذه الرسالة، بل إنَّهُ مما لا يُحاطُ بالتحرير والبيان وهو «**سرٌّ من أسرار الله وسترٌ من ستر الله**»[(١)].

المرتبة الثانية: الهدايةُ بنور القرآن.

[أهلُ الظاهر يقفون عند ظاهر الكتاب ولا يتدبرون آياته]

ويُقابلُها الغلوّ والتقصير في معرفته أو الوقوف عند ظاهره، أو الوقوف عند باطنه، كما هو الحال مع بعضٍ من أهل الظاهر الذين يرون أنَّ علوم القرآن الكريم هي مجرد هذه المعاني العرفيّة العاميّة والمفاهيم السياقيّة الوضعيّة. وبذا فهم لا يتفكّرون في القرآن الكريم ولا يتدبرون آياته ويحصرون الاستفادة من هذه الصحيفة النورانيّة المتكفلة بالسعادة الروحيّة والجسميّة والقلبيّة والقالبيّة بتلك الأوامر الشكليّة الظاهريّة، فيُعرضون عن عن كُلّ تلك الآيات الدالّة على وجوب أو رجحان التفكر في القرآن وتدبُّر آياته، ويُشيحون بأنظارهم عن الاستنارة بنوره، الأمر الذي يفتح بتحققه أبواباً من المعرفة، وكأنَّ القرآن الكريم قد نزل من أجل الحثّ على الدنيا والملذات الحيوانيّة، ومن أجل تأكيد مقام الحيوانيّة والشهوات البهيميّة.

---

(١) روى الشيخ الصدوق في التوحيد، ص٣٨٣، باب القضاء والقدر، الحديث ٣٢، عن مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّهُ قال في القدر: «ألا إنَّ القدر سرٌّ من سرّ الله وسترٌ من ستر الله وحرزٌ من حرز الله، مرفوعٌ في حجاب الله، مطويّ عن خلق الله، مختومٌ بخاتم الله، سابقٌ في علم الله، وضع اللهُ العبادَ عن علمه، ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم؛ لأنَّهم لا ينالونه بحقيقة الربانيّة، ولا بقدرة الصمدانيّة، ولا بعظمة النورانيّة، ولا بعزة الوحدانيّة؛ لأنّه بحرٍ آخر، خالصٌ لله عزّ وجلّ، عُمقُهُ ما بين السماء والأرض، عَرضُهُ ما بين المشرق والمغرب، أسودٌ كالليل الدامس، كثير الحيات والحيتان، يعلو مرةً ويسفل أخرى، في قعره شمسٌ تضيء، لا ينبغي أن يطلع إليها إلا الله الواحد الفرد، فمن تطلع إليها فقد ضاد الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سرّه وستره، وباء بغضبٍ من الله ومأواهُ جهنم وبئسَ المصير».

[أهلُ الباطن يغفلون عن أنَّ طريق الوصول إلى الباطن إنَّما تَمُرُّ عبر التادب بالظاهر]

أو كما هو الحال مع بعضٍ من أهل الباطن الذين ينصرفون ـ كما يتصورون ـ عن ظاهر القرآن الكريم ودعواته الشكليّة الظاهريّة، والتي تنطوي على منهج التأدّب بآداب المحضر الإلهي وكيفيّة السلوك إلى الله، وإذا بهم يغفلون عن ذلك كُلّه وينحرفون ـ نتيجة تلبيسات إبليس اللعين والنفس الأمّارة بالسوء ـ عن ظاهر القرآن، ويتمسكون بحسب أوهامهم بعلومه الباطنيّة، والحال أنَّ الطريق للوصول إلى الباطن إنَّما تَمُرُّ عبر التأدب بالظاهر.

فكلتا هاتين الطائفتين إذن، خارجتان عن جادة الاعتدال، محرومتان من نور الهداية إلى الصراط القرآني المستقيم، منسوبتان إلى الافراط والتفريط.

[ينبغي للعالم العارف أنْ يكونَ قائماً بالظاهر والباطن، مُتادباً بالآداب الصوريّة والمعنويّة]

فالعالمُ المُحقق والعارفُ المُدقق ينبغي له أنْ يكونَ قائماً بالظاهر والباطن، مُتأدباً بالآداب الصوريّة والمعنويّة، ومثلما يُنَوِّرُ ظاهِرَهُ بنور القرآن، عليه أنْ يجعل باطنه نورانياً بأنوار المعارف والتوحيد والتجريد أيضاً.

[حصرُ معارف القرآن بالمعارف الظاهريّة جهلٌ بحق القرآن وانتقاصٌ من الشريعة الخاتمة]

وليعلم أهلُ الظاهر، أنَّ تحجيم القرآن وحصر معارفه على الاداب الصوريّة الظاهريّة، وعلى مجموعةٍ من الأوامر العمليّة والأخلاقيّة والعقائد العاميّة في باب التوحيد والأسماء والصفات، إنَّما هو جهلٌ بحقّ القرآن وعدُّ

الشريعة الخاتمة ـ التي لا ينبغي لنا تصوُّرُ أكمل منها ـ ناقصةً، وإلا لكان اعتبارها الختمية أمراً محالاً في سُنَّةِ العدل.

فما دامت هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع، وما دام القرآن الكريم خاتم الكتب النازلة وآخر رابطٍ بين الخالق والمخلوق، فلا بُدَّ أن يكون على أعلى مرتبةٍ من المراتب وفي غاية الكمال من حيث تبيانه لحقائق التوحيد والتجريد والمعارف الإلهيّة التي تُعدُّ المقصد الأصلي والغاية الذاتيّة للأديان والشرائع والكتب الإلهيّة النازلة، وإلا للزم أن تكون الشريعةُ ناقصةً، وهذا خلاف العدل الإلهيّ واللطف الربوبي. الأمرُ المحالُ بذاته والعارُ الفظيع القبيح الذي لا يَطْهُرُ دَنَسُهُ عن الأديان الحقّة حتى لو غُسِلَت بالأبحُر السبعة ـ والعياذُ بالله ـ.

[لا يُمكنُ الغوص إلى باطن الشريعة إلا بارتداء لباس ظاهرها]

كما ليعلم أهلُ الباطن، أنَّ الوصول إلى المقصد الأصلي والغاية الحقيقيّة لا يكونُ إلا بتطهير الظاهر والباطن، وأنَّ الوصول إلى اللُبِّ لا يُمكنُ أن يتحقق إلا بالتمسك بالصورة والظاهر، كما لا يُمكنُ الغوص إلى باطن الشريعة إلا بارتداء لباس ظاهرها.

ففي ترك الظاهر إذن، إبطالٌ لظاهر الشريعة وباطنها، وهو من تلبيسات شيطان الجنّ والإنس، وقد تعرضنا لهذا الموضوع في كتابنا «شرح الأربعين حديثاً»[1].

---

(١) يقولُ الإمام الخميني قدس سره في كتابه «شرح الأربعين حديثاً»، ص٣٤: «واعلم... أنَّ طيّ أيّ طريقٍ في المعارف الإلهية، لا يمكن إلاّ بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدب الإنسانُ بآداب الشريعة=

المرتبة الثالثة: الهداية بنور الشريعة.

المرتبة الرابعة: الهداية بنور الإسلام.

المرتبة الخامسة: الهداية بنور الإيمان.

المرتبة السادسة: الهداية بنور اليقين.

المرتبة السابعة: الهداية بنور العرفان.

المرتبة الثامنة: الهداية بنور المحبّة.

المرتبة التاسعة: الهداية بنور الولاية.

المرتبة العاشرة: الهداية بنور التجريد والتوحيد.

ولكلٍّ واحدةٍ من هذه المراتب طرفان من الافراط والتفريط والغلوّ والتقصير، وتفصيلُ ذلك قد يطول، ويكفي القول إنَّ من الممكن أن تكون الإشارة إلى بعض تلك المراتب أو إليها جميعاً واردةً في الحديث الشريف المروي في الكافي، حيثُ يقولُ الإمام الرضا عليه السلام: «**نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي... الحديث**»[1].

=الحقة، لا يحصل له شيءٌ من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يُمكنُ أنْ يتجلى في قلبه نورُ المعرفة، وتتكشّف له العلوم الباطنيّة وأسرار الشريعة. وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف في قلبه لا بُدَّ من الاستمرار في التأدب بالآداب الشرعيّة الظاهريّة أيضاً. ومن هنا نعرف بطلان دعوى من يقول: «إنَّ الوصول إلى العلم الباطن يكون بترك العلم الظاهر»، أو «لا حاجة إلى الآداب الظاهريّة بعد الوصول إلى العلم الباطن». وأنَّ هذه الدعوى ترجع إلى جهل من يقول بها، وجهله بمقامات العبادة ودرجات الإنسانيّة».

(١) الأصول من الكافي، ج١، ص١٠٣، كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى، الحديث٣. كذلك: التوحيد للصدوق رحمه الله، ص١١٤، بيانُهُ في معنى الواحد والتوحيد والموحد.

وقال ﷺ: **«خيرُ هذه الأمة، النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي»**[١].

(١) الحديث مرويّ في بحار الأنوار، ج٢٣، ص٣٤٩، باب عرض الأعمال عليهم عليهم السلام وأنّهم الشهداء على الخلق، عن النهاية لابن الأثير، ج٥، ص١١٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام. وكذلك في أمالي الشيخ المفيد ص٥، عن أمير المؤمنين أنّهُ قال: «حسبك يا أخا همدان، ألا إنّ خير شيعتي النّمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي...». وفي نهج البلاغة، ص٦٥٠، الباب الثالث، في المختار من حِكَم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه، الحكمة (١١٠)، قال عليه السلام: «نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي». نعم، وجدنا في بعض الكتب نسبة الحديث إلى النبي الأعظم ﷺ دون ذكر المصدر كما هو الحال في حاشية رفيع الدين محمد بن حيدر النائيني على أصول الكافي، ص٣٤٣.
أقولُ: أراد عليه السلام أنّ أهل البيت عليهم السلام على الطريقة الوسطى من أمر الدين وعلى النوع الوسط منه وهم الجماعة الوسط فيه، والقائمون بالقسط والعدل دون افراطٍ أو تفريطٍ ودون مُغالاةٍ أو تقصيرٍ، وهم الذين يتبعون أوسط الأمور في أعمالهم فيقدر المُتأخر على اللحاق بهم ويكف المُغالي عن مغالاته بالعودة إلى سبيلهم. والمُغالي من قد جاوزهم بغياً وظلماً وعدواناً، ولا يُدركُهُم إلا بالرجوع والالتجاء إليهم، والتالي من لم يصل إليهم ولم يلتحق بهم، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

تنبيهٌ عرفانيٌّ:

[تجلّي الحق تعالى لموجودات عوالم الغيب والشهادة يكونُ بحسب الأسماء وفي حجابها]

إعلم أنَّ لكُلِّ موجودٍ من موجودات عوالم الغيب والشهادة والدنيا والاخرة مبدأً ومعاداً، وإنْ كان المبدأ الكل والمرجع لجميع الهويّة الإلهيّة، ولكن لمَّا كانت الذات المقدسة للحق جلَّ وعلا لا تتجلى ـ لأيٍ من الموجودات العالية أو السافلة ـ من حيث «هو» بلا حجاب الأسماء ـ وبحسب هذا المقام فلا مقام دون اسم ـ ولا رسم دون الاتصاف بالأسماء الذاتيّة والصفاتيّة والأفعاليّة.

ولما كان أيّ موجودٍ من الموجودات لا علاقة له به وليس له ارتباط أو اختلاط معه **«أين التراب وربُّ الأرباب»**[1] ـ لقد فَصَّلتُ الحديث عن هذه اللطيفة في كتاب «مصباح الهداية»[2] ـ فإنَّ مبدئيّة ومصدريّة ذاته المقدسة هي

---

(١) قال مُحققُ كتاب: «آداب الصلاة» للإمام الخميني قدس سره، طبعة مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره، ص٤١٨: «حديثٌ نبويّ، راجع كتاب «تمهيدات عين القضاة»، ص٢٧٦». وقال مُحقق كتاب الإمام الراحل قدس سره «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»، طبعة مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره، ص٩٧، في الحاشية رقم (٧٥): «ذكر عز الدين الكاشاني في كتاب مصباح الهداية، ص٢١٠، أنَّ موسى عليه السلام لما سأل ربّه أن ينظر إليه، نودي من الملأ الأعلى: «ما للتراب وربّ لأرباب!»، انتهى».

(٢) قال الإمام الخميني قدس سره في كتابه «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»، ص٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩،=

في الحُجُب الأسمائيّة، كما أنَّ الاسم وفي نفس الوقت الذي يُمثل به عين

=النور التاسع: «وأنت بما تلونا عليك من البيان ورفعنا الحجب عن بصيرتك بالعيان تقدر، بحمد الله القادر المنّان، على توفيق كلمات أصحاب الكشف والمعرفة الذوقي، وأرباب الحكمة والطريق البرهاني. ألا، وإنّها غير متخالف الحقيقة، وإن كان القائل بها متفاوت الطريقة. فإنّ السلوك إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وإن كان المقصد هو الله الخالق. حيث [قالت] الطائفة الأولى في ذلك المقام إنّه، تعالى قُدْسه، ظهر في مرائي التعيّنات وملابس المخلوقات، ومجلى الحقائق ومهبط الرقائق، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، وعن النبي ﷺ: «لو دُلِّيتُم بِحَبلٍ إلى الأرض السُّفلى، لَهَبَطتُم على الله». وورد إشارة إلى ذلك أنّ معراج يونس، على نبيّنا وآله وعليه السلام، كان في بطن حوت، كما أنّ معراج رسول الله ﷺ بعروجه إلى فوق الجبروت. و[قالت] الطائفة الأخرى إنّ سلسلة الموجودات من عالمي «الأمر» و«الخلق» مراتب فعله ومدارج خلقه وأمره؛ وأنّه، تعالى قدسه، مُنَزّهٌ عن العالمين ومُقَدَّسٌ عن النزول في محفل السافلين: «وأين التراب وربّ الأرباب!» وأنت قد عرفت، بتأييدٍ رحمانيٍّ من ناحية النفس الرحمة من جانب يَمن القدس، أنّ مقام المشيئة المطلقة والحضرة الألوهيّة لمكان استهلاكها في الذات الأحديّة واندكاكها في الإنّيّة الصرفة لا حكم لها؛ فهي معنىً حرفيّ مُعلّق بعزّ قدسه تعالى. والآن تعلم أنّ الوجودات الخاصّة في كلّ نشأة من النشآت ظهرت والأنوار المُتعيّنة في كلّ مرتبة من المراتب برزت مستهلكات في الحضرة الألوهيّة. فإنّ المُقيّد ظهور المطلق، بل عينه، والقيدُ أمرٌ اعتباريٌّ، كما قيل: «تعيُّنها أُمور اعتباريست»، والعالم هو التعيّن الكلّ، فهو اعتبارٌ في اعتبار وخيالٌ في خيال عند الأحرار.

والوجود من صقعه وحضرته لا حكم له بذاته؛ فلا بُدّ للحكيم المُتألّه أنْ يستهلك التعيّنات في الحضرة الأحديّة، ولا يغضّ عينه اليمنى وينظر باليسرى. كما أنّهُ لا بُدّ للعارف المُشَاهد أنْ يَتَوجّه إلى الكثرات وينظر باليسرى إلى التعيّنات. وبالجملة، أنَّ مغزى مرامهم وإنْ كان أمراً واحداً ومقصداً فارداً، إلا أنّ غلبة حكم الوحدة وسلطانها على قلب العارف تحجبه عن الكثرة، فاستغرق في التوحيد وغفل عن العالمين ومقامات التكثير، وحكم الكثرة على الحكيم يمنعه عن إظهار الحقيقة، ويحجبه عن الوصول إلى كمال التوحيد وحقيقة التجريد. وكلاهما خلاف العدل الذي به قامت سماوات لطائف السبع الإنسانيّة. فإنْ كنت ذا قلبٍ مُتَمكّنٍ في التوحيد وحصل لك الاستقامة الّتي قال النبي ﷺ فيها: «شيّبتني سُورةُ (هودٍ) لمكان هذه الكريمة» لنقصان أمّته وتكفّله لهم، [هنا حاشيةٌ من الإمام الراحل ﷺ يقولُ فيها: «كما أنّ قوله عليه السلام في دعاء=

المُسمّى ـ هو حجابُهُ أيضاً. فالتجلّي في عوالم الغيب والشهادة يكونُ بحسب الأسماء وفي حجابها.

[لكُلِّ موجودٍ سيرٌ وصراطٌ مخصوصٌ ومبدأٌ ومرجعٌ مُقَدَّرٌ]

على ذلك، فإنَّ للذات المقدسة وفي ظهورات الأسماء والصفات، تجلّيات في الحضرة العلميّة، يسمي أهل المعرفة تعيناتها «الأعيان الثابتة». وبذا يلزم أن يكون لكُلٍّ من التجلّيات الأسمائية عينٌ ثابتةٌ في الحضرة العلميّة، وأن يكون لكُلِّ اسمٍ ـ التعيُّن العلمي ـ مظهر في النشأة الخارجيّة، بحيث يكونُ مبدأ هذا المظهر ومرجعه هو الاسم الذي يُناسبه، ورجوع كُلِّ موجودٍ من الموجودات من عالم الكثرة إلى غيب الاسم الذي هو مصدره ومبدؤه، عبارة عن الصراط المستقيم.

وعليه يكونُ لكُلِّ موجودٍ سيرٌ وصراطٌ مخصوص، ومبدأٌ ومرجعٌ مُقَدَّرٌ في حضرة العلم ـ طوعاً أو كُرها ـ واختلاف المظاهر وأنواع الصراط بحسب اختلاف الظاهر وحضرات الأسماء.

=«الافتتاح» فيما [يُدعى] لمولانا القائم، روحي له الفداء، وهو: «مَكِّن له دِينَهُ الذي [ارتضيته] له، وأَبْدِله من بعد خَوفِهِ أمناً، يَعبُدُكَ لا يُشرِكُ بِكَ شيئاً» مَحمولٌ على ذلك، فإنَّ العباد أوراق شجرة الولاية، والأوراق زينةُ الشجرة، فالوليُ مُتكفِّلٌ لتربية العباد؛ فلهذا ينتسب تركهم إليه وعبادتهم إليه، صلواتُ الله عليه. تَلَطَّف تَجِد واضحاً».] فاتّبع الحقّ الحقيق والحقيقة الحريّ بالتصديق، وهو أنّ حضرة المشيئة المطلقة المستهلكة في الذات التي هي ظلّ «الله» الأعظم وحجابه الأقرب الأكرم وظهوره الأوّل ونوره الأتّم، بحقيقتها مستهلكة في الحضرة الأحديّة، نازلة إلى العوالم السافلات وبيداء الظلمات، وهي مقام ألوهيّة الحقّ الأوّل في السموات العلى والأرضين السفلى. ولا حكم لها بنفسها، بل لا نفسيّة لها، فإن قلت إنّ الله تعالى ظاهرٌ في الأكوان ومتلبّسٌ بلباس الأعيان، صَدَقْتَ. وإنْ قُلْتَ إنَّهُ تعالى مُقدّسٌ عن العالمين، صَدَقْتَ.

فعليك بتحكيم هذا الأساس والتحقّق بهذا المقام، فإنّهُ من العلم النافع في أُولاك وأُخراك.

[صِراطُ الإنسان يبدأ من «أسفل سافلين» وينتهي إلى «أعلى علّيّين»]

وتجدر الاشارة إلى أنَّ «تقويم» الإنسان في أعلى علّيّين هو «الجمع الأسمائي»، لذا رُدَّ إلى «أسفل سافلين». فَصِراطُهُ يبدأ من «أسفل سافلين» وينتهي إلى «أعلى علّيّين». وهذا صراط الذين أنعم الحقُّ تعالى عليهم بالنعمة المُطلقة وهي نعمة كمال الجمع الأسمائي التي هي أسمى النعم الإلهيّة.

وبذا تكونُ أنواع الصراط الأُخرى ـ سواءٌ صراط السعداء و«المنعم عليهم» أو صراط الأشقياء ـ داخلةٌ في أحد طرفي الإفراط والتفريط وبما يتناسب مع النقصان من فيض النعمة المُطلقة.

[صراطُ «الانسان الكامل» يختصُ بالذات المُقدّسة للنبي الخاتم ﷺ أصالةً ولسائر الأولياء والأنبياء ﷺ بالتبعيّة]

وعليه يكونُ «صراط الانسان الكامل» هو صراط المُنعم عليهم مطلقاً فقط، فهو يختص بالذات المُقدسة للنبي الخاتم أصالةً ولسائر الأولياء والأنبياء بالتبعيّة.

ولفهم الكلام المُتقدم وربطه مع حقيقة أنَّ النبيّ الأكرم ﷺ هو خاتم النبيين، يلزم فهم حضرات «الأسماء» و«الأعيان». وهذا ما يتوضح في رسالة «مصباح الهداية»[1].

والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

---

(١) قال الإمام الخميني ﷸ في كتابه «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»، ص٥٦، النور التاسع عشر: «اعلم، هداك الله طريق الصواب، أنّ هذا المقام، أي الظهور بمقام النبوّة في النشأة العينيّة وإظهار الحقائق الغيبيّة والأسماء الإلهيّة طبقاً لصور الأسماء في النشأة العلمية والأعيان الثابتة، =

. . . .

=هو النبوّة للإنسان الكامل؛ أي، الحقيقة المحمديّة ﷺ في النشأة الثانية، بل في الحضرة الثالثة، لمكان اتحاد الظاهر والمظهر؛ خصوصاً المظهر الأتمّ الإطلاقي الّذي لا تعيّن ولا نفسيّة له.

وقال ﷺ، ص٣٠، في المصباحين الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين: «إذا تمّ ظهور عالم الأسماء والصفات ووقعت الكثرة الأسمائيّة، كم شئت، بظهور الفيض الأقدس في كسوتها، فتحت أبواب صور الأسماء الإلهيّة، حضرة الأعيان الثابتة في النشأة العلميّة، واللوازم الأسمائيّة في الحضرة الواحديّة؛ فتعيّن كل صفة بصورة، واقتضى كُلُّ اسم لازماً، حسب مقام ذاته، من اللطف والقهر والجلال والجمال والبساطة والتركيب والأوّليّة والآخريّة والظاهريّة والباطنيّة.

أوّل اسم اقتضى ذلك، هو الاسم «الله» الأعظم، ربّ العين الثابتة المحمّديّة ﷺ، حضرة الجامعة لحقائق الأسمائيّة؛ فظهرت بصورة العين الثابتة المحمّديّة ﷺ في النشأة العلميّة؛ فحصل الارتباط؛ أي، ارتباط الظاهر والمظهر والروح والقالب والبطون والظهور. فالعين الثابت للإنسان الكامل أوّل ظهور في نشأة الأعيان الثابتة ومفتاح مفاتيح سائر الخزائن الإلهيّة والكنوز المختفيّة الربّانيّة بواسطة الحبّ الذاتي في الحضرة الألوهيّة».

وقال ﷺ، ص٨٢. ٨٣. ٨٤، في الوميض الثاني والثالث والرابع والخامس: «وبالجملة، لمّا كان كلّ ما في الكون آيةً لما في الغيب، لا بُدَّ وأن يكون لحقيقة العين الثابتة الإنسانيّة، أي العين الثابتة المحمّديّة ﷺ ولحضرة الاسم الأعظم مظهر في العين، ليظهر الأحكام الربوبيّة ويحكم على الأعيان الخارجيّة، حكومة الاسم الأعظم على سائر الأسماء والعين الثابت للإنسان الكامل على بقيّة الأعيان. فمن كان بهذه الصفة، أي الصفة الإلهيّة الذاتيّة، يكون خليفةً في هذا العالم؛ كما أنَّ الأصل كان كذلك.

وكما أنَّ اسم «الله» الأعظم بمقامه الجمعي كان جامعاً لجميع مراتب الأسماء الإلهيّة، بنحو أحديّة الجمع وبساطة الحقيقة، وكان عالماً بحقائقها بعلمه بذاته وعالماً بكيفيّة ظهور صورها في الحضرة العلميّة والكون العيني وكيفيّة استهلاكها واضمحلالها في مقام الغيب الأحدي الذي هو حقيقة القيامة الكبرى للأسماء الإلهيّة، إذ كما أنَّ القيامة الكبرى للأكوان الخارجيّة بانطماس نورها وهويّتها تحت سطوع النور الربوبي وبرجوع كُلِّ مظهر إلى ظاهره وفنائه فيه، يكون الأعيان الثابتة والأسماء الإلهيّة بانقهارها تحت شمس الأحديّة الذاتيّة وانمحاق أنوارها لدى نورها بتوسّط الإنسان الكامل في الأعيان الخارجيّة والعين الثابتة المحمّديّة ﷺ في الأعيان الثابتة والاسم الأعظم الإلهي في الأسماء الإلهيّة ـ كما ستسمع إن شاء الله فيما سيأتي تحقيقه من بيان قوسي=

. . . .

=النزول والصعود بشرط مساعدة التوفيق ـ كذلك الاسم الأعظم الإلهي الموجود في النشأة الظاهرة جامع لجميع مراتب الأسماء وحقائق الأعيان. ويرى الأشياء على ما هي عليها برؤية ذاته. ويرى كيفيّة ارتباطها بالأسماء الإلهيّة ووصولها إلى باب أربابها الذي هو حقيقة القيامة الكبرى للأشياء الكونيّة الخارجيّة. وهو في الحقيقة يوم «ليلة القدر» المحمّديّة ﷺ كما سيأتي تحقيقها، إن شاء الله.

وكما أنّ الأسماء المحيطة حاكمةٌ على الأسماء التي تحت حيطتها وقاهرة عليها، وكلّ اسم كانت جامعيّته وحيطته أكثر، كان حكمه أشمل ومحكومه أكثر، إلى أن ينتهي الأمر إلى الاسم «الله» الأعظم الذي يكون محيطاً على الأسماء كلّها، أزلاً وأبداً، ولم يكن حكمه مخصوصاً باسم أو أسماء، كذلك الأمر في المظاهر، طابق النعلُ بالنعل. فإنّ العالم نقشة ما في الأسماء الإلٰهيّة والعلم الربوبي.

فسعةُ دائرة الخلافة والنبوّة وضيقها في عالم الملك حسب إحاطة الأسماء الحاكمة على صاحبها وشارعها ـ وهذا سرّ اختلاف الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، في الخلافة والنبوّة ـ إلى أن ينتهي الأمر إلى مظهر الاسم الجامع الأعظم الإلهي. فيكون خلافته باقيةً دائمةً محيطةً أزليّةً أبديّةً حاكمةً على سائر النبوّات والخلافات. كما أنّ الأمر في المظاهر كذلك. فدورةُ نُبوّات الأنبياء عليهم السلام، دورةُ نبوّته وخلافته؛ وهم مظاهر ذاته الشريفة، وخلافاتهم مظاهرُ خلافته المحيطة. وهو ﷺ، خليفة الله الأعظم؛ وسائر الأنبياء خليفة غيره من الأسماء المحاطة. بل الأنبياء عليهم السلام كلّهم خليفته، ودعوتهم في الحقيقة دعوة إليه وإلى نبوّته ﷺ، وآدم ومن دونه تحت لوائه. فمن أوّل ظهور الملك إلى انقضائه وانقهاره تحت سطوع نور الواحد القهّار، دورة خلافته الظاهرة في الملك.

وبما علّمناك من البيان وآتيناك من التبيان يمكن لك فهم قول مولى الموحّدين وقدوة العارفين، أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين: «كنت مع الأنبياء باطناً، ومع رسول الله ظاهراً». فإنّه، صلواتُ الله عليه، صاحبُ الولاية المطلقة الكلّيّة. والولايةُ باطن الخلافة؛ والولايةُ المطلقة الكلّيّة باطن الخلافة الكذائيّة؛ فهو عليه السلام بمقام ولايته الكُلّيّة قائمٌ على كلّ نفس بما كسبت، ومع كلّ الأشياء، معيّة قيّوميّة ظلّيّة إلهيّة، ظلّ المعيّة القيّوميّة الحقّة الإلهيّة؛ إلا أنّ الولاية لمّا كانت في الأنبياء عليهم السلام أكثر، خصّهم بالذكر».

نقلُ كلامٍ لزيادة إفهامٍ

[أقسامُ النِعَم الإلهيّة عند الشيخ البهائي ﷺ]

يقولُ الشيخ الجليل البهائي ﷺ[1] في رسالة العروة الوثقى: «... وَنِعَمُ

---

(١) هو شيخ الاسلام والمسلمين بهاء الملة والدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي الحارثي ﷺ، المعروف بـ: «بهاء الدين العاملي، والمشهور بـ: «الشيخ البهائي». علامةُ البشر ومجدّد دين الائمة ﷺ على رأس القرن الحادي عشر، ينتهي نسبُهُ إلى الحارث الهمداني وكان من خواص أصحاب أمير المؤمنين ﷺ. كان جليل القدر كثير الحفظ، قال الشيخُ الحر العاملي في ترجمته في أمل الآمل، ج١، ص١٥٥: «حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجلالة القدر وعظمة الشأن وحسن التصنيف ورشاقة العبارة وجمع المحاسن أظهر من أن يُذكر، وفضائلُهُ أكثر من أن تُحصر، وكان ماهراً مُتبحّراً جامعاً كاملاً شاعراً أديباً منشئاً ثقةً، عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي».
وُلد في مدينة بعلبك عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث عشر بقين من ذي الحجة سنة ٩٥٣، وانتقل به والده وهو صغيرٌ إلى بلاد إيران. وقد أخذ عن والده وغيره من الجهابذة الكثير من العلوم، وإليه انتهت رئاسةُ المذهب والملّة. توفي ﷺ في أصفهان سنة ١٠٣٠ كما في الرياض. ونقل جثمانُهُ الشريف إلى طوس خراسان، ودفن في المشهد الرضوي المُقدّس، في داره التي كانت في طرف رجلي الضريح المُبارك، على صاحبه أفضل الصلاة والتحية والسلام، وقبرُهُ مزارٌ يُتبركُ به إلى يومنا هذا.
له مصنفات فائقة مشهورة أكثرها مطبوعٌ في إيران، منها: «الحبل المتين في إحكام أحكام الدين»، و«مشرق الشمسين وإكسير السعادتين»، و«الأربعون حديثاً»، و«الكشكول»، و«العروة الوثقى» في تفسير القرآن، و«نان وحلوا»، و«الزبدة» في الأُصول، و«الصمديّة» في النحو، و«خلاصة الحساب»، و«تشريح الافلاك»، و«الرسالة الهلاليّة»، و«مفتاح الفلاح»، وغيرها الكثير الكثير من الحواشي والرسائل الفريدة في مجالها.

الله (سبحانه) وإنْ جَلَّت عن أن يُحيط بها نطاقُ الإحصاء، كما قال جَلَّ شأنُهُ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[(١)]. إلا أنَّها جنسان دُنيويٌّ وأُخرويٌّ، وكُلٌّ منهما إمّا موهبيّ أو كَسْبيّ، وكُلٌّ منهما إمّا روحانيّ أو جسماني؛ فهذه ثمانية أقسام:

الأوّل: دُنيويٌّ موهبيٌّ روحانيٌّ، كنفخ الروح وإفاضة العقل والفهم.

الثاني: دُنيويٌّ موهبيٌّ جسمانيٌّ، كخلق الأعضاء وقواها.

الثالث: دُنيويٌّ كَسْبيٌّ روحانيٌّ، كتخلية النفس من الأمور الدنيّة وتحليتها بالأخلاق الذكيّة والملكات السَنِيّة.

الرابع: دُنيويٌّ كَسْبيٌّ جِسمانيٌّ، كتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة.

الخامس: أُخرَويٌّ مَوهبيٌّ رُوحانيّ، كأنْ يغفر ذنوبنا ويرضى عنّا من غير سبق توبة.

السادس: أُخرَويٌّ مَوهبيٌّ جِسمانيٌّ، كالأنهار من اللبن والأنهار من العسل.

السابع: أُخرَويٌّ كَسْبيٌّ رُوحانيٌّ، كالغفران والرضا مع سبق التوبة، وكالملذات الروحانيّة المُستَجْلَبَةِ بعمل الطاعات.

الثامن: أُخرَويٌّ كَسْبيٌّ جِسْمَانيٌّ، كالملذات الجسمانيّة المُستَجْلَبَةِ بالفعل المذكور.

والمراد ـ هنا ـ الأربعة الأخيرة، وما يكُونُ إلى نَيْلِها من الأربعة الأُوَل»[(٢)]، إنتهى كلامُ الشيخ قُدّس سرّه.

---

(١) إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨.

(٢) راجع: رسالة العروة الوثقى للشيخ البهائي رحمه الله، في تفسير سورة الحمد، ص١٢٨ ـ ١٢٩.

[تقسيماتُ الشيخ البهائي ﵀ اكتفت بِنِعَم الناقصين أو المتوسطين]

وتقسيماتُ الشيخ هذه وإنْ كانت لطيفةً، إلا أنَّها لا تُعَدُّ كاملةً، فأهمُّ النعم الإلهيّة وأعظم مقاصد الكتاب الإلهي الشريف، سقطت من قلم الشيخ الجليل، وقد اكتفى بذكر نِعَمَ الناقصين أو المتوسطين، وإنْ كانُ ذَكَرَ اللذة الروحانيّة المعنويّة، ولكن اللذة الروحانيّة الأُخرويّة التي تُنالُ بفعل الطاعات هي حظُّ المتوسطين إنْ لم نقل أنَّها حظُّ الناقصين.

[ثلاثُ نِعَمٍ أُخرى]

على أيّة حال، هناك غير النعم المُتعلقة باللذات الحيوانيّة والحظوظ النفسانيّة، مما ذكره الشيخ الجليل، نِعَمٌ أُخرى أهمها ثلاث:

الأولى: نعمةُ معرفة الذات والتوحيد الذاتي:

وأصلها السلوك إلى الله ونتيجتها «جنة اللقاء»، والسالك لو كان هادفاً إلى تحقيق هذه النتيجة فسلوكُهُ ناقصٌ؛ لأنَّ هذا المقام هو مقام ترك الذات ولذاتها، في حين إنَّ التوجه نحو الحصول على النتيجة هو توجهٌ نحو الذات، وهذا عبادةٌ للنفس، لا عبادة لله، وتكثيرٌ لا توحيد، وتلبيسٌ لا تجريد.

الثانية: نعمةُ معرفة الأسماء:

وهي نعمةٌ تتشعب بحسب الكثرة الأسمائيّة، تبلغ ـ إذا أحصيت مفرداتها ـ الألف، ويخرج الأمر عن حدِّ الإحصاء إذا أحصيت مع عدِّ تركيباتها: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1].

(١) إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨.

والتوحيدُ الأسمائيُّ في هذا المقام، هو نعمةُ معرفةِ الاسم الأعظم وهو مقام أحديّة جمع الأسماء، ونتيجتُهُ «جنة الأسماء» ولكُلٍّ بما يتناسب مع معرفته لاسمٍ أو عدة أسماءٍ مفردةٍ أو مجتمعةٍ.

الثالثة: نعمةُ المعرفة الأفعاليّة:

والتي تتفرع هي الأُخرى إلى شُعَبٍ كثيرة لا متناهية. ومقامُ التوحيد في هذه المرتبة هو أحديّة جمع التجلّيات الأفعاليّة، وهو مقام «الفيض المُقدس» ومقام «الولاية المطلقة»، ونتيجته «الجنة الأفعاليّة» حيثُ حصول التجلّيات الأفعاليّة للحق في قلب السالك. ولعلَّ التجلّي لموسى بن عمران في بداية الأمر وحيثُ قال: ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾(١)، كان بالتجلّي الأفعالي، أما التجلّي المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(٢) فقد كان من التجلّيات الأسمائيّة أو الذاتيّة.

[بيانُ صراط «المُنعم عليهم» بحسب المقامات الثلاثة المُتقدمة]

فصراطُ «المنعم عليهم» هو ـ المقام الأول ـ صراطُ السلوك إلى ذات الله. والنعمةُ في هذا المقام هي التجلّي الذاتي.

وهو ـ في المقام الثاني ـ صراطُ السلوك إلى أسماء الله، والنعمةُ في هذا المقام هي التجلّيات الأسمائيّة.

وهو ـ في المقام الثالث ـ السلوكُ إلى فعل الله، والنعمةُ في هذا المقام هي التجلّيات الأفعاليّة.

وأصحابُ هذه المقامات لا ينظرون إلى الجنان واللذائذ المُتعارفَةِ ـ سواءً

---

(١) طه: ١٠، النمل: ٧، القصص: ٢٩.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

المعنويّة منها أو الجسمانيّة ـ وفي الأحاديث الشريفة كثيرٌ مما يُشير إلى القول بهذا المقام لبعض المؤمنين[١].

(١) راجع بحار الأنوار، ج٧٤، ص٢٥، كتاب الروضة، باب: «مواعظ الله ﷻ في سائر الكتب السماوية وفي الحديث القُدسي، الحديث:٦.

خاتمةٌ

[إشاراتٌ إجمالية حول اشتمال سورة «الحمد» على جميع مراتب الوجود والسلوك]

إعلم أنَّ «الحمد» المباركة وفضلاً عن اشتمالها على جميع مراتب الوجود، فإنَّها تشتملُ على جميع مراتب السلوك، وعلى كافة مقاصد القرآن على نحو الإشارة أيضاً.

والغور في هذه المطالب وإنْ كان يستلزمُ تفصيلاً كاملاً ومنطقاً غير هذا المنطق، إلا أنَّ الإشارة الإجماليّة إلى كُلِّ ذلك لا تخلو من فائدةٍ بل فوائد لأصحاب المعرفة واليقين.

أولاً، نقول: يُحتملُ أنْ تكون «بسم الله الرحمن الرحيم» إشارةً إلى تمام دائرة الوجود وقوسي النزول والصعود(١)، فـ«اسم الله» مقام أحديّة القبض والبسط.

---

(١) إعلم أنَّ مقولة «قوس الصعود وقوس النزول» قد وقعت في علومٍ كثيرة لاصطلاحاتٍ عديدة تختلفُ فيما بينها اختلافاً كبيراً بحسب تلك العلوم والمباني والتي يتميّز بها كُلُّ علمٍ عن العلوم الأخرى. فعند علماء الأخلاق والعرفان يبتني اصطلاحهم على القول بِرُقي نفس الإنسان بالطاعة، ونزولها بالمعصية، بمعنى أنها بالطاعة ترقى بقوس الصعود إلى درجة ما من الكمال، ثم إذا ارتكبت شيئاً من العصيان نزلت عنها، وإذا عادت إلى الطاعة تبدل قوس نزولها ثانياً إلى قوس الصعود، وإذا ارتكبت المعصية أيضاً بعد الطاعة نزلت ثانياً إلى قوس النزول، وأُهبط رُقيها،=

و«الرحمن» مقام البسط والظهور، وهو قوس النزول.

و«الرحيم» مقام القبض والبطون، وهو قوس الصعود.

ويُمكنُ أنْ تكون «الحمد لله» إشارةً إلى عالم الجبروت والملكوت الأعلى التي تكونُ حقائقها المحامد المطلقة.

و«رب العالمين» وهي مقام السوائيّة، إشارةً إلى عوالم الطبيعة المُتحركة والمُتصرمة بجوهر الذات في ظلّ التربية.

و«مالك يوم الدين» إشارة إلى مقام الوحدة والقهاريّة، ورجوع دائرة الوجود، وبذا تُختمُ إلى هنا نزولاً وصعوداً.

[الاستعاذةُ تَخَلٍّ قبل التحلّي]

وثانياً نقول: قد تكونُ «الاستعاذة» المُستحبة، إشارةً إلى ترك غير الحق والفرار من السلطنة الشيطانيّة، لذا فهي ليست جزءاً من المقامات وإنّما مقدمة

=وبَطُل قوسُ صعودها. وهكذا إلى نهاية أيام حياته، فيُختم له إما نازلاً إلى مراتب النقصان وأسفل سافلين، وإما صاعداً إلى درجات الكمال وأعلى عليين. وعند الحكماء وأهل الفلسفة الإلهية العليا يبدأ قوسُ النزول من عالم العقل، أي المجردات التامة والملائكة المقربين، وينتهي إلى أدنى موجودٍ وهو الهيولى والمادة الأولى لعالم الطبيعة. في حين يبدأ قوسُ الصعود من الهيولى الأولى، أي أدنى موجودٍ ـ مادة المواد ـ وينتهي إلى عالم العقل والمجردات التامة، وبلطف الله تعالى تتحرك نحو المقصد الأصلي وهو الوصول إلى الله ﷻ، وهذه هي الغاية من خلق الإنسان. كذلك قيل: إنّ قوسي النزول والصعود هما عبارة عن نصفي دائرة الوجود، بحيث يتصل أولُها بآخرها وآخرُها بأولها، فالنصفُ الأول هو قوس النزول، والنصفُ الثاني هو قوس الصعود، والدائرةُ هي التي قيل في حدّها وتعريفها إنّها خطٌ واحدٌ يبتدئ بالحركة من نقطةٍ وينتهي إلى تلك النقطة التي ابتدأ منها بعينها. وهذا ما طَبَقه البعضُ على قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، فالمبدأ بقوس النزول من الله ﷻ الذي أفاض بالوجود، والذي كان ولم يكن معه شيءٌ، والمُنتهى والرجوع والعروج في قوس الصعود إلى الله ﷻ بعد هلاك كل شيء ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

للدخول فيها، فالتخليةُ مقدّمةُ التحلية(١)، وهي بذاتها ليست من المقامات الكماليّة، وعليه لم تكن الاستعاذة جزءاً من السورة بل مقدمةً للدخول فيها. ولعلَّ في «التسمية» إشارةً إلى مقام التوحيد الأفعالي والذاتي والجمع بينهما.

و«الحمد لله» إلى آخر «ربّ العالمين» إشارةً إلى «التوحيد الأفعالي»، فيما أنَّ «مالك يوم الدين» إشارة إلى «الفناء التامّ» و«التوحيد الذاتي»، ثُم تكونُ حالةُ الصحو والرجوع بدءاً من «إيّاك نعبُدُ».

[سورةُ «الحمد» والأسفار العقليّة الأربعة]

وبعبارةٍ أُخرى، فإنَّ الاستعاذة هي سفرٌ من الخلق إلى الحق وخروجٌ من بيت النفس، والتسمية إشارة إلى التحقق بالحقانيّة بعد خلق الخلقيّة وعالم الكثرة.

«الحمدُ لله» إلى «ربّ العالمين» إشارة إلى السفر من الحق إلى «بالحق في الحق»، حتى ينتهي «هذا السفر» في «مالك يوم الدين»، ثُم يبدأ السفر من الحق إلى الخلق في «إيّاك نعبُدُ» بحصول الصحو والرجوع، حتى ينتهي هذا السفر في ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾(٢).

---

(١) التخلّي في مصطلح العُرفاء هو إعراضُ العبد عن كُلّ ما يُبعدُهُ عن الحق تعالى، ويُسمى هذا المقام بـ (مقام التخلية)، والتحلّي يُستعملُ فيما إذا تحلّى العبدُ بصفات الصديقين في أقواله وأعماله، وهذا ما يُسمى بـ (مقام التحلية). علماً بأنَّ علماء الأخلاق قد استعملوا هذين المصطلحين في كلماتهم أيضاً بمعانٍ قريبة من المعاني التي استعملهما فيها العُرفاء، فالتخلية عندهم عبارة عن تطهير وتخلية النفس من الرذائل والصفات القبيحة والخبيثة والخُلق السيء، والتحليةُ عبارةٌ عن تزيين النفس بالفضائل والصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة. وأما كون التخلية مقدّمةً للتحلّية فواضحٌ، إذ إنَّ اتصاف النفس بصفات الكمال لا يتُمّ إلا بعد تخليتها وإزالة النقائص والرذائل منها.

(٢) يُبينُ الإمام الراحل ﷺ حقيقةَ الأسفار الأربعة في كتابه «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»=

. . . .

=ص٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠، الوميض ١٠ ـ ١١ ـ ١٢، فيقول: «وعندي أنّ السفر الأوّل، من الخلق إلى الحقّ، المُقيّد برفع الحجب الّتي هي جنبة [تلي] الخلقي، ورؤية جمال الحقّ بظهوره الفعلي الذي هو في الحقيقة ظهور الذات في مراتب الأكوان. وهو جنبة [تلي] الحقّي. وبعبارةٍ أُخرى، بانكشاف وجه الحقّ لديه. وأخيرة هذا السفر رؤية جميع الخلق ظهور الحقّ وآياته. فينتهي السفرُ الأوّل، ويأخذ في السفر الثاني، وهو من الحقّ المقيّد إلى الحقّ المطلق. [فتضمحلّ] الهويّات الوجوديّة عنده، ويستهلك التعيّنات الخلقيّة بالكلّيّة لديه، [وتقوم] قيامتُهُ الكبرى بظهور الوحدة التامّة، ويتجلّى الحقُّ له بمقام وحدانيّته. وعند ذلك لا يرى الأشياء أصلاً، ويفنى عن ذاته وصفاته وأفعاله. وفي هذين السفرين لو بقي من الأنانيّة شيءٌ، يظهر له شيطانُهُ الذي بين جنبيه بالربوبيّة، ويصدر منه «الشطح». والشطحيّات كُلُّها من نقصان السالك والسلوك وبقاء الإنّيّة والأنانيّة؛ ولذلك بعقيدة أهل السلوك لا بُدَّ للسالك من مُعَلِّم، يُرشدُهُ إلى طريق السلوك، عارفاً كيفيّاته، غير معوّج عن طريق الرياضات الشرعيّة، فإنَّ طرقَ السلوك الباطني غير [محصورة] بعدد أنفاس الخلائق.

ثمّ إن شملتهُ العنايةُ الإلهيّة ـ وهي أي العناية الإلهيّة ـ مقام تقدير الاستعدادات، كما قال الشيخ العربي: «والقابلُ لا يكون إلا من فيضه الأقدس» أرجعته إلى نفسه، فيأخذ في السفر الثالث، وهو من الحقّ إلى الخلق الحقّي بالحقّ، أي من حضرة الأحديّة الجمعيّة إلى حضرة الأعيان الثابتة، وعند ذلك [تنكشف] له حقائق الأشياء وكمالاتها، وكيفيّة تدرّجها إلى المقام الأوّل ووصولها إلى وطنها الأصلي. ولم يكن في هذا السفر نبيّاً مُشَرِّعاً؛ فإنَّهُ لم يرجع إلى الخلق في النشأة العينيّة. ثُمَّ، يأخذ في السلوك في السفر الرابع. وهو من الخلق الّذي هو الحقّ، أي من حضرة الأعيان الثابتة إلى الخلق، أي الأعيان الخارجيّة، بالحقّ، أي، بوجوده الحقّاني، مُشاهداً جمال الحقّ في الكُلّ، عارفاً بمقاماتها الّتي لها في النشأة العلميّة؛ عالماً طريقة سلوكها إلى [حضرة] الأعيان فما فوقها، وكيفيّة وصولها إلى موطنها الأصلي. وفي هذا السفر يُشَرِّعُ ويجعل الأحكام الظاهرة القالبيّة والباطنيّة القلبيّة، ويُخبرُ ويُنبئُ عن الله وصفاته وأسمائه والمعارف الحقّة، على قدر استعداد المُستعدّين.

وليُعلَم أنَّ هذه «الأسفار الأربعة» لا بُدَّ وأن تكون لكُلِّ مُشَرِّعٍ مُرسَلٍ، ولكنَّ المراتب مع ذلك متفاوتة والمقامات مُتخالفة، فإنَّ بعض الأنبياء والمرسلين من مظاهر اسم «الرحمن» مثلاً. ففي السفر الأوّل يُشاهدُ اسمَ «الرحمن» ظاهراً في العالم، وينتهي سفرُهُ الثاني باستهلاك الأشياء في الاسم «الرحمن» ويرجع بالرحمة والوجود الرحماني إلى العالم، فتكون دورةُ نُبوّتِهِ محدودةً. =

[إنطواءُ سورة «الحمد» على أساسيات المقاصد الإلهيّة للقرآن الكريم]

وثالثاً نقول: إنَّ هذه السورة الشريفة تنطوي على أساسيات المقاصد الإلهيّة للقرآن الكريم؛ لأنَّ أصل مقاصد القرآن هو تحقيق التكامل في معرفة الله وتحصيل التوحيدات الثلاثة، وتحقيق الارتباط بين الحق والخلق، وتعليم كيفيّة السلوك إلى الله وكيفيّة رجوع الرقائق إلى حقيقيّة الحقائق، وتبيان التجلّيات الإلهيّة جمعاً وتفصيلاً وإفراداً وتركيباً، وإرشاد الخلق سلوكاً وتحقيقاً، وتعليم العباد علماً وعملاً وعرفاناً وشهوداً.

=وكذلك مظاهر سائر الأسماء، حسب [الاختلافات] التي هي من حضرة العلم، حتّى ينتهي الأمرُ إلى مظهر اسم «الله»، فيشاهد في أخيرة سفره الأوّل الحقَّ بجميع شؤونه ظاهراً، ولا يشغله شأنٌ عن شأنٍ. وأخيرة سفره الثاني باستهلاك كُلِّ الحقائق في الاسم الجامع الإلهي. بل استهلاكه أيضاً في الأحديّة المحضة، فهو يرجع إلى الخلق بوجود جامع إلهي، وله النبوّة الأزليّة الأبديّة والخلافة الظاهريّة والباطنيّة.

اعلم، أنّ هذه «الأسفار» قد تحصل للأولياء الكُمَّل أيضاً، حتّى السفر الرابع. فإنَّهُ حصل لمولانا أمير المؤمنين، وأولاده المعصومين، صلوات الله عليهم أجمعين، إلا أنّ النبي ﷺ لمّا كان صاحب المقام الجمعي، لم يبق مجالٌ للتشريع لأحدٍ من المخلوقين بعده. فلرسول الله ﷺ هذا المقام بالأصالة، ولخلفائه المعصومين عليهم السلام بالمتابعة والتبعيّة، بل روحانيّة الكُلِّ واحدة.

ويقول الشيخ الشهيد الأُستاذ مرتضى مطهري قدس سره في كتاب: «مدخل إلى العلوم الإسلامية»، قسم العرفان، ص١٠٧: «مما يجدر ذكره أنّ العرفاء يذهبون إلى أربعة أسفار هي: السير من الخلق إلى الحق، والسير بالحق في الحق، والسير من الحق إلى الخلق بالحق، والسير في الخلق بالحق. فالسيرُ الأول من المخلوق إلى الخالق، والسير الثاني في الخالق نفسه، وعندها يتعرف الإنسان على أسماء الخالق وصفاته ويتحلى بها، وفي السفر الثالث يعود إلى الخلق ثانيةً دون أن ينفصل عن الحق، فيعود إلى إرشاد الناس وهدايتهم في عين اتصاله بالحق، والسفر الرابع يكونُ بين الخلق بالحق، وفي هذا السفر يعيشُ العارفُ بين الناس ويقضي أُمورهم وحوائجهم ليهديهم إلى الحق».

هذه الحقائق جميعاً موجودة في هذه السورة الشريفة وبمنتهى الإيجاز والاختصار.

فهذه السورة الشريفة إذن «فاتحةُ الكتاب» و«أُمُّ الكتاب» وهي صورةٌ إجماليّة عن مقاصد القرآن.

[آيةُ «البسملة» المُباركة أعظم الآيات الإلهيّة]

ولما كانت جميعُ مقاصد الكتاب الإلهي ترجع إلى مَقصَدٍ واحدٍ وهو «حقيقة التوحيد» الذي يُمثلُ الغاية لكافة النبوات ومُنتهى مقاصد جميع الأنبياء العظام عليهم السلام، فإنَّ حقائق التوحيد وأسراره كامنةٌ في الآية المباركة «بسم الله الرحمن الرحيم» فهي أعظم الآيات الإلهيّة، وهي الشاملة لجميع مقاصد الكتاب الإلهي كما أشارت إلى ذلك الروايات الشريفة[١].

[الإنسانُ الكامل و«نقطةُ سرِّ التوحيد» التي تحت الباء]

ولما كانت «الباء» هي ظهور التوحيد، ولما كانت «النقطة التي تحتها»[٢] هي سرّ التوحيد، فإنَّ الكتاب بأسره ـ ظُهوراً وسراً ـ موجودٌ في تلك «الباء».

---

(١) نقل الشيخ المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ج٨٩، ص٢٣٨، كتاب القرآن، أبواب فضائل سور القرآن، الباب (٢٩) فضل سورة الفاتحة وتفسيرها، وفضل البسملة وتفسيرها، الحديث٣٩، عن تفسير العياشي ج١، ص٢١: عن خالد بن المختار قال: «سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: «ما لهم قاتلهم الله، وعمدوا إلى أعظمِ آيةٍ في كتاب الله فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها، وهي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾».

(٢) إذا أُشكل على قولنا «النقطة التي تحت الباء» واستُدل على ذلك بأنَّ رسم الخط الكوفي الذي كان سائداً وقت نزول القرآن لم يكن فيه نقاطٌ، قُلنا إنَّ ذلك لا يضر بالحقيقة والواقع وإن كان رسمُ النقطة مُتأخراً في الظهور. ولا يوجدُ دليلٌ مُقنعٌ على الإدعاء المذكور بصورةٍ مُطلقةٍ، فمُجردُ كون ذلك كان سائداً لا يُشكلُ دليلاً مُطلقاً على العدم. فتأمل. ـ من المؤلف دام ظله.

والإنسانُ الكاملُ يعني الوجود العلوي المبارك (عليه الصلاة والسلام) هو نقطة سرِّ التوحيد تلك[١]، وليس في العالم آية أعظم من ذلك الوجود المبارك بعد الرسول الخاتم ﷺ كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف[٢].

(١) قال القندوزي في ينابيع المودة لذوي القُربى، ج١، ص٢١٣: «وفي الدر المنظم: إعلم أنَّ جميع أسرار الكتب السماويّة في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء. قال الإمام علي (كرم الله وجهه): أنا النقطة التي تحت الباء».

(٢) قال المولى الفيض الكاشاني ﵀ في تفسيره الصافي، ج٥، ص٢٧٣، في ذيل الآية الكريمة: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾: «في الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: «النبأ العظيم الولاية»، وعن الباقر عليه السلام سئل عن تفسير ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ فقال: «هي في أمير المؤمنين عليه السلام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ما لله ﷻ آية هي أكبر مني، ولا لله نبأ أعظم مني». والقُمي عن الرضا عليه السلام إنّه سُئل عنه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما لله نبأ أعظم مني وما لله آية أكبر مني ولقد عرض فضلي على الأمم الماضية على اختلاف ألسنتها فلم تقر لفضلي». وفي العيون عنه عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى». الحديث. وفي الكافي في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام: «إني النبأ العظيم وعن قليل ستعلمون ما توعدون».

تتمةٌ

[في ذكر بعض الروايات الشريفة الواردة في فضل سورة «الحمد»]

روي عن النبي الأكرم ﷺ أنَّهُ قال لجابر بن عبد الله الانصاري رَحِمَهُ اللهُ[1]: **«يا جابر، ألا أُعَلِّمكَ أفضلَ سورة أنزلها الله في كتابه؟ فقال له جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علّمنيها.** قال: فعلَّمَه «الحمد» أمّ الكتاب.

ثم قال: **«يا جابر، ألا أُخبِرُكَ عنها؟»**.

قال: **«بلى بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أخبرني»**.

قال: **«هي شفاءٌ من كُلِّ داءٍ الا السام[2]»**[3].

---

(١) جابر بن عبدالله بن عمرو بن خزام الانصاري، صحابي جليل القدر، من خيرة موالي أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، كان رحمه الله من المُكثرين للحديث الحافظين للسنن وشهد مع النبي الأعظم ﷺ ثمان عشرة غزوة، وكذلك شهد صفين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. حمل سلام رسول الله ﷺ إلى باقر علوم الأولين والأخرين عليه السلام، وكان أول من زار أبا عبد الله الحسين عليه السلام في يوم الأربعين. ينتهي إليه سندُ أخبار اللوح السّمائي الذي فيه نصوصٌ من الله رب العالمين على خلافة الأئمة الراشدين عليهم السلام. أصابه العمى في آخر عمره الشريف وتوفي رحمه الله سنة ٧٨ للهجرة، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

(٢) في الرواية: «هي شفاءٌ من كُلِّ داءٍ الا السام، يعني الموت».

(٣) راجع: تفسير العياشي، ج١، ص٣٤، الحديث التاسع. بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٣٧، الحديث (٣٣) في معنى «بسم الله الرحمن الرحيم». وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٣٢، باب=

وروى إبنُ عبّاس عن الرسول الأكرم ﷺ أنَّهُ قال: **«لكُلِّ شيءٍ أساسٌ وأساسُ القرآن الفاتحة وأساسُ الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم»**[(١)].

ورُوِيَ عنه ﷺ: **«فاتحةُ الكتاب شفاءٌ من كُلِّ داءٍ»**[(٢)].

ورُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من لم تُبرِئْهُ الحمدُ لم يُبرئهُ شيءٌ»**[(٣)].

ورُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ الله تعالى قال لي: يا محمد ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[(٤)]، فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن. وأنَّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنَّ الله خصَّ محمداً وشرّفَهُ بها. ولم يُشرك فيها أحداً ما خلا سليمان، فإنَّهُ اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[(٥)]. ألا فمن قرأها مُعتقداً لموالاة محمد وآله مُنقاداً لأمرها مؤمناً بظاهرها وباطنها أعطاهُ اللهُ بكل حرفٍ منها حسنةً كُلُّ واحدةٍ منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها. ومن استمع إلى قارىءٍ**

=استحباب تكرار الحمد وقراءتها سبعين مرة على الوجع، الحديث الثامن. تفسير مجمع البيان للطبرسي، ج١، ص٤٨، تفسيرُ فاتحة الكتاب.

(١) تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٨، تفسيرُ فاتحة الكتاب. كذلك راجع رسالة العروة الوثقى في تفسير سورة الفاتحة للشيخ البهائي رحمه الله، في بيان معنى سبع المثاني.

(٢) راجع: رسالة العروة الوثقى في تفسير سورة الفاتحة للشيخ البهائي رحمه الله، في بيان معنى سبع المثاني.

(٣) تفسير العياشي، ج١، ص٣٥، الحديث العاشر. بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٣٧، الحديث (٣٤) في معنى «بسم الله الرحمن الرحيم». وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٣١، باب استحباب تكرار الحمد وقراءتها سبعين مرة على الوجع، الحديث الثالث.

(٤) الحجر: ٨٧.

(٥) النمل: ٢٩ ـ ٣٠.

يقرؤها كان له ثُلُثُ ما للقارىء. فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض له، فإنَّهُ غنيمة، لا يذهبنَّ أوانُهُ فتبقى في قلوبكم الحسرة»(١).

وعن الصادق عليه السلام: **«لو قُرأت الحمدُ على ميّتٍ سبعين مرةً ثم رُدَّت فيه الرُوحُ ما كان عجيباً»**(٢).

ورُويَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: **«أيّما مُسلمٍ قرأ فاتحة الكتاب، أُعطيَ من الأجر كأنّما قرأ ثُلُثَي القرآن»**(٣).

وفي روايةٍ أُخرى: **«كأنّما قرأ القرآن»**(٤).

وعن أُبيّ بن كعب(٥) قال: **«قرأتُ على رسول الله فاتحةَ الكتابِ فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في**

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق، ص٢٤١، الحديث الثالث. بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٢٨، الحديث الخامس. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ص٢٩، في فضل فاتحة الكتاب. تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٩. مكيال المكارم، ج٢، ص٣٧٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٣٠١، فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من الأخبار المُتفرقة، الحديث السادس.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج١، ص٤، الحديث الثامن. تفسير الصافي، ج١، ص٨٨. رسالة العروة الوثقى في تفسير سورة الفاتحة للشيخ البهائي رحمه الله، في بيان معنى الإنعام. أصول الكافي، ج٢، ص٦٢٣، باب فضل القرآن، الحديث السادس عشر. وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٣١، باب استحباب تكرار الحمد وقراءتها سبعين مرة على الوجع، الحديث الأوّل. مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي، ج٢، ص١٨٣، الفصل الثاني في الاستشفاء في القرآن، في السور وما جاء فيها، الحديث الثالث.

(٣) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٥٩. تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٨، في فضل فاتحة الكتاب.

(٤) راجع المصدرين السابقين نفسهما.

(٥) أُبَيّ بن كعب صحابيٌ جليلٌ كان كاتباً للوحي شهد العقبة وبدراً والعقبة الثانية وبايع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. وكان من الإثني عشر الذين أنكروا على الأوّل خلافته وهموا بإنزاله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله.

القرآن مثلها، هي أُمُّ الكتاب وهي السبعُ المثاني وهي مقسومةٌ بين الله وعبده، ولعبده ما سأل»(١).

وعن حُذيفة بن اليمان(٢) عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «**إنَّ القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً، فيقرأ صبيٌ من صبيانهم في الكتاب «الحمد لله رب العالمين» فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة**»(٣).

وعن ابن عباس قال: «**كنا عند النبي ﷺ إذ أتاهُ ملكٌ فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌ من قبلك: فاتحةُ الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم يقرأ حرفاً إلا أعطيته**»(٤).

---

(١) مستدرك الوسائل، ج٤، ص٢٣٢، باب استحباب قراءة سُور القرآن سورة سورة، الحديث التاسع. بحار الأنوار، ج٨٩، ٢٥٩. تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٨.

(٢) حذيفة بن اليمان العنسي من أصحاب رسول الله ﷺ وصاحب سره وأحد الأركان الأربعة، وكان رسولُ الله ﷺ قد أعلمه بالمنافقين ولم يُعلمهم أحدٌ غيره. قُتل أبوه في أحد على يد المسلمين خطأً يحسبونه من جيش العدو، وكان حُذيفة يصيح بهم فلم ينتبهوا له حتى قُتل، وهناك استغفر حُذيفة للمسلمين قائلاً له: «يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فكان لفعله ذاك الأثر الطيب عنده. يُستفادُ من بعض الأخبار أنَّ له درجة العلم بالكتاب وكذلك حُكي أنَّ له درجة العلم بالسنة. ويُروى أنَّه كان يعرف المنافقين بأعيانهم وأشخاصهم. فقد عرفهم ليلة العقبة حين أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله ﷺ في منصرفهم من تبوك، حيثُ كان حذيفة في تلك الليلة قد أخذ بزمام الناقة يقودها وكان عمار من خلف الناقة يسوقها. سكن الكوفة وتوفي في المدائن بعد خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً سنة ٣٦، وكان قد أوصى ابنيه بملازمة واتباع أمير المؤمنين عليه السلام فكانا معه في صفين واستُشهدا قتلاً بين يديه.

(٣) رسالة العروة الوثقى في تفسير سورة الفاتحة للشيخ البهائي رحمه الله، خاتمةُ تفسير الفاتحة، بعض الأحاديث المعتبرة الواردة في فضلها. تفسير الفخر الرازي، ج١، ص١٦٠، الباب الثاني، في فضائل سورة الفاتحة.

(٤) المصدر السابق نفسه. مستدرك الوسائل، ج٤، ص٣٣٠، أبواب القراءة، الباب٤٤، الحديث الثالث. صحيح مسلم، ج٢، ص١٩٨، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.

وفي «مجمع البيان» قريبٌ منها[١].

(١) روي الشيخ الطبرسي في تفسيره مجمع البيان، ج٢، ٢٣٢، عن ابن عباس قال: «بينا رسول الله إذ سمع نقيضاً ـ يعني صوتاً ـ فرفع رأسه فإذا باب من السماء قد فُتح، فنزل عليه ملكٌ، وقال: «إنَّ الله يُبشرك بنورين لم يعطهما نبياً قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لا يقرأهما أحدٌ إلا أعطيته حاجته.



الفصل الثالث

تفسير آية البسملة
من المحاضرات المعرفيّة



الدرس الأول[1]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم، بسم الله الرّحمن الرّحيم، والحمد لله ربّ العالمين

[مُتعلق «البسملة» في السور القرآنية]

يُحتملُ أنْ تكونَ «البسملة» في جميع السور القرآنيّة مرتبطةً بالآيات التي تليها، ولقد قيل إنَّ البسملة متعلقةٌ بمعنىً مقدرٍ واحدٍ ولكنّ الأقرب هو أنَّ كُلَّ بسملةٍ مرتبطةٍ بنفس السورة ـ التي تفتتحها ـ فمثلاً في «الحمد» ترتبط البسملةُ بما بعدها، فباسم الله ﷻ يكونُ الحمدُ له.

[علّةُ تسمية الموجودات وكونُ أسماء الله تعالى علائم ذاته]

والإسمُ علامةٌ، وهو للتعريف، ويُوضعُ لِكُلِّ شخصٍ أو لِكُلِّ شيءٍ اسمٌ لكي يكون علامةً ومُعرفاً له، فعندما يُقال: «زيد» يعرف الإنسان من هو المقصود بذلك.

وأسماءُ الله هي أيضاً علائم ذاته المقدسة[2]، وأسماءُ الحق تعالى هي التي

---

(١) ألقى الإمامُ الراحل قدس سره هذه المحاضرة التفسيريّة من على شاشة تلفزيون الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بتاريخ: ٢/ صفر/ ١٤٠٠هـ/ق.

(٢) عقد الإمامُ الراحل قدس سره بحثاً مُفَصّلاً حول أسماء الله ﷻ في كتابيه «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» ص١٨ ـ ١٩، وكذلك في «شرح دعاء السحر» ص٦٩ ـ ٩٢ عند شرح قوله عليه السلام: «اللهم إني أسألُك من أسمائك بأكبرها، وكُلُّ أسمائك كبيرة. . .».

يُمكنُ للإنسان التعرف على ذاته المقدسة من خلالها ـ ولو بصورةٍ ناقصة ـ أما نفس الذات المقدسة للحق تعالى فلا يَصِلُها إنسانٌ حتى خاتم الأنبياء وهو أعلم وأشرف بني آدم، فهو لا يستطيع الوصول إلى مرتبة الذات تلك إذ لا يعرفها سوى ذاته المقدسة[1]، أمّا ما يمكن لبني الإنسان الوصول إليه فهو أسماء الله. ولهذه الأسماء أيضاً مراتب نستطيع نحن أن نُدركَ بعضها، فيما ينحصرُ إدراكُ البعض الآخر بأولياء الله والنبي الأكرم ﷺ وأولئك المُعَلمين بتعليمه.

[موجوداتُ العالم اسماء الله وعلائم ذات الحق تعالى]

والعالم أجمع هو إسمُ الله، فالإسم هو العلامة، وجميع الموجودات في العالم هي علائم على ذات الحق تعالى المقدسة، وغاية الأمر أنَّ البعض يستطيع الوصول إلى عمق كونها علامة فيعرف كيف أنها علامة، والبعضُ الآخر يفهمُ الأمرَ على نحو الإجمال وذلك من خلال مقولة إنَّ الموجود لا يحصل على الوجود من تلقاء نفسه، وهذه حقيقةٌ واضحةٌ يستطيعُ إدراكها عقلُ أي إنسانٍ بالفطرة، ويفهم أنَّ الموجود الذي يُمكنُ وجودُهُ ويُمكنُ عدمُهُ مثل هذا الوجود الإمكاني لا يُمكنُ أنْ يوجد بذاته، فهذا المُمكن يجب أن ينتهي إلى وجود موجودٍ بالذات، أي الموجود الذي لا يُمكنُ سَلْبُ الوجود منه، وهو الأزلي الذي يستحيلُ سَلْبُ الوجود منه. وسائرُ الموجودات الأُخرى ممكنة الوجود والعدم، وهذه لا تكتسب الوجود بذاتها، فهي محتاجةٌ إلى من يُوجدُها، وهو خارجٌ عنها.

---

(١) روى العلامةُ المجلسي ﵀ في بحار الأنوارج٦٨، ص٢٣، في معنى الشكر وأنَّ له أركان ثلاثة، عن رسول الله ﷺ أنّهُ قال: «ما عبدناك حق عبادتك، وما عرفناك حق معرفتك». ومثلُهُ في مرآة العقول، ج٨، ص١٤٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الشُكر، شرح الحديث الأول.

[كُلُّ المُمكنات مُفتقرةٌ ومُحتاجةٌ إلى علّةٍ تُوجِدُها]

لو فرضنا هذا الفضاء الوهمي الذي ليس بشيءٍ وليس له واقعٌ خارجيٌ أنَّهُ فضاءٌ أزليٌّ فلا يُمكنُ أنْ يتبدل إلى شيءٍ موجودٍ بنفسه أو أنْ يظهر فيه موجودٌ دون مُوجِدٍ.

وقول أولئك الذين يقولون بأنَّهُ كان في الدنيا مُنذُ الأزل فضاءٌ غير مُتناهٍ (والإشكال في اللامتناهي يبقي قائماً)، ثُم ظهر بعد ذلك هواءٌ وبُخارٌ ومن هذا الموجود ـ البخار الذي في الفضاء ـ وُجد شيءٌ آخر وهكذا. مثلُ هذا القول يُخالفُ الضرورةَ العقليّةَ التي تنفي تحول شيءٍ إلى شيءٍ آخر بذاته ودون تدخل علّةٍ خارجيّةٍ، فكُلُّ شيءٍ يتبدلُ إلى شيءٍ آخر يحتاجُ إلى علّةٍ خارجيّةٍ، وبدونها مَحالٌ أنْ يتبدل، فالماءُ مثلاً يحتاجُ إلى علّةٍ خارجيّةٍ ليُصبح ثلجاً مُنجمداً أو ليُصبح ماءً مغلياً، وبدون هذه العلة الخارجية يبقى إلى الأبد ماءً لا تُصبحُ درجتُهُ تحت الصفر ولا فوقه، فهو محتاجٌ إلى علّةٍ خارجيّةٍ وشيءٍ خارجيٍّ حتى لا يتعفن، وهذا توضيحٌ إجماليٌّ لاحتياج كُلِّ معلولٍ إلى علّةٍ وافتقار كُلِّ مُمكنٍ إلى علّةٍ.

[امتناعُ استغناء المُمكنات عن العلّة من الضروريات العقليّة]

هذه هي من البديهيات العقليّة فكُلُّ من يتصورها ويتأملُ فيها ويُصَدِقُها يُصدقُ بأنَّ الشيء الذي يمُكنُ أنْ يكونَ أو لا يكون، محالٌ أو يوجد أو ينعدم بذاته، فلا يُمكنُهُ الإستغناء عن العلّة، فما من شيءٍ ينتقلُ بذاته من العدم إلى الوجود بدون علّةٍ، وهذا «الامتناع» هو من الضروريات العقليّة.

[كُلُّ موجودات العالم أسماءُ الله]

وما تقدم هو إيضاحٌ إجماليٌّ لقضية أنَّ جميع موجودات العالم هو «أسماء

الله» وآياتُ الله، ويمكنُ لكافة العقول إدراك هذه الحقيقة ومعرفة أنَّ كُلَّ العالم أسماء الله.

وأما المعنى الحقيقي للمطلب فليس فيه قضية التسمية، كأنْ نفرض أنَّنا نُريدُ أنْ نوصل لأحدٍ معنى شيءٍ ما كالمصباح مثلاً، عندما نُطلقُ عليه إسماً ونقول «مصباح» أو «سيارة» أو «زيد»، وهذه حقيقةٌ واقعيّةٌ عن موجودٍ غير متناهٍ في جميع أوصاف الكمال، والموجود غير المتناهي في جميع أوصاف الكمال هو موجود لا حدَّ له، وهذا الموجود ليس ممكن الوجود.

[الفرقُ بين مُمكن الوجود وواجب الوجود]

فلو كان الموجود محدوداً فهو «المُمكن»، أما الموجود الذي ليس له حدٌّ في موجوديته أصلاً فيجبُ بالضرورةِ العقليّةِ أنْ يكون حاوياً لجميع الكمالات، لأنَّ فقدانه لأي كمالٍ يجعله محدودا، ولو أصبح محدوداً فهو «ممكنٌ»، وهذا هو الفرقُ بين «المُمكن» و«الواجب».

فالواجبُ غير متناهٍ في كُلِّ شيءٍ وهو الموجود المطلق، أما الموجودات المُمكنة فهي موجوداتٌ محدودةٌ.

[واجبُ الوجود مُستجمعٌ لجميع أوصاف الكمال]

وما لم تكن جميعُ أوصافِ الكمالِ موجودةً في الواجبِ بصورةٍ غير متناهيةٍ ولا محدودةٍ فإنَّهُ يَكونُ «مُمكناً»، أي أنَّ ما تصورناه «واجباً» ما هو بـ«واجب الوجود» بل ممكنٌ.

[واجبُ الوجود مبدأُ الإيجاد والوجود]

ومثلُ هذا الموجود «الواجب الوجود» هو مبدأُ الإيجاد والوجود، وجميعُ الموجودات التي تظهر من «مبدأيته» تَكونُ مُستجمعةً لنفس تلك الأوصاف

ولكن على نحو النقص، وغاية الأمر أن لها مراتب، والمرتبة الأعلى هي المستجمعة لكافة أوصاف الحق تعالى بالقدر المُمكن أنْ يكونَ في موجودٍ واجدٍ لذاك «الإسم الأعظم».

[حقيقةُ الاسم الأعظم]

الاسم الأعظم(١) عبارةٌ عن ذلك الاسم وتلك العلامة الحاوية لجميع كمالات الحق تعالى على نحو النقص ـ أي النقص الامكاني ـ فهو واجدٌ لكافة الكمالات الإلهيّة نسبةً إلى سائر الموجودات على نحو الكمال، هذا هو الإسم.

والموجودات التي تأتي بعد هذا «الإسم الأعظم» واجدةٌ لنفس الكمالات ولكن بمقدارِ سعتها الوجوديّة، حتى نصل إلى هذه الموجودات الماديّة التي نتصورُ عدمَ وجودِ العلمِ فيها ولا القدرة ولا أيٍّ من الكمالات في حين أنَّ الأمرَ ليس كذلك.

[انعكاسُ الموجودات في الكمالات الإلهيّة بمقدار سعتها الوجوديّة]

نحنُ في حجابٍ فلا نستطيع الإدراك، إذْ إنَّ هذه الموجودات السفليّة الأدنى من الإنسان والحيوان، هذه الموجودات الناقصة، تنعكسُ فيها جميع تلك الكمالات، غايةَ الأمرِ أنَّ هذا الانعكاس هو بمقدار سعتها الوجوديّة.

---

(١) عقد الإمامُ الراحل ﷺ بحثاً مُفصلاً وشاملاً حول حقيقة الإسم الأعظم وأقسامه في كتابه «شرح دعاء السحر» امتد على على صفحاتٍ عديدة. قال ﷺ في مطلع بحثه، ص٧٥ تحت عنوان «هداية»: «واعلم، هداك الله إلى الاسم الأعظم وعَلَّمَكَ ما لم تكن تعلم، أنَّ لله ﷻ اسماً أعظم إذا دُعي به عن مغالق ابواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت واذا دعي به عن مضايق أبواب الارض للفرج انفرجت، وله حقيقة بحسب مقام الألوهيّة، وحقيقة بحسب مقام المألوهيّة، وحقيقة بحسب اللفظ والعبارة...».

[كُلُّ الموجودات تُسَبِحُ بحمد الحق تعالى]

ولديها إدراكٌ أيضاً، نفسُ الإدراك الموجود في الإنسان موجودٌ فيها أيضاً: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1].

نحن محجوبون فلا نفهم تسبيح الموجودات، وأولئك الذين لا يعلمون أنَّ من الممكن أن يكون هناك إدراكٌ لموجودٍ ناقصٍ، يُفَسرون هذا التسبيح بأنه التسبيح التكويني[2]، في حين أنَّ ما تقوله الآية هو غير التسبيح التكويني الذي نعرفه ونعرف أنَّهُ ليس تسبيحها، بمعنى أنَّها موجودات ولها علّة. كلا، الأمرُ ليس كذلك، بل إنَّها تُسَبِّح، وقد ذكرت الأحاديث تسبيح بعض الموجودات وما هو ؟![3].

في قصة تسبيح تلك الحصاة الصغيرة في يد رسول الله ﷺ[4]، ما هو الذي سمعوه؟!: إنَّهُ تسبيحٌ تُعتَبَرُ أجنبية عنه أُذني وأُذنُك، إنَّهُ نُطقٌ وكلامٌ ولُغَةٌ ولكن لُغَتَهُ ليست لغتنا ونطقه ليس نطقنا ولكنَّهُ إدراكٌ، إدراكٌ بمقدار السعة الوجوديّة للحصاة.

---

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) ذهب إلى هذه المقولة الزمخشريُ في الكشاف ج٢، ص٦٨٠، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾، فقال بأنَّ الموجودات إنَّما تُسَبِحُ بلسان الحال، وحَمَلَ تسبيحها على التسبيح المجازي. ومِثْلُهُ الفخرُ الرازي في تفسيره الكبير والمعروف بـ«مفاتيح الغيب»، ج٢٠، ص٣٤٨، عند تفسيره للآية السابقة.

(٣) راجع: بحار الأنوار، ج٦١، ص٢٧، «كتاب السماء والعالم»، «باب عموم أحوال الحيوان وأصنافها»، الحديث ٨.

(٤) روى العلامةُ المجلسي ﵀ في بحار الأنوار، ج١٠، ص٤٧، الباب الثاني، عن أمير المؤمنين عليه السلام، في احتجاجه عليه السلام على بعض اليهود بذكر معجزات النبي ﷺ، قال عليه السلام: «... ومحمد ﷺ سَبَّحَت في يده تِسْعُ حَصياتٍ تُسْمَعُ نَغَمَاتُهَا في جمودها ولا روح فيها؛ لتمام حجة نبوته...».

[جميعُ ما في العالم حيٌّ وكُلُّ شيءٍ هو اسمُ «الله»]

ولعل بعض المراتب العالية ولكونها ترى نفسها مصدرَ كافةِ الإدراكات تقول إن الموجودات الأخرى ليس لديها هذه الإدراكات ـ وبالطبع فإنَّهُ ليس لها إدراكات تلك المرتبة ـ ونحنُ أيضاً ولكوننا لا ندرك حقائق هذه الموجودات، فنحن محجوبون عنها، لذلك فلسنا مُطلعين، ولكوننا لسنا مُطلعين نتصور عدم الكثير من الأشياء.

كثيرةٌ هي الأشياء التي يتصورها الإنسانُ معدومةً لكنَّها موجودة، أنا وأنت أجانب عنها.

الآن يقولون أنَّ هناك مجهولات اتضحت، فمثلاً النباتات التي كان الجميعُ فيما مضى يقولون بأنَّها صامتة، يقولون الآن بأنَّه يُمكنُ سماع ضجيجٍ ـ بواسطة أجهزةٍ وهوائيات خاصة ـ ينطلقُ من جذور الشجرة التي توضع في ماءٍ مغليٍ، أنا لا أعلم هل هذا صحيح أم كذب؟! ولكنَّ العالم مليءٌ بالضجيج، وجميعُ ما فيه حيٌّ، وجميعُها اسمُ «الله» أيضاً، كُلُّ شيءٍ هو اسم «الله»، أنتم أنفسكم أسماءُ «الله»، ألسنتُكم أسماءُ «الله» أيضاً، وكذلك أيديكم.

[لا يُمكنُكُم عزلُ اسم «الله»]

عندما تحمدون «الله» فهنا اسم «الله» أيضاً، عندما تتحرك ألسنتُكم فهنا اسم «الله»، وعندما تقومون وتذهبون إلى منازلكم فباسم «الله» أيضاً تفعلون ذلك. لا يمكنكم عزل اسم «الله»، فأنتم أنفسكم أسماءُ «الله»، ونبضاتُ قلوبكم اسم «الله»، النسمات المتحركة هي اسم «الله».

[شمولُ اسم «الله» لجميع الأشياء... وفناءُ الاسم في المُسمى]

وانطلاقاً من هذا، فلعلَّ ما تريدُ الآيةُ الكريمةُ[١] قولَهُ هو هذا المعنى، وهو واردٌ في الكثير من الآيات الأخرى، حيث يكون باسم «الله» كذا وكذا. فكُلُّ شيءٍ اسم «الله» يعني الحق وأسماء الله، فكُلُّ شيءٍ هو، فالاسمُ فانٍ في المسمى.

نحنُ نتوهم أنّنا مستقلون وأنّنا «شيءٌ» وما نحنُ بشيء، فلو انقطع لحظةً شعاع الوجود، ذاك الذي تكونُ الموجوداتُ موجودةً به وبتلك الإدارة وذلك التجلّي، لو انقطع لحظةً لعادت جميعُ الموجودات إلى «اللاشيئيّة» ولخرجت من الحالة الوجوديّة إلى حالتها الأولى، إذ إنَّ استمراريّة الموجوديّة أيضاً هي قائمةٌ بنفس هذا التجلّي، وبتجلّي الحق تعالى وُجِدَ عالمُ الوجود كافة.

[كُلُّ الموجودات نورُ الله]

وذاك التجلّي والنور هو أصل حقيقة الوجود وهو اسم «الله»، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢]، أيّ أنّها تجلّي «الله»، يعني النور، فكُلُّ شيءٍ له تحقيقٌ إنّما هو ظهورُ ذلك النور. نحنُ نُسَمي هذا نوراً لأنَّ له ظهوراً، والإنسانُ ظاهرٌ، فهو النور، وكذلك الأمرُ مع الحيوانات فهي نورٌ أيضاً، وجميعها نورُ الله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣]، ويعني أنَّ وجودَ السموات والأرض ـ وهو عبارة عن نور ـ هو من «الله»، وهو فانٍ إلى درجة أنَّ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وليس أنَّ «بالله تَتَنورُ السمواتُ»؛ لأنَّ هذه الصيغة تُشيرُ إلى نمطٍ من الاستقلاليّة، أما ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فهي تعني أنّها ـ السموات

---

(١) ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، الفاتحة: ١.

(٢) النور: ٣٥

(٣) المصدر السابق.

والأرض ـ جميعاً لا شيء، فليس لدينا في العالم موجود له نحوٌ من الاستقلال.

[كُلُّ ما في الأرض والسماء يُسَبِّحُ باسم «الله»]

إن معنى الاستقلال هو الخروج من حدِّ الإمكان إلى حدِّ الوجوب، في حين لا موجود غير الحق تعالى، ولذا يقولُ ﷻ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ... الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[1] أو ﴿بِسْمِ اللَّهِ... قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[2]، فباسم الله قُلْ، إذ إنَّ المراد هو ـ احتمالاً ـ أنْ قُلْ «بسم الله الرحمن الرحيم»، أنَّ هذه الحقيقة هي هذه الصورة، أي بمعنى: ليكن قولك بسم الله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[3]، وليس «من في السماوات والأرض»[4].

كُلُّ ما في الأرض والسماء يُسَبِّحُ لهذا الموجود، وباسم الله، وهو تجلّيه تعالى، وبهذا التجلّي تتحقق جميعُ الموجودات وكافّة الحركات هي من نفس التجلّي.

[كُلُّ ما يحدث في العالم من تجلّيات الحق تعالى]

كُلُّ ما يحدث في العالم هو من هذا التجلّي، ولأنَّ جميع الأشياء والأمر منه وإليه ترجع لذا فليس لأيّ موجودٍ شيءٌ من ذاته، بل ليست هناك «ذاته» في الأمر.

---

(١) الحمد: ١ ـ ٢.

(٢) الإخلاص: ١ ـ ٢.

(٣) الجُمُعة: ١.

(٤) استُعملت «ما» في الآية المُباركة للدلالة على أنَّ التسبيح شاملٌ وصادرٌ من جميع الموجودات، الأعم من العاقلة وغير العاقلة، وبهذا لا يكونُ التسبيحُ مُنحصراً بأصحاب العقل والفكر دون غيرهم من سائر الموجودات والمخلوقات.

ذاك الذي يقف في مقابل «مبدأ النور» ويقول أنا أيضاً لدي شيء، هذا يعني أنَّهُ يقول: إنَّ هذا الوجود من عندي، في حين إنَّ نفس «عندي» هذه هي ليست من عندك، والعينُ التي لديك هي ليست من عندك، فهي وُجِدَتْ بتجلّيه تعالى.

كُلُّ «حمدٍ» وثناءٍ يَصْدُرُ عنا وعنهم إنَّما يَكونُ باسم «الله»، بسبب اسم «الله»، ولهذا أيضاً قوله باسم «الله».

[«الله» التجلّي الجامع لكافة التجلّيات]

«الله» هو التجلّي الجامع، تجلٍّ من الحق تعالى الجامع لكافة التجلّيات، ومن هذا التجلّي تكون تجلّيات «الرحمن»، «الرحيم».

«الله» تجلّي الحق تعالى و«الرحمن» و«الرحيم» هي من تجلّيات هذا التجلّي.

[رحمةُ «الرحمن» وَسِعَت كُلَّ الموجودات]

«الرحمنُ» أَوْجَدَ بالرحمة والرحمانيّةِ كافةَ الموجودات، وهذه الرحمة هي أصل وجود الرحمة، وحتى ذاك الوجود الذي أُعطي للموجودات الشريرة هو أيضاً رحمة. الرحمةُ الواسعة التي وسعت كُلَّ الموجودات يعني أنَّ جميع الموجودات هي عين الرحمة، جميعُها رحمة، و«الله» هو باسم «الله»، هو هذا التجلّي الذي هو تجلٍّ بالمعنى التام.

[الرحمانيّةُ والرحيميّةُ صفتان ذاتيتان والغضب والانتقام تبعيّتان]

المقامُ الذي يستطيعُ إظهارَ التجلّي بالمعنى التامّ هو هذا الاسم الجامع، إسمٌ هو أيضاً تجلّي نفس ذات الحق تعالى، إسمٌ أيضاً، و«**لا إِسْمَ لَهُ وَلا**

رَسْمَ»[١] اسمُهُ، إسمُ «الله» واسمُ «الرحمن» واسمُ «الرحيم» جميعها أسماء، جميعها تجلّيات، وباسم «الله» ـ وهو الجامع لكافة الكمالات بمرتبة الظهور ـ وَذِكْرُ «الرحمن والرحيم» له من باب أنَّهُ الرحمة والرحمانيّة والرحيميّة. أما أوصاف الغضب والانتقام فهي تبعيّة وليس بالذات، الرحمة هي بالذات، والرحمانيّة والرحيميّة هي بالذات، أما تلك الأوصاف فهي تبعيّة.

[كُلُّ حمدٍ وكمالٍ وثناءٍ يقع في العالم هو لله تعالى]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، كُلُّ المحامد وكُلُّ كمالٍ وكُلُّ ثناءٍ يقع في هذا العالم هو له تعالى، والإنسانُ يتوهم أنَّهُ عندما يتناولُ طعاماً لذيذاً فيمدحه أنَّهُ يُثني على هذا الطعام، ولكنَّ هذا الحمد هو لله تعالى ولا يدري الإنسانُ ذلك. يَمْدَحُ إنساناً ما فيقول أيّ فيلسوفٍ وعالمٍ هو؟! لكنَّهُ إنَّما يَمْدَحُ ويُحْمُدُ وَيُثْني على الله ولا يدري، لماذا ؟! لأنَّ هذا الفيلسوف والعالم ليس لديه شيءٌ من نفسه، فكُلُّ ما هو موجودٌ هو تجلّيه تعالى، والذي أدرك عقليّاً أنَّهُ تجلّيه تعالى فإنَّ نفسَ هذا الإدراك منه هو أيضاً، وكذلك حال المُدرِك، فَكُلُّ شيءٍ مِنْهُ تعالى.

الإنسان يَتَوهمُ أنَّهُ يمدحُ هذه السجادة أو هذا الشخص لكنَّهُ لا حَمْدَ ولا ثَنَاءَ يقع إلاّ لله تعالى؛ لأنَّكُم إنَّما تمدحون شخصاً لشيءٍ فيه، فالمدحُ لا يكونُ للعدم، وكُلُّ شيءٍ هو موجودٌ مِنْهُ تعالى؛ لذا فَكُلُّ حَمْدٍ وَمَدْحٍ وَثَنَاءٍ فهو له.

---

(١) فذاتُ الحق تعالى غَيْبٌ مُطلق لا اسم ولا رسم له، ولا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، هو ذاتٌ بحت، وهو في العالم وليس في العالم، وليس في مكان ولا يخلو منه مكان، ولا يجري عليه الزمان ولا يخلو منه زمان.

[حَمْدُنا الله ﷻ مِنْ تجلّيه]

«الحمدُ» يعني كافّةَ المحامد، ولله كُلُّ ما هو حمد، وله تعالى حقيقة الحمد.

نَتوهَمُ أنَّنا نَمدَحُ ونَحْمُدُ «زيداً» أو «عمرواً» أو «نورَ الشمس» أو «نورَ القمر»، لكنَّنا في الحقيقة محجوبون عن هذه الحقيقة لا ندري بها فهي مستورةٌ عنا.

نَتوهَّمُ أنَّنا نَمْدَحُ ونَحْمُدُ هذا أو ذاك لَكِنْ عندما تُرْفَعُ الحُجُب نرى أنَّ جميعَ المحامد هي له، وأنَّ نَفْسَ حمدنا له هو من تجلّيه.

[«الله» تجلّى مرةً فَأَوْجَدَ كُلَّ العالم]

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾[1] تعني أنَّ كُلَّ حَسَنٍ مِنْهُ، وكُلَّ الكمالات مِنْهُ، أيْ من تجلّياتِهِ. تجلّى مرةً فَأَوجَدَ كُلَّ العالم.

نَتوهَمُ أنَّنا نَقومُ بِعَمَلٍ ما بأنْفُسِنا ولَكِنْ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾[2].

«رَمَيْتَ» و«مَا رَمَيْتَ» فالرميُ هو أيضاً تجلٍّ، وَمِنَ التجلّي الرمي. لَكِنْ «ما رَمَيْتَ» تَجَلّي الرمي، «إنَّ الله رَمَى»، أُولَئِكَ الذين بايعوكَ إنَّما بايعوا الله[3]، وهذه اليد أيضاً تجلّي الله، وغاية الأمر أنَّنا محجوبون فلا نعلم ما الأمر؟ نَحْنُ جميعاً محجوبون، إلا ذاك المُعَلَّم بتعليم الله وأولئك المُعَلَّمون بتعليمه.

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) الأنفال: ١٧.

(٣) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، (الفتح: ١٠).

[لن تستطيعوا حَمْدَ غير الله ﷻ حتى وإن أرَدتُم]

واستناداً لما تقدم أقول، إنَّهُ أصبحَ واضحاً أنَّهُ من المُمكنِ طرح احتمال أنْ يَكونَ «بسم الله» مُتعلقاً بـ«الحمد»، بمعنى أنه باسم الله تَكونُ جميعُ المحامد له تعالى، فتجلّياتُ الله هي التي تجذب إليها كافة المحامد، فلا يكونُ حمدٌ وثناءٌ لغيره، بمعنى أنَّكُم مهما أردتُم فلن تستطيعوا أن تحمدوا الغير.

إنَّكُم تحمدون وتمدحون الغير ولَكِنْ كُلُّ حَمْدِكُم وَثَنَائِكُم يَقَعُ لله تعالى، وكُلَّما تُفَكِّرون وتَتَوَهَّمُون أنَّهُ «الغير» فمن جهة عدم العلم.

وكُلَّما أردتم أن تضغطوا على أنفسِكُم لتقولوا كلمةً لغير الله لا تستطيعون ذلك؛ إذ لا كلام لغير الله، فكُلُّ ما تقولونه عنه، وما هي بنقائص.

[لا كمال ولا جمال في العالم إلا لله ﷻ]

للموجودات جهتان، الأولى الجهة الوجوديّة، والأُخرى جهةُ النقص. الجهةُ الوجوديّة نورٌ وهو لا نقص فيه، فهو مُنَزَّهٌ عن النقص، و«اللاءات» ليست مِنْهُ، ولا يُمْكِنُ مَدْحُ «اللاءات»، فالمَدْحُ والحمدُ هو دائماً لـ«نعم»، أي للوجود والكمال، ولا كمال في العالم إلا لكمالٍ واحدٍ هو كمال «الله»، والجمالُ هو أيضاً جمالُ «الله».

[الإعتقادُ العلمي شيءٌ والتصديقُ شيءٌ آخر]

يجبُ أنْ نفهم هذه الحقائق، أنْ نَعِيَهَا بقُلُوبِنَا لا بِألسِنَتِنا، فإدراكُ هذه الكلمة بالقول أمرٌ يَسِيرٌ ولَكِنَّ إيصالها إلى القلب وفهم هذا الموجود المُمكن فَهْمُهُ بحيث يُصَدِّقُهُ القلبُ أمرٌ صعبٌ.

فمرةً يَقُولُ الإنسانُ ـ باللسان ـ إنَّ هُناكَ جنةً وناراً، وقَد يَكُونُ مُعتَقِداً بذلك، ولكنَّ التصديق غير الإعتقاد العلمي، قد يحصلُ على البرهان أيضاً ولكنَّ التصديق شيءٌ آخر.

[اليقينُ القلبي موجبٌ للعصمة والامتناع عن المعصية]

العِصْمَةُ الموجودةُ في الأنبياء هي ثمرةُ التصديق واليقين، فالذي يُصَدِّقُ يَقيناً من المُستحيل أنْ يتخلف.

أنتم عندما تُصَدِّقون أنَّ أَمَامَكُم شخصاً شاهراً سَيْفَهُ يَقْطَعُ به عُنُقَ من يعصيه، تُصبحونَ معصومينَ عن معصيته، يعني يُصبحُ من المستحيلِ أنْ تَصْدُرَ عَنْكُم مَعصِيَةً له؛ لأنَّكُم تُحِبُونَ أَنْفُسَكُم فلا يُمكنُ أنْ تَصدُرَ عَنْكُم مُخالَفَةٌ.

الذي يُصَدِّقُ أنَّ «كلمةَ غيْبَةٍ واحدةٍ» يقولهُا بحقِ شخصٍ في «مكة» مثلاً تؤدي إلى ظُهورِ صُورَتِهِ ـ هناك ـ وكأنَّهُ يَمُدُ لِسَانَهُ من هُنا ويظهرُ في «مكة» حيثُ الشخص الذي اغتابَهُ، فتطأُ لِسَانَهُ أقدامُ الناس من هنا إلى هناك ـ أي من محل المُستَغيبِ إلى محل المُستغاب. والذي يُصَدِّقُ أنَّ **«الغَيْبَةَ إِدَامُ كِلابِ النارِ»**[1]، أي أنَّ الذي يَغتابُ تبتلعه كلابُ النار، ليس بالابتلاع المُتعارف

---

(١) روى المُحَدِثُ النوري رحمه الله في مستدرك الوسائل، ج٩، ص١٢١، باب تحريم اغتياب المؤمن ولو صدقاً، الحديث (٣١)، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّهُ قال: «كذب من زعم أنَّهُ وُلِدَ من حلالٍ، وهو يأكُلُ لحومَ الناسِ بالغيبةِ، اجتنبوا الغيبةَ فإنَّها إدامُ كلابِ النار». وروى الشيخُ الصدوق رحمه الله في الآمالي، ص٢٧٨، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في جواب نوف البكالي أنَّهُ قال: «إجتَنِبِ الغَيْبَةَ فإنَّها إدامُ كلاب النّار». ومثلُهُ في الوسائل، ج١٢، ص٢٨٣، باب تحريم غتياب المؤمن ولوكان صدقاً، الحديث (١٦). وجاء في تحف العقول لابن شعبة الحراني، ص٢٤٥، أنَّ الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام قال لرجلٍ إغتاب رَجُلاً عِندَهُ: «يا هذا=

وينتهي الأمرُ، بل ابتلاعٌ يَسْحَقُ وجُودَهُ[1]، وعندما يذهبُ إلى هُناك أيضاً تبتلعه. نقول إنَّ الذي يُصَدِّقُ ذلك لا يمُكنُ أيضاً أنْ يَغتَابَ. ونحنُ عندما نغتابُ أحياناً ـ والعياذُ بالله ـ فلأنَّنا لم يحصل لدينا التصديقُ بذلك.

[تَجَسُّمُ الأعمال في العالم الآخر]

الذي يُصَدقُ أنَّ جميعَ الأعمال التي يفعلها هنا لها صورة هناك في العالم الآخر فإذا كانت الأعمالُ حَسَنَةً فصورتها حسنة، وإنْ كانت سيئةً فصورتها

=كُف عن الغيْبَةِ فإنَّها إدامُ كلاب النار». ونقل الشيخُ أبو منصور الطبرسي ﵀ في كتابه «الإحتجاج»، ج٢، ص١٤٥، أنَّ رجُلاً قال لعلي بن الحسين ﵇: «إنَّ فُلاناً يَنْسُبك إلى أنَّكَ ضالٌ مُبتدعٌ !»، فقال له علي بن الحسين ﵇: «ما رعيت حقَّ مُجالسة الرجل حيثُ نَقلتَ إلينا حديثَهُ، ولا أَديتَ حَقي حيثُ أبلغتني عن أخي ما لستُ أعلمه، إنَّ الموتَ يعمّنا، والبعثُ محشرنا، والقيامةُ موعدنا، واللهُ يَحكُمُ بيننا، إياك والغيبة! فإنها إدامُ كلاب النار، واعلم أنَّ مَنْ أَكْثَرَ عُيوبَ الناسِ شَهِدَ عليه الإكثارُ إنَّهُ إنَّما يطلبها بقدر ما فيه».

(١) يعني لا تبتلعُهُ كلابُ النار مرةً واحدةً وينتهي الأمر، وإنَّما يتكررُ الإبتلاع، وكأنَّها كُلما ابتلعته لَفَظَتْهُ وبَصَقتهُ خارجاً؛ لتُعيدَ ابتلاعَهُ مراراً وتكراراً، وهكذا يتكررُ تَهشيمُهُ وسحقُهُ دون توقف. يقولُ الإمام الخميني ﵈ في كتابه «شرح الأربعون حديثاً»، الحديث (١٩)، «الغيبة»، ص٣٥١: «... إنَّ صاحب هذا العمل ـ المُستغيب ـ يُضاهي الكلاب الجارحة في افتراسه لأعراض الناس ولحومهم، وسترجع إليه الصورةُ الملكوتيّة لهذا العمل ـ كلبٌ ينهشُ لحم الميت ـ في نار جهنم. وفي روايةٍ أنَّ رسول الله ﷺ لمّا رَجَمَ الرجل في الزنا قال رجلٌ لصاحبه: «هذا أُقْعِصَ (أي قُتِل) كَما يُقْعَصُ الكَلْبُ، فَمَرَّ النَّبِيُّ مَعَهُما بِجيفَةٍ فَقالَ: «إنْهَشا مِنْها»، فَقالا: «يا رَسُولَ اللهِ نِنْهَشُ جيفَةً؟!»، فَقالَ: «ما أَصَبْتُما مِنْ أخيكُما أَنْتَنُ مِنْ هذِه»... نعم إنَّ رسول الله ﷺ قد شاهد نتيجةَ قوّة نور بصيرته وَحِدَّةَ مشاهدته ـ النبويّة الغيبيّة ـ عَمَلَهُم ـ المغتابين ـ وَعَرَفَ بأنَّ جيفةَ الغيبة أشدُّ من جيفةِ الميتة، وصورة عمل الغيبة أشدُّ قبحاً وفظاعةً من صورة الميتة المُتَفَسخة. وفي رواية أخرى أنَّ المُغتاب يأكُلُ من لحمه يوم القيامة. ولا تهافت بين هذه الأحاديث الشريفة، إذ يُمكنُ أن يتحقق كُلُّ ذلك، يأكُلُ المُغتابُ لحم الميتة ويأكُلُ لحمَ جسده أيضاً. يكونُ على صورة الكلب فيأكُلُ الجيفة، ويكونُ على صورة الميتة تأكُلُهُ كلابُ جهنم أيضاً.

سيئة[١]. والذي يُصَدِّقُ أنَّ هناك حساباً ـ هذا على نحو الإجمال وتفصيلُ القضية ليس لازماً ـ والذي يُصَدِّقُ أنَّهُ لو وقع في الغيْبَةِ هنا فسيحاسب عليها هناك، وأنَّ هناك جهنم إذا آذى المؤمنين، وأنَّ هناك جنة إذا قام بالخيرات والمبرات هنا، الذي يُصَدِّقُ بذلك يلتزم به فيما لو كان الأمرُ تصديقاً، وليس الأمرُ مُجرَّد مطالعة كتابٍ وإدراك عقله له، فهُناك فرقٌ بين الإدراك العقلي والتصديق النفسي والقلبي.

(١) إشارة إلى مسألة تَجَسُّم وبروز الأعمال والصفات والمَلَكات الإنسانيّة في عوالم البرزخ والقيامة. وفي هذا المجال يقولُ الإمامُ الراحل قدس سره في أحد خطاباته: «إنَّ مسألة تَجَسُّم الأعمال والأخلاق تُعتَبَرُ من المُسلَّمَات لدى الباحثين اصحاب التأمل، وتُشيرُ بعضُ الأحاديث المتوافرة لدينا إلى الشخص الذي يغتاب فتصفُ لسانَهُ بأنَّهُ يمتدُ ما بين «مكة» و«المدينة»، وأنَّ الناس يوم الحشر يَعبُرُونَ من فوق هذا اللسان». راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج١٧، ص١٥٢. ويقولُ قدس سره في شرح الحديث الأول من «الأربعين حديثاً»، حديث «جهاد النفس»، فصلٌ في الإشارة إلى بعض القوى الباطنيّة، ص٤٢: «... في عالم ما بعد الموت ـ سواء في البرزخ أو القيامة ـ إذا كانت خلقةُ الإنسان في الباطن والمَلَكةُ والسريرةُ إنسانيّةً، تكونُ الصورةُ الملكوتيّة له صورةً إنسانيّةً أيضاً. وأما إذا لم تكن مَلَكَاتُهُ ملكات إنسانيّة، فَصُورَتُهُ في عالم ما بعد الموت تكونُ غير إنسانيّةٍ أيضاً، وهي تابعةٌ لتلك السريرة والمَلَكة. فمثلاً إذا غلبت على باطنه مَلَكَةُ الشهوةِ والبهيميّةِ، وأصبح حُكمُ مملكة الباطن حُكمُ البهيمة، كانت صورةُ الإنسان الملكوتيّة على صورة إحدى البهائم التي تتلاءمُ وذلك الخُلُقِ. وإذا غَلَبَتْ على باطنه وسريرته مَلَكَةُ الغَضَبِ والسَبُعِيّةِ، وكان حُكمُ مملكة الباطن والسريرة حُكْماً سَبُعِيًا، كانت صُورَتُهُ الغيبيّة الملكوتيّة صورةَ أحد السباع والبهائم. وإذا أصبح الوهمُ والشيطنةُ هما المَلَكة، وأصبحت للباطن والسريرة مَلَكَاتٍ شيطانيّة كالخداع والتزوير والنميمة والغيبة، تكونُ صورتُهُ الغيبيّة الملكوتيّة على صورة أحد الشياطين حسب ما يتناسب وتلك الصورة».
ولزيادة الاطلاع حول هذا الموضوع راجع: كتاب «شرح الأربعون حديثاً» للإمام الخميني قدس سره، الأحاديث: (٧، ص١٧٣)، (١٩، ص٣٥١)، (٢٧، ص٤٨٩).

[لا يكفي البرهان في إيجاد الإيمان بل لا بُدَّ من التصديق القلبي]

في الإدراك العقلي كثيراً ما يحدث أنْ يُدركَ الإنسانُ عقلاً قضيةً ما ولكنَّهُ لا يلتزم بمقتضياتها عملياً؛ لأنَّهُ لم يُصدقها، فإذا ما صَدَقَها عَمِلَ وِفْقَهَا.

والإيمانُ هو عبارة عن هذا التصديق، فالعلمُ بالنبي لا يُثمرُ هذه الفائدة، لكنَّ الإيمان بالنبي يُثمرُ هذه الفائدة.

لا تكفي إقامةُ البرهان على وجود الله ﷻ في إيجاد «الإيمان بالله» بل الإيمانُ يُثمِرُهُ التصديقُ القلبي الذي يجعلُ الإنسانَ خاضعاً لله ويُثمرُ الإيمانُ به تعالى، وإذا حصل الإيمانُ جاء كُلُّ شيءٍ تَبَعاً له.

إذا صَدَّقَ الإنسانُ أنَّ هناك موجوداً هو مبدأُ هذا العالم، وهناك حساباً، وأنَّ هناك مرحلةً بعد الموت، وأنَّ الموتَ ليس فناءً بل هو انتقالٌ من نقصٍ إلى كمالٍ، فهذا التصديق يحفظُهُ من كافةِ الأشياء ومن كافةِ الانحرافاتِ، فالأصلُ هو هذا التصديق، ولكنَّ المسألةَ الوحيدةَ هي كيف يحصلُ هذا التصديق ؟!

هذه الآية الشريفة تقول ﴿بِسْمِ اللَّهِ . . . الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حسناً، لقد أوضحت أحد أبعادها ـ وأكرر أيضاً أن ما قلته هو على نحو الاحتمال لا الجزم ـ فإذا صدق الإنسان أنّ جميع المحامد هي لله فعندها لن يحدث في قلبه شرك وإذا أثنى على أحد فلكونه من تجليات الله.

[مدحُ تجلّيات الله مدحٌ لله]

إذا أنشد قصيدةً في مدح الأمير علي عليه السلام فهو يُريدُ أنْ يقول أنَّهُ يُدركُ أنَّها «لله»، لأنَّ الإمام عليه السلام هو التجلّي العظيم «لله»، ولكونه كذلك فإنَّ ما فرضتموه مدحاً له فهو مدحٌ «لله» من خلال مدح تجلّيه.

إذا أَيقنَ الإنسانُ وَصَدَّقَ أنَّ المحامد «لله» لأَعْرَضَ عن نفسه. إنَّ ما ترونه من كثرة ضجيج الإنسان بمقولة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ﴾[1]، وما ترونه من كثرة غرور الإنسان يرجع إلى كونه لم يعرف نفسه، فإنَّ «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فقد عَرَفَ رَبَّهُ**»[2]. لا يدري أنَّهُ ليس بشيءٍ، ولو عَرَفَ ذلك وصَدَّقَ به، وصَدَّقَ أنَّ كُلَّ ما هو موجود منه تعالى لَعَرَفَ رَبَّهُ.

والمشكلةُ الأساسيّةُ هي أنَّنا لا نعرف لا أنفسنا ولا ربَّنا، ولا إيمان لنا لا بأنفسنا ولا بربِّنا، لم نُصَدِّق أنَّنا لا شيء، ولم نُصَدِّق أنَّهُ هو كُلُّ شيءٍ، وما لم يحصل هذا التصديق فلا فائدة من إقامة البراهين مهما زادت واتسعت، إذ تبقى تلك «الأنانيّةُ النفسيّةُ» فاعلةً.

إنَّ أقوال (أنا كذا وأنت كذا) هي جميعاً ادعاءات فارغة من أجل الرئاسة وأمثالها، وأصلُها بقاءُ الأنانيّة التي ما دامت فالإنسان يرى نفسه.

---

(١) غافر: ١٦.

(٢) روى العلامةُ المجلسي ﵀ في بحار الأنوار، ج٢، ص٣٢، باب استعمال العلم والاخلاص في طلبه، الحديث (٢٢)، عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فقد عَرَفَ رَبَّهُ». وقد روي هذا الحديث أيضاً عن مولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالب ﵇ وقد اشتهرت نسبتُهُ إليه وروايتُهُ عنه كثيراً، راجع: شرح ابن ميثم لمئة كلمة من كلمات أمير المؤمنين ﵇، الكلمة الثالثة، ص٥٧. وقال الحُرُ العاملي ﵀ في الجواهر السَنِيَّة، ص١١٦: «... وقال صاحبُ الشريعة: «أَعْرَفُكُم بنفسه أعْرَفُكُم بِرَبِّهِ». قال إمام الهداية: «من عَرَفَ نفسه فقد عَرَفَ ربَّه» (أهـ). قال المولى محمد صالح المازندراني في شرحه على أصول الكافي، ج٣، ٢٤، باب حدوث العالم: «من عرف نفسه فقد عرف ربه، يعني: عَرَفَ رَبَّهُ بضد ما عَرَفَ به نَفْسَهُ لا بمثله؛ لامتناع التشبيه، فمن عَرَفَ نَفْسَهُ بالحدوث والإمكان والعجز والجهل مثلاً عَرَفَ رَبَّهُ بالقِدَمِ والوجودِ والقدرةِ والعلمِ».

[حُبُّ النفس والجاه والدنيا... رأسُ كُلِّ خطيئة]

جميعُ المصائب التي تنزل على رأس الإنسان تصدُرُ من حبِّ النفس، فالإنسانُ يُحبُّ نَفْسَهُ في حين أنَّهُ لو أدركَ حقيقةَ الأمرِ وجدانياً لعرف أنَّ نَفْسَهُ لا شيء، وهي للغير وحبُّهُ للغير. لقد سموه اشتباهاً بـ«حُبِّ النفس»، وهذا الاشتباه يُدَمرُ الإنسانَ، فجميعُ المصائب التي تَحِلُّ بنا هي من حُبِّ الجاه وحُبِّ النفس. حُبُّ الجاه هو الذي يقتل الإنسان ويُدَمرُهُ ويؤدي به إلى النار. وحُبُّ الجاه وحُبُّ النفس هذا هو: «**رأسُ كُلِّ خطيئة**».

جميعُ الخطايا تَصْدُرُ من حُبِّ النفس وحُبِّ الجاه، ولكون الإنسان ينظر إلى نفسه ويُعجب بها ويُحبُّها لذلك فهو يريد كُلَّ شيءٍ لها، ويُعادي كُلَّ ما يمنعه عن ذلك أو ما يتوهم أنَّهُ مانعٌ. ولكونه يُريدُ كُلَّ شيءٍ لنفسه لذا فهو لا يضع لذلك حدوداً ومن هنا كان «**حُبُّ الدنيا رأسُ كُلِّ خطيئة**»[1].

---

(١) روى الشيخ الكليني ﵀ في أصول الكافي، ج٢، ص١٣١، باب ذمّ الدنيا والزهد فيها، الحديث (١١)، عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين ﵇ أنَّهُ قال: «حُبُّ الدنيا رأسُ كُلِّ خطيئة». والحديثُ مرويٌ أيضاً عن صادق أهل البيت ﵇، في نفس المصدر السابق مع اختلافٍ يسير، ص٣١٥، باب حُبِّ الدنيا والحرص عليها، الحديث (١)، قال ﵇: «رأسُ كُلِّ خطيئة حُبُّ الدُنيا». يقولُ الإمام الخميني ﵏: «إنَّ الرواية التي تقول: «حُبُّ الدنيا رأسُ كُلِّ خطيئة» حقيقةٌ واقعةٌ، وإنَّ أساس وجذور حُبِّ الدنيا هي حُبِّ النفس وهو بدوره حُبُّ الدنيا. فإنَّ جميعَ المفاسد التي ظهرت في البشرية مُنذُ قيام البشريّة تعود إلى حُبِّ النفس، ومِنْهُ ينشأُ حُبُّ الجاه والمنصب والموقع وحُبُّ المال وحُبُّ جميع الدوافع الشهوانيّة. لذلك كان أساس مهمة الأنبياء هي قمع وضبط حُبّ النفس قَدَرَ الإمكان، لكنَّ الأنبياء لم ينجحوا بالشكل الذي أرادوا، ولم يستطيعوا أنْ يُحَققوا هدفهم كما أرادوا ذلك، وسيبقى حُبُّ النفس لدى الكثير من الناس حتى في حكومة العدل التي يُقيمُها الإمام صاحب الزمان. وهذا الحُبُّ للنفس الوارد في الروايات هو الذي يقوم بتكفير الإمام المهدي ـ سلامُ الله عليه.. وفي الحقيقة إنَّ أساس جميع الخطايا هو هذه الأنانيات الموجودة في البشر، وهذه الحروب وهذه المفاسد والمظالم وأعمال الجور». مقطعٌ من حديثٍ لسماحة الإمام الراحل ﵏، راجع: صحيفة الإمام الخميني ﵏، مصدر سابق، ج١٦، ص١٢٨.=

[لو صَدَّقَ الإنسانُ أنَّ كُلَّ المحامد لله لخرج الشركُ من قلبه]

كتابُ «الله» ابتدأ بمطلبٍ يُنَبِهنا إلى جميع القضايا، ـ على نحو الاحتمال ـ إنَّ جميع القضايا تتضح من هنا، عندما يقول تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فهو لا يريد القول: إنَّ بعضَ المحامد لله، عندما يقول [الحامدُ] هو [أي الله ﷻ] قادرٌ ولكني أحمدكم، فليس ذلك لله. مع أنَّهُ يقول: كُلُّ ذلك لله، وجميعُ المحامد لله.

عندما يقول تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فهو يعني أنَّ جميعَ أقسام الحمد وكُلَّ حيثيته هي من الله ولله.

أنتم تَتَوَهَّمونَ أنَّكُم تحمدون غيره ولكنَّهُ هنا يكشف غطاءَ عن كافة القضايا، وَنَفْسُ هذه الآية الكريمة الفريدة تكفي الإنسانَ لو صَدَّقَهَا، ولكنْ المسألة هي في التصديق.

جميعُ المحامد لله، ولو صَدَّقَ الإنسانُ بهذه الكلمة فقط لخرجت من قَلْبِهِ كافةُ أنواعِ الشرك. وذاكَ الذي يَكْشِفُ أنَّهُ لم يُشرك بالله طَرْفَةَ عينٍ أبداً، إنَّما حَصَلَ على هذا التصديق وجدانيّاً، وصل إليه بوجدانه وأدرك المطلوب، وهذا ما لا يُمكنُ للبراهين أنْ تؤدي إليه، فليس لها الأصالة والاقتدار المطلوب.

=ويقولُ ﷳ في رسالته لابنه السيّد أحمد الخميني ﷺ والمُشتملة على مواعظ أخلاقيّة عرفانيّة: «بُني! لا تكن وراء تحصيل الدنيا وإنْ كان من حلالها، إذ إنَّ حُبَّ الدنيا حتى الحلال منها رأسُ كُلِّ خطيئة، إذ هو الحجابُ الأكبرُ وَيَسُوقُ الإنسانَ نحو عالم الحرام»، راجع: صحيفة الإمام الخميني ﷳ، مصدر سابق، ج١٨، ص٤١٢. ولزيادة الفائدة راجع: شرح الأربعين حديثاً، الحديث السادس، «من أصبح وأمسى والدنيا أو الآخرة أكبر همّه»، ص١٥١ ـ ١٦٣، فإنَّ في كلام الإمام الراحل ﷳ هناك فوائد جميلة وغنائم جليلة.

[البرهانُ والفلسفةُ وسيلة ولا يُطلبان بذاتيهما]

البرهانُ جيدٌ، ولا نقول إنَّهُ ليس جيداً، يجب أن يكون البرهانُ، ولكنَّهُ يجب أنْ يكونَ وسيلةً، فالبرهانُ وسيلةٌ إذ إنَّكُم وِفْقَ عقولكم تُدركونَ المسائل وبالسعي والاجتهاد تستحصلون الإيمان.

الفلسفةُ وسيلةٌ، فليست مطلوبةً بذاتها، وواجبُ الاستدلال هو إيصال القضايا والمعارف إلى عقولكم، هذه هي قيمتُها، وهذا هو المقصودُ من **«خشبيةٌ هي قدم الاستدلاليين»**[١]، المقصودُ هو أنَّ هذه القَدَم خشبةٌ تجعل الإنسانَ قادراً على السير، والإنسانُ حقيقةٌ يستطيعُ السيرَ بها. إنَّها عبارة عن تلك القَدَم التي يرى بها الإنسانُ تجلّيات «الله» فيستند إليها ليدخل الإيمانُ قَلْبَهُ، ويحصل بالوجدان الذوقي الذي يوجده على مرتبةٍ من الإيمان، وهناك مراتب إيمانيّة أسمى.

آمل أنْ لا نكتفي بقراءة القرآن وتفسيره، بل المهم أنْ نُصَدِّق بمسائله، وأنْ نُصَدِّق بكُلِّ كلمةٍ نقرأها من القرآن، فهو الكتاب الهادف إلى بناءِ الإنسان بناءً صحيحاً، وهو يصنع الموجودَ الذي أوجده بنفسه، أوجده بالإسم الأعظم، وجعل فيه كُلَّ شيءٍ موجوداً بالله ولكن ليس بصورةٍ جَلّية.

القرآنُ يريد أنْ ينقلَ الإنسانَ من هذه المرتبة الناقصة إلى تلك المرتبة التي تَليقُ به، ولهذا الهدف تَنَزَّلَ القرآنُ، وكانت بعثةُ جميع الأنبياء، حيث إنَّهُم بُعِثُوا ليأخذوا بيد الإنسان ويُنقذوهُ من هذه البئر العميقة التي سقط فيها، وأعمقها بئرُ «النفسانيّة»، ويهدوه إلى تجلّياتِ الحق لينمى ويذهل عن كُلِّ شيءٍ. وإن شاء الله رزقنا جميعاً ذلك بمشيئته عز اسمه.

---

(١) ترجمةُ بيتٍ من الشعر للشاعر العارف الرومي، تمت الإشارةُ إليه في الفصل الثاني من هذا الكتاب، فراجع.

الدرس الثاني[1]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم، بسم الله الرّحمن الرّحيم، والحمد لله ربِّ العالمين

[الاحتمالُ الأول في معنى «الحمد»: تَحَقُّقُ جميع المحامد بـ«اسم الله»]

كان الكلامُ في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾، فبماذا يتعلق هذا الجار والمجرور؟.

قلنا ـ على نحو الاحتمال ـ إنَّ أحد الاحتمالات هو أنْ تكون البسملة في كُلِّ سورةٍ متعلقةً بنفس هذه السورة بالمعنى الذي يناسبها، فمثلاً في سورة «الحمد» يكونُ معنى ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هو أنَّ «الحمدَ بسم الله».

واستناداً إلى هذا الاحتمال يكونُ معنى البسملة في كُلِّ سورةٍ مُختلفاً عن معنى البسملة في السورة الأخرى، وعلى هذا يجب البحث ـ مثلاً ـ عن الاسم الذي يُناسب بسملةَ سورةِ الحمد، فما هو الاسم الذي يكونُ به الظهور للحق ـ تعالى ـ ويقع الحمد لله بهذا الاسم؟

وهكذا يجبُ البحثُ عن معنى الاسم المُناسب في بسملات السور الأُخرى، فمثلاً في سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ...﴾ ما هو الاسم المُناسب لقول «الله أحدٌ» و«هو الله أحدٌ»؟

---

(١) ألقى الإمامُ الراحل قدّس سرّه هذه المحاضرة التفسيريّة من على شاشة تلفزيون الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بتاريخ: ١١/ صفر/ ١٤٠٠هـ/ ق.

ومذكورٌ في الفقه أنَّهُ لو قَرأتَ البسملةَ لسورةٍ وأَرَدْتَ قراءةَ سورةً أُخرى، فالبسملةُ الأولى لا تكفي، ويجبُ تَكْرَار البسملة مع السورة الأُخرى[١]، وهذا الأمرُ يُناسبُ المعنى المُتَقَدِّم من اختلاف معنى البسملة في كُلِّ سورةٍ عن الأُخريات.

وإذا كانت البسملاتُ على معنىً واحدٍ في جميع السور فإنَّهُ حينئذٍ لن يختلف معنى البسملة في هذه السورة عن معناها في سورةٍ أُخرى.

والبعضُ يقول إنَّ البسملة ليست جزءاً من السورة أصلاً إلا في سورة الحمد، وإنَّما ذُكِرَت ـ في السور ـ من باب التَبَرُّكِ، وهذا القول ليس صحيحاً[٢].

---

(١) راجع «تحرير الوسيلة» للإمام الخميني ﷺ: ج١، ص١٦٥، كتاب الصلاة، القول في القراءة والذكر، المسألة السابعة. وكذلك راجع: «العروة الوثقى» للسيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي ﷺ: ج١، ص٤٥٩، كتاب الصلاة، الفصل٢٤ في القراءة، المسألة: (١١)، و«مستمسك العروة الوثقى» للسيّد محسن الطباطبائي الحكيم ﷺ:ج٦، ص١٨٣.

(٢) اختلفت أقوالُ علماء الفريقين في مسألة جزئيّة البسملة من سُور الكتاب العزيز وعدمها، حيثُ كثيراً ما تعرضوا لبيان هذه المسألة في كُتُب الفقه في مسائل القراءة في الصلاة، وكذلك في كُتُب التفسير عند تفسير البسملة، وهناك تعددت وتَشَعَبت الأقوالُ والآراء، فمنهم من قال بأنَّها آيةٌ من كُلِّ سورةٍ من جميع القرآن، وهي آيةٌ من أوّل سورة الحمد، وآخرون قالوا بأنَّها آيةٌ من أوّل الحمد بلا خلافٍ بينهم، وفي كونها آية من كُلِّ سورة قولان: أحدهما: أنَّها آية من أوّل كُلِّ سورة، والآخر: أنَّها بعضُ آية من كُلِّ سورة، وإنَّما تتمُّ مع ما بعدها فتصيرُ آيةً. وجماعةٌ ثالثة قالوا: إنَّها آية من أوّل كُلِّ سورة واعتبروا أنَّ من تركها ترك مائة وثلاثث عشرة آية. وآخرون قالوا إنَّها ليست آيةً من فاتحة الكتاب، ولا من سائر السور، في حين قال بعضٌ آخر بكراهة قراءتها في الصلاة، بل يُكبّر المُصلي ويبتدئ بالحمد، إلا في شهر رمضان. والمُستحبُ أن يأتي المُصلي بها بين كُلِّ سورتين تبرُكاً للفصل، ولا يأتي بها في أوّل الفاتحة.

ولفائدةٍ أكبر حول هذا المسألة، راجع: كتاب «الخلاف» لشيخ الطائفة ﷺ، ج١، ص٣٢٨ـ٣٢٩ ـ٣٣٠، كتاب الصلاة، مسائل القراءة، المسألة (٨٢). وتفسير القرآن الكريم، ج١، ص٤٢ وما=

. . . .

=بعدها، للمحقق آية الله الشهيد السيّد مصطفى الخميني ﷺ النجل الأكبر للإمام الخميني ﷺ، والذي قال فيه الإمامُ الراحل ﷺ بعد استشهاده على يد النظام البعثي البائد: «كان [السيّد] مصطفى أمل مستقبلِ الإسلام». أسماه أبوه العظيم محمداً، وطوّقه بـ«مصطفى» لقباً، وكناهُ بـ «أبي الحسن»، ولم يُكَنِّهِ بـ «أبي القاسم» كي لا تجتمع النعوت الثلاثة لغير النبي ﷺ، وغَلَبَ عليه لَقَبُهُ، فاشتهر بالسيّد «مصطفى».

رأت أُمُهُ «رحمها الله» في منامها أيام حملها بولدها الشهيد الصديقةَ الطاهرة ﷺ جالسةً في بستان واضعة في حجرها سيد الشهداء ﷺ وهو طفلٌ صغيرٌ. وقد عبروا لها هذا المنام بأنَّ الله تعالى سيرزقها ولداً ذكراً فحسب، ولم يكتشفوا ـ أو لم يكشفوا لها ـ تأويلَ رؤياها من بعد، تلك الرؤيا الصادقة، وأنّها سَتَلِدُ ولداً عظيماً يُستشهد.

نشأتُهُ العلميّة وعطاؤه المُبكر:

نشأ الشهيد وترعرع في ربوع قم المقدسة ورحابها. واشتغل بدراسة العلوم العصريّة الحديثة في أوائل صباه حتى ست سنوات، وبعدها اشتغل بطلب العلوم الدينيّة. درس العلوم الأدبيّة بإتقان حتى اجتهد فيها وأبدى رأيَهُ السديد في قبال آراء علمائها المُبَرَّزين، ولو تصفحت كتابَهُ المنيف «تفسير القرآن الكريم» لوقفت على ذلك.

بعدها شرع بدراسة العلوم الأخرى فقهاً وأصولاً، رجالاً وحديثاً، فلسفةً وعرفاناً. وقد أنهى في مدينة قم المقدسة تدريس دورةٍ أصوليّةٍ مُختصرةٍ ولما يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره المبارك.

وأما في النجف الأشرف فقد ألقى سماحته دورةً أصوليّةً مفصلةً، نقد فيها آراء المحققين، وأبدى فيها آراءه الفذة وتحقيقاته البكر، مما يدل على نضجٍ علميٍّ وإبداعٍ فكريٍّ مبكرين. هذا، مُضافاً إلى دروسه الموسّعة في الفقه والتفسير التي كانت مثاراً للدهشة في العمق والسعة والاستيعاب.

قال الإمامُ الراحلُ ﷺ في حق ولده حين بلغ الخامسة والثلاثين: «إنَّ مصطفى أفضل مني حينما كُنْتُ في سنه»، هذا، مع أنَّ الإمام ﷺ بلغ ما بلغ من تعلم أصول العلوم وفرغ منها في هذا السن، وهذه شهادةٌ منه ﷺ على اجتهاد ولده في شتى العلوم المتعارفة، أصولاً وفروعاً، معقولاً ومنقولاً.

أساتذتُهُ الكرام:

درس سيدنا الشهيد على أعاظم علماء عصره، وكان من أجلّة أساتذته آية الله العظمى السيد البروجردي ﷺ، وآية الله العظمى السيّد محمد المحقق الداماد ﷺ، وآية الله العظمى السيّد الحجة الكوهكمري ﷺ. =

[كُلُّ حامدٍ يحمد إنَّما بـ«اسم الله»]

وفيما يتعلق بسورة الحمد التي نحن بصددها فـ«بسم الله» هنا متعلقةٌ بالجار

= وكان تلمذه في الحكمة والفلسفة على آية الله العظمى السيّد أبي الحسن الرفيعي القزويني ﷺ. هذا لكن جل استفادته كانت من والده السيّد الإمام ﷺ، وحضر عند أول وروده إلى النجف الأشرف بحوث علمائها المُبَرَّزين كآية الله العظمى السيّد الحكيم ﷺ، وآية الله العظمى السيّد الشاهرودي ﷺ، وآية الله العظمى السيّد الخوئي ﷺ وغيرهم، وكان حضوره حضور نقدٍ وتدقيقٍ، وحصيلته رسالته المسماة بـ«دروس الأعلام ونقدها».

مُصَنَّفَاتُهُ: ترك ﷺ آثاراً كثيرةً ومصنفات كبيرة ورسائل وحواشٍ في فنون العلوم المختلفة والدراسات العلميّة المتنوعة، كتبها في قم المقدسة وبورسا (تركيا) والنجف الأشرف، إلا أنَّهُ ـ وللأسف ـ قد ضاعت علينا كتبه التي صنَّفَها في قم المقدسة حيث قد صادرتها حكومَةُ الشاه العميل، بعد أن أَقْصَتْهُ مع والده العظيم إلى تركيا، ولم يبق لنا منها سوى ما صَنَّفَهُ في النجف الأشرف وبورسا.

توافرت لسيّدنا الشهيد كُلُّ المقومات التي صنعت منه مجاهداً عظيماً يعيش همَّ الاسلام والمسلمين حتى تكللت حياتُهُ بالشهادة، وبعد أن حلَّ أرضَ النجف الأشرف مع والده الإمام ﷺ ورغم كُلُّ الضغوط، كان يقوم في ظلِّ والده القائد بدوره السياسي وواجبه الشرعي تجاه دينه وأمته، فواكب الأحداث الساخنة في الساحة السياسيّة في وطنه الإسلامي الكبير في إيران والعراق وسوريا ولبنان وسواها، وكان نائباً لوالده الإمام في إدارة شؤونه السياسيّة وقيادة الثورة في بلاده من بعيد بطريقةٍ بِكْرٍ وأسلوبٍ فَذٍّ.

خاتمةُ حياته وجهاده:

ومن هنا أدرك العدوُ الحاقدُ خَطَرَ بقاء هذا المجاهد الثائر إلى جنب والده الإمام القائد ﷺ، فاستشهد ﷺ ـ ظُلماً وغدراً ـ وكان وَقْع استشهاده كبيراً في قلوب المؤمنين كافة، ولكنَّ ذلك الأثر البالغ يتضاعف على قلب والده العارف بخصائص ولده الفقيد، الذي نشأ على خطه وفكره، والذي عقد آماله الكبار عليه، ولقد بكى عليه بكاءً شديداً، ولكن لم يفت ذلك في عزمه، بل ألهبه عزماً أكيداً على محاربة المستكبرين ونصرة المستضعفين. لقد قضى الشهيد السعيد نحبه في ظروف غامضة عام ١٣٥٦ هـ/ش عن عمرٍ ناهز السابعة والأربعين، وَوُرِيَ إلى جنب جده العظيم أمير المؤمنين وإمام المتقين ـ عليه أفضل الصلوات والتحيات ـ فسلامٌ عليه يوم وُلِدَ، ويوم جاهد فاستشهد، ويوم يُبعثُ حياً، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

والمجرور الذي بعدها، وأحد الاحتمالات هو أنَّ «الحمد» يعني جميع مصاديق الحمد من أيِّ حامدٍ كان، فكُلُّ حامدٍ يحمد إنَّما بـ«اسم الله»، يعني أنَّ الحامد نفسه اسم «الله»، وجميع أعضائه وجوارحه أسماء أيضاً.

والحمدُ الصادرُ من الإنسان هو باعتبار أنَّ هذا الاسم يحمد بـ«اسم الله»، وأنت أيضاً اسمٌ آخر، وزيدٌ كذلك اسمٌ، فكُلُّ منكم من أسماء «الله»، يعني مظاهر الأسماء «الفاعل الإلهي فاعل الوجود».

[تمايُزُ الفاعل الإلهي عن الفواعل الطبيعيّة]

انتبهوا إلى كون أنَّ الفاعل الإلهي ـ وهو فاعل الوجود ـ يتمايزُ عن الفواعل الطبيعيّة بفروقٍ منها أنَّ الشيءَ الذي يَصدُرُ من المبدأ الإلهي ويُسمى بـ«الفاعل الإلهي»، هذا الصادر هو فانٍ في المصدر بحيث ليس له أيُّ حيثيّةٍ من نفسه، وليس له أيُّ نحوٍ من الاستقلال. ولتقريب المعنى للذهن نُشَبِّهُ الأمرَ بشعاعِ الشمس في مقابل الشمس ـ وإنْ كان الأمرُ ليس كذلك أيضاً فهو فوق هذا التشبيه ـ ولكن على أيِّ حالٍ، فمثلما أنَّ شعاعَ الشمس لا استقلال له أصلاً في مقابل الشمس، كذلك الحالُ مع الفاعل الإلهي وهو نفسُ الإيجاد ونفسُ الوجود الصادر عن مبدأ الخير، فليس له أيُّ نحوٍ من الاستقلال بنفسه، لا في التحقق ولا في البقاء ولا لموجودٍ واحدٍ، فلو انقطع عنه شُعَاعُ الوجودِ لما استطاع البقاء؛ لأنَّهُ محتاجٌ إلى المبدأ في البقاء مثلما هو مُفتَقِرٌ إليه في أصل التحقق.

[الموجوداتُ أسماءُ الله الفعليّة]

ولأنَّ الموجودات لا حيثيّة لها من أنفسها، ولكونها فانيةً في المبدأ، لذا

فإنَّها وفي نفس الوقت الذي تَكُونُ ظُهُورَ أسماء «الله»، فهي أنفسها أسماءُ «الله»، إنَّها أسماءُ «الله» الفعليّة.

ففي نفس الحال الذي يَكُونُ فيه نورُ السموات والأرض ظُهُورُ نُورِ «الله» ـ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] ـ يكونُ أيضاً ظُهُورَهُ، لا أنْ يكون هو نفسه، لكنَّ العلاقة بين الظاهر ومبدأ الظهور هي أنَّ هذا الظاهر فانٍ في مبدأ الظهور، فهذا الموجودُ فانٍ في مبدأ بحيث لا يكونُ له أيُّ شكلٍ من الاستقلال، فهذا هو، وهذا الظهور هو الفاني فيه، ولهذا قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

[الأقوالُ المُحتَمَلة في مُتعَلق «الحمد»]

وعلى القول بأنَّ الألف واللام في «الحمد» هي استغراقية، وأنَّ «بسم الله» متعلق بها، فإنَّ كُلَّ حمدٍ من أيِّ حامدٍ إنَّما يتحقق باسم الله، والحامدُ هو اسمه، وعلى أحد الاعتبارات فالحامدُ والمحمودُ واحدٌ، ظهورٌ ومظهر: «**أنت كما أثنيت على نفسك... أعوذ بك منك**»[3]، فلأنَّ الحامدَ يكون فانياً في المحمود، من هنا يكون وكأنَّه هو الذي يُثني، فما من حيثيّةٍ للغير حتى نقول إنني أُثني عليه، فإنَّهُ هو الذي يثني من باب ـ الفناء ـ.

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) المصدرُ السابقُ نفسُهُ.

(٣) جاء في دعاء النبي الأعظم ﷺ في سجوده قوله: «... أعوذُ بكَ مِنك... لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، راجع: الفروع من الكافي: ج٣، ص٣٢٤، كتاب «الصلاة». باب «السجود والتسبيح و...» الحديث١٢، ومصباح المتهجد: ص٣٠٨، ومصباح الشريعة: الباب٥، وعوالي اللئالي: ج١، ص٣٨٩، الحديث٢١.

وهناك احتمالٌ آخر هو أن لا تكون الألف واللام في «الحمد» للاستغراق، أي أنْ تكون تكثيرٌ فرديٌّ للأفراد.

أصلاً، إنَّ نفس الطبيعة مجردةٌ عن جميع الخصوصيات هي «الحمد»، ذلك «الحمد» ليس له تَعَيُّنٌ بأيِّ نحوٍ كان، وهناك يكونُ معنى ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . . . ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمدَ بدون تعيين، أي الحمد المطلق.

وبناء على هذا الاحتمال تُصبحُ محامدنا عَكْسَ الاحتمال الأوّل، فلا تكونُ واقعةً له، فالحمدُ الذي يقع له هو الذي يفعله بنفسه، فإنَّ الحمد الصادر عن غير حمدٍ محدودٌ مُتعينٌ، وهو ـ الله ﷻ ـ غير محدودٍ، وحَمْدُ المحدود لغير المحدود لا يُصْبحُ حمداً، ويكونُ عكسُهُ ما تقدم قوله، من أنَّ «الحمد» لا يكون إلاّ لله. فأنتم تتصورون أنَّهم يمدحون الخطَّ الحسن، لكنَّهم يمدحون الله لا الخط، تتصورون أنّكم تمدحون النور، أو تمدحون العالم، ولكنَّهُ مَدْحُ «الله» لا العالـم.

هكذا تقدم القول من أنَّ جميع المحامد لله، فكُلُّ ما هو حمدٌ من أيِّ حامدٍ صَدر يرجع إلى «الله»؛ لأنَّهُ ما من كمالٍ ولا من جمالٍ في العالم سوى كماله وجماله، أما الموجودات فليست بشيءٍ، فلو نُزع عنها هذا التجلي لما بقي منها شيء فهي موجودة به.

وفيما تقدم، قِيْلَ إنَّ جَميعَ الموجودات هي تجلّيات «الله» ونوره ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، ولو نُزِعَ هذا التجلّي ما بقي موجودٌ، ولكونه تَجَلٍّ وكون أنَّ المدح هو للكمال، فلا يَقَعُ مَدْحٌ لغيره ﷻ، إذ لا كمال غير كماله، وكمالُهُ ظُهورُ كمال ذاته، وكماله في مقام الظهور كمالٌ في مقام

---

(١) النور: ٣٥.

الذات، كمالٌ في مقام الصفات. جميعُ كمالات العالم هي كَمَالُهُ، وفي مقام الظهور كُلُّ من يمدح إنَّما يمدحُ كمالاً، وعليه فكُلُّ مَدْحٍ يقع، يقع له. هكذا هو الأمر وفق الاحتمال الأوّل.

أما في هذا الاحتمال الثاني ـ وهو احتمالٌ طبعاً ـ فيكون «الحمدُ» حمداً مُطلقاً، لا حَمْدَ كُلِّ حَمْدٍ. الحمدُ المطلق يعني حمداً دون غَيرٍ ودون قيّدٍ، حمداً ليس فيه أيُّ قَيْدٍ.

والحمدُ الذي يصدر عنا جميعُهُ حمدٌ مُتَعَيِّنٌ وَلِمُتَعَيِّنٍ، إذ لا سبيل لنا إلى الموجود المطلق لكي نحمده، لا نُدركُهُ حتى نحمده.

أنتم حتى عندما تقولون «الحمد لله» فلا يحصل إدراكُ تلك «الحقيقة» لكي يكون «الحمد» له. لذا فَكُلُّ حَمْدٍ يقع لا يكون له وإنَّما لمظاهره، وهذا على عكس ما ورد في الاحتمال الأوّل، حيثُ كُلُّ حَمْدٍ يقع لا يكون لغيره، في حين إنَّ الأمرَ في الاحتمال الثاني هو أنَّ كُلَّ حَمْدٍ يقع لا يكون له سوى حمده نفسه، أي أنْ يحمد نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ.

وعلى هذا فلا يُمكنُ أن يكون «الاسم» في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ . . . ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نفس المعنى الأوّل، أي إنك أنت اسمٌ، وهو اسمٌ، والآخرُ اسمٌ أيضاً، هذا اسم «الله» وظهورُ المُطلق بلا قيد وعلامة. والمطلق يكون بلا قيد، هو ظهورٌ من الغيب واسم الغيب، وبذاك الاسم يكونُ وقوع «الحمد»، أي يحمد نفسه تلقائياً، فالظهور يحمد المظهر، وهذا أيضاً قولٌ على نحو الاحتمال، وبالطبع يكونُ المتعلق بـ«اسم الله» ـ هنا ـ متعلقاً بـ«الحمد». فحيناً كُلُّ مصداقٍ من «الحمد» وحيناً صِرْفُ وجود «الحمد» الذي ليس له أيُّ قيدٍ.

مرةً تكونُ جميعُ المحامد الواقعة لله لا لغيره، ومرةً أخرى لا يقع أيُّ حمدٍ لله ـ بمعنى الحمد المطلق ـ أي يكونُ حمداً محدوداً، لا حمداً مطلقاً،

وعندها يكونُ معنى «الحمد لله» ذلك الحمد المطلق غير المقيد بأيّ قَيدٍ، ويَقَعُ له بالاسم المناسب له، وهذا أيضاً احتمالٌ آخر.

كما ذكروا احتمالَ أن لا تكون البسملةُ مُتعلقةً بنفس السورة، وقال البعضُ إنَّها مُتعلقةٌ بظهور الوجود، فيكونُ معنى البسملة: أنَّ كُلَّ شيءٍ يوجد إنَّما يكونُ وجودُهُ باسم الله، يعني الاسم مبدأُ ظهورِ جميع الموجودات. وهذا «الاسم» عبارةٌ عن المشيئة التي ورد ذِكْرُها في الحديث الشريف: **«إنَّ الله خلق المشيئة بنفسها وخلق الأشياء بالمشيئة»**[1].

[لا يُمكنُ لأحدٍ أن يستعينَ بغير اسم الله]

والمشيئةُ هي عبارة عن الظهور الأوّل الذي خَلَقَهُ ـ اللهُ ﷻ ـ بنفسه، أيَّ بدون واسطةٍ، ويكونُ خَلْقُ كافَّة الأشياء الأُخرى بالمشيئة. ويُحتَمَلُ أنْ يكونَ الوجودُ ـ الذي هو ظهر الوجود ـ تتعلق به البسملةُ التي لا تتعلق بالسورة بل بشيءٍ خارجيٍّ، وهذا ما يراهُ أهلُ الأدب مُناسباً لمثل الحالة مع «أستعين» وأمثالها، فلو كانت استعانةٌ بالله ـ ولو أنَّ أهل الأدب لا يلتفتون ـ فهي استعانةٌ باسم «الله»، فَكُلُّ من يستعين إنَّما يستعينُ باسم الله، فلا يُمكنُ لأحدٍ أنْ يستعينَ بغير اسم «الله»، لا أنْ يكونَ اسمُ «الله» أمراً لفظياً وشكلياً، بل هو حقيقةٌ واقعيّةٌ، فاسمُ «الله» في كُلِّ شيءٍ بهذا الظهور، وكُلُّ شيءٍ يكونُ بهذا الظهور، وهي ترجع إليه ولو لم يلتفت الأديبُ.

«اللهُ»، هذا الذي يرتبط بالمتعلق ما هو؟!

فيما يرتبط بالاسم، قُلتُ سابقاً إنَّهُ علامةُ المسمى، فأيُّ شيءٍ موجود لا

---

(١) أصول الكافي: ج١، ص١١٠، كتاب التوحيد ـ باب الإرادة أنّها من صفات الفعل... ـ الحديث الرابع. وبحار الأنوار: ج٤، ص١٤٥، أبواب الصفات، الباب الرابع، باب القدرة والإرادة.

يكون علامةً على هذا الاسم؟ أيُّ شيءٍ تَفرضونَ له وجوداً بنحوِ ما، هو ظهورٌ له بنحوِ ما، وعلامة له.

[جميعُ الموجودات علائم وظهورات للاسم]

الإسمُ هو العلامة، وغايةُ الأمر أنَّ له مراتب. فهناك اسمٌ يُجَسِّدُ تمامَ معنى العلامة، وهناك اسمٌ دونه حتى يصل إلى مرتبة سائر الموجودات. فجميعها علامات وجميعها ظهور للاسم على مراتب. وَرَدَ في الحديث الشريف: «**نحنُ الأسماءُ الحُسنى**»[1].

فالإسمُ الأعلى في مقام الظهور هو النبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام، أولئك الذين وصلوا في مرتبة السير ـ في مرتبة الحركة من النقص ـ إلى حيث تحررهم من جميع الطبيعيّات، من كل شيءٍ، أولئك ليسوا أمثالنا حيث نحن في هذه البئر العميقة.

[الهجرةُ إلى الله... والوصول إلى المُنتهى]

نحنُ لم نتحرك، هُناكَ أشخاصٌ تحركوا وخرجوا من هذه البئر وهاجروا: ﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ**﴾[2]. أَحَدُ الاحتمالات هو أنَّ هذه الهجرة هي من النفس إلى الله، و«البيتُ» ـ هنا ـ هو نفسُ الإنسان، فهناك طائفةٌ خرجوا وهاجروا عن هذا البيت الظلماني ﴿**مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾ إلى أنْ وصلوا إلى منزلِ «**أَدْرَكَهُ**

---

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٢٥، ص٥، أبواب خلقتهم وطينتهم وأرواحهم عليهم السلام. ورواهُ الكليني في الكافي، ج١، ص١٤٤، باب النوادر، عن صادق أهل البيت عليهم السلام، قال: «نحنُ والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد إلا بمعرفتنا».

(٢) النساء: ١٠٠.

الموتُ»، وصلوا مرتبةً لم يعد لهم فيها شيءٌ من أنفسهم. مَوْتٌ مُطْلَقٌ، وعندها «**وَقَعَ أَجْرُهُم على الله**»، فهنا أَجْرٌ آخر، ليس هو الجنة ولا أشكال النعيم الأخرى، هنا «الله» فقط.

إنَّ من يتحرك ويخرج من بيت نفسانيته ويهاجر إلى «الله» وإلى رسوله ـ وهذه أيضاً هي هجرةٌ إلى الله ـ يصلُ إلى مرتبة «**أَدْرَكَهُ المَوْتُ**»، وعندها لا يكونُ هناك شيءٌ من نفسه، كُلُّ ما هو موجودٌ فهو من «الله»، هذا ما يشاهده في هذه الهجرة، وأَجْرُهُ على «الله».

طائفةٌ هاجروا هذه الهجرة ووصلوا إلى المُنتهى، وأَجْرُهُم أيضاً على «الله»، وآخرون مُهاجرونَ على الدوام، فَهُمْ طائفةٌ في حالة هجرةٍ مُستَمرَةٍ لكنَّهُم لم يصلوا إلى «**آيات الهجرة**» وهي «**أَدْرَكَهُ المَوْتُ**».

وهُناك طائفةٌ مثلنا، لا هجرةَ لنا أصلاً، فنحن في هذه الظلمات أسرى هذه الدنيا والطبيعة، وأشدُّ منها أسرى «أنانيّة» أنفسنا، سُجناء هذه البئر العميقة، سجناء في بيت النفسانيّة، وبناءً على هذا الاحتمال، فإنَّنا لا نرى إلاّ أَنْفُسَنَا، وكُلُّ ما نريده هو لأنفسنا، ليس لدينا غير النفس، ولم نُفَكِّر أصلاً ولم نسع للهجرة، فَكُلُّ ما نُفَكِّر به هو في بيت النفسانيّة.

[القوى الإلهيّة مودعةٌ فينا على نحو الأمانة]

جميعُ القوى الإلهيّة التي أودعها الله ﷻ فينا أمانة لدينا، لا نرّدها إلى صاحبها، نصرفها على ما هي عليه هنا ـ في هذا البيت ـ ولا زلنا فيه، ولا نزال ويوماً بعد آخر نزدادُ بُعداً عنه، عن هذا المبدأ، عن المحل الذي يجب أنْ نُهاجر إليه، وقد روي: «**أنَّ الرسول الأعظم ﷺ كان جالساً إلى أصحابه يوماً فسمعوا صوتاً مهيباً، فسألوا: ما هذا الصوت؟ فقال ﷺ: «حجرٌ أُلقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنةٍ، الآن وصل إلى قعرها، وقال أولوا الألباب:**

في وقتها سمعنا أنَّ رجُلاً كافراً عَمَّرَ سبعين سنةٍ، مات حينها فسقط في جهنم»[١]. ونحنُ أيضاً سائرون بهذا الاتجاه، غاية الأمر أني منذ ثمانين عاماً أسير بهذا الاتجاه، وأنتم منذ سنوات عديدة، وأرجو أن لا تسيروا أنتم أيضاً بهذا الاتجاه.

[النَفْسُ أعدى الأعداء وأمُّ الأوثان]

كُلُّ ما يجري علينا وكُلُّ ما نبتلي به هو من حب النفس، من هذه «الأنانيّة»، «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**»[٢]، هكذا وَرَدَ التعبيرُ عن النفس، فهي أسوأ من كل الأعداء، وأكبر من كُلِّ الأوثان، فهي أُمُّ الأوثان، إذ إنَّ الإنسان يعبدها أكثر من سائر الأوثان، ويتوجه إليها أكثر من سائر الأوثان، وما لم يحطم هذا الوثن فلا يستطيع أن يصبح إلهيّاً، فلا يُمكنُ الجمعُ بين «الله» وبين الوثن، ولا يُمكنُ الجمعُ بين الأنانيّة والإلهيّة.

[النَفْسُ مَعْبَدُ أصنامٍ وحُبُّها عِبادةٌ صَنَميّة]

ما لم نتحرر من هذا البيت، من معبد الأصنام هذا، وما لم نتحرر من هذا الوثن ونُعَوض عنه ونتوجه إلى الله ﷻ، وما لم نخرج من هذا البيت، فنحن من عَبَدَةِ الأصنام حتى لو كنا مُوَحِّدِين ظاهرياً.

نقول «الله» بألسنتنا ولكنَّ الذي في قلوبنا هو أنفسنا، نريد «الله» لأنفسنا، وإذا كنا نريد «الله» لأنفسنا، فإنَّنا نقف ونصلي ونردد ألفاظ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

---

(١) راجع: علم اليقين للفيض الكاشاني ﷺ، ج٢، ص١٠٠٢، المقصد الرابع، الباب الثالث عشر، الفصل الرابع.

(٢) راجع: عوالي اللئالي، ج٤، ص١١٨، الحديث (١٨٧) عن الرسول الأعظم ﷺ. وبحار الأنوار: ج٦٧، ص٣٦، في أنَّ النفس والروح والقلب والعقل ألفاظٌ مُتقاربة المعاني.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، ولكنَّ العبادة في الواقع هي عبادة النفس، وعندما يكون الالتفاتُ والتوجهُ هو للنفس، عندها أرى جميعَ الأبعاد بالنفس، وأُريد جميعَ الأشياء لنفسي.

[الأنانيّةُ منشأُ جميع المصائب والحروب والنزاعات]

جميعُ هذه المصائب التي تحل بالإنسانيّة ناشئةٌ من هذه النقاط من «أنانيّة الإنسان»، جميعُ الحروب في هذا العالم من هذه الأنانيّة، فما من حَرْبٍ ونزاعٍ بين المؤمنين، فإذا نَشَبَتْ حَرْبٌ بين المؤمنين فليعلموا أنَّهم ليسوا مؤمنين فلا حَرْبَ بين المؤمنين.

ولَكِنْ حيث لا يكون هناك إيمانٌ، وحيث إنْ توجه الإنسانُ إلى النفس، لذا فهو يُريدُ كُلَّ شيءٍ لنفسه، ومن هنا يقع النزاع، أنا أُريدُ هذه «الأريكةَ» لنفسي، وأنتُم تُريدونها لأنفُسكم، وحيثُ لا يُمكنُ الجمع يقع التعارض والتضاد، أنا أُريد هذا «البساطَ» لي وأَنتُم تُريدونه لكم، أنا أُريدُ أنْ تكونَ هذه الرئاسةُ الوهميّةُ لي، وأنتُم تُريدونها لَكُمْ، وحيثُ لا يُمكنُ الجمعُ بين الإرادتين يَنْشُبُ النزاعُ.

[لو اجتمع الأولياءُ في مكانٍ واحدٍ لما نَشَبَ بينهم اختلافٌ أبداً]

هذا يُريدُ هذه الدولة له، والثاني يُريدُها لنفسه، فتقع الحربُ. جَميعُ هذه الحروب في العالم هي بين الأنانيّات. الإنسانُ يُحاربُ بأنانيّته، والحروبُ هي حروبُ الأنانيّات، وهي مَعْدُومَةٌ بين الأولياء؛ لأنَّهم لا أنانيّات لديهم، فلو اجتمع الأولياءُ في مكانٍ واحدٍ لما نَشَبَ بينهم أبداً ولا ظهر اختلافٌ

(١) الفاتحة: ٥.

بينهم[1]؛ لأنَّ كُلَّ شيءٍ هو «لله»، فلا مكان هنا للنفس لكي يجر هذا «البساط» إلى طرفه فيحدث الاختلاف وينشب بينهم النزاع.

الجميعُ هم لمبدأ واحدٍ، ويسيرون بنفس الاتجاه، ولكنا نَحْنُ واقعون في بئرٍ عميقةٍ وظلماتٍ أشَدُها ظُلْمَةً هي ظُلْمَةُ «الأنانيّة»، وما لم نخرج منها فلا سبيل للخروج من تلك البئر العميقة. ما دمنا في ظلمات الأنانيّة فَسَنَظَلُ لا نلتفت إلا إلى أنفسنا، فنعتبر الآخرين لا شيء، أما أنفسنا فهي كُلُ شيءٍ، وكُلُّ ما يُطرحُ يَقْبَلُهُ الإنسانُ إذا ينفعه، وإلا فلا يرضى به حتى إذا كان حقاً. يُصَدِّقُ به فوراً إذا كان يرى فيه مَنْفَعَةً لنفسه، وإلاّ لا يُصَدِّقُ به بتلك السرعة، وكُلُّ ذلك ناشئٌ من الأنانيّة.

كُلُّ المصائب التي تحلُ بنا وبكم وببني آدم في كُلِّ مكانٍ ناشئةٌ من هذا المنبع، فالنزاعُ ناشئٌ من الأنانيّة، من كوني أنا أَجُرُّ إلى طَرَفِي وأنت إلى طَرَفِكَ.

وما دامت هذه الأنانيّةُ موجودةً فما من «إلهيّة» وما من عبادة إلا عبادة النفس.

---

(١) يقولُ الإمامُ الراحل ﷺ: «لو اجتمع الأنبياءُ كُلُّهُم في مكانٍ واحد، لما تنازعوا فيما بينهم قط. إنْ فَرَضْتُم أنَّ جميعَ الأولياء والأنبياء جاءوا إلى الدنيا، فإنهم لن يتنازعوا أبداً؛ لأنَّ النزاع منشؤهُ حُبُّ الذات، وهذه الظاهرة تبدأُ من النفس، وهُمْ قضوا على هذه النفس، إذ جاهدوها، وجَميعُهُم يَتُوقُ لله. ومن يُريدُ «الله» لا يتنازع. منشأُ جميع النزاعات والخلافات هو أنَّ هذا يُريدُ شيئاً لنفسه، والاخرُ يُريدُ شيئاً آخر لنفسه، وهذان الشيئان يُشَكِلان تَزَاحُماً بينهما. هذا يُريدُ أن تكون السُلطةُ لنفسه، وذلك أيضاً يُريدُ أنْ تكون له، فيتزاحمان، وتنشأ الحربُ. ولو تَخَلَّقَ الناسُ بأخلاق الأنبياء التي نزلت جميعُ الكتب السماويّة لتربية الإنسان وتوطينه على هذا الخُلُق، لما ظهر خلافٌ، ولَحلَّ ما ظهر منه وعاد الجميعُ إخوة، كما وَصَفَ القرآنُ الكريمُ الجميعَ بالاخوة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.
راجع: صحيفة الإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ج١١، ص٣٠٤.

[الأنبياءُ ﷺ بُعثوا لاخراج الإنسان من معبد الأصنام وحكومة الشيطان]

والآن من هو القادر على الخروج من معبد الأوثان هذا والموجود في داخل الإنسان ذاته؟!

الأمرُ يحتاجُ إلى يَدٍ غَيبيّةٍ تأخُذُ بِيَدِ الإنسان وتُخرِجُهُ من هذا المعبد، ولهذه الغاية كانت بعثة جميع الأنبياء.

لقد بُعِثَ كافَّةُ الأنبياء وأُنزلت كَافَّةُ الكُتُبِ السماويّة لأجل إخراج الإنسان من معبد الأصنام هذا وتحطيمها، وتحويله إلى عابدٍ لله.

جاء الأنبياءُ جميعاً لتحويل عالم الإنسانيّة هذا إلى عَالَمٍ إلهيٍّ بعد أن أصبح عَالَماً شيطانياً يخضع لحكومة الشيطان.

[الأنانيّةُ علّةُ حاكميّة الشيطان والنفس الأمارة]

فالحاكمُ علينا هو الشيطان ونَحنُ أتباعُهُ، فهوى النفس هو من مظاهر الشيطان وحُكْمِهِ علينا؛ لذا فَكُلُّ عَمَلٍ نَقُومُ به هو عملٌ شيطانيٌّ، وكُلُّ ما نفعلُهُ نَقُومُ به بأنانيّةٍ مادام فيه دَخْلٌ للشيطان الأكبر وهو النفس الأمارة. وحيثُ نفعله بأنانيّة فنحن تَبَعٌ لشيطاننا.

الشيطانُ مُهَيمِنٌ علينا الآن إلى أنْ نُهاجر من هذا البيت بتعليم الأنبياء والأولياء وتوجيههم، ونُعرِض عن هذه الأنانيّة. وتَحَقُّقُ ذلك يعني أنّنا بدأنا نَخْرُجُ من هذه البئر ونسير إلى ذلك الجانب. وإذا أفلح شخصٌ ـ في هذه الدنيا ـ بالوصول إلى ذاك المحل الذي لا يخطر في أوهامي ولا أوهامك، عندها ينعدمُ ويفنى، والذي يَطْلُبُ الكمالَ عليه أنْ يُهاجر هذه الهجرة.

[مُجاهدة النفس سبيلُ الهجرة إلى «الله»]

على من يُريد الخروج من هذه الأنانيّة أنْ يُهاجرَ هذه الهجرة بالمجاهدة، يُجاهدُ ويُهاجرُ، «جئتم من الجهاد الأصغر وبقي عليكم الجهاد الأكبر»[(١)]، وسائر أشكال الجهاد في الدنيا تَبَعٌ لهذا الجهاد، فلوا انتصرنا فيه لكان كُلُّ جهاد نقوم به هو جهاد، وإذا لم ننجح في هذا الجهاد لكانت سائرُ أشكال جهادنا الأُخرى شيطانيّةً.

[مبدأُ صدور الأفعال علّةٌ للتغيير في سنخيتها]

فالذي خرج للجهاد من أجل الحصول على جاريةٍ أو طعامٍ فهذا هو أجرُ جهاده، أما الذي كان لله فأجرُهُ أيضاً على الله فسنخية الأفعالِ تختلف[(٢)]، وهناك فَرْقٌ بين الأفعال الصادرةِ عن أولياء الله ﷻ وبين تلك الصادرة عنّا لأنَّ المصدرَ مختلفٌ.

---

(١) إشارة إلى حديث الرسول الأعظم ﷺ عند استقباله سَرِيَّةً من المجاهدين بعد عودتهم من سُوح الجهاد، قال ﷺ: «مَرحباً بقومٍ قَضَوا الجهادَ الأصغر وبَقِي عليهم الجهادُ الأكبرُ» فقيل: «يا رسول الله، ما الجهادُ الأكبرُ؟»، فقال ﷺ: «جهادُ النفس». راجع: فروع الكافي، ج٥، ص١٢، باب وجوه الجهاد، الحديث (٣). بحار الأنوار، ج١٩، ص١٨٢، الباب الثامن، نوادر الغزوات وجوامعها، الحديث (٣١). وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٦١، أبواب جهاد النفس وما يُناسبه، باب وجوبه، الحديث الأوّل.

(٢) عن عوالي اللئالي، ج١، ص٨٢، الفصل الخامس، في أحاديث تتعلق بمعالم الدين وجملةٍ من الآداب، الحديث الثالث، عن الرسول الأعظم ﷺ أنّهُ قال: «إنّما الأعمالُ بالنيّات، وإنّما لكُلِّ امرءٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُهُ إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرتُهُ إلى دنيا يُصيبها، أو امرأةٍ يتزوجها، فهجرتُهُ إلى ما هاجر إليه»، وفي وسائل الشيعة، ج١، ص٤٩، باب استحباب نيّة الخير والعزم عليه، الحديث (١٠)، عن رسول الله ﷺ أنّهُ قال: «إنّما الأعمالُ بالنيّات، ولكُلِّ امرءٍ ما نوى، فمن غزى ابتغاء ما عند الله فقد وقع أجرُهُ على الله ﷻ، ومن غزى يُريدُ عَرَضَ الدنيا أو نوى عِقالاً، لم يكن له إلا ما نوى».

[الإخلاصُ لله ﷻ ميزانُ التفاضل]

هل كانت «**ضربة علي يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين**»[(١)] دونما مبرر؟! ضربةٌ واحدةٌ لقتل شخصٍ واحدٍ تُفَضَّلُ على عبادة الثقلين فلماذا؟ بالطبع هذا التفضيل يرجع من جهةٍ إلى كون أنَّ هذه الضربة جاءت عندما برز الإيمان كُلُّهُ إلى الشرك كُلِّهِ، فلو كانت هزيمةٌ لعلي عليه السلام يوم الخندق لضاع الإسلامُ، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أُخرى هناك ذلك الإخلاص والإلهيّة، فعندما جلس الإمامُ عليه السلام على صدر ذلك الشخص ثم بصق هذا على الإمام عليه السلام نهض الإمام عليه السلام ـ حسبما يُروى ـ لئلا يكون لذلك تأثيرٌ، ـ وهذا الموقف من باب الاحتياط أيضاً، وإلا فـ«الأنا» غيرُ مطروحة أصلاً بالنسبة له ـ وهذا الموقف صَدَرَ من الجنبة الإلهيّة فيه وظهر في الجنبة النفسانيّة، لذا فهذه الضربة تُعَبِّرُ عن روحٍ أسمى من كُلِّ العبادات، هي الروحُ التي تجعلُ العبادةَ عبادةً.

حسب الظاهر فإنَّ الفَرْقَ بين المشرك وغير المشرك هو في عبادة الأصنام، فالأوّلُ يعبُدُ الأصنامَ والثاني لا يعبدها، وله أذكارٌ وأورادٌ تتشابه ظواهرُها، أبو سفيان كان يُصلي، ومُعاوية كان يأمُّ صلاةَ الجماعة، الظواهرُ مُتشابهةٌ، أما الذي يَرْفَعُ الصلاةَ فهي الروحُ تُنفَخُ في الصلاة، فإذا وُجِدَت هذه الروح ارتفعت الصلاةُ وأصبحت إلهيّةً، وبدون ذلك تكونُ عبادةً من أجل النفس، وهذا هو حالنا جميعاً فلا نُخادع بعضنا البعض.

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّهُ قال: «لَضربَةُ عليٍ خيرٌ من عبادة الثقلين»، راجع: بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢، الباب (٧٠)، ما ظهر من فضله ـ صلوات الله عليه ـ يوم الخندق، الحديث الأوّل. وفي ينابيع المودة لذوي القُربى، ج١،ص٤١٢، الباب (٤٦)، الحديث الخامس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّهُ قال: «ضربة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة».

[مراتبُ العبادة والعبوديّة]

إنَّ عبادتنا جميعها هي من أجل أنفسنا، والصالحُ جداً هو الذي يعبُدُ من أجل الجنة، فارفعوا الجنة من ثواب الأعمال ولاحظوا من الذي يبقى يعبد؟! عليٌّ عليه السلام يبقى وحوض علي كذلك، عليٌّ الذي «**عَشِقَ العِبَادَةَ وَعَانَقَهَا**»[١]. فالعبادةُ من أجل الجنة غير مطروحة بالنسبة للذي غَضَّ الطَرْفَ عن نفسه وهجرها، وخرج من هذا البيت ووصل إلى مرحلة «الموت»، فلم تَعُد اللذات مطروحةً أصلاً بالنسبة له، فهو ذاهلٌ عنها ومَيّتٌ عنها «أَدْرَكَهُ المَوتُ»، فلم تعد هذه الأمور مطروحةً بالنسبة له أصلاً[٢]، وعنده الجنة

---

(١) عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّهُ قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضلُ الناسِ مَنْ عَشِقَ العِبَادَةَ فعانقَهَا وأَحَبَهَا بِقَلْبِهِ، وبَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ، وتَفَرَّغَ لها، فهو لا يُبالي على ما أصبح من الدنيا على عُسْرٍ أَمْ على يُسرٍ؟». بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٥٣، العشق ومعناه وما قالت الحكماء فيه، الحديث العاشر، نقلاً عن أصول الكافي، ج٢، ص٨٣، باب العبادة، الحديث الثالث. أقولُ: العشقُ هو الحُب المُفرط، ويكونُ مذموماً فيما لو كان شهوانياً جسمانياً حيوانياً، أما العشق الإلهي وهو الحُبُّ النفسيُّ والروحيُّ الخالصُ عن شوائب النزوات والشهوات والمُتَخَلِّصُ من دَنَس الشخصانيّة وحُبِّ الذات والأنا، فإنّهُ أعظم الغايات ومنتهى آمال المخلوقات التي لم ينال فِطْرَتَها رِجْسُ الشرك والإشراك، فإنَّ القلب عرشُ الرحمن ولا ينبغي أن يستوى على ذلك العرش غيرُهُ عزّ وجلّ.

(٢) روي في وسائل الشيعة، ج١، ص٦٣، باب عدم جواز الوسوسة في النية والعبادة، الحديث (٣)، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّهُ قال: «إنَّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادةُ التجار، وإنَّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادةُ العبيد، وإنَّ قوماً عبدوا الله شُكراً فتلك عبادةُ الأحرار». وفي الأمالي، للشيخ الصدوق، ص٩٢، الحديث الخامس، عن صادق أهل البيت عليهم السلام أنّهُ قال: «إنَّ الناس يعبدون الله عزّ وجلّ على ثلاثة أوجه: فطبقةٌ يعبدونه رَغبةً في ثوابه، فتلك عبادةُ الحرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدونه خوفا من النار فتلك عبادة العبيد، وهي رهبة، ولكني أعبده حباً له عزّ وجلّ فتلك عبادة الكرام، وهو الآمن، لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾، ولقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، فمن أَحَبَّ الله أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ الله عزّ وجلّ كان من الآمنين».

والنار والجميع على حدٍ سواء: «أثني على ذات الله تعالى»، هو «يُثني على الله» إذ وَجَدَهُ أهلاً لأنْ يُعبَدَ، وَوَجَدَ أنَّهُ أهلٌ لأنْ يَعْبُدَهُ، وهذه مرتبةٌ من مراتبهم، وهي أنْ يَجِدَ عاشقُ العبادة أنَّهُ أهلاً للعبوديّة، وأن يعبد المعبود[١]، وهناك مراتب أخرى أيضاً هي فوق ما نتصور نحن.

[اليقظةُ والقيامُ لله سبيلُ الخروج من خدر الطبيعة]

والقَدَمُ الأولى هي أنْ تُقرروا الخروجَ من هذا البيت وتخرجوا. القَدَمُ الأولى أنْ يقومَ الإنسانُ قياماً لله، أنْ يستيقظ، أن لا يبق نائماً مثلما نحن الآن في سُباتٍ ظاهرُهُ اليقظة، يَقَظَةً حيوانيّةً، وسباتُ ونومُ الإنسانيّة، نحن نائمون «النَّاسُ نِيَامٌ فإذا ماتُوا انتَبَهُوا»[٢]. نِيَامٌ الآن وعندما يحصل الموتُ ينتبهوا إلى أيِّ واقعٍ كانوا فيه؟! ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣]، أيّ أنّها الآن أيضاً محيطةٌ ولكنَّ الإنسانَ لا يعتبر لأنَّهُ في خدر الطبيعة ـ حيثُ الإنسان طبيعته الخدر ـ فإذا زال هذا التخدير ينتبهُ ويرى أنَّ الكل اصبح ناراً.

يجبُ سلوكُ هذا الطريق فلا مناص، سيأخذوننا فيه على كُلِّ حال، ولكن علينا أنْ نستيقظ ونسلك الطريقَ المستقيم الذي يجب أنْ نسلكَهُ، وعلينا الخضوع لتربية الأنبياء.

---

(١) قال أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما عَبَدتُكَ خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنتك، بل وَجَدْتُكَ أهلاً للعبادة فَعَبَدتُكَ». راجع: عوالي اللئالي، ج٢، ص١١، الحديث (١٨).

(٢) من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المشهورة والمأثورة، راجع: عوالي اللئالي، ج٤، ص٧٣، الحديث (٤٨). كذلك الحديثُ مرويّ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، في بحار الأنوار، ج٥٠، ص١٣٤.

(٣) التوبة: ٤٩.

[ما من نبيٍّ بُعِثَ دون أنْ يكون هَدَفُهُ إصلاحُ الإنسان]

لقد جاء جميعُ الأنبياء لإصلاح الإنسان، وما من نبيٍّ بُعِثَ دون أنْ يكون هَدَفُهُ إصلاح الإنسان. إقامةُ العدل ليست سوى إصلاح بني الإنسان، فالعدلُ يَصْدُرُ من الإنسان وكذلك الظلم، وإقامةُ العدل تعني تحويل الظالم إلى عادلٍ، والمشرك إلى مؤمنٍ، تحويل هذا الموجود الذي لو تُرِكَ لحاله لكانت عاقبتُهُ الهاوية وجهنم، والأنبياء يُرشدونَ هذا الوجود إلى الطريق الذي يجب عليه أن يسلُكَهُ.

نَحْنُ إلى الآن لم نسلك هذا الطريق وقد تَصَرَّمَت من العمر سبعون وثمانون سنة، ولم نتحرك، ولم نُهاجر إلى الآن. لا زلنا واقفين حيث نحن من هذه الأرض، وإلى النهاية نحن على هذا الحال، ولكنْ لا مناص علينا أنْ نَتَحَرَّكَ ونسلك الطريق.

[الشبابُ أقربُ للملكوت ويستطيعون تهذيب أنفسهم بصورةٍ أسرع]

أنتم أيُّها الشباب تستطيعون العثورَ على الطريقِ الأفضل، لقد فاتنا الأمرُ وذهبت قِوانا إلى حيث عاقبتها. أنتم أيُّها الشباب تستطيعون بصورةٍ أفضل أنْ تُهذبوا أنفُسَكُم، فأنتُم أقربُ للملكوت من كبار السن، إذ إنَّ جذورَ الفساد أقل تأصُّلاً فيكم، لم تمتد كثيراً بعد، لكنَّها تتأصلُ وتتكاثرُ في كُلِّ يومٍ مادامت باقيةً، ويَصْعُبُ الأمرُ كُلَّما تأخر وتعرقل. فعسيرٌ للغاية على الشيخ العجوز إصلاح حاله إذا أراد ذلك، ولكنَّ الشاب يستطيعُ تحقيق ذلك أسرع.

يَتَحَقَّقُ إصلاحُ الآف الشباب، ولا يَتَحَقَّقُ إصلاحُ عجوزٍ واحدٍ. لا تتركوا أمرَ الإصلاح لأيام الشيخوخة ابدأوا ـ الآن ـ سَيْرَكُم ما دُمتُم شباباً، اجعلوا

ـ الآن ـ أنفُسَكُم تابعةَ لتعاليم الأنبياء، وهذا هو مبدأُ المسيرة ومنه يجب الانطلاق، فالأنبياءُ أوضحوا الطريقَ وأرشدوا إليه، ونَحنُ لا نعرفه، هُم يعرفونه، فَهُم أطباء يعرفون سبيلَ السلامةِ، وأَوضَحُوهُ وأرشدوا إليه، فإنْ أردتم السلام فعليكم أنْ تَسْلكوه، عليكم أنْ تُقَلِّلُوا شيئاً فشيئاً من التوجه والاهتمام بالنفس. وبالطبع، فمثلُ هذه المهمة لا يُمكنُ إنجازُها بِسُرْعَةٍ ولَكِنْ عليكم التحرُر شيئاً فشيئاً. جميعُ آمالنا هذه ستُقْبَرُ وتنتهي، جميعُ أشكال الاهتمام بالنفس ستنتهي وبالإضرار بنا، والذي يبقى هو المُتَعَلق بـ«الله» وما عند «الله»: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[1].

لدى الإنسان «**ما عندكم**» وللإنسان «**ما عند الله**»، فما دام مُتَوَجِّهاً مُهتَمّاً بالنفس فهو من جنس «**ما عندكم**»، وكُلُّهُ سيفنى وينتهي، ولكنَّ المُتعلق بالله فهو باقٍ باسمه لا ينفد.

[جاهدوا جهاداً لله وعندها لا هزيمة ولا تراجع]

جاهدوا ولنجاهد من أجل الخروج من هذه الحالة التي تُحيطُ بنا وبكم. أولئك الذين كانوا ينتصرون على الكفار لم يكونوا يهتموا لتعداد أعدائهم مهما كثر، ذاك الذي كان يُعلنُ أنَّهُ لو اجتمعت العَرَبُ عليه لما تراجع إنَّما كان يَقُولُ ذلك لأنَّ القضيةَ قضيةُ الله، وما دامت كذلك فلا هزيمة فيها ولا تراجع.

أولئك الذين كانوا يُجاهدون وينتصرون، كانوا يتقدمون دون الالتفات إلى أنفسهم وطموحاتهم، هؤلاء كانوا قد قاموا بمجاهدة النفس إلى حدٍّ ما، وأولئك كانوا في مراتب عالية ـ وكُلٌّ حسب مرتبته ـ وما لم يقوموا بذاك

---

(١) النحل: ٩٦.

الجهاد لما تحقق لهم ذاك الانتصار، فما لم يُعرضُ الإنسانُ عن آمال نفسه وعن الدنيا لا يُمكنُ أنْ يتقدم.

والدُنيا هي آمالُ الإنسان، فَدُنيا كُلِّ إنسان آمالُهُ، فالدنيا الخارجيّةُ ما هي من الدنيا المكذوبة، وكذلك حال عالم الطبيعة. الدنيا هي هذه التي عندكم، فأنتم عندما تلتفتون إلى أنفسكم فأنتم «دُنيا». دُنيا كُلِّ شخصٍ هي الموجودة في نفسه وهي المكذوبة، أما الشمس والقمر والطبيعة فليست مكذوبة، بل مُدِحَت فهي مظاهرُ «الله». لكنَّ الذي يُبَعِدُ الإنسانَ عن ساحة القدس والكمال فهي تلك الدنيا المكذوبة، وهي داخل نفسه، وهي التوجه إلى النفس.

أسألُ الله التوفيقَ لأنْ نخرج من هذه البئر الظلمانيّة العميقة، وَنَتْبَعَ أولياء الله، فَهُمْ قد تَخَلَّصوا من هذه المهلكة، وخرجوا منها، و«**أَدْرَكَهُمُ المَوْتُ**»، والسلام.

الدرس الثالث

أعوذ بالله من الشّيطان الرَّجيم، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، والحمد لله ربِّ العالمين

كان الحديثُ فيما تَقَدَّم حول الاسم في البسملة وبماذا يتعلق، حيثُ عرضنا لذلك عدة احتمالات.

[بيانُ طبيعة العلاقة الرابطة بين الحق والخلق]

والأساسُ في فهم بعض هذه القضايا هو أنْ يعرف الإنسانُ طبيعةَ العلاقة بين الحق والخلق وكيف تكون.

نحن نفهم الأمرَ بصورةٍ ببغاويّةٍ، والأكثر بواسطة البرهان، حيثُ إنَّ ما هو أسمى من البرهان هو لأشخاصٍ آخرين.

العلاقةُ بين الموجودات والحق تعالى هي ليست على نحو العلاقة بين موجودٍ وموجودٍ آخر، كالعلاقة بين الأب والابن، أو بالعكس، فهذه علاقة بين موجودٍ مُستقلٍ وآخر مستقلٍ أيضاً، علاقةٌ بين ذوي بصيرةٍ متساويةٍ.

كما أنَّ العلاقة بين الموجودات والحق تعالى ليست على نحو علاقة شعاع الشمس بالشمس ـ رغم أنَّ الربط فيها أسمى من النموذج السابق ـ ؛ لأنَّ لشعاع الشمس أيضاً غيريّة عن الشمس، فهي كذلك علاقةُ موجودٍ بموجودٍ آخر.

كما أنّها ليست كعلاقة قوى النفس المُجردة بالنفس، إذ إنَّ لربط القوة الباصرة والقوة السامعة بالنفس نحواً من المغايرة والكثرة أيضاً.

نعم، لا يُمكنُ تصنيفُ علاقة الموجودات بمبدأ الوجود ـ الحق تعالى ـ ضمن أيِّ نحوٍ من أنواع الربط التي ذكرتها.

[الربطُ بين الخلق والحق في الكتاب والسُنَّة وحقيقةُ التجلّي]

لقد وَرَدَت في الكتابِ والسُنَّةِ تعابيرٌ عن معنى الربط الموجود عمليّاً على نحو الإفادة، فقد وَرَدَ التعبيرُ عنه بالتجلّي كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾[١]، أو كالذي وَرَدَ في دعاء «السمات»: «**وَبِنُوْرِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً**»[٢]. الله ﷻ يقولُ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٣]، إلا أنَّ «مَلَكَ الموت» هو الذي يتوفى الأنفس، ولكنَّ التعبيرَ القرآني جاء بـ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى﴾. وَنفسُ التعبير وَرَدَ فيما يتعلقُ بالإنسان الذي يقتُلُ شخصاً، قتله ولَكِنْ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[٤]، «ما رَمَيْتَ وَرَمَيْتَ» و«رَمَيْتَ وما رَمَيْتَ»، هذا هو التجلّي وهذا هو النور، ولو أدركنا هذا المعنى بالبرهان أو بصورةٍ ببغاويّةٍ عندها تتضح بعضُ القضايا في هذه الآيات الكريمة.

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) دعاء «السمات» المروي عن الإمام صاحب العصر والزمان الحجة المهدي المنتظر ﷺ، ويُستحبُ الدعاء به في آخر ساعة من نهار الجمعة. راجع: مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ﵀: ص٤١٨، ومفاتيح الجنان، ص١٢٠.

(٣) الزُمر: ٤٢.

(٤) الأنفال: ١٧.

[احتمالاتٌ أُخرى في معنى «الحمد»]

في الاحتمال الأوّل الذي ذكرناه حيثُ إنَّ «الحمد» هو جميع المحامد، متكثرٌ ملحوظٌ بنحو الكثرة، يكونُ الاسمُ كذلك ملحوظاً بطور الكثرة، وعلى ذاك الاحتمال فإنَّ كُلَّ حمدٍ يقع لا يقع للحق تعالى؛ لأنَّ «الحمد» يَقَعُ للتجلّيات وهي ظهوره ﷻ، ظُهورٌ فوق ظُهور الشمس في الشعاع وظهور النفس في السمع والبصر.

فالحمد يَقَعُ للمظاهر، ولكن هي أسماءٌ مُتَكَثِّرَةٌ للحق تعالى، لذا فالحمدُ له ﷻ في نفس الوقت.

وعلى الاحتمال الثاني قُلْنَا إنَّ «الحمدَ» يَكُونُ حَمداً مُطْلَقاً، وعليه يكون الأمرُ عَكْسَ ما في الاحتمال الأول، فلا يقع له ﷻ أيُّ حمدٍ من حامدٍ. وهنا أيضاً فالتجلّيات هي مظاهرُ ظهوره. وعليه، فرغم أنَّ «الحمد» يقع لهذه المظاهر، لكنَّ «الحمد» المُطلَق لا يَصْدُرُ منا، لذا فلا يقع للمُطْلَقِ ﷻ.

ولَكِنْ من باب أنَّ جميعَ هذه الكثرات مضمحلةٌ في ذلك الوجود المُطْلَق، يَقَعُ له الحمدُ أيضاً، فالأمرُ يَخْتَلِفُ بلحاظ النظر للكثرة والنظر للوحدة.

بلحاظ الكثرة ـ حسب الاحتمال الثاني ـ لا يَقَعُ أيُّ حَمْدٍ للوجود المُطْلَق، ولكن وبلحاظ اضمحلال الكثرات في الوحدة تكُوْنُ جَمِيْعُ المحامد له أيضاً.

[بيانُ معنى «الله» و«الرحمن» و«الرحيم» في سورة الحمد المباركة]

وحَسَبَ هذين الاحتمالين يَخْتَلِفُ معنى الآيةِ الشريفة بين أوّلها وآخرها، فَوِفْقَ كون أنَّ «الحمدَ» استغراقيٌّ، فيشمل كُلَّ حَمْدٍ، ويَكُوْنُ الاسمُ أسماءً متكثرةً تَشْمُلُ كُلَّ مَوْجُوْدٍ، فَكُلُّ مَوْجُوْدٍ اسمٌ، وعليه تكونُ أسماءُ «الله»،

«الرحمن»، «الرحيم» الواقعة في البسملة بمعنى بـ«الله» وبـ«الرحمن»، وبـ«الرحيم».

وحَسَبَ الاحتمال الآخر يَختَلِفُ الأمرُ، فالاسمُ اسمٌ ظاهرٌ، وكُلُّ اسمٍ يَخْتَلِفُ عن الاسم الآخر، ومرتبةُ الكثرةِ هي مُلاحظةُ مرتبةِ الكثرة، وفي ملاحظة مراتب الكثرة يكونُ «الله» هو وَصْفُ هذا الاسم، فالاسمُ اسمُ «الله» وَلَكِنْ في مقام الكثرات وفي مقام التفصيل يكون «الله» ـ هنا ـ تجلّياً للحق تعالى بالاسم الأعظم.

التجلّي في الموجودات هو بالاسم الأعظم، أما «الرحمن» فهو التجلّي بالرحمانيّة في مقام الفعل، وهكذا بالنسبة لـ«الرحيم»، و«ربّ العالمين» كذلك، مع «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»، وبنفس الصورة أيضاً، يَكُوْنُ اختلافُهُ عن الحال مع الاحتمال الآخر.

في الاحتمال الثاني وحيثُ يَكُوْنُ «الحمدُ» حَمْداً مُطْلَقَاً دون أيِّ قَيْدٍ، يُخْتَلِفُ اسمُ «الله»، «الرحمن»، «الرحيم» وإلى آخر السورة. فالاسمُ ـ هنا ـ هو جميعُ الموجودات، كُلُّ موجودٍ هو اسمٌ في كُلِّ عَمَلٍ، ومعنى الاسم يَخْتَلِفُ فيه مع العمل الآخر هنا، وحَيْثُ يَكُوْنُ «الحمدُ» مُطْلَقَاً يَكونُ مُطْلَقَاً باسم «الله الرحمن الرحيم».

والحمدُ المُطلَقُ هو «لله». الحمدُ المُطْلَقُ يَكونُ بالاسم الذي هو اسمُ ظُهور مقام الذات، أيّ في مقام أسماء «الله»، في مقام الذات. يَكُونُ «الله» اسماً جامعاً لمقام الذات لا مقام الظهور، والإسم هو تجلّي تلك نفسها، وكذا «الرحمن» فهو تجلّي رحمانيّة مقام الذات، و«الرحيمُ» رحيميّة مقام الذات، وهكذا الحال مع «الربّ»، وهكذا...

[الأولياءُ أدركوا المسألةَ ولا يقدرون على بيان مشاهداتهم بقوالب الألفاظ]

وهُناكَ - بالطبع - براهين استدلاليّة على ذلك، مُدَونة في الفلسفة - والمقصود الفلسفة العالية[١] لا المُتعَارَفَة - ولَكِنْ كُلُّ ذلك غير الذي وَصَلَهُ الأولياءُ، فَقَدَمُ الأولياء عَبَرَت بالسلوكِ المنازلَ، وأَدْرَكُوا المسألةَ وشاهدوها، ولَكِنَّهُم لا يستطيعون أنْ يُبَيِّنُوا مُشاهداتِهِم للناس.

والقرآن أيضاً نَزَلَ وَتَنَزَّلَ حتى وصل إلى مخاطبة هؤلاء الأسرى في حفرة الضلالة. النبيُ الأكرم ﷺ أيضاً لا يستطيع بيان الحقيقة الواقعيّة للناس إلا بأنْ يُنَزِّلَهَا - الله ﷻ - أيضاً.

من هنا كانت للقرآن مراتب، سبعة بطونٍ أو سبعون بطناً[٢]، تَنَزَّل عبر هذه البطون حتى وصل إلى درجة مخاطبتنا نحن. وأن يُعَرِّفَ «الله» نَفْسَهُ بالإبل: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٣]، وهذا من بواعث الأسف، أنْ يَتَنَزَّلَ إلى الموجودات، إلى الشمس، والسماء، والأرض، وإلى نفس الإنسان.

---

(١) الفلسفة العليا أو الحكمة المُتعالية وهي الفلسفة التي شَيَّدَ أُسُسَها وأُصُولَهَا المُلا صدر المُتألهين الشيرازي ﵀، وقد تقدمت ترجمتُهُ في القسم الثاني من هذا الكتاب، فراجع.

(٢) رُويَ عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً، وَلِبَطْنِهِ بَطْنٌ إلى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ». راجع: عوالي اللئالي: ج٤ ص١٠٧، الحديث (١٥٩). وقيلَ في حاشية العوالي: «الظهرُ هنا مشتقٌ من الظهور والبطن من البطون. والمُرادُ بهما أنَّ له ظاهراً وباطناً، والظاهرُ هو ما دَلَّ عليه اللفظُ بالمطابقةِ، والباطنُ ما دَلَّ عليه اللفظُ بالالتزامِ، ولما كانت اللوازمُ مُتعَدِدَةً تَعَدَدَ الباطنُ بتعددها كما قال «إلى سبعة أبطن»، وذلك يظهر ويخفى بالنسبة إلى قوة الفهم وضعفه. وهذا بالنسبة إلى جملة القرآن، أعمّ من أنْ يكونَ بالنسبة إلى كُلِّ آيةٍ أو بعضها كالقراءات السبعة.

(٣) الغاشية: ١٧.

هُنَاكَ عقدةٌ في لسان الأنبياء وفي قلوبهم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾(١)، العقدةُ كانت في ألسنتهم ولم تكن في قلوبهم، فلم يستطيعوا بيانَ ما شاهدوه ـ بالصورة التي أدركوه ـ، لم يكن مما يُقال ولذلك عَمَدوا إلى الأمثال والنظائر من أجل أنْ يُفْهِمُونا شيئاً.

[بيانُ تجلّي الحق ﷻ للجَبَل وصعق موسى ﵇]

عندما يُعَرِّفُ «اللهُ» نَفْسَهُ لنا بالإبل تَتَضِحُ المرتبةُ التي نحن فيها، مرتبة نفس الحيوان. كما تَتَّضح طبيعةُ المعرفة التي نحصل عليها عن هذا الطريق، معرفةٌ هي غاية في النقص مقارنةً بتلك التي وَرَدَ ذِكْرُهَا فيما يتعلق بالأنبياء: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(٢). فبعدما خَضَعَ لربوبيّة الحق تعالى، وَعَبَرَ هذه المنازل، خَاطَبَ موسى ربَّهُ قائلاً: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾(٣)، طَلَبَ مِنْهُ الرؤيةَ، وَمَعلومٌ أنَّ طَلَبَ الرؤية بالعين لا يُمْكِنُ أنْ يَصدُرَ من نبيٍ عظيم، بل المطلوب هي الرؤيةُ المتناسبةُ مع المرئي والرائي، وهذه الرؤية لا نصلها نحن، فموسى ﵇ يطلبها بعد أنْ وَصَلَ إلى مرتبة «كليم الله»، فَيَتَكَلَّمُ مع رَبِّهِ قائلاً: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فيأتيه الجوابُ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، يعني ـ على نحو الاحتمال ـ لا يُمكنُ أنْ تَكُوْنَ هناك «رؤية» ما دُمْتَ موسى، ما دُمْتَ «أنت»، لَكِنَّهُ لم يجعله يرجع آيِساً بل أَرْجَعَهُ إلى: ﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾.

ما هو هذا «الجَبَل» الذي يَقَعُ عليه تجلّي الحقّ في حين لا يَقَعُ لموسى؟!

---

(١) طه: ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) المصدر السابق.

إنَّهُ «جَبَلُ الطُوْر»؟! وهذا التجلّي هل بإمكان أهل ذلك العصر أنْ يَروهُ لو كانوا في «جَبَلِ الطُوْر»؟! هل كانت مثل رؤية الشمس؟ ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ فيها موعد اللقاء، لن تراني ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾[1].

ويحتَمَلُ أنْ يكون معنى ﴿ٱسۡتَقَرَّ﴾ ـ هنا ـ هو أنَّ هذا «الجَبَل» أصبح ﴿دَكّٗا﴾، أنْ يكون معنى «الجبل» هو «أنانيّة» موسى التي كانت هناك بقايا منها لدى موسى آنذاك، وبنفس ذلك التجلّي شَتَّتَ تلك البقايا من «الأنانيّة» فوصَلَ موسى إلى مقام «الموت»، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾.

كُلُّ ذلك هو بالنسبة لنا قصة، فالذي أدركه أولئك بقدم الشهود هو قصةٌ بالنسبة لنا، فَنَحْنُ نَعِيْشُ في هذه الظلمات، فلقد حَدَّثُوْنَا عن «جبل الطُور» ذاك.

[بيانُ تجلّي الحق ﷻ لموسى عليه السلام]

ذاك التجلّي ـ يبدو في نظرنا ـ بأنَّهُ كان نوراً رآه موسى من «جبل الطُور»، والآخرون كانوا يرونه أيضاً، فهل كان نوراً حسيّاً لكي يراهُ الجميعُ؟!

كان جبرائيلُ الأمينُ يقرأُ القرآنَ لرسول الله ﷺ فهل كان الذين كانوا عنده يسمعون؟!

بالنسبة لنا فإنَّ الأمر الشبح، أصلُهُ غير موجود، ونحن غافلون عنه، ونسمع من بعيد بالأمر.

حال الأنبياء كحال ذاك الإنسان الذي رأى رؤيا وشاهد لكن في لسانه عقدةٌ عن البيان، ومن حوله طرشان جميعاً، فهم لا يقدرون على البيان،

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

ونحن عاجزون عن الاستماع. هُم قالوا ولكن ليس لنا!! فنحن نفهم القضايا التي يُمكنُ لإدراكنا فهمها.

[نزولُ القرآن من المراتب العليا إلى مرتبة الألفاظ]

في القرآن تبيانُ كُلِّ شيءٍ، فيه أحكامٌ شرعيّةٌ، وله ظاهرٌ، وفيه قَصَصٌ لا نستطيع أنْ نفهم لُبَابَها، ما نفهمه هو ظواهرها، والظواهرُ هي للجميع، لكن هناك شيئاً آخر ينتفع منه الجميع، أما الانتفاع الذي يجب أنْ يتحقق فهو انتفاعُ «**إنَّما يعرف القرآن من خوطب به**»[1]، واستناداً لهذا النص، فهذا الانتفاعُ مُختَصٌّ برسول الله ﷺ، والآخرون محرومون منه إلا بتعليمه، والأولياءُ أيضاً بتعليمه، ولكن رُغْمَ هذه المنزلة فإنَّهُ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[2]. فالقرآنُ قد نَزَلَ وَتَنَزَّلَ أيضاً بِيَدِ الروح الأمين، لَكنْ رسول الله ﷺ في مقام التنزل وذاك النزول كان بحيث يتلقى مِنْهُ مُباشرةً ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[3]، ففي ليلة القدر نَزَلَ جميعاً، يعني أنَّهُ تجلّى بنفس ذاك التجلّي في ليلة القدر، وَلَكنْ في مقام التَنَزُّل، فالأعلى الروح الأمين.

يعني أنَّ ما كان يَرِدُ على قلبه يجب أنْ يَتَنَزَّل على مراتب، من هذا البطن إلى ذاك، ومن هذا الحدّ إلى ذاك، حتى يصل إلى الحدّ الذي يظهر على صورة ألفاظ.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٣) القدر: ١.

[القرآنُ أُنزل من مراتبه العليا إلى درجةٍ نستطيع فيها فَهْمَهُ]

القُرآنُ ليس ألفاظاً، ليس من مَقُولَةِ السمع والبصر، ولا مِنْ مَقُولَةِ الألفاظ، ولا الأعراض، وَلَكِنْ أُنزِلَ إلى الدرجة التي نستطيع نَحْنُ الصُّمُّ العُمي أنْ نَنْتَفِعَ به أيضاً، أما حالُ أولئك الذين ينتفعون منه بتلك الصور العُليا فهو حالٌ آخر، ووضعُهُم التربوي وضعٌ آخر، وكيفيةُ تَلَقِيهِم من القرآن هي على نحوٍ آخر غير الموجود هنا. فالفَرْقُ ما بينهما كالفَرْقِ بين عالم الطبيعة وعالم الجسم وعالم الظاهر مُقَارَنَةً بمراتب الغيب إلى ما شاء الله حتى يصل إلى مرتبة التجلّي الأوّل. فتجلّي الحق تعالى هو الذي يظهر من عالم الغيب ويَتَنَزَّل حتى يصل إلى عالم الطبيعة، وهو نَفْسُ الفَرْق بين إدراكاتنا وبين ما فوقنا وما فوق هؤلاء وما فوق حتى يصل إلى مرتبة خاصَّةِ أولياء الله والأنبياء الذين هم في مرتبة ذلك التجلّي الذي حصل لموسى عليه السلام، هناك حيث يقول: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾[1]، وحَيثُ وَرَدَ في دعاء السمات: «**بِنُوْرِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيتَ به لِلْجَبَلِ**»[2]، وهناك أيضاً يقول: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[3]، هُنا تَجَلّى للشجرة فكان ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾، وهناك تَجَلّى للجبل فكان: «**بِنُوْرِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيتَ به لِلْجَبَلِ**». جَمِيْعُ تلك صحيحة، وكُلٌّ منها تامَّةٌ في مقامها.

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) دُعاءُ «السمات» المروي عن الإمام صاحب العصر والزمان الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه، والمُسمى أيضاً بدعاء «الشبور»، ويُستحبُ الدعاء به في آخر ساعة من نهار الجمعة. راجع: مصباح المتهجد للشيخ الطوسي قدس سره: ص٤١٨، ومفاتيح الجنان، ص١٢٠.

(٣) القصص: ٣٠.

[مُشَاهَدَةُ المرتبة العُليا للقرآن مشاهدةٌ غَيبيَّة]

إذا أردنا أنْ نَتَعَلَّمَ القُرآنَ فماذا نفعل؟! هذه القضايا ليست للمُتَعَلِّمِين بذاك المعنى من التعليم والتَعَلُّم. عندما نَنظُر إلى القرآن وإلى تفاسيره نجد أنَّها نفس هذه التفاسير المُتَعَارَفَةِ، وَنَجِدُ في بعضها إشارات إلى هذه المعاني لَكِنْ على نفس هذا النحو من التعليم والتعلم للصُم والعُمي.

القُرآنُ فيه تبيانُ كُلِّ شيءٍ، ولكنَّ الذي يُدرِكُهُ هو: **«إنَّما يَعرف القرآنَ من خُوطِبَ به»**[1]. ما هو القُرآنُ الذي لا يعرفه سوى من خُوطِبَ به؟ معلومٌ أنَّها مرتبة القرآن الذي: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[2] و«نَزَلَ على قَلْبِهِ»، فقضية هذه المرتبة لا يُمكنُ لأحدٍ غيره ﷺ إدراكها ومشاهدتها.

[عِقْدَةُ ألْسِنة الأنبياء عليهم السلام هي في بيان المشاهدات]

فالقضيةُ هنا ليست قضيةَ إدراكٍ عقليٍّ، ولا قضيةً برهانيّةً، بل هي قضيةُ مُشاهَدَةٍ، ومُشاهَدَةٍ غَيبيَّةٍ، مشاهدةٌ ليست بالعين ولا بالنفس ولا العقل ولا القلب. المُشاهدةُ كانت لذلك القلب الذي هو قلب العالم، قلب نبي، هو وصل وأدرك وشاهد، وَلَكِنَّهُ لا يستطيع أنْ يُوضِحَ ذلك إلاَّ في شكل الأمثلة والألفاظ، فكيف تستطيعون أنْ تُفهِمُوا الأعمى ما هي الشمس وما هو النور؟! بأيِّ لسانٍ وبأيِّ قولٍ؟! غير أنَّ النور هو الشيء الذي يُضيء، وَلَكِنَّ الذي لم ير النورَ كيف يمْكِنُ تَفْهِيمُهُ مَعْنَاهُ؟! هذه العقدة هي التي في اللسان، وَطَرَفُها في الأُذن، وهذه هي العقدة التي كانت في أَلسِنة الأنبياء.

عِقْدَةُ النبي الأكرم أشدُّ من الجميع، فإلى من يتحدث عن الذي شَاهَدَهُ وما

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) الشعراء: ١٩٣.

نزل عليه من القرآن، سوى لمن وصل إلى مقام الولاية التامة؟! وَلَعَلَّ أحد معاني حديث: «**ما أُوذِي نبيّ مِثْلَ ما أُوذِيت**»[١] ـ لو صَحَّت نِسْبَتُهُ إلى رسول الله ـ هو في الأذى الناتج عن عدم قُدْرَةِ الإنسان على إيصال ما يجب إيصالُهُ، أذى ذلك الذي لا ينبغي له أنْ يُخبر عَزِيزَهُ بالذي شاهده وهو أسمى من كل ما شَاهَدَهُ الجميعُ وأدركوه.

ما أَشَدّ أذى ذلك الوالد الذي يُريدُ أنْ يُشَاهِدَ وَلَدُهُ الشمسَ ولكنَّ وَلَدَهُ ضَرِيرٌ، يُريدُ أنْ يُوضِحَ له هذا النور وَلَكِنْ كيف؟! هل يتحقق ما يُريدُ من خلال عناوين جميعها مجهولة لا غير؟!

[حجابُ العلم أكبر الحُجُب]

العِلْمُ هو الحجاب الأكبر، حجابٌ كبيرٌ هو هذا العلم الذي يُشغلُ الإنسانَ بهذه المفاهيم العامّة والعقليّة، ويَصُدُّهُ عن السبيل. حِجَابٌ للأولياء، وكُلَما زاد ازداد الحجابُ غِلْظَةً.

الإنسانُ وبهذا العلم الذي لديه يَتَوَهَّمَ أنَّ العالم أجمع هو هذا لا غير، فالإنسانُ أَنَانِيٌّ مُعْجَبٌ بنفسه ما لم يخرج من هذا الغطاء.

جميع الكمالات يحصرها الإنسانُ بالعلم الذي تَوَصَّلَ إليه وأَدركَهُ، فالفَقِيهُ يَتصوَّرُ أنَّ لا شيء غير الفقه في العالم، والعَارِف يَتَصَوَّرُ أنَّ لا شيء غير العرفان،

---

(١) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٥٦، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب٧٣، في مساواته عليه السلام يعقوب ويوسف عليهما السلام. مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٤٢، باب في النكت واللطائف. قال ابن عربي في تفسيره، ج١، ص١٥١: «وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيَاناً لفضله: «ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت»، كأنَّهُ قال: ما صفى نبيٌ مثل ما صفيت. ولقد أحسن من قال: «لله دَرُّ النائبات فإنّها / صدأُ اللئام وصَيقَلُ الأحرار»، إذ لا يظهر على كُلِّ منهم إلا ما في مكمن استعداده، كما قيل: عند الامتحان يُكرَمُ الرَّجُلُ أو يُهان».

والفيلسوف يَتَصَوَّرُ أنَّ لا شيء غير الفلسفة، والمُهَندِسُ يَتَصَوَّرُ أنَّ لا شيء سوى الهندسة، فَلَعَلَّهُم يعتبرونَ العلمَ عبارة عما عَرَفُوهُ بالمشاهدة والتجربة وأمثال ذلك، لذا يَرَوْنَ أنَّ هذا هو العلم وَغَيْرَهُ ليس بعلم، وهذا حِجَابٌ كَبِيْرٌ، هُنَاكَ حُجُبٌ كثيرةٌ تَلُفُّنَا جميعاً ولكن أكبَرَها هو حِجَابُ العلم هذا؛ لأنَّهُ هو الذي ينبغي أنْ يُرشِدَ الإنسانَ إلى الطريق وإلى الهداية، فإذا به يَصُدُّهُ عن الطريق ويَمْنَعُهُ الهدايةَ، وهذا هو حال العلوم الرَسميّة جميعاً، فهي تَحْجُبُ الإنسانَ عمَّا ينبغي أنْ يَصِلَ إليه، وَتُوَلِدُ لديه العُجُبَ، فعندما يَدْخُلُ العلمُ قلباً غَيْرَ مُهَذَبٍ يَجُرُّ صَاحِبَهُ إلى الخلف، وكُلَّمَا زاد خَزِينَتَهُ زادت مَصَائِبُهُ.

مهما نَثَرْتَ من بُذُورٍ في الأرض المِلْحِيَّةِ فلن تَحْصَلَ على ثَمَرَةٍ، وهذا هو حال القلب المحجوب غير المُهَذَّب، القَلْبُ الذي يخاف من اسم «الله».

البعضُ ومثلما يخافون من الأفعى يخشونَ المسائلَ الفلسفيّةَ رُغمَ أنَّ الفلسفة هي أيضاً من العلوم الرسميّة، الفيلسوف أيضاً يَخَافُ ـ بنفس الصورة ـ من العرفان، وهكذا حالُ العارف لما فوقه، والجميعُ هي علومٌ رَسْمِيَّةٌ وكُلُّهَا **«قِيلٌ وقال»**[١].

[لا بُدَّ من تهذيب النفس حتى لا يُصبحُ العلمُ سبباً للغفلة عن الله]

ولا أدري إلى متى نبقى على هذه الحالة، يجب كَحَدٍّ أدنى أنْ نُهذب أنفسنا بحيث لا تكون هذه العلوم الرسميّة مانعةً لنا عن «الله» وذكر «الله»،

---

(١) إشارةٌ إلى بيت من الشِعْرِ باللغة الفارسيّة للشيخ البهائي العاملي ﷺ يقولُ فيه:

علم رسمى سر به سر قيل است وقال / نه أز أو كيفيتى حاصل ونه حال

علم نبود غير علم عاشقى / ما بقى تلبيس إبليس شقى

والمعنى: أنَّ كُلَّ العلوم الرسميّة قيلٌ وقال لا يحصل منها كيفيّةٌ ولا حال، ولا علم غير علم العشق، وغيره من العلوم من تلبيسات إبليس الشقي وتسويلاته.

وهذه مسألةٌ مُهمةٌ أنْ لا يُصبح الاشتغالُ بالعلم سبباً للغفلة عن «الله»، وأنْ لا يَتَحَوَّلَ إلى عاملٍ لبعث الغرور فينا فيبعدنا عن مبدأ الكمال.

هذا الغرور مَوجُودٌ لدى العلماء بمختلف الإختصاصات، سواء العلوم الماديّة والطبيعيّة أو العلوم الشرعيّة أو العلوم العقليّة، فما لم يكن القلبُ مُهَذَباً ظَهَرَ الغُرورُ الذي يَصُدُّ الإنسانَ بصورةٍ كاملةٍ عن «الله». عندما يَنْهَمِكُ بالمطالعة يغرق فيها، وعندما يَقُومُ للصلاة يُؤديها ولكن ليس هو مع الصلاة فماذا يعني هذا؟!

كان أحد أصدقائي رحمه الله يقول: «لا أتذكر الآن إتركني إلى أنْ أقوم للصلاة لكي أتذكر»!!، كأنَّ الإنسانَ عندما يؤدي الصلاة فهو ليس في الصلاة أصلاً، لا يتوجه إلى «الله» وقلبه ليس مع الصلاة بل في مكانٍ آخر.

قد يُفكرُ أيضاً بكيفية حَلِّ مسألةٍ علميّةٍ، من ذاك العلم الذي هو مُقَدِّمة للوصول للغاية والمقصود، فإذا به يَصُدُّ الإنسانَ عن الغاية والمقصود.

هذا الأمر يَصدُقُ على العلوم الشرعيّة، علم التفسير وعلم التوحيد، فالقلبُ إذا لم يكن مُسْتَعِداً مُهَذَّباً يَتَحَوَّلُ فيه حتى علمُ التوحيد إلى غِلٍّ وَقَيدٍ يَصُدُّ الإنسانَ.

[العلومُ الشرعيّة وسائل لإيقاظ النفس وليست غايةً بنفسها]

العلوم الشرعيّة جميعها وسائل، المسائل الشرعية جميعها وسائل للعمل، والعملُ أيضاً وسيلةٌ، جميعها وسائل الوصول للمقصد والغاية، ووسائلٌ لإيقاظ النفس، ولكي تخرج من هذه الحجب الظلمانيّة، هذه الحجب التي تجعلنا في ظلمات، تخرج من هذه الظلمات لتصل إلى الحُجُبِ النورانيّة، ويبدو أنَّ هناك تعبيراً وَرَدَ في وصفها وهو «**إنَّ لله سَبْعِينَ أَلْفَ حِجابٍ مِنْ نُورٍ**

وظُلْمَةٍ»[١]، وحتى تلك النوريّة فهي حُجُبٌ أيضاً، وَنَحْنُ لم نخرج حتى من الحُجُبِ الظلمانيّة، لا زلنا نتقلقل في أطباقها[٢] ولا ندري ماذا ستكون العاقبة.

[عندما يصدُّ العلمُ عن المقصد يُصبحُ حجاباً ظلمانياً]

العلمُ لم يُؤثر في نفوسنا سوى بالتأثير السيء، هذه العلوم وتلك، الشرعيّة والعقليّة التي سماها المساكينُ بـ«الذهنيات»، أي التي لا عينية لها، هي وسائل للوصول إلى المقصد والغاية، ولكن كُلاً منها يصدُّنا عن المقصد، فلا يعود علماً بل حجاباً ظلمانياً، وهذا هو واقعُ كُلِّ علمٍ يحجز الإنسانَ عن الوصول إلى المقصد، وعن تحقيق ما بُعِثَ الأنبياء من أجله.

---

(١) عن رسول الله ﷺ أنّهُ قال: «دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة». راجع: بحار الأنوار: ج٥٥، ص٤٤، الباب الخامس، الحجب والأستار والسرادقات، معنى الحجاب، الحديث (١٢). ومثلُهُ مع اختلافٍ يسير، روى العلامةُ المجلسي ﵀ عن طُرق المُخالفين، في نفس المصدر السابق، ص٤٥، كتاب السماء والعالم، في ذيل الحديث (١٣)، عن رسول الله ﷺ أنّهُ قال: «إنَّ لله سَبْعِينَ أَلْفَ حِجابٍ مِنْ نُورٍ وظُلْمَةٍ لو كُشفت لأحرقت سبحاتُ وجهه ما دونه». وفي البحار، ج١٨، ص٣٩٨، الباب الثالث في إثبات المعراج ومعناه وكيفيته وصفته وما جرى فيه ووصف البُراق، عن رسول الله ﷺ أنّهُ قال: «... وَوَصَلتُ إلى حُجُبِ رَبِّي، دَخَلْتُ سبعين ألف حجاب، بين كل حجاب، إلى حجابٍ من حجب العزة والقدرة والبهاء والكرامة والكبرياء والعظمة والنور والظلمة والوقار، حتى وَصَلْتُ إلى حجاب الجلال، فناجيتُ رَبِّي ﷻ وَقُمْتُ بين يديه».

(٢) إقتباسٌ من دعاء الخضر ﵇ والذي علّمَهُ أميرُ المؤمنين ﵇ لكميل بن زياد ﵁، يقولُ ﵇: «... يا مولاي فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ما سلف من حِلْمِكَ؟ أم كيف تؤلمُهُ النارُ وهو يأمل فضلك ورحمتك؟ أم كيف يُحرقُهُ لهيبُها وأنت تسمع صَوْتَهُ وترى مَكَانَهُ؟ أم كيف يشتمل عليه زفيرها وأنت تعلم ضعفه؟ أم كيف يتقلقل بين اطباقها وأنت تعلم صِدْقَهُ؟ أم كيف تزجره زبانيتُها وهو يناديك يا رباه؟...». راجع: مصباح المُتهجد، ص٥٧٢، ومفاتيح الجنان، ص١٠٦.

[الأنبياء عليهم السلام بُعثوا لأجل إخراج الناس من الظلمات وإيصالهم للفناء في النور المُطلق]

فبعثةُ الأنبياء هي من أجل إخراج الناس من هذه الدنيا ومن هذه الظلمات، وإيصالهم إلى مبدأ النور لا الأنوار، لا أنَّهُ في هذه الجهة ظُلماتٌ وفي تلك نورٌ، النورُ المُطلق. الأنبياء جاؤوا من أجل إيصال الناس إلى الفناء في النور المطلق، وأنْ تفنى هذه القطرة في البحر (وبالطبع المثالُ ليس مُنطَبِقاً).

لأجل هذه الغاية كانت بعثةُ جميع الأنبياء، وكافة العلوم هي وسيلة، والعينيّة هي لذلك النور، ونحن العدم، أصلنا من هناك، والعينيّة هي لذاك المبدأ. جميعُ الأنبياء جاؤوا لإخرجنا من هذه الظلمات وإيصالنا إلى النور لا الأنوار، يخرجوننا من الحجب الظلمانيّة والنورانيّة ويجعلوننا نتصل بالنور المطلق.

أحياناً يكون علمُ التوحيد حجاباً، يُقيمُ برهاناً على وجود الحق تعالى لكنَّهُ نفسه محجوبٌ، نفس برهانه يُبعدُهُ عن الذي يجب أنْ يصله.

لم يكن منهج الأنبياء والأولياء بهذه الصورة البرهانيّة، كانوا يعرفون البراهين ولكنَّ القضية لم تكنْ قضية إثبات الواجب ـ تعالى ـ بالبرهان. يقولُ سيّدُ الشهداء عليه السلام: **«مَتى غِبْتَ؟!»**[1]، ويقول عليه السلام: **«عَمِيَتْ عَينٌ لاتراكَ عليها رقيباً»**[2]، وهي عمياء بالفعل.

---

(١) من دعاء سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام في يوم عرفة، راجع: بحار الأنوار، ج٦٤، ص١٤٢. مفاتيح الجنان، ص٣٥٨، ضمن أعمال شهر ذي الحجة.

(٢) المصدر السابق نفسُهُ.

[القيامُ لله ﷻ موعظةُ القرآن]

المرتبةُ الأولى القيام، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾[1]، وقد اعتبر أصحابُ السَير هذا القيام المنزلَ الأول، وَلَعَلَّهُ ليس منزلاً بل مُقَدِّمَةً، اعتبرَهُ صاحبُ «منازل السائرين»[2] المنزلَ الأوّل، ولكن من الممكن أنْ يكون مُقَدِّمَةً، والمنزلُ الذي يليه هو المنزلُ الأوّل.

ما في الآية وصيةٌ وموعظةٌ مِنْ موجودٍ عَرَفَ نَفْسَهُ، يقول له: قل لهم: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾، موعظةٌ واحدةٌ هي: «**أنْ تقوموا**» و«**لله**»، ومن هنا تبدأ كافةُ القضايا، القيامُ لله، أنْ ينهض الإنسانُ لله من هذه النومة.

قل لأولئك النائمين الذين سقطوا هنا، فاقدي الوعي: «لي عندكم موعظةٌ واحدةٌ هي أنْ تقوموا من مكانكم لله، من أجله اسلكوا الطريق»، ونحن لم نصغي بعد لهذه الموعظة الواحدة، ولم نسلك الطريق من أجله، فطريقنا يؤدي إلينا. حتى حال أولئك الجيدين جداً هو هذا الحال، نعم هناك طائفةٌ من الأولياء هم على نحوٍ آخر.

هذه الموعظة موجهةٌ لنا نحن النائمون، أما أولئك فقد وصلوا وهم في العلى، وسيجرونا إلى هناك. لا أحد يستطيع القول بأنّنا هنا الآن، وأنَّ الموكلين المهيمنين على جميع قوانا يأخذوننا، وأنَّ هذه القوى تجرنا إلى

---

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) قال الآقا بزرگ الطهراني ؒ في كتابه الذريعة، ج٢٢، ص٢٤٧: «منازل السائرين، للشيخ العارف عبد الله الأنصاري دفين گازرگاه في هرات، أولّه: [الحمد لله الواحد الأحد...]. جعله مائة مقام بجمعها، رتب ثلاث الأخير في السير، حول القربة، حصول المشاهدة في عشرة أقسام، فلكل قسم عشرة أبواب، وطبع بتمامه في طي شرحه الحامل للمتن، والشرح للولي العارف المولى عبد الرزاق الكاشاني».

ذلك الإتجاه، فمنذ البداية وحيث نحن في الطبيعة هم يقودوننا إلى مكان آخر، وسنذهب ولكن مع الظلمات والحجب ذاهبون.

[حُبُّ الدُنيا والنفس منشأُ جميع الخطايا]

حُبُّ الدُنيا هو المنبع، «**حُبُّ الدُنيا رأسُ كُلِّ خطيئة**»[١]، وقد يُوصلُ الإنسانَ المُوَّحد

- أحياناً - إلى نوعٍ من البغض والسخط على الله ﷻ عندما يَتَصَوَّر أَنَّهُ تعالى قد سَلَبَهُ شيئاً يُحبُهُ. وقد قيل إنَّ الإنسانَ عندما يُشرِفُ على الرحيل إلى العالم الآخر، يأتيه شياطينٌ لا يريدون له أنْ يرحل عن هذه الدنيا مُوَحِّداً، فيأتونه بالأشياء التي يُحبُها، طالبُ العلوم الدينيّة - مثلاً - يأتونه بكتابه الذي يحبه ويقولون له إرجع عن عقائدك وإلا أحرقنا هذا الكتاب، وَنَفْسُ الأمر مع من كان حُبُّهُ للولد أو أي شيءٍ آخر.

[الميزانُ في حُبِّ الدنيا هو في التعلُّق والارتباط]

لا تتصوروا أنَّ أهل الدنيا هم الذين يمتلكون الحدائق والبساتين، فقد يكونُ هناك من يمتلك الكثير منها لكنَّهُ ليس من أهل الدنيا، وقد يكون هناك طالباً لعلوم الدين له كتابٌ واحدٌ وهو من أهل الدنيا. الميزان هو التعلُّق والارتباط، تعلُّق الإنسان بالأشياء، وهذا التعلُّق قد يؤدي إلى إيجاد العداوة لله في قلب الإنسان عندما يرى أَنَّهُ راحلٌ عن هذا العالم حيث تنقطع صِلَتُهُ بالأشياء التي تعلّق بها، فيُصبحُ لذلك مُعادياً لله.

---

(١) روى الشيخ الكليني ﵀ في أصول الكافي، ج٢، ص١٣١، باب ذمّ الدنيا والزهد فيها، الحديث (١١)، عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين ﵉ أنّهُ قال: «حُبُّ الدنيا رأسُ كُلِّ خطيئة».

[حُبُّ الدنيا وحُبُّ الرئاسة هو المرض المهلك للإنسان]

عليكم أنْ تُقللوا من شدَّةِ هذا التعلق بمختلف أشكاله، فنحن على كُلِّ حالٍ راحلون عن هذه الدنيا سواءٌ أحببنا شيئاً وتعلَّقنا به أم لا، فلا فرق. سواءٌ تعلّقتم بهذا الكتاب أو هذا المنزل أم لم تتعلّقوا، فهما لكم تنتفعون منهما على كُلِّ حالٍ، فقللوا التعلّق بهما، فأنتم تستطيعون أنْ تقطعوا هذا التعلّق، فهو الذي يجلب على الإنسان المصائب وهو من حُبِّ النفس. حُبُّ الدنيا وحُبُّ الرئاسة وهو المرض المهلك للإنسان.

حُبُّ المَنْصِبِ وحُبُّ المسجد وغير ذلك هي جميعاً من الدنيا، وهي من التعلُّقات الدنيويّة، وهي حُجُبٌ بَعْضُها فوق بعض.

كراراً ومراراً ما نَقْعُدُ ونقول، هؤلاء لديهم كذا وكذا وأولئك لديهم كذا وكذا، وَهُم أسرى التعلقات الدنيويّة، ولكن دققوا النظر في أنفسكم ولاحظوا كيف حالكم أنتم، ما هي شِدَّة تعلّقكم بما لديكم، قارنوها بِقُوةِ تعلق من تعيبون عليه تعلقه.

[سرُّ تقصي عيوب الآخرين وانتقاصهم]

لولا حُبّ النفس والأنانيّة لما عاب الإنسانُ على الآخرين، فحالةُ تَقَصي معائب الآخرين الموجودة لدى بعضنا ناشئةٌ عن أنَّنا نعتبرُ أنفسنا غايةً في التهذيب والسلامة، والآخرين ذوي عيوبٍ فنعترضُ عليهم بسببها، وذلك بسبب حُبِّ النفس الذي نرى بسببه أنَّنا كاملون.

[هل نحنُ «جندُ الله» حقاً؟!]

في تلك المقطوعة الشعرية ـ ولا أريد أن أقرأها ـ ورد أنَّ أحدهم عاب على آخر عيباً فأجابه: أنا كما قلت ولكن هل يا ترى أنت كما هو ظاهرك؟!

نحن نستعرض مَظَاهرَ للناس، من قبيل أنَّنا جئنا إلى هنا لطلب العلم ودراسة الشريعة، وأنَّنا من جند الله، وأطلقنا اسم «جند الله» على أنفسنا، فهل نحن حقيقة كما تبدو مظاهرنا؟! هذا هو الحد الأدنى، أما أنْ يكون الباطنُ شيئاً والظاهرُ شيئاً آخر فهل هذا غير النفاق؟! فالنفاق ليس فقط أنْ يُظهرَ الإنسانُ التَدَيُّن وما هو بمتدين كأبي سفيان، فما تقدم نفاقٌ أيضاً.

نفاقٌ هو أنْ يُظهرَ الإنسانُ شيئاً سامياً وهو على خلافه، وهو بذلك من المنافقين، والفرقُ هو في المرتبة.

وعلى أي حال، فالعاقبة هي الرحيل عن هذه الدنيا، ولا يُقال إنَّ أولئك يدعون إلى الآخرة، إلى هناك وهنا هي الدنيا، فَهُمْ ـ الأنبياء ـ وإنْ كانت دَعَوَاتُهم جميعاً إلى الآخرة فقد كانوا يُرَوِّجُونَ للعدالة هنا.

[الإنشغالُ بالدنيا يحجُبُ عن الحضور الدائم بين يدي الله ﷻ]

النبي الأكرم ﷺ ورغم أنَّهُ مَوجودٌ إلهيّ، يُنْسَبُ إليه قوله: **«لَيُغانُ على قلبي وإنّي لأستَغْفِرُ الله في كُلِّ يومٍ سبعينَ مَرَّةً»**[1]. نَفْسُ مُعاشرة هؤلاء

(١) مستدرك الوسائل، ج٥، ص٣٧٥، الباب (٤٠)، في ما يُستحب أنْ يُقال كُلَّ يوم، الحديث الثالث. قال الشريف الرضي ﵀ في «المَجازات النبويّة» ص٣٩٠: «وهذا القول مجازٌ، والمراد أنَّ الغمَّ يتغشى قلبه عليه الصلاة والسلام حتى يستكشف غمته ويستفرج كربته بالاستغفار، فشبه ما تغشى قلبه من ذلك بغواشي الغيم التي تستر الشمس، وتجلل الأفق، والغيم والغين اسمان للسَحَابِ، وسواء قال: يغان على قلبي أو قال يغام على قلبي». أقول: لعلَّ المراد أنَّهُ ﷺ إنّما تغشاه هذه الحالة بسبب ما يراه من ذنوب ومعاصي البعض من أُمّته فيستغفر لهم، أو أنْ يُراد أنَّهُ ﷺ بتوجهه إلى أمور المعاش من المأكل والمشرب وما يطرأ عليه من عموم اللوازم البشريّة تحصل له حالة من الإنزعاج القلبي والروحي؛ وذلك لأنَّ قلبه كان دائم الإنشغال بالله ﷻ والاشتغال بعبادته وذكره، فإذا طرأت عليه الطوارئ اعتبر ذلك ذنباً على نفسه؛ لانشغاله بأمور الخلق مع اشتغاله بأمور الحق، في حين لا ينبغي لشيءٍ أن يُشاركه انشغاله بربِّه وخالقه ومحبوبه، فيستغفر لذلك، وهذا من شدّة ارتباطه بالله ﷻ ولشدّة صفاء قلبه المبارك ونوريّته، والله العالم.

الأشخاص كانت تؤدي إلى كدورة ما، فالذي يجب أنْ يكون دائمَ الحضور عند محبوبه يرى في مجيء شخصٍ ـ وإنْ كان صالحاً للغاية ـ سائلاً عن مسألةٍ، مانعاً له ـ بهذا المقدار ـ عن تلك المرتبة التي يُريدُها، وإنْ كان نَفْسُ ذلك هو حضورٌ، فالإنسانُ الذي يُحادثُهُ هو في عينه من المظاهر، ولكن رغم ذلك يمنعه ـ بمقدارٍ ـ عن تلك المرتبة التي يُريدُها وهي مرتبة «دائم الحضور»، ولذلك: **«لَيُغانُ على قلبي وإنّي لأستَغْفِرُ اللهَ في كُلّ يومٍ سبعينَ مَرَّةً»**، مِثْلُ هذا منقولٌ عن النبي الأكرم ﷺ.

الإشتغالُ بمثل هذه المسائل بالنسبة لنا حجابٌ يجب أنْ نخرج منه، ولو ـ كَحَدٍّ أدنى ـ بمقدار أنْ نكون حقاً مثلما نُظهر، لا أنْ نكون خِلافاً لظاهرنا.

لو كانت على جباهنا آثارُ السجود وكانَ ظاهرُنا أنّنا نعمل لله فَكَحَدٍّ أدنى يجب أنْ لا نُرائي[1] في الصلاة، ولو كنا نُظهرُ أنْفُسَنا وَرِعينَ جداً فلنتوَرَّعَ عن أكل الربا والاحتيال على الآخرين وهكذا.

---

(١) المُراءاة من الرياء، وقد قال الإمام الخميني الراحل قدس سره في تعريفه للرياء في شرح الحديث الثاني من «الأربعين حديثاً»، ص٥٩: «إعلم أنَّ الرياء هو عبارة عن إظهار شيءٍ وإبراز شيءٍ من الأعمال الصالحة أو الصفات الحميدة أو العقائد الحقّة الصحيحة للناس لأجل الحصول على منزلةٍ في قلوبهم والاشتهار بينهم بالصلاح والاستقامة والأمانة والتديُّن، من دون أن تكون هناك نيّةٌ إلهيةٌ صحيحة». ويقول قدس سره في ص٦٣: «وإذا رأيتم رياءً في قلوبكم، فاعلموا أنَّ قلوبكم لم تُسلِّم للعقل، وأنَّ الإيمان لم يقذف نورَهُ فيها، وأنّكم تُعدونَ شخصاً آخر إلهاً ومؤثراً في العالم، لا الحق تعالى، وأنّكم في زمرة المُنافقين أو المُشركين أو الكُفار». ويُضيفُ قدس سره قائلاً: «تهيأ، أيُّها المرائي، للظلمات التي لا نور بعدها، وللشدائد التي لا فَرَجَ لها، وللأمراض التي لا يُرجى شفاؤها، وللموت الذي لا حياة معه، وللنار تخرج من باطن القلب فتحرق ملكوت النفس وملك البدن حرقاً لم يخطر على قلبي وقلبك، والتي يخبرنا عنها الله تعالى في كتابه المُنزل في الآية الشريفة: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ حيث تحدثت عن نار الله، هذه النار التي تتسلط على القلوب فتحرقها، وليست هناك نارٌ تُحرق سوى النار الإلهية، فإذا فَقَدْتَ فطرةَ=

[العلوم الإلهيّة والمعنويّة ليست مانعةً عن الحركة والنشاط]

أولئك الذين تصوروا أنَّ هذه العلوم المعنويّة تحجز الناس عن الحركة والنشاط هم على اشتباه. ذاتُ الإنسان الذي كان يُعلم الناسَ العلومَ المعنويّة هذه، والذي لم يكن له نظيرٌ بعد رسول الله ﷺ في معرفة الحقائق، هذا الإنسان وفي نفس اليوم الذي بايعوه بالخلافة حَمَلَ فأسَهُ وذهب إلى عمله في الزراعة ـ كما ينقل لنا التأريخ ـ.

أولئك الذين ـ وبدافع من توهماتهم ـ يحذرون الناسَ من الدعاء والذكر وما ماثل، لكي يلتصقوا بالدنيا، هؤلاء لا يَدرونَ ما الأمر، لا يعرفونَ أنَّ نفس هذا الدعاء والأذكار هي التي تجعل الإنسانَ يتعامل مع الدنيا بالصورة المطلوبة. الذين أقاموا العدل في الدنيا هم هؤلاء الأنبياء الذين كانوا أهل الذكر والفكر وكُلِّ شيءٍ، وهم الذين ثاروا ضد الظَلَمَةِ، وهذا نهج الأولياء أيضاً، الإمامُ الحسين بن علي (سلام الله عليه) قام بتلك الثورة، وهو نَفْسُهُ الذي تَرَوْنَ دُعَاءَهُ في يوم عَرَفَة كيف هو.

[الدعاءُ يصنع الإنسان ويحركه لخدمة عباد الله في سبيل الله]

هذه الأدعية هي مصدر أمثال هذه النهضات، وهذه الأدعية هي التي توجه الإنسان للمبدأ الغيبي لو أحسن قراءتها، ونفس هذا التوجه يؤدي إلى تقليل

=التوحيد ـ وهي فطرة الله ـ وحلَّ محلها الشركُ والكفرُ، حينئذ لن تكون شفاعة الشافعين من نصيب الإنسان، بل يخلد الإنسان في العذاب، وما أدراك ما العذاب؟ إنَّهُ العذابُ الذي ينبعث عن الغضب الإلهي». ويختمُ قدس سره كلامه ص٨٢ بحديثٍ شريفٍ روي في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من جملة وصايا الرسول ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام، قال عليه السلام: «ثلاثُ علاماتٍ للمرائي: ينشط إذا رأى الناس، ويَكسَلُ إذا كان وَحدَهُ، ويُحبُّ أنْ يُحمَدَ في جميع أموره».

تعلّق وحُبِّ الإنسان لنفسه، وهذا لا يمنع الإنسانَ عن الحركة والنشاط، كلا، بل على العكس هو يولّد حركةً ونشاطاً أيضاً لدى الإنسان ولكن ليس من أجل نفسه، بل إنَّهُ يُدركُ أنَّهُ يجب أنْ يتحرك وينشط من أجل خدمة عباد الله، فهي خدمةٌ لله.

أولئك المنتقدون لكتب الأدعية إنَّما يفعلونَ ذلك لكونهم جهلةً مساكين لا يعرفون كيف أنَّ كتب الأدعية هذه تصنع الإنسان، فأيُ إنسانٍ عظيمٍ تصنعه الأدعيةُ الواردةُ عن أئمتنا ﷺ، كالمناجاة الشعبانيّة ودعاء كميل، ودعاء الإمام سيّد الشهداء (سلام الله عليه) يوم عرفه، ودعاء السمات...

إنَّ الذي يقرأ المناجاة الشعبانيّة هو نفسه الذي يُشهرُ السيفَ أيضاً. هذه المناجاة كان يقرأها جميع الأئمة، ولم أر فيما يتعلق بسائر الأدعية الأخرى مثل هذا الوصف ـ قراءة جميع الأئمة لها[1] ـ والذي يقرأها يُشهرُ السيفَ ويُجاهدُ الكفار.

هذه الأدعية تُخرجُ الإنسانَ من هذه الظلمات، وعندما يخرج منها يُصبحُ عاملاً في سبيل الله، مُقاتلاً في سبيل الله، قائماً لله.

الأدعية لا تحجز الإنسان عن الحركة والعمل كما يَدَّعي أولئك قاصرين آمالهم على هذه الدنيا، معتبرين كُلَّ ما وراءها من «الذهنيات» لكنَّهُم سيصلون إلى حيثُ يرون أنَّ هذه «الذهنيات» هي «العينيات» وأنَّ ما كانوا يرونه عينياً هو الذهنيات.

---

(١) روى السيّد ابن طاووس في إقبال الأعمال، ج٣، ص٢٩٥، عن ابن خالويه أنَّهُ قال: «إنها [أي المناجاة الشعبانيّة] مناجاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده ﷺ، كانوا يدعون بها في شهر شعبان». ومثله في مفاتيح الجنان، ص٢٢٨، في أعمال شهر شعبان العامّة، الثامن، مناجاة الأمير الشعبانيّة.

هذه الأدعية والخطب ونهج البلاغة ومفاتيح الجنان وسائر كتب الأدعية، هي التي تُعينُ الإنسانَ لِيُصبح إنساناً.

[عندما يكونُ الإنسانُ إنساناً تكونُ أعمالُهُ كُلُّها لله وفي سبيل الله]

وعندما يُصبحُ الإنسانُ إنساناً يَقومُ بجميع تلك الأعمال، يزرع ولكن لله، ويقاتل لله. أولئك الذين قاموا بأعباء كُلّ تلك الحروب ضدّ الكفار والظالمين هم قُراءُ الأدعية، أكثرُ أولئك الذين كانوا في ركاب الرسول الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام كان نَفْسُهُ يقومُ للصلاة في خضم اشتداد حمى القتال، يُقاتلُ ويُصلي، وفي اشتداد القتال قام خطيباً مُتحدثاً عن التوحيد عندما سَأَلَهُ أَحَدُهُم عن التوحيد، وعندما اعترض آخر بأنَّ الوقت غَيْرَ مُناسبٍ لمثل هذا أجاب عليه السلام: إنَّا لأجل هذا نقاتل[1]، فالحربُ هنا ليست للدنيا. عليٌّ لم يُحارب معاوية لكي يتسلَّط على الشام، الرسول الأكرم ﷺ والإمام عليه السلام لم يكن هدفهم العراقَ والشامَ بل الهدف أنْ يكون الإنسانُ فيها إنساناً، أنْ يُنقذوا أهلَها من سُلطَةِ المستكبرين. هؤلاء هم أصحابُ الأدعية. الإمام علي عليه السلام الذي وَرَدَ عنه «دُعاء كميل» والذي كان يقرأ «دعاء كميل» هو نفسُهُ المُقاتلُ الشجاع.

---

(١) في الرواية أنَّ أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «يا أمير المؤمنين أتقول إن الله واحدٌ؟ فحمل الناسُ عليه، وقالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أميرَ المؤمنين مِنْ تِقَسُّمِ القلب، فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: دعوه، فإنَّ الذي يُريدُهُ الأعرابيُ هو الذي نُرِيدُهُ من القوم». راجع: التوحيد للشيخ الصدوق رحمه الله، ص٨٣. الخصال، ص٢. بحار الأنوار، ج٣، ص٢٠٧، الباب السادس، الحديث الأوّل.

[تأثيرُ الدعاء في استنزال الخيرات والبركات]

الذين يُبعدونَ الناسَ عن الأدعية ـ كما فعل يوماً الخبيث «كسروي»[١] حيث دعا إلى يومٍ لحرق كتب العرفان وكتب الأدعية ـ هؤلاء لا يعرفون ما الدعاء وما هي طبيعة تأثيره في النفوس، لا يفقهون أنَّ جميعَ هذه الخيرات والبركات هي من قُراء نفس هذه الأدعية، وحتى الذين يقرءونها بكيفيةٍ ضعيفةٍ ويُرَددون ذكر «الله» ولو بصورةٍ ببغاويّةٍ فأنَّهُم يتأثرونَ بها، وهُم خيرٌ من تاركيها.

المُصلي ـ ولو وفق أدنى مراتب إقامة الصلاة ـ هو خيرٌ من تاركها واكثرُ تهذيباً، فهو لا يسرق، راجعوا ملفات الجرائم ولاحظوا نسبةَ مرتكبيها من طلبة العلوم الدينيّة ونسبة غيرهم من مرتكبي جرائم السرقة وشُرابِ الخمر وغيرها.

هناك في هذه الطائفة ـ المُعَمَّمين ـ مَنْ تَسَلَلَ إليها، ولا شك، لكن هؤلاء ليسوا من أهل الصلاة ولا غيرها، تستروا بهذا الظاهر لإستغلاله فقط، أما أهل الدعاء والعاملون بشعائر الإسلام فليست لهم ملفات جنائيّة مقارنةً بالآخرين، وإنْ كان هناك من شيءٍ فهو قليلٌ جداً.

---

(١) احمد بن حاجي مير قاسم المعروف بـ«كسروي تبريزي»، كاتبٌ ومؤرّخٌ ولُغويٌ مُعاصر، عارض التصوّف والعرفان بشدّة، وخالف العديد من العقائد والمعارف الدينيّة، ووصل به الأمرُ إلى إدعاء النبوة، وقد عَبّرَ عنه الإمامُ الراحل ﷺ في أكثر من موردٍ بـ«المُعادي للإسلام» و«المُعادي للدين». ابتعد عن استعمال كلمات اللغة العربية، وأنشأ في قبالها مفردات واصطلاحات وتركيبات لغويّة ذات جذور فارسيّة لاستعمالها بدلاً عنها.

[الدعوةُ للعُزُوفِ عن الدعاء دعوةٌ شيطانيّة]

للدُعاء وأمثالهِ دَخْلٌ وتأثيرٌ في نظم هذا العالم، فلا ينبغي أنْ يختفي الدعاءُ من أوساط المجتمع، لا ينبغي لشبابنا أنْ يَعزِفُوا عن الدعاء، وليس من الصحيح الدعوة للعُزُوفِ عن الدعاء تحت شعار الدعوة لعودة القرآن، فهذا يعني تضييعُ الطريق إلى القرآن، هذه من الوساوس الشيطانيّة، فالشيطانُ يدعو إلى ترك الدعاء والحديث لفسح المجال للقرآن، يقول يجب أخذ القرآن والإعراض عن الحديث !! وأمثال هؤلاء لا يستطيعون الأخذ بالقرآن، هؤلاء الذين يقولون لنترك الدعاء ولنقرأ القرآن لا يستطيعون الأخذ بالقرآن، فهذه من وساوس الشيطان التي تخدع الإنسانَ، وهي من الأقوال التي تخدع الشباب.

[وصيةٌ للشباب]

على هؤلاء الشباب أنْ يُلاحظوا هل أن الذين كانوا من أهل الحديث والذكر والدعاء خدموا المجتمع أكثر أم الذين لم يكونوا من أهل ذلك وكانوا يزعمون «نحن أهل القرآن»؟!

جميعُ هذه الخيرات والمبرات التي ترونها وجميع هذه الأوقاف المخصصة لمطلق الأمور الخيريّة ولإعانة الضعفاء هي من عمل هؤلاء المؤمنين من أهل الذكر والدعاء والصلاة، لا من غيرهم.

حتى الأعيان الأثرياء الذين بنوا ـ فيما مضى ـ المدارسَ والمصحّات وأمثال ذلك، إنّما كانوا من أهل الصلاة، وهذا الأمرُ لا ينبغي أنْ يغيبَ عن أذهانِ الناس، بل على العكس يجب ترسيخُهُ، ويجب جعل الناس متوجهين لله تعالى.

[الدعاء يُعينُ الإنسانَ إلى الوصول للكمال]

وإذا تجاوزنا كُلَّ هذه الأمور فإنَّ الأدعيةَ تُعينُ الإنسانَ على الوصول إلى الكمال المُطلَق، وهي تُعينُ على إدارة وتسيير أُمورِ البلاد، ومرةً تكونُ المَعونَةُ في إلقاء القبض على السارق، وأُخرى تكون بأنَّ الإنسانَ نفسَهُ لا يسرق، وأهلِ المسجد والدعاء لا يعتدون، وهذا بحدِّ ذاته معونةٌ للمجتمع عندما يكونُ نِصْفُ أفراده ـ مثلاً ـ يجتنبون المعاصي لاشتغالهم بالدعاء والذكر وأمثال ذلك.

فمثلاً، الكاسبُ يُزاولُ كَسْبَهُ دون معصيةٍ ولا سرقةٍ، أما قُطَّاعُ الطُرق والقتلة فَهُمْ ولا شك ليسوا من أهل الصلاة والدعاء ولو كانوا من أهلها لما كانوا قتلةً وقُطَّاعَ طُرُقٍ.

بهذه الأدعية وبهذه الأمور الواردة عن الله ورسوله تتمُّ تربيةُ المجتمع. إن كُنتُم تقرأون القُرآن فهو يَمْدَحُ الدُعاءَ ويدعو الناسَ له: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[1].

إذن فالذين يدعون إلى ترك الدعاء والأخذ بالقرآن يرفضون القرآنَ أيضاً: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2].

أسألُ الله أنْ يجعلنا من أهل الدعاء وأهل الذكر وأهل القرآن بمشيئته تعالى.

---

(١) الفرقان: ٧٧.

(٢) غافر: ٦٠.

الدرس الرابع

أعوذ بالله من الشّيطان الرَّجيم، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، والحمد لله ربِّ العالمين

[في بيان نحو فاعليّة الحق تعالى]

يُستفادُ من الأحاديث السابقة أنَّ «الباء» في البسملة ليست الباء السببيّة ـ بالمعنى الذي يقولُهُ أهلُ الأدب ـ فالموضوعُ أصلاً ليس من باب السببيّة والمُسببيّة، بل وإنَّ في الحديث عن فاعليّة الحق، لا محل للعلة والمعلوليّة، وافضلُ تعبيرٍ عنه هو ما ورد في القرآن الكريم، فمرةً وَرَدَ التعبيرُ بالتجلّي ﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ...﴾[1]، وأُخرى بالظهور ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[2]، وهذه غير قضية السببيّة والمُسببيّة، فهنا تمايلٌ لا يقتضي وجوده في ذات الحق تعالى مع الموجودات، لذا يجب أنْ نحملَ السببيّة على معنىً موسع لكي تشمل قضية التجلّي وقضية الظهور، أو أنْ نقول إنَّ «الباء» ليست باء السببيّة، و«به» كذا، وباسم «الله» كذا بظهوره، وكذلك مع تجلّيه، وكذا بالحمد بسم «الله» أو تجلّي «الله»، لا من باب أنَّ الحمدَ مُسَبَّبٌ للاسم، ولا أتذكرُ أنَّهُ وَرَدَ في الكتاب أو السُنَّةِ التعبيرُ بالسببيّة أو العِلّيّةِ، فهذه مصطلحاتٌ

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) الحديد: ٣.

فلسفيّةٌ وَرَدَتَ على لسان الفلاسفة، أما في القرآنِ والسُنَّةِ فلم يَرِد التعبيرُ بالسببيّة عن هذا المعنى ـ على ما أتذكر ـ بل وَرَدَتْ فيهما تعبيراتٌ عنه بالخلق والظهور والتجلّي.

[تأويلُ حديث «النقطة تحت الباء»]

وهناك جَنْبَةٌ أُخرى وفيها حديثٌ شريفٌ، وهي قضية النقطة تحت الباء، وبالنسبة للحديث ومدى صحته، وهل أنَّهُ واردٌ أم لا؟! لَعَلَّ الشواهد تدل على عدم صحة وروده، والحديثُ مَنسوبٌ إلى الإمام علي (سلام الله عليه) أنَّهُ قال: **«أنا النُقطةُ التي تحت الباء»**[1]، ولو صَحَّ فتأويلُهُ هو أنَّ الباء هي بمعنى الظهور المطلق، والتَعَيُّن الأوّل عبارة عن مقام الولاية، فلو صَحَّت نسبةُ هذا القول للأمير عليه السلام فيكون مقصوده هو: أنَّ مقام الولاية ـ بالمعنى الحقيقي للولاية أي الولاية العامة ـ هو التعيُّنُ الأولُ.

[الولايةُ الأحمديّةُ والعلويّةُ التعيُّنُ الأوّلُ للتجلّي المُطلق]

الاسمُ هو التجلّي المُطلق، والتعيُّنُ الأوّل له هو تَعَيُنُ الولاية الأحمديّة والعلويّة، وحتى لو لم يرد هذا المعنى فالقضيةُ هي على هذا المعنى، فهناك تجلٍّ مطلقٍ يكونُ تَعَيُّنُهُ الأوّلُ هو المرتبةُ الأعلى للوجود، وهي مرتبة الولاية المُطلقة.

وهذا الاسم يكونُ مرةً لمقام الذات، حيثُ اسمه الجامع هو «الله»

---

(١) راجع: مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الفصل الثالث، في معنى حرف الباء والنقطة، ص٤٥. ينابيع المودة لذوي القُربى، ج١، ص٢١٣. الأنوار النعمانيّة، ج١، ص٤٧.

والأسماءُ الأخرى ظهورٌ للرحيميّة والرحمانيّة و. . . وهي جميعها تجلّياتُ الاسم الأعظم.

[بيانُ مقامات الأحديّة والواحديّة والمشيئة]

«الله» هو الاسم الأعظم والتجلّي الأوّل، والأسماء منها ما هي في مقام الذات، ومنها في مقام التجلّيات بالاسميّة، وهناك أيضاً أسماءُ التجلّي الفعلي الذي يُقالُ لقسمٍ منه «مقام الأحد»، وللآخر «مقام الواحديّة» وللثالث «مقام المشيئة»، ومثلُ هذه المصطلحات. ويُحتَمَلُ أنْ تكون مقامات الأسماء الثلاثة هي المقصودة بالآيات الأخيرة من سورة الحشر، حيث ذُكِرَتْ في آياتها الثلاثة الأخيرة بثلاثة أشكال وهي: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ. . .﴾[3].

فالاسمُ في مقام الذات يُناسبُ الأسماءَ الواردةَ في الآية الأولى، والاسم بالتجلّي الصفاتي يُناسبُ الصفاتَ الواردةَ في الآية الثانية، فيما التجلّي الفعلي يُناسبُ ما في الآية الثالثة ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ. . .﴾. والتجلّي الفعلي هو على ثلاثة أنماطٍ: تجلّي الذات للذات، والتجلّي في مقام الأسماء، والتجلّي في مقام الظهور، ولَعَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[4] يعني وكأنَّ الآخرين أصلاً هم نَفْياً مَنْفِياً ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ

---

(١) الحشر: ٢٢.

(٢) الحشر: ٢٣.

(٣) الحشر: ٢٤.

(٤) الحديد: ٣.

عَلِيمٌ﴾[١]، فَكُلُّ ظهورٍ «هو» وليس منه، «هو الظاهرُ وهو الباطنُ وهو الأوّلُ وهو الآخرُ».

[التجلّياتُ لا تكونُ مُستقلةً عن المُتجلّي]

هناك مراتب للتجلّيات ولكن ليس بحيث تكون مستقلةً عن المتجلّي، ولا شك أنَّ تصوُّر الأمرَ صعبٌ ولكنَّ تصديقَهُ بعد ذلك يسيرٌ.

وقد يكون «الله» اسماً لهذا التجلّي في مقام الصفات، ولو كان كذلك يكون «اسمُ الله» في «بسم الله» اسماً لظهور ذلك التجلّي على النحو الجمعي، وهذا لا يتعارض مع كلا الاحتمالين الذين تحدثنا عنهما سابقاً، بل ينسجم مع كليهما؛ لأنَّ هذه المسائل ليست على نحو الاستقلال، وكافة هذه القضايا يجب أنْ نُمَرِّرَهَا على نحو النقص.

[إدراكُ الواقعيات بحسب المقامات المُختلفة]

وهناك قضيةٌ أخرى ترتبطُ بجميع هذه القضايا والمباحث وهي أنّنا نتعرف إلى الواقعيات مرةً بالحواس التي لدينا، وأُخرى بما ينتزعه العقلُ ويُدركُهُ منها، وثالثةً بحسب مقام القلب وما يُدْرِكُهُ منها، ورابعةً في مقام الشهود وأمثال هذه المعاني.

وغايةُ ما تصله إدراكاتُنا نحن هي المُدركَات العقليّة إما بالقدم البرهانيّة أو ما يشبه الاستدلال. فالواقعيات حسب تصورنا هي التي نفهمها بمدركاتنا العقليّة، ولكن عندما نرتفع درجةً عن هذه المُدركَات نفهم أنَّ الواقعيات هي الذات المقدسة وتجلياتُها، وبأيِ نحوٍ كان إدراكُنا نجد هذا.

---

(١) الحديد: ٣.

[ليس هناك من موجودٍ مُقابل الله ﷻ]

وواقعُ الأمر هو أنْ لا مقابلَ للحق تعالى، أي ليس هناك موجودٌ مقابلٌ مستقلٌ عنه، بل إنَّ «مقابل الوجود المطلق» لا معنى له أصلاً، فالموجود هو الذاتُ المقدّسة وتجلّياتُها، سواء التجلّي في مقام الذات، أو في مقام الصفات، أو في مقام الفعل، ونفس الآيات التي نُشيرُ إليها أحياناً يُمكنُ أنْ تَكونَ شاهداً على أنَّ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾، فواقعُ الأمر هو أنْ لا مقابلَ للحق تعالى. مرةً نتساءل ـ وبحسب إدراكنا ـ ما الذي أدركناه وما هو إدراكنا العقلي؟! وهل أنّنا أوصلناه إلى القلب ليصبح اسمُهُ إيماناً؟! أو هل تحركنا بقدم السير ليكون اسمُهُ عرفاناً ومعرفةً إلى غاية ما يستطيع الإنسان الوصول إليه؟!

وتلك هي قضية إدراكنا للواقعيات على ما هي عليه، ولكن الواقع ـ عندما يُحسَبُ بحسب الواقع ـ فما من شيءٍ سوى الحق تعالى، كُلُّ ما هو موجود «هو»، والتجلّي هو تجلّيه، ولا يُمكنُنا أنْ نجد مِثالاً منطقياً، و«ظلٌّ» و«ذو ظلٍّ» ناقصٌ أيضاً.

[الذاتُ والتجلّيات... ومَوْجُ البحر]

وَلَعَلَّ أقرب الأمثلة الموضحة هو مثالُ موج البحر، فالموج ليس خارجاً ـ مُستقلاً ـ عن البحر، بمعنى أنَّهُ هناك مَوْجٌ وهناك بحرٌ، بل هناك مَوْجُ البحر، هذه الأمواج الحاصلة إنّما هي البحر يَتَمَوَّجُ، ولكن عندما ننظر إلى الأمر بحسب إدراكنا، نرى بحراً وأمواجَ البحر، كأنَّهُ هناك بحرٌ ومَوْجٌ، ولكنَّ المَوْجَ معنىً عارضٌ للبحر، وحقيقةُ الأمر أنْ ليس هناك سوى البحر، وَمَوْجُ البحر هو البحر، وكذلك حالُ العَالَم فهو كـ«مَوْجَةٍ».

وبالطبع، الأمرُ مِثَالٌ، والحالُ هو مثلما قال القائل: «**حُثُّوا التُرابَ على مفرقي وعلى مِثَالِي**»، فالأمرُ لا مثال له.

نحن عندما نُريدُ أنْ نَلِجَ في هذه المسائل نطرح حسب إدراكنا تصورات عامّة من قبيل اسم الذات واسم الصفات واسم الأفعال والمقام الفلاني، وهكذا، وهي نفسها مفاهيم في مفاهيم والإدراكُ إدراكٌ مفهوميٌّ.

[الكمالُ المُطلق وغير المُتَعَيِّن واجدٌ لجميع الكمالات]

أما المرتبة الأُخرى فهي أنْ نُدركَ ما وراء هذه المفاهيم، نُثْبِتُ بُرهانياً أنَّ الحقيقة هي هذه، ولكنَّ المنهج البرهاني عندما يَسْتَدِلُّ على أنَّ الموجودَ هو الذات وتجلّياتُها ولا شيء غيرها، يقول إنَّ صِرْفَ الوجود والوجود المطلق[1]

(١) يعني أنَّ الله سبحانه وجودٌ مطلقٌ لا يحده قيدٌ ولا شرطٌ، ومثل هذا الوجود سيكون غير محدود دون شك، فلو كان محدوداً لَمُنِيَ بالعدم، والذاتُ المقدَّسةُ التي ينطلق منها الوجود لا يُمكنُ أنْ يعترضها العدمُ والفناءُ، وليس في الخارج شيءٌ يفرض عليه العدم، ولذلك لا يحدّه حدٌّ، بل هو صرف الوجود والكمال والغنى، فلا يكون مُرَكَّباً من الأجزاء الخارجيّة المعبر عنها بالمادة والصورة، ولا من الأجزاء الذهنيّة المعبر عنها بالجنس والفصل، وإلا لزم الخلف في صرفيته ووجوبه، ولزم الحاجة إلى الأجزاء، ولزم توقف الواجب في وجوده على أجزائه ضرورةَ تقدم الجزء على الكُلّ في الوجود، وهو مع وجوب وجوده وضرورته له محالٌ. ويقول السيّد الشهيد مصطفى الخميني ﵀ في تفسيره للقرآن الكريم، ج١، ص٢٢٥: «إعلم أنَّ المُقَرَّرَ في محله: أنَّهُ تعالى صرفُ الوجود، والمُحَرَّرَ في مقامه أنَّ صرف الوجود صِرْفُ كُلِّ كمالٍ وجمالٍ، ولا يكونُ لسائر الكمالات أصلٌ آخر وراء أصل الوجود، وجميعُ الأسماء والصفات الكماليّة في جميع النشآت يرجع إلى ذلك الجامع الشامخ، وإلا يلزم التركيب من الوجود والعدم الذي هو شر التراكيب، ويلزم النقصان وإمكان الاستكمال وتصوير الأتم، الذي كُلُّ واحدٍ منها يكفي برهاناً على هذا الرأي الساطع والفكر الثاقب، ولا نحتاج إلى إطالة الكلام في المقام بذكر البراهين تفصيلاً».

هو الوجود الذي لا يُقيَّدُ بقَيدٍ، و«**أنت وجودنا المطلق**»(١)، فلو كان له حدٌّ أو نقصٌ فما هو بوجودٍ مُطلَقٍ، فالوجودُ المطلق ليس له أي تعيُّنٌ أو نَقْصٌ، وإذا كان كذلك فهو يشمل تمامَ الوجود، ولكنَّ «تمام» هذه ناقصةٌ أيضاً، أي أنَّهُ لا يُمكنُ أنْ يَكُونَ فاقداً لحيثيّةٍ ما، فجميعُ أوصافه هي مُطْلَقَةٌ لا على نحو التعيُّن، لا رحمانيّة مُتَعَيِّنَة، ولا رحيميّة مُتَعَيِّنَة، ولا الوهيّة مُتَعَيِّنَة.

[الواجبُ كمالٌ وجَمالٌ مُطلَقٌ لا تَعيُّنَ له]

عندما يكون النورُ مُطلقاً يُصبحُ بلا تَعَيُّن، وبذلك يجب أنْ يكونَ جامعاً لكافة الكمالات؛ لأنَّ فقدان أيّ كمالٍ يُوجبُ «التعيُّنَ»، فلو كانت هناك نقطة نقصٍ واحدةٍ في مقام الربوبيّة، أو لم تكن هناك ولو نقطة وجودٍ فقط ـ بل وما دون النقطة من العدم ـ لخرج عن الإطلاق واصبح ناقصاً مُمكناً، ولم يكن واجبَ الوجودِ، فالواجبُ كمالٌ مُطلَقٌ وجَمالٌ مُطلَقٌ.

من هنا فعندما نعتبر «الله» ـ وبحسب المنهج البرهاني الناقص ـ اسماً للذات المطلقة ولها كافّة التجلّيات، فيجب أنْ يكونَ جامعاً لكافّة الأسماء والصفات، جامعاً لكافّة الكمالات كمالاً مُطلقاً دون أي تَعَيُّن، وهذا لا يُمكنُ أنْ يكونَ فاقداً لأي شيءٍ، وإلا لم يكن كمالاً مُطلقاً، بل كان «مُمكِناً»، والممكن ناقصٌ مهما كانت درجةُ الكمال التي يَصِلُهَا، فبمجرد خروجه عن مرتبة الإطلاق يَدْخُلُ حدودَ الإمكان.

الوجودُ المُطلقُ واجدٌ لِكُلِّ شيءٍ، لِكُلِّ الكمالات، البرهانُ يقول: «**صِرْفُ**

(١) إشارةٌ إلى بيت من الشعر للشاعر الفارسي مولوي، يقولُ فيه:
ما عدمهاييم هستيها نما / تو وجود مطلق وهستى ما
والمعنى: نحنُ عَدَمٌ وما في الخارج عبارةٌ عنا وأنت وجودنا المُطلق وكينونتنا.

الوجود كُلُّ الأشياء، وليس بشيءٍ منها»[١]، كل الأشياء لكن لا بالتعينات، واجدٌ لكُلِّ وجودٍ ولكن لا على نحو التَعَيُّن بل على نحو الكمال المُطلَق.

[مقتضى الكمال المطلق أن تكون نفس الخصوصيات الموجودة في اسم «الله» موجودةً في أسمائه الحسنى وسائر صفاته]

وحيناً يكونُ هذا الكمال المطلق ـ عندما نحسب واقع الأمر ـ في كُلِّ الأسماء، فهذه ليست مُستَقِلّةً، بل هي نَفسُ أسماء الذات، غيرُ مُنعزلةٍ، وَنَفْسُ الخصوصيات الموجودة في اسم «الله» موجودةٌ في «الرحمن» فيصبحُ هذا كمالاً مُطلقاً، والرحمةُ المُطْلَقَةُ واجدةٌ لجميع الكمالات وإلا لما كانت مُطْلَقَةً، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٢]، سواءٌ «الله» أو «الرحمن» أو «الرحيم» وسائر الأسماء ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وهذه موجودةٌ أيضاً في جميع صفات الحق تعالى، ولكونها على نحو الإطلاق فلا حدود بين الاسم والمسمى واسمٍ واسمٍ آخر، فهي ليست مثل الأسماء التي نُطلقُها على شيءٍ ما باعتباراتٍ مختلفةٍ.

عندما نقول «نورٌ» و«ظهورٌ» فلا يعني ذلك أنَّهُ من جهةٍ نورٌ ومن جهةٍ أُخرى ظُهورٌ، بل إنَّ «الظهور» هو عين «النور»، والنورُ أيضاً عينُ الظهور، وبالطبع فهذا المثال ناقصٌ أيضاً. الوجودُ المطلق كمالٌ مُطلقٌ في كُلِّ شيءٍ مطلقٍ، جَميعُ الأوصاف هي على الإطلاق بحيث لا يُمكنُنا فرضُ أي شكلٍ من الاستقلاليّة.

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، للملا صدرا ﷺ، ج٦، ص١١٠ ـ ١١٨، السفر الثالث، الموقف الأوّل، الفصل الثاني عشر.

(٢) الإسراء: ١١٠.

[المعرفةُ بين المشاهدة والبرهان]

هذا بحسب القدم البرهانيّة، وهذا ما يقولُهُ البرهانُ. يُقالُ إنَّ أحد العارفين قد قال: «إنَّني حيثما ذهبتُ جاء هذا الأعمى بعصاه»(١)، ومرادُهُ هو الشيخ الرئيس(٢)، ومقصُودُهُ من هذا القول هو أنَّ كُلَّ ما وَجَدَهُ وَوَصَلَهُ أَدْرَكَهُ بُرهانياً هذا الأعمى ولكن بعصا البرهان، وصل إلى ما وصل إليه هذا العارف بقدم العرفان والمشاهدة، وعلى هذا التفسير قالوا إنَّ مَقْصُودَهُ من الأعمى هو ابو علي [ابن سينا].

[طريقُ إيصال المعارف إلى القلب]

وأصحابُ البُرهان ـ كما يقول ـ نحنُ العُمي، فعندما لا تكون مشاهدةٌ يعني أنَّ هناك «عمى»، فحتى بعد أنْ نُبَرهِنْ استدلاليّاً على التوحيد المطلق والوحدة المطلقة، وأنَّ مبدأ الوجود هو الكمال المطلق، فالأمرُ برهانٌ أيضاً، والمحجوبيّة هي خلف جدار البرهان، والمُهمُّ أنْ تصل ـ بالمجاهدة والسعي ـ حقيقةُ أنَّ «صِرْفَ الوجود كُلُّ شيءٍ» إلى القلب فيُدركُها. وحالُ قلوبنا كحال

---

(١) القائل هو الشيخ العارف الصوفيّ المعروف أبو سعيد أبو الخير، وكان قد كتب شعراً يُعَرِضُ فيه بأبي علي سينا قائلاً:

قطعنا الاخوة عن معشر بهم مرضٌ من كتاب الشفا
فماتوا على دين رسطالس وعشنا على سُنّة المصطفى

(٢) الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ﷺ، الحكيم المشهور، أحد فلاسفة المسلمين، ولد سنة ٣٧٠ هـ: بقريةٍ من ضياع «بخارى»، نادرةَ عصره في علمه وذكائه وتصانيفه، لم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمره الا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها، صنَّفَ كتاب «الشفاء» و«النجاة» و«الإشارات والتنبيهات» و«القانون» و«النجاة من الغرق في بحر الضلالات» و«المبدأ والمعاد» وغير ذلك مما يقارب مائة مُصَنَّف، وله شِعْرٌ، توفي بهمدان يوم الجمعة من شهر رمضان ٤٢٨ هـ: ودفن فيها.

الطفل الذي يجب أنْ تُلَقِّنَهُ كلمةً بعد أخرى، وعلى الذي أدرك تلك الحقائق عقليّاً أنْ يوصلها قَلْبَهُ بطريقة التلقين كلمةً كلمة، بالتكرار والمجاهدة وأمثال ذلك.

[الإيمانُ يتحقق بوصول الإدراكات العقليّة المُبرهنة إلى القلب]

فإذا وصلت هذه الحقائق إلى القلب ووعاها وأدرك أنَّ **«صِرْفَ الوجود كُلُّ الكمال»** فهذا هو الإيمان. الإيمانُ يتحققُ عندما يصل هذا الإدراك العقلي والتصورات المفهوميّة التي أُقيم عليها البرهان إلى القلب، وعندما يصل هذا المعنى القرآني البرهاني إلى القلب ويَقرأ بالقلب ما قرأه بالعقل، وعندما يُعَلِّمُ القلبُ ذلك بالتكرار والرياضات والمجاهدات، عندها يؤمنُ القلبُ بأنْ **«لَيسَ في الدارِ غَيرُهُ دَيَّارٌ»**[١].

[للأنبياء عليهم السلام مرتبة مشاهدة جمال الحق عزّ وجلّ]

ولكن هذه أيضاً هي مرتبةٌ من الإيمان، بل وحتى مرتبة ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٢] هي غير تلك التي كانت للأنبياء، فقد كانت لهم قدم المشاهدة وهي فوق

---

(١) مقولةٌ مشهورةٌ عند أهل العرفان والتصوّف مقتبسةٌ من بيتٍ من الشِعر بالفارسيّة للشيخ البهائي العاملي رحمه الله يقولُ فيه:

خوانده در گوش أو در وديوار / ليس في الدار غيره ديّار

راجع: الأمثال والحِكَم، ج٣، ص١٣٧٤.

(٢) إشارة إلى قصة نبي الله إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة وأتمّ التسليم) والواردة في سورة البقرة، الآية (٢٦٠)، قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. وللمزيد من الفائدة لابأس بمراجعة البحث الذي عقده الإمام الخميني الراحل قدس سره حول الطمأنينة في الفصل الرابع من كتابه «آداب الصلاة»، ص٣٧ وما=

ذلك. لهم مشاهدة جمال الحق تعالى ﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾[١]، تجلّى لموسى الذي كانت له محطات ثلاثون ليلة في البداية، ثم أصبحت أربعين، وجاءت بعدها تلك الوقائع بعد أنْ رَحَلَ عن منزل شعيب «والد زوجته»، وسار بأهله قال لهم: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾[٢]، هو أدرك هذه النار أما أهله فلم يروها أصلاً، بعد ذلك ذهب إليها: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾[٣]، وعندما اقترب منها جاء النداء ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[٤]. هذا النداء جاء من نفس تلك النار التي كانت في الشجرة، وقدم المشاهدة يعني أنَّ موسى شَاهَدَ ما ذهب إليه ذاك الأعمى بالعصا وذاك العارف بالقلب.

[الحقائقُ يجب أن تَتَنَزَّل حتى تُدركُها القلوب]

هذه كأقوال نُحْسِنُ التحدثَ بها نحن، وأنتم تستمعون إليها بآذانكم ولكن الحقائق هي أسمى. ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ والنورُ الذي كان في الشجرة، هذا النور لم يكن يستطيع رؤيته سوى موسى عليه السلام مثلما هو الحال مع الوحي الذي كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله، فَمَنْ ذاك الذي كان يستطيع أن يفهم ما هو هذا الوحي؟! وما هو أصلُهُ؟! والقرآنُ الذي نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله دفعةً واحدةً جميعُهُ ما هو؟! فلو كان هو هذا القرآن ذي الثلاثين جزءاً فَنُزُولُهُ

=بعدها، حيث اعتبر قدس سره أنَّ الطمأنينةَ من الآداب القلبيّة المهمة في العبادات خصوصاً ما يتميز منها بالذِكر، فهي إشارة إلى أداء السالك العبادة بسكينة قلبٍ واطمئنان بال، وأنَّ القلب ما لم يتصف بالإطمئنان والسكينة والطمأنينة والوقار فإنَّ الأذكار لن تؤثر فيه ولن تسري من حدود الظاهر ومن مُلك البدن إلى ملكوت النفس وباطنها، ولن ينال القلب حظَّهُ من حقيقة العبادة.

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) طه: ١٠.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) القصص: ٣٠.

دفعةً واحدة على قلبٍ عاديٍ أمرٌ محالٌ. لكنَّ القلبَ بابٌ آخر، والقرآنُ حقيقةٌ وهي تَرِدُ إلى القلب.

القرآنُ سرٌّ، وسرُّ السرِّ، وسرٌّ مُسْتَسِرٌ بِسِرٍّ، وسرٌّ مُقَنَّعٌ بِسِرٍّ[1]، ويجب أنْ يَتَنَزَّلَ وينزل إلى الأسفل، وَيَتَنَزَّلَ حتى يصل إلى هذه المراتب النازلة، وحتى وُرُودُهُ على قلب رسول الله ﷺ كان تَنَزُّلاً، تَنَزَّلَ حتى دخل القلب، ومن هُناك يجب أنْ يَتَنَزَّل أيضاً إلى أنْ يصل إلى حيث يفهمه الآخرون أيضاً.

وهكذا حال الإنسان، فهو أيضاً سرٌّ وسرُّ السِرِّ، نحن نرى من الإنسان هذا الشيء الموجود، حيوانٌ، هذا الحيوان الموجود ولا غير، بل وهو حيوانٌ أسوأ من سائر الحيوانات، ولكن له خصوصيّة وهي إمكانيةُ وصوله إلى الإنسانيّة وإلى مراتب الكمال والكمال المطلق حتى إلى حيثُ لا تصل أوهامُنا ثُم يَنعَدِم.

[لا نستطيع إدراكَ الجواهر وَكُلُّ ما نُدْرِكُهُ هو الأعراض]

كُلُّ ذلك سرٌّ وأسرارٌ، والظاهرُ هو هذا، وفي عالم الطبيعةِ هذا أيضاً سرٌّ. هناك مسألةٌ وهي أنَّكُم لا تستطيعون فَهْمَ مَاهيَّةَ الأجسام، ولا نحن نستطيع ذلك، ولا نستطيع إدراكَ «الجواهر» وَكُلُّ ما نُدْرِكُهُ هو «الأعراض». عُيونُنا ترى الألوان وما شابه، آذانُنا تسمع الصوتَ، وحاسةُ الذوق تُدركُ الطَعمَ، وحاسةُ اللمْسِ تُدركُ الظواهرَ، وكُلُّ ذلك أَعراضٌ، وعندما يُريدونَ تَعريفَ جِسْمٍ ما يقولون إنَّهُ الشيء الذي له عَرْضٌ وَعُمْقٌ وَطُوْلٌ، وهذه من الأعراض أيضاً.

---

(١) إشارةٌ إلى ما رُوي صادق أهل البيت عليه السلام: «إنَّ أَمْرَنا سِرٌّ في سِرٍّ وسِرٌّ مُسْتَسِرٌ وَسِرٌّ لا يُفيدُ إلا سرّ وَسِرٌّ على سِرٍّ وَسِرٌّ مُقَنَّعٌ بِسِرٍّ». راجع: بصائر الدرجات، ص٤٨، بابٌ نادرٌ في أنَّ أمرهم صعبٌ مُستصعَبٌ. بحار الأنوار، ج٢، ص٧١، الباب (١٣) في النهي عن كتمان العلم والخيانة وجواز الكتمان عن غير أهله، الحديث (٣١).

الذي له جاذبيّةٌ فمن الأعراض، إذْ كُلُّ ما تُريدونَ تَعْرِيفَهُ به أوصافُ الأعراض، إذن فأين هو الجسم؟! الجسمُ أيضاً هو سِرٌّ إذن، الظلُّ هو سِرٌّ، فَظِلُّ نفس الأحديّة هو الأسماء والصفات أيّاً كانت، فالمعلومُ لنا هو الأسماء والصفات، أما نفس العالم فهو غيبٌ، أسماءُهُ وصفاتُهُ ظاهرةٌ ولكنَّهُ نفسه غيبٌ، وَلَعَلَّ إحدى مراتب «الغيب والشهادة» هو أنَّ لعالم الطبيعة أيضاً غيبٌ وشهادةٌ، فَغَيْبُهُ ما غاب عنا، فلا نستطيعُ أنْ نُدْرِكَهُ بحالٍ، إذْ إنَّ أيَ شيءٍ تريدون تَعْرِيْفَهُ إنَّما تُعَرِفُونَهُ بالأوصاف والأسماء والآثار وما شابه، فأيُ سبيلٍ لتعريفكم له غير هذه؟!

ناقصٌ هو إدراكُ الإنسان لِظِلِّ السرِّ المُطلَق، إلا إدراك من وصل بقدم الولاية إلى حيث يُدْخِل قَلْبَهُ تجلّي الحق تعالى بكافة أبعاده، وهذا السرُّ موجودٌ في كُلِّ شيءٍ، أي إنَّ الغيب والشهادة يسريان في كُلِّ مكانٍ.

[جميعُ أسماء الحق ﷻ واجدةٌ لجميع مراتب الوجود]

في وقتٍ ما كان يُقال إنَّ عالم الغيب هو ـ مثلاً ـ عالم ملائكة الله، عالم العقول ونظائر هذا التفسير، ولكنَّ لنفس هذه العوالم سرّاً وظاهراً، ظهوراً وبطوناً، وهذا نفسه في: «هو الظاهر والباطن»، فهناك بطونٌ في نفس الشيء الذي ظَهَرَ فيه، وفي نفس هذا البطون ظُهُورٌ، وعلى هذا فإنَّ جميعَ أسماء الحق تعالى واجدةٌ لجميع مراتب الوجود، فَكُلُّ اسمٍ هو جميع الأسماء، فالأمرُ ليس أنَّ «الرحمن» صفةٌ واحدةٌ أو اسماً واحداً، و«الرحيمُ» اسمٌ مُقَابِلٌ، وكذا الحال مع «المُنتَقِم»، فهذه لو كانت من الأسماء فجميعها حاويّة لِكُلِّ شيءٍ ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]، فجميعُ الأسماء الحُسنى

(١) الإسراء: ١١٠.

موجودةٌ في «الرحمن»، وموجودةٌ في «القَيوُم»، وفي «الرحيم»، وليس الحالُ أنَّ أحدها يحكي شيئاً ما والآخر يحكي عن شيءٍ آخر، فذلك يعني أنْ يكونَ «الرحمن» حاكياً لحيثيّةٍ ما موجودة في ذات الحق تعالى، وغيره يكون حاكياً لحيثيّةٍ أخرى، وبذلك تكونُ ذات الحق تعالى مَجْمَعاً للحيثيّات، وهذا مَحَالٌ في الوجود المطلق.

الوجودُ المطلق هو «رحمانٌ» بوجوده المطلق، و«رحيمٌ» بوجوده المطلق، «رحمانٌ» بتمام الذات، و«رحيمٌ» بتمام الذات، و«نورٌ» بتمام الذات، و«الله» بتمام الذات، فلا تكونُ رحيميّتُهُ شيئاً ورحمانيتُهُ شيئاً آخر.

[الاسمُ الأعظم هو نَفْسُ رسول الله ﷺ]

أُولئك الذين يَسْمُونَ عُلُواً بقدم المعرفة حتى يصلوا إلى حيث تتجلّى الذاتُ بتمام التجلّيات، وبالطبع ليس الذات بل على نحو التجلّي في قلوبهم، وقلوبُهُم ليست من هذه القلوب، بل القلب الذي يدخله القرآن، القلبُ الذي فيه مبدأُ الوحي، القلبُ الذي يتخذُهُ جبرائيلُ مَنْزِلاً، في هذا القلب تتجلّى الذاتُ بذاك التجلّي الجامع لكافة التجلّيات، وهو نَفْسُهُ «الاسمُ الأعظم» والمتجلّي بتجلّي «الاسم الأعظم»، و«الاسمُ الأعظم» هو نَفْسُهُ **«نحنُ الأسماء الحسنى»**[1].

الاسمُ الأعظم هو نَفْسُ رسول الله ﷺ، وهو أعظمُ الأسماء في مقام التجلّي.

---

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٢٥، ص٥، أبواب خلقتهم وطينتهم وأرواحهم عليهم السلام. ورواهُ الكليني في الكافي، ج١، ص١٤٤، باب النوادر، عن صادق أهل البيت عليهم السلام، قال: «نحنُ والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد إلا بمعرفتنا».

[وجوداتُنا تجلّياتٌ مُتكثرةٌ كالنور المُتكَثرِ في المرايا]

وعلى ما تقدم، فالذي جرى الحديثُ عنه الليلة هو:

أولاً، قضية السببيّة، فيجب أنْ لا نعتبرها في موضوع الحديث مثلَ سائرِ أشكالِ السببيّة، ولا يمُكنُنَا أنْ نُشَبِّهَهَا بمثالٍ ما إلا على بعض الأمثلة البعيدة، هذا أولاً.

وثانياً، إنَّ حديثَ «نقطة الباء» ـ لو صحت نسبتُهُ ـ يعني ما أوضحت تأويله آنفاً.

وثالثاً، إنَّ الاسمَ هو بمراتب اسم الذات، فاسمٌ في مقام الصفات، واسمٌ في مقام التجلّي الفعلي، تجلّي الذات على الذات، وتجلّي الذات على الصفات، وتجلّي الذات على الموجودات، تجلٍّ إذا أردنا تفسيره نقول إنَّ وجوداتنا هي تجلٍّ، نورٌ مُتَكَثِّرٌ في المرايا ـ والمثالُ هنا بعيدٌ أيضاً ـ وأما إذا وَضَعْتُمْ هنا مائةَ مرآةٍ ينعكسُ فيها هذا النور أو نورُ الشمس، فستقولون باعتبارٍ واحدٍ مائةَ نورٍ، النورُ نورُ المرآة، ونورُ المرآة هو نفس ذلك النور إلا أنَّهُ محدودٌ. مائةٌ لكنَّها نفس هذا النور، نفس تجلّي الشمس هذا، فنورُ الشمس يظهرُ في مائةِ مرآةٍ، والمثالُ كما قُلتُ بعيدٌ.

[الإسمُ في البسملة هو اسم مقام الذات]

تجلّي الحق تعالى موجودٌ في هذه التعيّنات، ولكن ذلك لا يعني أنَّ هناك تعيّناً ونوراً، بل إنَّ النور عندما يتجلّى فيكون التعيُّن لازمه، وعليه يكونُ الاسمُ في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[1] هو اسم مقام الذات، واسمُ «الله» هو ظهور الذات بجميع التجلّيات، اسمُ نفس هذا الظهور والتجلّي الجامع،

---

(١) الفاتحة: ١.

وكذلك «الرحمن» و«الرحيم» فهي ظهوراتٌ لهذا التجلّي الجامع أيضاً، لا بمعنى أنَّ رحمانَهُ شيءٌ ورحيمَهُ شيءٌ آخر، بل اعتبروا أنَّ «الله» و«الرحمن» و«الرحيم»، وهي ثلاثةُ أسماءٍ لشيءٍ واحدٍ، كُلَّهَا تجلٍّ واحدٍ لجميع الذات،

فـ«الله» تجلّي بتمام الذات، وكذا «الرحمن» وكذا «الرحيم» وغير ذلك مَحَالٌ، وإلا كانَ محدوداً مُمكِناً. وعلى أساس ذاك الذي تحدثنا عنه حول أنَّ التعلّق هو بالحمد، يكون أيضاً الاسمُ الإلهيُّ الجامعُ للظهور «الله» حاوياً لـ«الرحمن» و«الرحيم» بذاته، فتقع له جميعُ المحامد أو الحمد المطلق (على ضوء الاحتمالين المذكورين سابقاً).

[الإسمُ هو التجلّي الجامع في مقام الصفات]

كما نعتبر الاسم و«الله»، تجلّياً جامعاً في مقام الصفات، الاسم هو التجلّي الجامع في مقام الصفات، تلك المشيئة المطلقة التي يقع بها كُلُّ شيءٍ وباسم «الله»، وإذا كنا نعتبر «الله» تجلّياً جامعاً في مقام الفعل، فإنَّ اسمه نفس الحقيقة في مقام الظهور كوصف «الله» بـ«الرحمن» و«الرحيم»، وَكُلُّ واحدٍ من هذه الأسماء يكونُ الكلامُ فيه على نمطٍ خاص عندما ننظر إليه في الآية الكريمة.

وإلى هنا نَكُونُ قد تحدثنا عن اسم «الله» وأنَّهُ هو الاسم الجامع ومقام الذات ومقام الصفات ومقام التجلّي بالفعل في الآية الكريمة. وتحدثنا عن الاسم وعن «الله» وعن «الباء» في البسملة وعن نقطتها. وهناك فيما يتعلق بـ«الرحمن الرحيم» مسائل يجب أنْ نَمُرَّ عليها بصورةٍ مُختَصَرَةٍ سريعةٍ، والرجاء أنْ نُصَدِّقَ بوجودها، فبعضُ القلوب مُنْكِرَةٌ من الأساس، وبعضُ الأشخاص يُنْكِرُوْنَ كافَّةَ قضايا المعارف، فالذي في المنزل الحيواني لا يستطيع أنْ يُصَدِّق أنَّ هناك شيئاً وراء هذا المقام الحيواني.

[في بيان الاحتياج للبرهان في ردٍّ وإثبات المطالب]

يجب أنْ نُصَدِّق بتلك الحقائق، والخطوةُ الأولى للإنسان الذي يُريدُ أنْ يُحدِثَ تَحَرُّكاً في نفسه هي عدم الإنكار، لا ينبغي للإنسان أنْ يُنكِرَ كُلَّ ما لا يعلمه، ويبدو أنَّ الشيخ الرئيس [ابن سينا] هو صاحب القول بأنَّ «**المُنكِر لشيءٍ دونَ برهانٍ خارجٌ عن فطرة الإنسان**»، فمثلما أنَّ إثبات شيءٍ ما يحتاجُ إلى برهانٍ كذلك الحال مع النفي، فهو يَفْتَقِرُ إلى برهانٍ أيضاً، فمرةً تقول لا أعلم وأُخرى تنفي. هُناكَ أشخاصٌ قُلوبُهُم فيها جُحُودٌ، فهي مُنْكِرَةٌ تُنْكِرُ كُلَّ شيءٍ لكونها لا تستطيع فَهْمَهُ، وأصحابُها يَخْرُجُونَ بهذا الجحود عن الفطرةِ الإنسانيّةِ، فالإنسانُ يجب أنْ يكونَ قَبُوْلُهُ لفكرةٍ ما مُستندٌ إلى برهانٍ، وكذلك نَفْيُهُ لها عن بُرهانٍ ودَليلٍ، فإنْ لم يَكُنْ لديه بُرهانٌ على النفي أو الإثبات فعليه أنْ يقول: «لا أعلم»، أو: «قد تَكُونُ الفكرةُ صحيحةً». كُلُّ ما تسمعه احتمل صِحَتَهُ، «**كُلُّ ما قَرَعَ سَمْعَكَ ذَرْهُ في بُقْعَةِ الإمكان**»[1] فقد يكون صحيحاً أو غيرَ صحيحٍ فلماذا الإنكار؟!

إنَّ عِلْمَنَا لا يصل إلى ما وراء هذا العالم، وما توصلنا له من هذا العالم فهو ناقصٌ أيضاً، فلا زالت المجاهيلُ كثيرةً، وإلى ما قبل قرنٍ من الزمان كانت هناك الكثيرُ من المجهولات التي أصبحت اليوم معلومةً وسيتضح مستقبلاً غيرها.

---

(١) اشتهرت هذه العبارة ونقلها الكثيرون عن الشيخ الرئيس ابن سينا رحمه الله، والذي عثرنا عليه بهذا المضمون في كتاب شرح الإشارات والتنبيهات للخواجة نصير الدين الطوسي قدس سره: ج٣، ص١١٦٣، النمطُ العاشر، في ذكر الحوادث الغريبة، حيث قال: «فالصوابُ لك أنْ تُسَرِّحَ أمثالَ ذلك إلى بقعة الإمكان ما لم يذدك عنه قائم البرهان». وكذلك اشتهرت عنه عبارة: «إنَّ كل ما قَرَعَ سمعك من غرائب الزمان وعجائب الدوران، فذره في بقعة الإمكان ما لم يذدك عنه قائمُ البرهان».

فإذا كنا لم نستطع أنْ نفهم هذا العالم، ولم يستطع الإنسانُ أنْ يعرفه فما هو مبررُ إنكاره لما عند الأولياء؟!

هذا القلب قلبٌ «إنكاريٌّ» مَحْرومٌ كُليّاً من دخول الحقائق والأنوار إليه، ولهذا فالذي لا يعلم يُنكر ولا يقول لا أعلم، فَيَصِفُ ما يقولُهُ أهلُ المعرفة بأنَّهُ نسيجُ أوهامٍ، وَسِرُّ قوله ذلك هو كونه محرومٌ إذْ إنَّ ما يصفه بأنَّهُ «نسيج أوهام» موجودٌ في القرآن والسُنَّةِ فلماذا يُنْكِرُهُ الإنسانُ؟!

[إنكار المجهولات كُفرٌ جحوديٌّ من أسوأ أقسام الكفر يوجبُ الحرمان من الكمالات]

هذا الإنكار هو مرتبةٌ من مراتب الكفر ـ ليس الكفر الشرعي ـ مرتبةٌ من الكفران، فإحدى مراتب الكفر أنْ يُنْكرَ الإنسانُ ما يجهله، وجميعُ مصائبِ الإنسانِ ناشئةٌ من هنا، من لجوئه إلى جُحُودِ سلسلةٍ من الحقائق الواقعيّة؛ لكونه لا يستطيع أنْ يدركها من جُحُودِهِ لما لدى أولياء الله لكونه لا يستطيع الوصول إليه.

هذا الكفر الجحودي هو من أسوأ أقسام الكفر، والقَدَمُ الأوّلى لحركة الإنسان هي أنْ لا يَجْحَدَ الحقائقَ الواقعيّةَ الموجودةَ في الكتاب والسُنَّةِ، والتي يقولُ بها الأولياءُ وكذلك العُرفاءُ والفلاسفةُ حسب سعَة إدراكهم. فعلى الإنسان أن لا يجزم بعدمِ ما لا يدركه.

جَحُوْدٌ هو ـ ولا ريب ـ قلبُ ذلك «الرُجيل»[1] الذي يُريدُ وضعَ «الله» تحت سكاكين التشريح ويقول: «لن أؤمن بالله ما لم أشرحه بهذه السكين التي أشحذها».

---

(١) تصغير «رَجُل»، وإنّما أتى به مُصغراً لاحتقاره واستصغار شأنه بسبب المقولة التي يقول بها.

الخطوةُ الأوّليّة هي أنْ لا نُنْكِرَ ما قاله الأنبياءُ والأولياءُ، فلو أنكرنا لَنْ نستطيعَ أنْ نخطو الخطوةَ الثانية. فالإنكارُ يَمْنَعُ الإنسانَ من الحركة، والمُنْكِرُ لوجود شيءٍ لا يراه لن يستطيعَ متابعةَ السير، فعلى من يريد التحرك للخروج من هذه الظلمات أنْ يحتمل صحَّةَ تلك الأقوال ولا يُنكرها وإلا بقي خلفَ جدارِ الإنكارِ إلى النهاية. عليه أنْ يسأل الله أنْ يفتح له باباً للسير، فهو فَتَّاحُ الأبواب. عليه أنْ يسأل الله أنْ يفتحَ له سبيلَ الوصولِ إلى ما يجب عليه الوصول إليه.

فإذا أجتنب الإنكارَ وسأل اللهَ أن يفتح له سبيلاً، تفتح له بعض السُبُل، وَلَنْ يخيبه اللهُ، ورجائي أنْ نخرج نحنُ من دائرة الإنكار، فلا نُنْكر ما وَرَدَ في القرآن والسُنَّةِ ونحَنْ نَدَّعِي الاعتقادَ بهما. ما لا يُدْرِكُهُ عَقْلُهُ من القرآن والسُنَّةِ لا يُنْكِرُهُ فيهما مباشرةً ولكن إذا صَدَرَ بلسانِ إنسانيٍّ لشخصٍ آخر يَسْتَفْرِدُ بهذا المسكين وَيَصِفُ قَوْلَهُ بأنَّهُ «هرطقةٌ» ولا يقول إنَّهُ هو الذي لا يعلم.

[الإنكارُ يَحْرُمُ الإنسانَ الكثير من الحقائق]

ومثلُ هذا الإنكار يَحْرُمُ الإنسانَ من الكثير من الحقائق، فهو يَصُدُّهُ عن السبيل الذي يجب للإنسان أنْ يسلكه ويمنعه من دخول هذا السبيل أصلاً.

إنَّني أُخاطبُ الجميعَ أنْ احتَمِلُوا الصحَّةَ فيما وَصَلَ إليه الأولياءُ، قد لا يقول صراحةً بين الناس باحتمال الصِحَّةِ هذا ولكن المهم أنْ لا ينكر هذه الحقائق أصلاً ويقول إنَّها هرطقةٌ، فَمِثْلُ هذا المُنْكِر لا يفلح بعد ذلك بسلوك الطريق أبداً، فإن أرادَ الفلاحَ في السلوك فعليه أنْ يستأصلَ الجحودَ من قلبه ويزيلَ هذه العقبة من طريقه.

[القرآنُ مائدةٌ أَعَدَّها اللهُ لجميع البشر]

أرجو أنْ نُفْلِحَ في استئصالِ حِجابِ الجحودِ من قلوبنا، ونسألُ الله ﷻ أنْ يعرفنا لغةَ القرآن ـ هي لغةٌ خاصة ـ نسألُ الله أنْ يُوَفِّقَنَا للتعرُّفِ على اللغَّةِ التي نَزَل بها القرآن.

القرآنُ يَشْبَهُ الإنسانَ في كونه موجودٌ لديه كُلُّ شيءٍ ـ والمقصودُ هنا هو الإنسان الإنسان بالفعل ـ القرآنُ مائدةٌ أَعَدَّها اللهُ لجميع البشر، سُفْرَةٌ واسعةٌ يتناولُ منها كُلُّ إنسانٍ حَسَبَ رغبته ما لم يكن مريضاً ينعدم عنده الاشتهاء. الأمراضُ القلبيّةُ تَعْدُمُ في الإنسانِ الرغبةَ في الأكلِ، فإذا كان الإنسانُ غَيْرَ مَريضٍ وكانت له رَغْبَةٌ داخليّةٌ انْتَفَعَ من القرآن الذي تتسعُ سُفْرَتُهُ للجميع، مثلما هو حال الدنيا فهي كَسُفْرَةٍ كبيرةٍ ينتفع هذا من فاكهتها وذاك من عَلَفِهَا، وهكذا. الإنسانُ ينتفع منها بطريقةٍ ما، والحيوانُ بطريقةٍ أخرى، والإنسانُ في مقام الحيوانيّة بطريقةٍ مُعينةٍ، وكُلَّما سعى أكثر انْتَفَعَ أكثر من هذه السُفْرَةِ الإلهيّةِ، وهي عبارة عن الوجود، وَنَفْسُ الأمرِ يَصْدُقُ على القرآن، فهو سُفْرَةٌ عَامِرَةٌ تَسَعُ الجميع وكُلٌّ يَنْتَفِعُ منها قَدَرَ رغبته وَعَبْرَ السبيلِ الذي وَجَدَهُ، والدرجةُ العلميّةُ الأعلى هي للذي نَزَلَ عليه **«إنّما يَعْرِفُ القرآنَ مَنْ خُوطِبَ به»**[1].

لكن لا ينبغي لنا اليأسَ والقنوطَ، بل علينا الحصول على منافعَ من هذه السُفْرَةِ. وأوّلى هذه المنافع أنْ نَطْرُدَ من أذهاننا وَهَمَ عَدَمِ وجودِ غير هذه القضايا الطبيعيّة، وفكرة أنَّ القرآنَ تَنَزَّلَ لإيضاح هذه القضايا الإجتماعيّة والطبيعيّة والحياة الدنيويّة فقط، ففي هذه الفكرة إنكارٌ لجميع النُبوات. إنَّ

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

الغايةَ التي تَنَزَّلَ من أجلها القرآنُ هي صنعُ الإنسان وجعله «إنساناً»، وجميعُ تلك القضايا هي وسائل لتحقيق هذه الغاية.

[العباداتُ والأدعية وسيلةٌ لإظهار لُبابِ الإنسان]

كافَّةُ العبادات والأدعية هي وسيلة لإظهار «لُبَابِ» الإنسان وتحويل ما لديه بالقوة ـ وهو لُبُّ الإنسان ـ إلى دائرةِ الفعلِ، وبذلك يُصبحُ الإنسانُ بالقوة إنساناً بالفعل، يُصبحُ الإنسانُ الطبيعي إنساناً إلهيّاً بحيث تَكُونُ كَافَّةُ أبعادِهِ إلهيَّةً، فَكُلُّ ما يراه هو الحق. ولأجل هذه الغاية كانت بعثةُ الأنبياء، فهم لم يأتوا للحكومة بذاتها ولا لإدارةِ وتسييرِ الأمورِ الدنيويّة، فللحيواناتِ أيضاً دنيا يُسَيِّرُونَ شؤونَهَا.

ومفهومٌ أنَّ إقامة العدالة الإجتماعيّة إنَّما تكونُ بأيدي الأنبياء ـ وبحثُ موضوع العدالة هو بحثٌ في صفةٍ للحق تعالى عند أهل البصيرة ـ كما أنَّهُم يُقيمونَ الحكومةَ العادلةَ أيضاً، ولكن الغاية ليست كُلَّ ذلك، بل كُلُّ ذلك وسائل لإيصال الإنسان إلى المراتب السامية وهذه غاية بعثة الأنبياء.

نسألُ الله تعالى التأييدَ في أمورِنَا كافَّة.

الدرس الخامس

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم، بسم الله الرّحمن الرّحيم، والحمد لله ربّ العالمين

[الجهلُ بالاصطلاحات علّةُ وقوع الاختلاف بين طوائف العلماء]

قبل أنْ أُتابعَ الحديث حول موضوع البحث، يجب أنْ أُبَين نقطةً قد تكون نافعةً وضروريّةً وهي أنَّ علّة وقوع الاختلاف ـ أحياناً ـ بين أهل الرأي والعلم هي أنّهم لا يعرفون لغَةَ كُلٍّ منهم، فَلِكُلِّ طائفةٍ منهم لغةٌ خاصّةٌ بها.

ولا أدري هل سمعتم قصة مَثَلِ «العِنَبِ» بين أولئك الأصدقاء الثلاثة الذين كان أحدهم عربيّاً والآخر فارسيّاً والثالث تركيّاً؟، فقد كانوا يتناقشون حول ما يُعِدُّونَهُ من طعامٍ لوجبة الغداء، فقال الفارسيُ: ليكن «أنگور»، وقال العربيُ: كلا كلا، ليكنْ طعامنا «عِنَباً»، فأجاب التركيُ: لا نُريدُ ذلك بل لنأكل الـ«أوزوم»[1]. لقد وقع الاختلافُ بين هؤلاء لكونهم لا يعرف أَحَدُهُم لُغَةَ الآخر، وتكملةُ قُصَةِ المَثَلِ هي أنَّ أحدَهُم ذهب وأتى بالعِنَبِ فعرف الجميعُ أنَّ مَقْصُودَهُم واحدٌ.

[المقصودُ واحدٌ وإنْ اختلفت الألسنة]

المقصودُ واحدٌ وإنْ اختلفت الألسنة، الفلاسفةُ لهم لُغَةٌ خاصةٌ

---

(١) الـ «أنگور» هو «العنب» بالفارسيّة، ومثلُهُ الـ «أوزوم» بالتركيّة.

ومصطلحاتٌ خاصةٌ بهم، وكذلك الحالُ مع العُرَفاءِ والفُقهاء والشعراء، وكذلك كان للأولياء المعصومين عليهم السلام لغتُهم الخاصة، وعلينا أنْ ننظر أيّاً من هذه الطوائف الثلاثة أو الأربعة المختلفة فيما بينها تكونُ لُغَتُها أقربُ إلى لُغَةِ أهلِ بيتِ العصمةِ وإلى لُغَةِ الوحي.

المقصودُ واحدٌ، ولا أظنُ أنَّ هناك أيَ إنسانٍ عاقلٍ مُوَحِّدٍ يُخَالِفُ الاعتقادَ بوجود الحق تعالى، وكَوْنِهِ مبدأَ جميعِ الموجوداتِ، وهي معلولةٌ لمبدأ الوجود. ولا أحد يقول بأنَّكَ بهذا القميص والسروال أنت «الله»، وما مِنْ عاقلٍ يتصوَّر أنَّ فُلاناً بعمامتِهِ ولحيتِهِ وعصاه هو «الله»، فهذا مخلوقٌ ولا إشكالَ ولا شبهةَ في ذلك، ولكن يقع الاختلافُ في التعبير عن العلة والمعلول، وعلينا أنْ نَعْرِفَ ما هي طبيعة اهتمام طائفةِ العُرَفَاءِ ـ مثلاً ـ ليكون تعبيرها عن الأمر بالصيغة الفلانيّة، وما الذي دفعهم إلى هذا الشكلِ من التعبير؟!.

وأنا الآن وحيثُ أريدُ إقرارَ الصُلحِ بين تلك الطوائف وأقول إنَّ مقصودَهُم واحدٌ، فلا أقصُدُ تنزيهَ كَافَّةِ الفلاسفةِ أو كَافَّةِ العُرَفَاءِ أو كَافَّةِ الفُقَهَاءِ، كلا القضيةُ ليست هذه، فـ«**رُبَمَا تكونُ خرقةُ الزهدُ مستوجبةَ للنار**»[1]. وَلَعَلَّ صاحبَ الدُكان يُطلقُ بَعْضَ الأقوال بما يُناسبُ تسييرَ أمورِ دُكّانِهِ.

(١) إشارةٌ إلى عجز بيتٍ من الشعر بالفارسيّة للشاعر العارف حافظ الشيرازي، يقولُ فيه:
نقد صوفى نه همه صافى وبى غش باشد / اى بسا خرقه كه مستوجب آتش باشد
ويُشير فيه إلى أنَّهُ ليس كُلُّ المتصوفةِ مُتَصِفُونَ بالصفاء والصدق وعدم الغش وإنَّما هناك منهم من يستحق الإحراق بالنار كالخرقة البالية المستوجبة للإتلاف حرقاً.

[قد يوصلُ الاختلافُ المَدْرَسيُّ إلى الاتهام بالكفر والجهل]

إنَّ ما أُريدُ قَوْلَهُ هو أنَّ هُناكَ بين هذه الطوائف الكثير من المُنَزِّهِين، والاختلافُ الحاصلُ هو اختلافٌ مَدْرَسِيٌّ، كالاختلاف الذي حصل في مدرسةٍ بين الأصولي والأخباري، والذي وصل إلى حَدِّ أنْ يَنْعَتَ الأخباريُّ الأصوليَّ بالكفر ـ أحياناً ـ فيما الأصوليُّ ينعت الإخباريَّ بالجهلِ رغم أنَّ مقصودها ليس اثنين، مثلما أنَّهما أنفسهما ليسا اثنين.

[الكلامُ في اختلاف اللغات والمصطلحات وأشكالهما]

على أي حالٍ فحديثُنا هو في اختلاف اللغة والمصطلحات، فئةٌ من الفلاسفة يستخدمونَ مصطلحاتٍ أمثالَ «علَّة العلل» و«المعلول الأوّل والثاني و... إلى آخره» و«العلّيّة والمعلوليّة» و«السببيّة والمُسَبِبِيَّةِ» و«المبدأ والأثر» وأمثال هذه المصطلحات، وهي مصطلحاتٌ جافةٌ، خاصةً الواردة لدى فلاسفة قبل الإسلام.

الُفقهاءُ أيضاً لا يُحْجِمُونَ عن استخدم مُصْطَلَحِ «العلّيّة والمعلوليّة»، كما يستخدمون أيضاً مُصطَلَحَ «الخالق والمخلوق» ـ ولا بأس به أيضاً ـ.

[لماذا استخدم أهلُ العرفان مصطلحاتٍ أثارت ضدّهم الإشكاليات؟]

ولطائفةٍ من أهل العرفان مُصطَلَحَاتٌ أُخرى تختلفُ عن السابقات، كمصطلحات «الظاهر» و«المُظهِر» و«التجلّي» ونظائر ذلك، فما هو سرُّ استخدامهم لأمثالِ هذه الأشكال من التعبير؟! ولماذا نجدها هي بالذات الواردة في أحاديث أئمتنا عليهم السلام، فلا أتذكر أبداً ورود مصطلحات «العلّيّة والمعلوليّة» و«السببيّة والمُسَبِبِّيَّةِ» وأمثالها في أحاديثهم عليهم السلام، بل وَرَدَتْ

استعمالاتُ «الخالقيّة والمَخلُوقِيَّةِ» و«التجلّي» و«الظاهر» و«المُظْهِر» وأمثالها. علينا أنْ نُفَكِّرَ في سِرِّ تخلّي أهل العرفان عن مصطلحات الفلاسفة ـ مثلاً ـ أو عما يستخدمه عامّةُ الناس، ولماذا قالوا بمصطلحاتٍ أُخرى رُغْمَ أَنَّها سَبَّبَت إثارةَ إشكالياتِ أهلِ الظاهرِ ضِدَّهُم؟ لنناقش الأمر:

[بيانُ التعبير بـ«العلّة والمعلّول» وإشكاليتُهُ]

في مفهوم العلّة والمعلول يكونُ هناك موجودٌ هو العلّة وموجودٌ آخر هو المعلّول، فهنا تكونُ العلّةُ في جهةٍ والمعلّولُ في جهةٍ أُخرى فماذا يعني هذا؟! إنَّهُ يعني أنَّهما مُختلفين مكانيّاً، مثل الشمس ونورها، فللشمس نَفْسُ هذا النور، ولكنَّهُ صادرٌ عنها ومُظْهِرٌ لها، ولكن على نحوِ تكونُ الشمسُ فيه موجودةً في مكانٍ مُعَيَّنٍ، والنورُ موجوداً آخر في مكانٍ آخر، رغم أنَّهُ أَثَرُها ومعلُّولُهَا، فهل هذه المعلوليّة والعلّيّة نسبةً إلى ذات «واجب الوجود» هي على غرار المعلوليّة والعلّيّة في عالم الطبيعة؟ أي هل إنَّها مثل كَوْنِ «النار» عِلّةً للحرارة و«الشمس» علّةً للإنارة، في حين الأثرُ هنا أثرٌ مُسْتَقِلٌ حتى مكانياً عن العلّة فَلِكُلٍ مِنْهُما مكانٌ؟!

[بيانُ التعبير بـ«الأثر والمؤثر» وإشكاليتُهُ]

الأثرُ والمؤثرُ في الطبيعة غالباً ما يكونان منفصلان من جهةِ البُعْدِ المكاني، فهل يُمكنُ أنْ نقول بمثل هذا الفصل بالنسبة للمبدأ الأعلى عن الموجودات الأخرى في البُعْدِ المكاني والبُعْدِ الزماني؟! لقد قُلْتُ سابقاً إنّه من الصعب للغاية تَصَوُّرُ طبيعة الحالة الوجوديّة للموجود المُجَرَّدِ، خُصُوصاً مع المبدأ الأعلى حيثُ لا يُمكنُكَ التعبيرُ بأي شيءٍ عَنْهُ، فكيف هي هذه الإحاطة القَيوميّة مِنْ قِبَلِ الحق تعالى للموجودات؟! ما هي كيفيّة ما يقولُهُ

القرآنُ من أنَّ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[(١)]؟، «معكم!»، هل يعني أنَّهُ بقربه؟ وهل أنَّهُ معه على نحو الصحبة والرفقة؟ فهل أنَّ المَعِيَّة الآدميّة هي من هذا القبيل؟!

[تعبيراتُهُم أقرب للواقع وليست هي الواقع لعدم القدرة على التعبير عنه]

إنَّ اختيار تعبيرات من أمثال «هو معكم» هو سَبَبُ عدم القدرة على التعبير عن الواقع، فاختاروا التعبيرَ الأقرب في إيضاح الواقع، مثلما أنَّ الكتاب والسُنَّةَ استخدما التعبيرات الأقرب في إيضاح الواقع، إذ لا يُمكنُ فَهْمُهُ. تصورُ القضية أمرٌ غاية في الصعوبة، قضيةُ المخلوق والخالق، حسناً، نحن مخلوقاتُ الخالقِ ولكن ما هي وضعيّة البُعدِ المكاني في هذه العلاقة؟ وما هي كيفيتها؟ هل هي مثل كيفيّة النار مع أثرها؟ هل هي مثل كيفيّة النفس وهذه العين والأذن وقوى الحواس؟ قد تكون هذه الأخيرة أقرب من البقية لواقع تلك العلاقة ولكنَّها أيضاً ليست هي.

[إحاطةُ الحق ﷻ بالموجودات إحاطةٌ قيوميّةٌ]

الإحاطةُ هي إحاطةٌ قيوميّةٌ ولضيق الخناق في التعبير يجب القول إنَّ الإحاطةَ القَيوميّة للحق تعالى تجاه جميع الموجودات هي بحيث إنَّه لا مكان للموجودات إلا وهو موجودٌ **«لو دليتم بحبلٍ إلى الأرضين السفلى لهبطتم على الله»**[(٢)].

---

(١) الحديد: ٤.

(٢) علم اليقين للفيض الكاشاني: ج١، ص٥٤.

[بيانُ معنى: صِرْفُ الوجود كُلُّ الأشياء وليس بشيءٍ منها]

الذين عَبَّروا عن المعنى بهذا القول أو بقولهم إنَّ الشيء الفلاني هو الحق تعالى ليس مُرادُهُم أنَّ هذا الإنسان المُمكن الوجود ذي العباءة والعمامة هو الحق تعالى، فما من عاقلٍ يقول بذلك، بل إنَّ المراد هو التعبير الأقرب في تبيان القضية وطبيعة العلاقة بين الحق تعالى والمخلوق.

هدفُ هذا التعبير هو تقريبُ كيفيّة العلاقة إلى الأذهان، ولكن يصل الأمرُ بالإنسان إلى الغفلة وعدم التوجه عن ـ ظواهر ـ هذه القضايا فيقول بأنَّ الشيءَ الفلاني هو الحق تعالى، وكلّ شيءٍ هو، ولكنَّه لا يريد أنْ يقول هذا هو الحق تعالى، ولهذا ترون أنَّ الفلاسفةَ الاسلاميين يقولون «صِرْفُ الوجود كُلُّ الأشياء وليس بشيءٍ منها».

[الموجودُ التامّ لا يُمكنُ أن يكون فاقداً لأي كمالٍ]

ظاهرُ العبارة متناقضٌ ولكنَّ المراد منها هو أنْ لا نَقْصَ في صِرْفِ الوجود، وهو واجدٌ لِكُلِّ سِنْخٍ من الكمال، فيما الموجودات كافّة ناقصةٌ، إذن فـ«**ليس بشيءٍ منها**» إذا كان المرادُ موجوداً آخر إذ يكون ناقصاً، والموجودُ التامّ هو الذي لا نُقصانَ فيه، وإذا كان كذلك فلا يُمكنُ أنْ يكونَ فاقداً لأي كمالٍ، كُلّ كَمَالٍ، وفي أي موجودٍ كان إنَّما هو من رشحاتِهِ وتجلّيهِ، ومادام من تجلّيه فهو موجودٌ في الذات على نحو البساطة. فهو تمام الكمال، والذات كُلُّ الكمال.

«**كُلُّ الأشياء**» يعني «كُلَّ الكمال» و«**ليس بشيءٍ منها**»، يعني أنْ لا نقص فيه أصلاً، وليس المراد من «**صِرْفُ الوجودِ كُلُّ الأشياء**» هو أنْ تكونوا أنتم صِرْفَ الوجود، ولهذا تقول العبارةُ «**ليس بشيءٍ منها**»، المراد هو أنَّهُ تمام

الكمال وحيث إنَّ ما من موجودٍ يكون تمام الكمال، لذا فليس بشيءٍ من الموجودات، فَعَبَّروا عن هذه الحقيقة بتلك الصورة.

إحدى سُبُل تفسير تلك العبارة هي ما عمد إليه من لا اطلاع له على هذه القضايا فقال إنَّ ما قالوه هو من باب أنَّ «**عديمَ اللون أسيرُ اللون**»[١]، في حين إنَّ هذا الشِعْر لا يرتبط بهذا الموضوع أصلاً، ولم يلتفتوا إلى عدم ارتباطه بواقع «الحقيقة» بل هو مرتبطٌ بحالةِ النزاع التي تنشب بين اثنين، فلم ينتبهوا إلى المقصود من هذا الشعر فقالوا إنَّ ذاك كُفْرٌ، في حين إنَّهُ لا يرتبط بهذه القضية بل بقضيةٍ أخرى هي سِرُّ كُلّ هذه الحروب والنزاعات التي تقع في العالم.

[التعلُّق بالطبيعة علّةُ الحروب والنزاعات الإنسانيّة]

لماذا تقع الحروب؟! وما هي دوافعها؟ التعبيرُ باللون في هذا الشِعْرِ هو عن التعلّق والارتباط، وهو مُستَخْدَمٌ بهذا المعنى في مواردَ أخرى كقول أحد الشعراء «**مُتَحَرِرٌ هو مِنْ لَوْنِ قَبُوْلِ التَعَلُّقِ**»[٢]، هذا اللون وعديم اللون يعني أنْ لا يكون مُتَعَلِقاً بشيءٍ من الطبيعة، وإذا كان كذلك فلن يَقَعَ النزاعُ، فَكَافَةُ

---

(١) إشارةٌ إلى بيتٍ من الشِعْرِ للشاعر العارف مولوى، يقولُ فيه:

چون كه بيرنگى اسير رنگ شد / موسى اى با موسى اى در جنگ شد

والمعنى: لأنَّ الإنسان بعد أن خرج من العدم إلى حَيِّزِ الوجود، وبعد أن كان بلا لونٍ ثم اكتسب لوناً وتعلّق بالدنيا، صار في حالة حربٍ ونزاعٍ مع أخيه الإنسان يُريدُ كُلَّ الأشياء لنفسه فلا يسمح لغيره بأخذها والاستئثار بها.

(٢) إشارةٌ إلى بيتٍ من الشِعْرِ للشاعر العارف حافظ الشيرازي، يقولُ فيه:

غلام همّت آنم كه در زير چرخ كبود   از آنچه رنگ تعلّق پذيرد آزاد است

والمعنى: إنّني غلامٌ وخادمٌ من لم يتعلق بألوان الدنيا فبقي مُتحرراً منها ولم تأخذ عَجَلةُ الحياةِ بدورانها منهُ مأخذاً.

أشكالِ النزاع الواقعة ناشئةٌ من هذا التعلُّقِ بالطبيعة التي يُريدُها كُلُّ إنسانٍ لنفسه بحكم تعلُّقِهِ بها، فهذا يُريدُها له، وذاك كذلك، فيقع النزاعُ في كُلِّ شأنٍ من الشؤون، فما يُريدُ أنْ يقوله هذا الشاعر هو أنْ لا لَوْنَ في الفطرة السليمة وعندما يكون هناك صدأ التعلّق فلا نزاع.

[لو أجتمع الأنبياءُ كُلُّهُم في محلٍ واحدٍ لما حدث نزاعٌ بينهم أبداً]

لو كان فرعون مِثْلَ موسى عليه السلام غَيْرَ مُتَعَلِّقٍ بالدنيا لما حدث كُلُّ ذلك النزاع، ولو اجتمع الأنبياءُ كُلُّهُم في محلٍ واحدٍ لما حدث نزاعٌ بينهم أبداً. كُلُّ هذه النزاعات هي بسبب أشكال التعلُّق: «**عَدِيمُ اللونِ أصبحَ أسيرَ اللون**».

الفطرةُ السليمةُ التي لا لون فيها لا تَعَلُّقَ فيها، ولكن عندما يُصبحُ الإنسانُ أسيرَ التَعَلُّقِ يَقَعُ النزاعُ، فإذا زال هذا اللون والتَعَلُّق تَصالحَ موسى وفرعون أيضاً.

هذا الموضوع غير الأوّل، والذي أُشْكِلَ به على أصحابِ تِلْكَ الأقوال لم يلتفت إلى أنَّ هذا الشعر ومعناه مُرتَبِطٌ بنزاعٍ بين اثنين، ولا علاقة له بأصل الموضوعِ المُتَقَدِّم.

[العُرفاءُ اقتبسوا تعبيراتهم من كلمات الأئمة عليهم السلام]

لاحظوا أشكالَ التعبيرِ الواردةِ في أدعية الأئمة عليهم السلام فهل إنَّها تختلف عن تلك التي يستخدمها أولئك ـ العُرَفَاء ـ والتي أدت بالبعض إلى الذهاب إلى حَدِّ التكفير بسبب عدم التفاتهم إلى مراد القوم؟! وهذا الباب هو أيضاً باب مرتبة سير الإنسان نفسه.

في المناجاة الشعبانيّة وهي المناجاة التي كان يقرأها جميعُ الأئمة عليهم السلام

- حسبما وَرَدَ في الروايات، ولم أر في الروايات غيرها دعاءً له هذه الميزة -[١]، وَرَدَ «**إلهي هَبْ لِي كَمَالَ الانْقِطاعِ إليكَ وَأَنِرْ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِياءِ نَظَرِهَا إليكَ، حَتَّى تَخْرِقَ أَبْصَارُ القُلُوبِ حُجُبَ النُوْرِ فَتَصِلَ إلى مَعْدِنِ العَظَمَةِ وَتَصِيْرَ أرواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِ قُدْسِكَ، إلهي وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ نَادَيْتَهُ فَأَجابَكَ وَلاحَظْتَهُ فَصَعِقَ لِجَلالِكَ**»[٢]. فما هي هذه المعاني والتعبيرات؟! وما معنى هذه التعبيرات التي يقولها السادة الواردةُ في كلماتهم الأخرى؟! ماذا يعني «كمال الانقطاع إليك»؟! وماذا يعني طَلَبُ جميع الأئمة له؟! الإمامُ المعصومُ يطلبُ من «الله» فما يعني ذلك؟! وما هي «أبصار القلوب» هذه التي يطلب من «الله» إنارتها؟! «**وَأَنِرْ أبصارَ قلوبنا**» كيف يُريدُ بالبصر النظرَ إلى الحق تعالى؟! ما هو هذا «القلب» وما هو بَصَرُهُ بحيث يكونُ بهذا البصر القلبي نظرةٌ إلى «الله» تعالى؟! ثم «**أَنِرْ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِياءِ نَظَرِهَا إليكَ**» الإمامُ يَطْلُبُ من «الله» كُلَّ ذلك من أجل غايةٍ هي «**حَتَّى تَخْرِقَ أَبْصَارُ القُلُوبِ حُجُبَ النُوْرِ**»، وعندما تخرق هذه الحُجُبِ «**تَصِلَ إلى مَعْدِنِ العَظَمَةِ وَتَصِيْرَ أرواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِ قُدْسِكَ**»، وماذا بعد ذلك؟! إنَّهُ «**إلهي وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ نَادَيْتَهُ فَأَجابَكَ وَلاحَظْتَهُ فَصَعِقَ لِجَلالِكَ**» ما هو صَعْقُ الجَلال هذا؟! أليس هو ما يذكُرُهُ القرآنُ الكريمُ في شأنِ موسى عليه السلام؟! **فهل** هو غير الفناء الذي يَقُولُهُ العُرفاءُ؟

«**فَصَعِقَ لِجَلالِكَ**» مرتبةٌ يُرْتَفَعُ فيها إليه عزّ وجلّ مرتبةً مرتبةً، «**أبصارُ القلوب**»

(١) روى السيّد ابن طاووس في إقبال الأعمال، ج٣، ص٢٩٥، عن ابن خالويه أنَّهُ قال: «إنها [أي المناجاة الشعبانيّة] مناجاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليهم السلام، كانوا يدعون بها في شهر شعبان». ومثله في مفاتيح الجنان، ص٢٢٨، في أعمال شهر شعبان العامّة، الثامن، مناجاة الأمير عليه السلام الشعبانيّة.

(٢) راجع: مفاتيح الجنان، ص٢٢٨، في أعمال شهر شعبان العامّة، الثامن، مناجاة الأمير عليه السلام الشعبانيّة.

تَخرُقُ جميعَ الحُجُبِ، **«فَتَصِلَ إلى مَعْدِنِ العَظَمَةِ»**، ما هو **«مَعْدِنُ العَظَمَةِ»** الذي تصل إليه؟! وما هو هذا الوصول؟! أليس هو نُفْسُهُ الوصولُ الذي يَقُولُهُ أولئك؟! و**«مَعْدِن العَظَمَةِ»** هل هو غير الحق تعالى؟! هل يُمكنُ لغيره تعالى أنْ يكونَ **«مَعْدِنَ العَظَمَةِ»** الذي يجب أنْ تَصْدُرَ مِنْهُ كَافَّةُ أشكالِ العَظَمَةِ؟! وعندما تصل إلى هذا المعدن **«تَصِيَر أرواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِ قُدْسِكَ»** وهذا المعنى هو نَفْسُ ما يَقُولُهُ أُولئكَ العُرَفَاءِ.

لو التفت الإنسانُ إلى كَافَّةِ أطرافِ القضية لما استطاع أنْ يُعَبِّرَ عنها «بالعلّة والمعلول» لضيق هذا التعبير، ونفسُ الأمر يَصْدُقُ على تعبير «الأثر والمؤثر»، أما تعبير «التجلّي» فهو الأفضل والأقرب إلى المعنى الذي لا يُمكنُ التعبيرُ عنه أصلاً.

[مُشكلةُ تَصوُّرِ الربط بين الحق والخلق]

العلاقةُ ما بين الحق تعالى والخلق هي من القضايا التي يَكُونُ تَصَوُّرُها أَصْعَب من التصدِّيق بها، فَتَصْدِيقُها مُمْكِنٌ إذا تَصَوَّرَها الإنسانُ، ولكن كيف نَتَصَوَّر موجوداً لا يغيب عن أي مكانٍ ولا يغيب عَنْهُ مَكَانٌ؟! مَوْجُودٌ في بَوَاطِنِ الأشياءِ وَظَواهِرِها، وهي مَعْلُولَةٌ له أيضاً.

كيف نُعَبِّر عن مِثْلِ هذا المؤثر الذي هو في باطن آثاره ـ الأشياء ـ وفي ظواهرها «لا يخلّو منهُ شيءٌ»، وما هو التعبير الذي يؤدي حَقَّ هذا المطلب؟! لا يُمكنُ التعبيرُ عن ذلك إلا لأهله أولئك الذين يَدْعُونَ بأمثال المناجاة الشعبانيّة سائلين «الله» ما سألوه.

وعلى ما تقدم يَتَّضِحُ أَنَّهُ ليس هناك اختلافٌ يَسْتَوْجِبُ أن تَنْسُبَ طائفةٌ أُخرى إلى الكُفْرِ وَتَنْسُبَ الثانيةَ الأولى إلى الجهل.

أنتم أيضاً إذا أردتم أنْ تَتحدثوا عن المعنى المُتَقَدِّم فكيف تُعَبِّرُونَ عنه؟! افهموا ما يقوله أولئك، افهموا ما في قلب ذلك الإنسان الذي لا يستطيع أنْ يُعَبِّرَ عن ذلك المعنى إلا بمثل تلك التعبيرات، فمرة يَسْطَعُ في قَلْبِهِ نُوْرٌ بدرجةٍ يَقُولُ معها: «كُلُّ شيءٍ هو والجميعُ هو».

[القرآنُ والأدعيةُ والأحاديثُ مليئةٌ بالتعبيرات التي يستخدمها العُرفاء]

توجد في أدعيتكم أيضاً تعبيراتٌ من أمثال «عَلِيّ عَيْنُ الله، أُذنُ الله، يَدُ الله»[1]، فماذا تعني هذه؟ أليست هي من نظائر التعبيرات التي يستخدمها أولئك؟! ونفس هذه التعبيرات واردةٌ في الأحاديث الشريفة التي تصف الصَدَّقة التي تضعها في يَدِ الفقير إنَّما تصل إلى يَدِ «الله»[2]، وفي القرآن

(١) روى الشيخ المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، ج٩٧، ص٣٠٥، زيارةً عن الإمام الصادق يُزارُ بها أمير المؤمنين عليه السلام فيُقال: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ويعسوب الدين وقائد الغر المحجلين، السلام عليك يا باب الله، السلام عليك يا عين الله الناظرة، ويده الباسطة، وأذنه الواعية، وحكمته البالغة، ونعمته السابغة». وفي بصائر الدرجات، ص٨١، الباب الثالث، في أنَّ الأئمة عليهم السلام هم حجة الله، وباب الله، وولاة أمر الله، ووجه الله الذي منه يُؤتى، وجنبُ الله، وخَزَنَةُ علمه، الحديث (٢)، عن هاشم بن أبي عمّار، قال: «سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أنا عَيْنُ الله وأنا يَدُ الله وأنا جَنْبُ الله وأنا بابُ الله». أقول: لعلَّ المراد ـ والله العالم ـ من قوله عليه السلام «أنا عينُ الله» أي: الحافظ لدين الله، ومن قوله عليه السلام «وأنا يَدُ الله» أي: قُدرتُهُ أو نعمتُهُ، ومن قوله عليه السلام «وأنا جنبُ الله» أي: رحمة الله ورجاءُ الله، فمن أراد الله ورجاه رحمته تولى أميرَ المؤمنين عليه السلام، ومن قوله عليه السلام: «وأنا باب الله» أي: أنَّهُ الموصل إلى معرفة الله ومعرفة دينه وشريعته، حيثُ لا يُمكن الوصول إلى بيت المعرفة والعلم إلا من خلال هذا الباب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»

(٢) روى الشيخ الطبرسي رحمه الله في تفسيره «مجمع البيان»، ج٥، ص١١٨، في تفسير قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾، عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنَّهُ قال: «إنَّ الصدقة تقع في يد الله=

ـ أيضاً ـ وَرَدَ قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1]، المعنى واحدٌ وهو نفس ما تقولونه جميعاً، ولكن ذلك المسكين الذي يلمس المعنى عَياناً لا يستطيع أنْ يُعَبِّرَ عنه بهذه الصورة وبالكيفيّة التي يراه بها، ولذلك فهو يستخدم مثلَ تلك التعبيرات، وهي كثيرةٌ في القرآن وخاصةً في الأدعية، فهي مليئة بهذه التعبيرات التي يستخدمها أولئك، فلماذا نُسيءُ الظَنَّ بِمَنْ يستخدمها؟!

[علّةُ إعراض أهل العرفان عن تعابير العامّة]

إسعوا إلى فَهْمِ المُراد والدافع إلى استخدامه مثل هذه التعبيرات؟! ما هو الألم الذي اضطره إلى استخدامها والإعراض عمّا يستخدمه عامّةُ الناس، وهو يعلم ماذا سيلقاه بسبب استخدام مثلَ هذه التعبيرات؟ فلأجل أنْ لا يُضَحي بالحقيقة مِنْ أجل نفسه ضحى بنفسه من أجل الحقيقة، ولو أنّنا فَهِمْنَا قَوْلَهُ وَمُرَادَهُ لَعَبَّرْنَا عنه بنفس ما عَبَّرَ به ومثلما استخدمه أيضاً القرآنُ والأئمة عليهم السلام.

=قبل أنْ تصلَ إلى يد السائل». وفي الكافي، ج٤، ص٣، باب فضل الصدقة، الحديث الخامس، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّهُ قال: «داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا البلاء بالدعاء، واستنزلوا الرزق بالصدقة، فإنّها تفك من بين لحى سبعمائة شيطان، وليس شيءٌ أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن، وهي تقع في يد الربّ تبارك وتعالى قبل أن تقع في يد العبد». وفي أمالي الشيخ الطوسي قدس سره، ص٦٣٧، عن صادق أهل البيت عليهم السلام أنّهُ قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «. . . الصدقة تطفئ غضب الرب»، وقال: «وكان لا تسبق يمينه شماله». قال: «وكان يقبل الصدقة قبل أن يعطيها السائل، فقيل له: ما يحملك على هذا؟ فقال: «لست أُقبل يَدَ السائل، إنما أُقبل يد ربّي، إنها تقع في يد ربّي قبل أنْ تقع في يد السائل». وفي الوسائل، ج٩، ص٤٣٣، باب استحباب تقبيل الإنسان يده بعد الصدقة، الحديث الثاني، عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّهُ كان يُقَبِّل يده عند الصدقة، فقيل له في ذلك؟ فقال: «إنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل».

(١) الأنفال: ١٧.

والأمرُ ليس هو على نحوٍ يكونُ معه المرادُ من تعبير «هذا هو الحق» هو أنَّ هذا هو «الله» واقعاً، فما من عاقلٍ يقول ذلك، ولكنَّكم ترون ظُهوراً لا يمُكنُ التعبيرُ عنه بصورةٍ لا يكون معها انفصالٌ، مثلما ورد في أحد الأدعية وصفُ الأولياء: **«لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُم إلا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ فَتْقُهَا وَرَتْقُها بِيَدِكَ»**[1]، فهذا من باب ضيق التعبير، واختيار هذا التعبير من باب كونه الأقرب إلى المعنى، ونفسُ الأمر يَصْدُقُ على ما وَرَدَ في الكتاب والسُنَّةِ.

[لا تُسيئوا الظنَ ولا تتوهموا كُفْرَ كُلّ من قال مطلباً عرفانياً أو نَطَقَ بكلمةٍ عرفانيّةٍ]

لا تُسيئوا الظنَ بالذين يستخدمون هذه التعبيرات، وأيُ أشخاصٍ صالحين هم، لقد عاصرنا عدداً منهم وَعَرَفْنَاهُم عن قُرْبٍ، ورأينا حالَهُم وَتَبَحُّرَهُم، وَدِقَّةَ نَظَرِهِم في كُلِّ تلك العلوم، ورأينا وُصُولَهُم إلى الكمال، هؤلاء كانوا يستخدمون أيضاً مِثْلَ هذه التعبيرات كالتجلّي والظهور... وَوَرَدَ في دعاء السمات[2] التعبير بـ«طَلْعَتِكَ» والتجلّي، والنور، ونور وجهك، وباسمك...، وعليه فأصلحوا حَالَ الذين يُسيئونَ الظنَ بهؤلاء العظام،

---

(١) روى الشيخ الطوسي ﵀ في مصباح المتهجد، ص٨٠٣، أنَّهُ خرج هذا التوقيع الشّريف من النّاحية المُقدّسة للإمام صاحب العصر والزمان ﵇، على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد (ـ وهو أحد سفراء الغيبة الصغرى الأربعة ـ عنه ﵇: قال ﵇: «ادعُ في كُلِّ يومٍ من أيام رجب». كذلك راجع: بحار الأنوار، ج٩٥، ص٣٩٣، الدعاء الذي خرج من الناحية المقدّسة. مفاتيح الجنان، ص٢٠٠، الخامس من ضمن الأعمال العامّة التي تؤدى في جميع شهر رجب ولا تخصُ أياماً مُعيّنةً منه.

(٢) دعاء «السمات»، والمسمى أيضاً بدعاء «الشبور»، ويُستحبُ الدعاء به في آخر ساعة من نهار الجمعة. راجع: مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ﵀، ص٤١٨، ومفاتيح الجنان، ص١٢٠.

وبالطبع أنا لا أريد تَنْزِيهَ الجميع، فعندما أُدافعُ عن الروحانيين وعلماءِ الدين لا أقصد أنَّ جميعهم على نحو واحدٍ وبمستوىً واحدٍ، إنَّ ما أعترض عليه هو أنْ تُسقِطُوا الجميع، وليس إني أطالبُكُم بتأييد الجميع، وهُنا أيضاً فما أُريدُ قَوْلَهُ هو أنْ لا تتوهموا كُفْرَ كُلّ من قال مطلباً عرفانياً أو نَطَقَ بكلمةٍ عرفانيّةٍ.

[نحنُ نؤمنُ بواقعيّة الأمور ولا نُنكرها]

أُنظروا أولاً إلى ما يقوله وما هو مراده ومقصوده منه، فلا أعتقد أنَّ من يفهم مَقْصُودَهُ سَيُنْكِرُهُ عليه، فهذه القضية هي كقضية قصة مَثَلِ «العنب وأنكور وأوزوم»، فالأمر واحدٌ وأنتم تُعَبِّرُونَ عنه بتعبيرٍ مُعَيَّنٍ، والآخرُ يُحَدِّثُ عنه ضِمْنَ مصطلحِ العلّيّة والمعلوليّة، والثالثُ بالسببيّة والمُسَبَبيّة، والرابعُ بالظهور والمُظْهِر.

حسناً نحن أيضاً بماذا نُعَبِّر عن وجود موجودٍ في كُلّ مكانٍ وهو كُلُّ الأشياء ولكنَّهُ ليس بشيءٍ منها؟! ترونَ الأحاديثَ الشريفةَ تقول: **«عليٌ يَدُ الله، عليٌ عينُ الله»**، والقرآنُ الكريم يقولُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[2] ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[3] فهل الـ«فوق» هنا مكانيٌّ؟! كلا بل هو «فوقٌ» معنويٌّ، عُلُوٌّ لا يُمكنُ التعبيرُ عنه، ولا يُمكنُنَا التعبير عنه بما هو حق التعبير.

كما أنَّ الله ﷻ أَجَلُّ من أنْ يكونَ مُخْتَلِطاً بشيءٍ أو مُرتَبِطاً بشيءٍ وِفْقَ هذه المعاني، بل وَجَلَّ وتعالى عن أنْ نَفْهَمَ كيفيّةَ تجلّيه وظهوره، فحتى تجلّيه

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) المصدر السابق.

مجهولٌ لدينا، لكنَّنا نؤمنُ بواقعيّة الأمر ولا نُنكِرها، ونرجو أنْ نكونَ مُعتَقِدينَ بما وَرَدَ في القرآن الكريم والسُّنَّةِ عن هذه القضايا وعن تجلّي الحق تعالى لخلقه وظهوره وكونه «هو الظاهر والباطن»، كما وَرَدَ في سورة الحديد[١]، وقد وَرَدَ في الحديث الشريف أنَّ الآيات الست الأولى من سورة الحديد قد أُنزِلَت لرجالٍ يأتونَ في آخر الزمان هُمْ الذين يفهمونها[٢]، وفيها كيفيّة الخلق وأمثالها وفيها يقول: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٤]. وحتى آخر الزمان هذا لن يشهد بتلك السرعة ظهورَ من يستطيع أن يفهمها فلعلَّ شخصاً واحداً أو اثنان سيظهران في العالم يستطيعان فهمها.

[لا ينبغي أنْ نُضَحي بالأصل من أجل الفرع]

إنَّ ما أدعو له بالدرجة الأولى هو أنْ يرتفع سوء الفهم بشأن هذا الموضوع ويزول الاختلافُ المدرسيُّ بين أهل العلم، وتزول العقبات عن طريق انتشار المعارف، فالإسلامُ لا ينحصرُ في الأحكام الفرعيّة، فهذه فرعٌ والأصلُ شيءٌ آخر، ولا ينبغي أنْ نُضَحّي بالأصل من أجل الفرع ونقول أنْ لا وجود للأصل أساساً، أو نخترع أصلاً غَيْرَ واقعيٍّ.

---

(١) الحديد: ٣: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٢) سُئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال: «إنَّ الله عزّ وجلّ عَلِمَ أنَّهُ يكونُ في آخر الزمان أقوامٌ مُتَعَمِّقُونَ فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فمن رام وراء ذلك فقد هلك. راجع: أصول الكافي، ج١، ص٩١، باب النسبة، الحديث الثالث. التوحيد للشيخ الصدوق، ص٢٨٣، بيانُهُ في أدلة توحيد الصانع، الحديث الثاني. بحار الأنوار، ج٣، ص٢٦٤، الباب التاسع، الحديث (٢١).

(٣) الحديد: ٣.

(٤) الحديد: ٤.

ينقل أحد السادة أنَّ الشيخ محمد البهاري[1] ـ على ما يبدو ـ قال عندما ذكر أحدُ الأشخاص إنَّهُ «عادلٌ كافرٌ»، فقلنا: «كيف هو عادلٌ وكيف هو كافرٌ ؟!»، فأجاب: «عادلٌ لأنَّهُ يعمل وِفْقَ الموازين الشرعيّة ولا يرتكب المعاصي لكنَّهُ كافرٌ لأنَّ الإله الذي يعبُدُهُ ليس هو «الله»».

[عندما نُريدُ أنْ نُعَبِّرَ عن كمالاته ﷻ ننطلقُ مما نتصوره كمالاً]

وَقَدْ وَرَدَ في رواياتنا أنَّ النملة تتوهم أن لله زبانيتين[2]، وهذا من حُبِّ النفس، وَيُفْهَمُ أنَّهُ موجودٌ في النملة أيضاً، والنملةُ مخلوقٌ عجيبٌ حقاً، وهي عندما تَتَصَوَّرَ أنَّ لله زبانيتين فلكونها تعتبرُ أنَّ امتلاك زبانيتين كمالاً ـ على ما يبدو ـ ونحنُ أيضاً عندما نُريدُ أنْ نُعَبِرَ عن كمالاته تعالى ننطلقُ مما نتصوره كمالاً.

هذه النملة تصف سليمانَ وجنودَهُ بأنَّهُم لا يشعرون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾[3]، ضَحِكَ من أنْ تقولَ له ذلك، وَقَوْلُ النملة هذا موجودٌ في كُلِّ مكانٍ وينطق به كُلُّ شيءٍ، قال مِثْلُهُ الهُدهُد أيضاً: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾[4]

---

(١) الشيخ محمد بن ميرزا البهاري رحمه الله من أهل «بهار» في همدان، من أشهر تلامذة العارف الملا حسينقلي الهمداني رحمه الله.

(٢) روى الشيخُ المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، ج٦٦، ص٢٩٣، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنَّهُ قال: «كُلُّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم مردودٌ إليكم، ولعلَّ النملَ الصغار تتوهم أنَّ لله تعالى زبانيتين، فإنَّ ذلك كمالها، ويتوهم أنَّ عدمها نقصانٌ لمن لا يتصف بهما، وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به».

(٣) النمل: ١٨ ـ ١٩.

(٤) النمل: ٢٢.

والخطابُ هنا هو لسليمان النبي الذي جَلَبَ أحدُ أصحابه وجلساؤه عَرْشَ بلقيس ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(١)، ولم يحدث مثلَ هذا للإنسان حتى الآن، فكيفَ جَلَبَهُ وماذا كانت حقيقة الأمر؟! هل كانت اتصالاً أم إعداماً وإيجاداً أم تحويلاً للعرش إلى موجاتٍ كهربائيّةٍ ثم إيصاله وإعادته إلى ما كان عليه؟!

نبيُ الله سليمان كان أَحَدُ أصحابه يَعْرِفُ حرفاً من الاسم الأعظم ـ كما ورد في الروايات(٢) ـ وهو يأتي له بالعرش ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(٣)، ويُخاطبُهُ الهُدهُدُ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾(٤) وسليمان عليه السلام لا يعترض، فهو كان يجيب على قدر فهمهم ويتعامل معهم وِفْقَ ذلك.

[الحرمانُ من الحقائق والمعارف ظلمٌ]

إنَّ الذي أُريدُ قَوْلَهُ هو أنَّ من الظلم أنْ تبقى طائفةٌ من أهل العلم الصالحين الطيبين محرومةً من هذه الحقائق ومعارفها.

عندما جئنا إلى قم كان فيها المرحوم الميرزا علي اكبر اليزدي

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّهُ قال: «إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنَّما كان عند آصف منها حرفٌ واحدٌ، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرفٌ عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم». راجع: بصائر الدرجات، ص٢٢٨، الباب (١٢)، الحديث الأوّل. أصول الكافي، ج١، ص٢٣، باب ما أُعطي الأئمة عليهم السلام من الاسم الأعظم، الحديث الأوّل. بحار الأنوار، ج١٤، ص١١٣، الباب التاسع، الحديث الخامس.

(٣) النمل: ٤٠.

(٤) النمل: ٢٢.

(الحكيم) رحمه الله[١]، وعندما تأسست الحوزة العلميّة في قم، قال أحدُ «المُقَدَّسِين» - توفي أيضاً رحمه الله - : «انظروا إلى أين وَصَلَ الإسلامُ بحيث فُتِحَ حتى باب منزل الميرزا علي اكبر؟!!».

العلماءُ كانوا يذهبون للدراسة عنده أمثال السادة المرحوم الخوانساري[٢] والمرحوم الإشراقي[٣] وَرُغْمَ ذلك يقول الرجلُ: «انظروا إلى أين وصل الإسلامُ بحيث فُتِحَ بابُ منزل الميرزا علي أكبر أيضاً». يقولون بشأن الميرزا مثل هذا القول رغم أنَّهُ كان صالحاً للغاية، ولكنَّ قائلهم صَعَدَ المنبر بعد وفاة الميرزا علي أكبر وقال إنَّهُ شاهده بنفسه يقرأ القرآن!! وقد تأذى المرحوم الشاه آبادي رحمه الله[٤] من هذا القول.

---

(١) الميرزا علي أكبر اليزدي رحمه الله الشهير بـ«الحكيم»، من طلاب حوزة الفلسفة والعرفان في طهران، أقام في أواخر عمره في مدينة قم المقدّسة وقام بتدريس الفلسفة، وكان مُتبحراً في الرياضيات، وكان الإمامُ الراحل قدس سره قد حضر دروس الفلسفة والرياضيات في مجلس درسه رحمه الله.

(٢) أية الله السيّد محمد تقي الخونساري رحمه الله، درس في خونسار والنجف الأشرف وقم المقدّسة، ويُعتبرُ من مراجع الشيعة وأساطين الحوزة العلميّة بعد المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله.

(٣) الميرزا محمد تقي الإشراقي رحمه الله، ابن العالم الكبير المرحوم الميرزا محمد أرباب. حضر دروس والده رحمه الله ودروس الشيخ الكبير أبو القاسم القمي رحمه الله وآية الله الحائري رحمه الله، وحصل على مرتبة الاجتهاد، كان خطيباً مميزاً قليل النظير.

(٤) الميرزا محمد علي ابن محمد جواد حسين آبادي الأصفهاني الشاه آبادي رحمه الله، فقيهٌ، أُصوليٌّ، عارفٌ، وفيلسوفٌ، كانت دراستُهُ في حوزات أصفهان وطهران والنجف الأشرف، ثم بدأ بالتدريس في سامراء ومن بعدها انتقل للتدريس في قم المقدّسة وطهران. حضر الإمامُ الخمينيُ الراحل قدس سره دروسه في العرفان والأخلاق، ويقولُ قدس سره في بداية شروعه بدراسة كتاب «فصوص الحِكَم»: «بسم الله الرحمن الرحيم، قد شرعنا بقراءة هذا الكتاب الشريف لدى الشّيخ العارف الكامل استاذنا فى المعارف الألهيّة حضرة الميرزا محمّد علي الشّاه ابادي الإصفهاني دام ظله فى شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٠». ويقول قدس سره بعد طي بعض مطالب الكتاب: «الى هاهنا قراتُ الكتاب عند شيخنا العارف الكامل الشّاه ابادي روحي فداه وقد اتّفق انتقاله إلى طهران فصرت محروماً=

من الظلم أن تُحرمَ حوزةٌ علميّةٌ من بركاتٍ وخيراتٍ موجودة، أنْ تُحْرَمَ حتى من الفلسفة وهي علمٌ عاديٌ فضلاً عن غيرها، والمهمُ هو عدم وصول من فيها إلى حقيقة المطلب، وهذا ما دفعني إلى الحديث المتقدم، فلو أدركوا حقيقةَ الأمر لما كان هناك نزاعٌ، ولما كان هناك تكفيرٌ لمن يستخدم تلك التعبيرات، فلو أدركوا ما يقول لما أنكروا، فَهُم لا يدرون ما الذي يقوله، ولذلك يُنكرونَ وهذا هو ابتلاؤه، فتعبيرُهُ «كُفْرِيٌ»!! وهو يرى أنَّ التعبير بالعلّيّة والمعلوليّة لا يُعَبِرُ عن حقيقة الأمر.

وما قُلْتُهُ بِضْعَ مراتٍ خلال الأيام الماضية من أنَّ الاسمَ غيرَ مُسْتَقِلٍ عن المسمى، فهو لكون أنَّ الاسم ظهورٌ وعلامةٌ ولكن ليس كالعلامات التي تُوضعُ لفراسخ المسافات، فلا يُمكنُ التعبيرُ عنه بأنَّهُ علامة، بل «الآية» كمفردةٍ أقربُ للواقع، وهذه هي أيضاً تعبيرٌ يُستخدمُ لـ«ضيق الخناق».

[أدعيةُ الأئمة عليهم السلام كنوزٌ من المعارف ومُفَسِّرَةٌ للقرآن]

القرآنُ أيضاً جاء وِفْقَ ذلك، وكما قُلتُ سابقاً فهو مثل المائدة التي يجب أنْ ينتفعَ كُلُّ إنسانٍ بما فيها قَدْرَ سعته، وهي ليست حِكْراً على فئةٍ خاصّةٍ، بل هي للجميع، وعلى الجميع أنْ ينتفعوا منها كُلٌّ على سعته، وكذلك الحال مع أدعية الأئمة عليهم السلام ففيها كنوزٌ من المعارف، ولكن مع ذلك فَهُمْ يقومونَ بِفَضْلِ الناس عنها.

الأدعيةُ مليئةٌ بالمعارف وهي لسانُ القرآن وَمُفَسِّرَةُ القرآن بخصوص القضايا التي لا يصلها الآخرون.

=من فيضه قدس سره». من آثاره ومؤلفاته: «شذرات المعارف»، «الإنسان والفطرة»، «القرآن والعترة»، «الإيمان والرجعة»، «منازل السالكين»، «الحاشية على الكفاية».

لا ينبغي عزل الناس عن الأدعية، ولا ينبغي القول بأنَّنا ما دُمنا وصلنا إلى القرآن وَنُريدُ تِلاوَتَهُ فلا حاجة للدعاء، كلا، يجب أن يأنس الناسُ بالدعاء، فبذلك يَصِلُوْنَ إلى الأُنس بالله.

أولئك الذين يأنسون بالله المُتَحَرِّرُونَ من أسر الدنيا، والذين لا يرون لأنفسهم قيمةً، العاملون لله، ومنهم المقاتلون في سبيل الله، هؤلاء هم قُرّاءُ الأدعية، لهم تلك الحالات وهم يقاتلون في سبيل الله، فلا ينبغي عزل الناس عن هذه البركات.

القرآنُ والدعاءُ ليسا منفصلين مثلما أنَّ النبي ليس منعزلاً عن القرآن. لا ينبغي لنا القول بأنَّ لدينا القرآن فلا حاجة لنا بالنبي، الأمرُ واحدُ وهما معاً **«لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْض»**[1] فلا افتراق، ولا ينبغي أنْ نفصل بينهما فنأخذ القرآنَ بمعزلٍ عن الأئمةِ، والأئمةَ بمعزلٍ عنها، والأدعيةَ بمعزلٍ عنه، ونقول لا حاجة لنا بالأدعية فلنحرق كتبها أو مثلاً لنحرق كتب العرفاء، فمثل هذا الموقف ناشئ من كون أصحابه لا يعلمون ما الأمر، مساكينٌ، والإنسانُ إذا تجاوز حَدَّهُ سقط في الخطأ.

«كسروي»[2] كان مؤرخاً، معلوماتُهُ التأريخيّةُ كانت جيدةً، بيانُهُ كان جيداً ولكنَّهُ سقط في الغرور حتى وصل به الحال أنْ قال: «أنا نبيٌّ أيضاً»، أَعْرَضَ

---

(١) عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله ﷻ وعترتي أهل بيتي، ألا وهما الخليفتان من بعدي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض». والحديثُ مشهورٌ معروفٌ بـ«حديث الثقلين» مرويٌّ في عشرات المصادر عند الفريقين، وبطُرقٍ كثيرة وباختلافاتٍ يسيرة في العبارات لا تُخلُّ بوحدة المعنى، ولقد أُلفت مؤلفات كثيرة حول هذا الحديث الشريف. راجع: الأمالي للصدوق رحمه الله، ص١٥٠، وص٥٠٠. وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٣٤، الحديث التاسع. بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣١٢، الحديث (١٤).

(٢) تقدمت ترجمتُهُ في الدرس الثالث من الفصل الثالث من هذا الكتاب، فراجع.

عن الأدعية كَافَّة وَقَبِلَ القرآن، أَنْزَلَ النبوة حتى أوصلها إلى مستواه، لم يستطع الارتفاع إليها فأنزلها إلى مستواه.

الأدعيةُ والقرآنُ وأولئك ليسوا منعزلين عن بعضهم البعض، كما أنَّ العرفاء والشعراء العرفانيون جميعهم يتحدثون عن حقيقةٍ واحدةٍ، والذي يختلف هو أشكال التعبير، فللشِعْرِ لُغَتُهُ الخاصّة، و«حافظ»[1] نَفْسُهُ له لُغَتُهُ الخاصة، يتحدثُ عن نفس تلك الحقائق ويقول ما يقوله أولئك ولكن بِلُغَةٍ أخرى.

أشكالُ التعبير هي التي تختلف فلا ينبغي إبعاد الناس عن هذه البركات، بل يجب عليهم أن ينتفعوا من هذه المائدة الإلهيّة الكبيرة العامرة التي تشمل القرآنَ والسُنَّةِ والأدعية، فقد دعى الله الجميعَ للانتفاع منها كُلٌّ على سعته.

كانت هذه مقدمة للمواضيع التي ستأتي تباعاً لو كان لنا عُمْرٌ، فإذا استخدمنا أحياناً مِثْلَ أشكال التعبير تلك فلا تقولوا إنَّكَ أَعَدْتَ هذه التعبيرات مرةً أخرى إلى الساحة، كلا، ولا يجب أن تعود هذه التعبيرات مرة أخرى.

إنّني قُلتُ للمرحوم الشاه آبادي رحمه الله وكان يُحَدِّثُ عدداً من الكَسَبَةِ عن هذه القضايا مِثْلَمَا كان يُحَدِثُ بها الجميع، قُلتُ له: «أين هؤلاء من هذه القضايا؟!»، فأجاب: «دع هذه الكُفريَّات تَطْرُقُ أسماعَ هؤلاءِ أيضاً !!».

نعم، كان لدينا مثل هذه الشخصيات، فإذا لم تنسجم مع ذوقي فلا ينبغي الإنكار والقول: «هذه المواقف خاطئة».

والحديثُ الآن هو في «الرحمن الرحيم» الموجودين في البسملة وفي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فهل هما في البسملة صفاتٌ للاسم أم «الله»؟ هناك احتمالاتٌ سنرى فيما بعد إنْ شاء الله أيّها أقرب للفهم.

---

(١) تقدمت ترجمتُهُ في الفصل الثاني من هذا الكتاب، فراجع.



الفصل الرابع

إشاراتٌ تفسيريةٌ
حول سورة الحمد
من سائر آثار الإمام الراحل قدس سره



[أهميّةُ وفضيلةُ سورة «الحمد»]

﴿. . . ففاتحةُ الكتاب التكويني الإلهي الذي صنَّفه، تعالى جدّه، بيد قُدرته الكاملة، التي فيها كل الكتاب بالوجود الجمعي الإلهي، المُنزّه عن الكثرة، المُقدّس عن الشين والكدورة: بوجهٍ هو عالم العقول المُجردة والروحانيين من الملائكة، والتعيُن الأول للمشيئة. وبوجهٍ عبارة عن نفس المشيئة، فإنَّها مفتاح غيب الوجود. وفي الزيارة الجامعة: «بكم فتح الله»[1] لتوافق أُفُقهم عليهم السلام لأفُق المشيئة. كما قال تعالى حكايةً عن هذا المعنى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2]. وهم عليهم السلام، من جهة الولاية مُتّحدون: «**أوّلُنا محمد، أوْسطُنا محمد، آخرُنا محمد، كُلُّنا محمد، كُلُّنا نورٌ واحد**»[3].

[كُلُّ الكتاب في سورة «الفاتحة»]

ولكون فاتحة الكتاب فيها كُلُّ الكتاب، والفاتحةُ باعتبار الوجود الجمعي في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وهو في باء «بسم الله»، وهو في نقطة

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٦١٦، باب«ما يجزي من القول عند زيارة جميع الأئمة عليهم السلام»، الحديث٢.

(٢) النجم: ٨ ـ ٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٥، ص٣٦٣، كتاب الإمامة، باب: «أنّهُ جرى لهم من الفضل والطاعة ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله»، الحديث٢٣، وكذلك ج٢٦، ص٣، ٦، ١٦، كتاب الإمامة، «بابٌ نادرٌ في معرفتهم عليهم السلام بالنورانيّة»، الحديث، ١ و٢.

تحت الباء. قال عليّ عليه السلام، على ما نُسب إليه: **«أنا النقطة»**[١]، وَوَرَدَ: **«بالباء ظَهَر الوجود، وبالنقطة تميَّز العابدُ عن المعبود»**[٢].

وخاتمةُ الكتاب الإلهي والتصنيف الرباني عالم الطبيعة وسجل الكون .[وهذا]بحسب قوس النزول[٣]، وإلا فالخَتمُ والفتحُ واحدٌ؛ فإنَّ ما

---

(١) راجع: مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الفصل الثالث، في معنى حرف الباء والنقطة، ص٤٥. وكذلك: ينابيع المودة لذوي القُربى: ج١، ص٢١٣.

(٢) مقولةٌ شائعةٌ عند أهل العرفان والتصوف، منسوبةٌ إلى الشبلي، وقد نُسبت كذلك إلى ابن عربي، راجع: الفتوحات المكيّة، ج١، ص١٠٢، الباب الخامس، في معرفة أسرار «بسم الله الرحمن الرحيم» والفاتحة من وجهٍ لا من جميع الوجوه.

(٣) تقدمت الإشارةُ إلى المراد من دائرة الوجود وقوسي النزول والصعود، ولزيادة الفائدة ننقل فيما يلي كلاماً للشيخ الشهيد مرتضى مطهري قدس سره من كتابه «مدخل إلى العلوم الإسلاميّة» قسم العرفان، ص١٠٣، مبحث المنازل والمقامات. يقول رحمه الله: «. . . فالعُرفاء يذهبون قبل كُلّ شيءٍ إلى أصلٍ يبنونه بهذه الكلمات: (النهايات هي الرجوع إلى البدايات). وبديهيٌ أنَّ العودة من النهاية إلى البداية لا تخلو من فرضين: الأوّل: أن يتحرك الشيء على خطٍ مُستقيمٍ ليعود أدراجه ـ بعد أن يبلغ نقطةً مُعينةً ـ على نفس الخطِّ إلى نقطة المبدأ، وقد ثبت في الفلسفة أنَّ هذه الحركة تستلزمُ سُكوناً وإنْ لم يكن محسوساً، مُضافاً إلى أنَّها تستلزم حركتين مُتضادتين ومُتعاكستين. الآخر: أن يتحرك الشيء على خطٍّ مُنحنٍ تتساوى أبعادُ فواصله مع نقطةٍ مُعيَّنةٍ، بأن تكون الحركة على محيط دائرة، وبديهيٌ على هذا الفرض أنَّ الشيء سينتهي لا محالة إلى مبدئه، كما أنَّ هذا الشيء المُتحرك على قوس الدائرة سيبلغ أثناء مسيرته نقطةً هي أبعد النقاط عن المبدأ، وهي النقطة التي يربطها بالمبدأ قُطرُ الدائرةِ، وإنَّ ذلك الشيء ما أنْ يبلغ تلك النقطة حتى يبدأ مسيرته إلى المبدأ بلا تخلل سُكونٍ أو توقف (المعاد). ويصطلحُ العُرفاءُ على الحركة من المبدأ إلى أبعد نقطةٍ عنها في الدائرة بـ (قوس النزول)، ويصطلحون على الحركة من أبعد نقطة في الدائرة إلى نقطة المبدأ بـ (قوس الصعود). ويُعَبرُ الفلاسفةُ عن الحركة في قوس النزول بأصل العليّة، ويُعَبرُ عنها العُرفاءُ بأصل التجلّي، ومهما كان، فإنَّ حركة الأشياء في قوس النزول تكون كما لو كان هناك من يتعقبها ويدفعها إلى الأمام دفعاً، وأما الحركة في قوس الصعود فلها شكلٌ آخر يتلخص في عودة كُلِّ فرعٍ إلى أصله ومبدئه بدافعٍ من الرغبة والشوق، وبعبارةٍ أُخرى، هي عودةُ كُلِّ مُغتربٍ إلى وطنه، ويرى العُرفاء أنَّ هذه الرغبة موجودة في جميع ذرات الوجود ومنها الإنسان، إلا أنَّ هذه الرغبة=

تنزّل من سماء الإلهية عرج إليه في يومٍ كان مقدارُهُ ألف سنةٍ مما تعدون[١].

وهذا وجهُ خاتميّة النبي المُكرَّم والرسول الهاشمي المُعظَّم الذي هو أول الوجود، كما ورد: «نحنُ السابقون الآخرون»[٢].

وبين فاتحة الكتاب وخاتمته سورٌ وآياتٌ وأبوابٌ وفصولٌ، فإنْ اعتُبر الوجود المُطلق والتصنيف الإلهي المُنسَّق بمراتبه ومنازله كتاباً واحداً، يكونُ كُلُّ عالمٍ من العوالم الكُليّة باباً وجزءً من أبوابه وأجزائه، وكُلُّ عالمٍ من العوالم الجزئية سورةً وفصلاً، وكُلُّ مرتبةٍ من مراتب كل عالم أو كُلُّ جزءٍ من أجزائه آيةً وكلمةً. وكأنَّ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ إلى آخر الآيات[٣]، راجعٌ إلى هذا الاعتبار.

وإنْ اعتُبرت سلسلةُ الوجود كُتُباً مُتعددةً وتصانيف مُتكثرة، يكونُ كُلُّ عالم كتاباً مُستقلاً له أبواب وآيات وكلمات، باعتبار المراتب والأنواع والأفراد. وكأنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٤] بحسب هذا الاعتبار.

وإنْ جمعنا بين الاعتبارين يكونُ الوجود المُطلق كتاباً له مُجلدات، كُلُّ مُجلدٍ له أبواب وفصول وآيات وبيّنات...»[٥].

=تكونُ أحياناً كامنةً في الإنسان بسبب مشاغله ولا تظهر إلا بعد سلسلةٍ من التنبيهات الباطنيّة، وهذا الظهور هو الذي يُعَبَّرُ عنه بـ (الإرادة)، التي هي في الواقع نوعٌ من يقظة الشعور الكامن».

(١) مُقتبسٌ من الآية (٥) من سورة السجدة.

(٢) رُوي في بحار الأنوار، ج١٦، ص١١٨، تاريخُ نبينا ﷺ، باب أسمائه ﷺ، الحديث٤٤، عن النبي الأعظم ﷺ قال: «نحنُ الآخرون السابقون». كذلك راجع صحيح البخاري: ج١، ص٦٥.

(٣) الروم: ٢٠.

(٤) الأنعام: ٥٩.

(٥) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني ﷺ، ص٥٢ ـ ٥٣، شرح قوله عليه السلام: «اللهم إني أسألك من كلماتك بأتَمِّها...».

[الصلاةُ دون سورة الحمد ليست صلاةً]

﴿. . . سورةُ الحمد التي في القرآن أوّل سورةٍ، واتُخذت للصلاة بحيث لا تُقبلُ الصلاةُ بدونها[١]. هذه السورة نفسها تحوي المعارف كلَّها، غاية الأمر هو يجب التدقيق فيها.

حسناً، نحن لسنا أهلها، نحن نقول: إنَّ «الحمد لله» يعني أنَّه لائقٌ للحمد، «الحمدُ لله ربِّ العالمين»، يعني أنَّ الله يليق بكل أنواع الحمد. ولكنَّ القرآن لا يقول هذا، إنَّ القرآن يقول: إنَّهُ لم يحصل حمدٌ على الاطلاق في أيّ مكان إلا لله، ومن يعبُدُ الأصنامَ يحمدُ الله كذلك من حيث لا يدري، والمشكلة هي في جهلنا وعدم معرفتنا، والذي يقول: «إيَّاك نستعين» لا يعني أنَّنا نطلب العون كُلَّه منك ـ إنْ شاء الله ـ، وأمثال هذا، ليس كذلك فإن الاستعانة بغير الله لا وجود لها مُطلقاً، إذ ليست هناك قدرة أخرى.

[العبادةُ والمدحُ لا يقعان في الدنيا لغير الله ﷻ]

أية قدرةٍ عندنا غير قدرة الله؟ فهل إنَّ الذي عندك هو غير قدرة الله؟ كلا، إنَّ ما نقوم به من العبادة ـ إنْ شاء الله ـ إنَّما هو لله، ونطلب العونَ من الله إنْ شاء الله، والحقيقة هي أنَّ العبادةَ والمدحَ لا يقعان في الدنيا لغير الله، وأولئك الذين يمدحون الشياطين مثلاً أو السلاطين وأمثالهم لا يفهمون أنَّهم يمدحون الله وإنَّهم لفي غفلةٍ من هذا، فمدحُ الكمال ليس مدحاً للنقص بل

---

(١) نقل الميرزا النوري رحمه الله في مستدرك الوسائل، ج٤، ص١٥٨، كتاب «الصلاة»، أبواب «القراءة في الصلاة» عن كتاب «عوالي اللئالي»، عن النبي الأعظم ﷺ أنَّهُ قال: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب».

مدحٌ للكمال. وإنَّ استعانة أيّ شخصٍ هي استعانة بالله، وهذا ما تقوله هذه السورة.

[لو يعلم الإنسانُ أنَّ القدرة كُلَّها لله لما خاف غيره]

ولو تحققت هذه السورة القرآنية لأهلها الذين هم أهل هذه المسائل لانحلّت المشاكل كُلُّها، إذ عندما يرى الإنسان أنَّ كُلَّ شيءٍ من الله فلن يخشى أيّة قدرة، وإنّنا إنّما نخشى القدرات فلأنّنا نتصور أنَّ القدرة هي هذه. وعندما يعلم الإنسانُ أنَّ القدرة هي قدرة الله وأنَّ كل شيءٍ إنّما هو منه فلا يُمكنه حينئذٍ أن يخاف من غيره.

إنَّ كُلَّ مخاوفنا ناشئةٌ من عدم فهمنا أنَّ القدرة هي قدرةٌ واحدةٌ، وأنَّها لمصلحة الجميع وقد استُخدمت لمصلحة الجميع أفراداً ومجتمعات وكل البشر ولمنفعتهم...»[1].

(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل ﷺ، راجع: صحيفة الإمام الخميني ﷺ الجامعة لخطاباته وبياناته وأحاديثه، الترجمة العربية، ج١٩، ص٣٠٨، النسخة الإلكترونية الصادرة عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﷺ.

[تفسيرُ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾]

[مراتبُ وحقائق آية «البسملة»]

﴿. . . ولتعلم الآن بتوفيق الملك المنان، بشرط التدبر في أسمائه والتفكر في آياته، والخلاص من سجن الطبيعة وفتح مغالق أبواب الإنسانية أنَّ لحقيقة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مراتب من الوجود ومراحل من النزول والصعود، بل لها حقائق مُتكثرة بحسب العوالم والنشئات، ولها تجلّيات في قلوب السالكين بمناسبة مقاماتهم وحالاتهم، وأنَّ التسمية المذكورة في أول كل سورة من السور القرآنية غيرها في سورة أخرى بحسب الحقيقة، وأنَّ بعضها عظيم وبعضها أعظم، وبعضها مُحيطٌ وبعضها مُحاطٌ، وحقيقتها في كل سورة تعرف من التدبر في حقيقة السورة التي ذكرت التسمية فيها لافتتاحها.

فالتي ذُكرت لافتتاح أصل الوجود ومراتبها غير التي ذُكرت لافتتاح مرتبةٍ من مراتبه، وإنَّما يعرف ذلك الراسخون في العلم من اهل بيت الوحي.

ولهذا رُوي عن أمير المؤمنين وسيد الموحدين (صلوات الله وسلامه عليه): «أنَّ كُلَّ ما في القرآن في الفاتحة، وكُلَّ ما في الفاتحة في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وكُلَّ ما فيه في الباء، وكُلَّ ما في الباء في النقطة، وأنا نقطةٌ تحت الباء»[1].

---

(١) ينابيع المودة لذوي القُربى، ج١، ص٢١٣، «في غزارة علمه عليه السلام». (مع اختلافٍ يسيرٍ في الألفاظ).

[«البسملةُ» بها فُتح الوجود وارتبط العابدُ بالمعبود]

وهذه الخصوصيّة لم تكن لسائر التسميات، فإنَّ فاتحة الكتاب مُشتملةٌ على جميع سلسلة الوجود وقوسي النزول والصعود، من فواتيحه وخواتيمه، من ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بطريق التفصيل. وجميع حالات العبد ومقاماته مُنطويةٌ في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلى آخر السورة المباركة، وتمام الدائرة الموجودة في الفاتحة بطريق التفصيل موجودةٌ في ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بطريق الجمع، وفي الاسم بطريق جمع الجمع، وفي الباء المُختفي فيها ألف الذات بطريق أحديّة جمع الجمع، وفي النقطة التي تحت الباء السارية فيها بطريق أحدية سر جمع الجمع. وهذه الإحاطة والإطلاق لم تكن إلا في فاتحةِ فاتحةِ الكتاب الإلهي، التي بها فُتِحَ الوجودُ وارتبط العابدُ بالمعبود.

[حقيقةُ التسمية]

فحقيقةُ هذه التسمية جمعاً وتفصيلاً عبارة عن الفيض المقدس الإطلاقي والحق المخلوق به، وهو أعظم الأسماء الإلهية وأكبرها، والخليفةُ التي تُربّي سلسلة الوجود من الغيب والشهود في قوسي النزول والصعود. وسائر التسميات من تعينات هذا الاسم الشريف ومراتبه، بل كُلُّ تسميةٍ ذُكرت لفتح فعلٍ من الأفعال كالأكل والشُرب والوقاع وغيرها يكون تعيُناً من تعينات هذا الاسم المطلق، كُلٌّ بحسب حدّه ومقامه. ولا يكون الاسم المذكور فيها، هذا الاسم الأعظم، بل هو أجلّ من أنْ يتعلق بهذه الأفعال الخسيسة بمقام إطلاقه وسَرَيَانِهِ.

فالإسمُ في مقام الأكل والشرب ـ مثلاً ـ عبارةٌ عن تعين الاسم الأعظم بتعين الآكل والشارب أو إرادتهما أو ميلهما، فإنَّ جميعها من تعيناته، والمُعيّنات وإنْ كانت متحدةً مع المُطلق لكنَّ المُطلق لم يكن مع التعين بإطلاقه وسَرَيَانِهِ.

[وقفةٌ مع الميرزا الملكي التبريزي ﷺ في كتابه «أسرار الصلاة»]

قال بعض المشايخ من أرباب السير والسلوك «رضوان الله عليه» في كتابه «أسرار الصلاة» ما هذه عبارتُهُ: «ولابأس للإشارة برد بعض ما حدث بين أهل العلم من الإشكال في قراءة بسملة السور من دون تعيين السورة، وقراءتها بقصد سورةٍ أخرى غير السورة المقروّة، بلحاظ أنَّ البسملة في كُلُّ سورةٍ آيةٌ منها غيرُ البسملة في السورة الأخرى، لما ثبت أنَّها نزلت في أول كل سورة إلا سورة براءة.

فتعيينُ قُرآنيّةُ هذه الألفاظ إنَّما هو بقصد حكاية ما قرأه جبرائيل عليه السلام على رسول الله ﷺ، وإلا فلا حقيقة لها غير ذلك.

وعلى ذلك يلزم في قرآنيّة الآيات أنْ يُقصد منها ما قرأه جبرائيل عليه السلام، وما قرأ جبرائيل عليه السلام في «الفاتحة» حقيقةً بسملة «الفاتحة».

وهكذا بسملة كل سورة لا تكون آية منها إلا بقصد بسملة هذه السورة. فإذا لم يقصد التعين، فلا تكون آيةً من هذه السورة بل ولا تكون قرآناً.

«والجواب عن ذلك كله أنَّ للقرآن كله حقائق في العوالم، ولها تأثيرات مخصوصةٌ، وليست حقيقتها مجرد مقرويّتها من جبرائيل عليه السلام، بل المقرويّة لجبرائيل لا ربط لها في الماهيّة.

والبسملةُ أيضاً آيةٌ واحدةٌ نزلت في أول كُلِّ سورة، فلا تختلف بنزولها مع كل سورة حقيقتها. وليست بسملة «الحمد» مثلاً الا بسملة «الإخلاص».

ولا يلزم أن يقصد في كُلِّ سورةٍ خصوص بسملتها بمجرد نزولها مرات؛ وإلا يجب أن يقصد في «الفاتحة» أيضاً تعين ما نزل اولاً أو ثانياً؛ لأنَّها أيضاً نزلت مرتين. فلا ضَير أنْ لا يقصد بالبسملة خصوصيّة السورة، بل لا يضر

قصد سورة وقراءة البسملة بهذا القصد ثم قراءة سورة أخرى. وليس هذا الاختلاف إلا كاختلاف القصد الخارج عن تعيين الماهيات»[١]. إنتهى ما اردناه.

[تأمّلٌ واستغرابٌ في ما أفاده صاحبُ «أسرار الصلاة» ﷿]

وهذا الكلام منه، «قدس الله نفسه الزكية» غريبٌ؛ فإنَّ كلام القائل المذكور أنَّ تكرر النزول موجبٌ لاختلاف حقيقة البسملة، وقوله بلزوم قصد ما قرأ جبرائيل على رسول الله ﷺ وإنْ كان غيرُ صحيحٍ ولكنَّك بالنظر إلى ما مر ذكره، والتدبر فيما علا أمرُهُ وانكشف سرُهُ يتضح لك حقيقة الأمر بقدر الاستعداد، وينكشف لك أنَّ حقيقة البسملة مختلفةٌ في أوائل السور. بل التسمية تختلفُ باختلاف الأشخاص، وفي شخصٍ واحدٍ باختلاف الحالات والواردات والمقامات، وتختلفُ باختلاف المُتعلقات. والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً...»[٢].

---

(١) راجع: أسرار الصلاة: ص٢٢١، للميرزا جواد بن ميرزا شفيع الملكي التبريزي ﷿، فقيهٌ وعالمٌ كبيرٌ في الأخلاق، مُهذبٌ بارعٌ ورعٌ، أخذ مراتب السلوك والأخلاق في النجف الأشرف عن العارف المشهور والأُستاذ الأكبر المولى حسينقلي الهمداني ﷿، والفقه والأصول عند الشيخ الحاج آقا رضا الهمداني ﷿ والميرزا النوري ﷿ والآخوند الخُراساني ﷿. رجع إلى إيران عام ١٣٢٠هـ/ ق وسكن قم المقدسة وتوفي فيها يوم عيد الأضحى سنة ١٣٤٣هـ/ ق أو ١٣٤٤هـ/ ق على ما في بعض المصادر، ودُفن في مقبرة «شيخان» قرب حرم أخت الإمام علي بن موسى الرضا ﷿ السيّدة فاطمة المعصومة ﷿ بنت الإمام موسى بن جعفر ﷿. من آثاره: «أسرار الصلاة» و«المُراقبات» و«رسالة لقاء الله».

(٢) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني ﷿، ص٨٧ ـ ٩٠، تحت عنوان: «تعقيبٌ وتحصيلٌ».

[تعلُّق «بسم الله» بالسورة المبدوءة بها]

﴾. . . ليُعلم أن «بِسْمِ الله» من كل سورة، تتعلق على مذهب أهل العرفان بنفس السورة المبدوءة بها، ولا تكون مُتعلقةً بـ«أستَعينُ» أو أمثاله؛ لأنَّ اسم «الله» يكون تمام المشيئة حسب مقام الظهور، ويكون مقام الفيض الأقدس، حسب تجلّي الأحد، ومقام جمع أسماء الأحد، حسب مقام الواحد. ويكون جميع العالم، حسب اعتبار أحدية الجمع الذي هو الكون الجامع، وهو مراتب الوجود في السلسلة الطوليّة: الصعوديّة والنزوليّة، وأنَّه كل واحد من الهويات العينية في السلسلة العرضيّة.

[اختلافُ معنى «بسم الله» من سورةٍ لأخرى]

وبناءاً على ذلك يختلف معنى «الله» حسب اختلاف الاعتبارات في الاسم؛ لأنَّ «الله» يكونُ المسمى لتلك الأسماء، فعند اختلاف الاعتبارات يختلفُ المفهومُ من «الله»، وعليه يختلفُ معنى «بسم الله» في كل سورةٍ لاختلاف متعلقه من سورةٍ لأخرى من السور القرآنية التي هي مُتعلقة في اللفظ ومظهرة في المعنى.

بل يختلفُ معناهُ على ضوء اختلاف الأفعال والأعمال التي تصدر من الإنسان والتي تبتدئ بـ«بسم الله»؛ لأنَّهُ يتعلقُ ويرتبطُ بذلك العمل الخاص والفعل المُعين الذي أُبتدئ بـ«بسم الله».

[السالكُ إلى الله والعارفُ بالله يرى الأشياء مُتحققةً بالاسم الأعظم وبمقام المشيئة المُطلقة]

والعارفُ بالمظاهر وظهور الأسماء الإلهية، يرى ويُشاهد بأن جميع الأفعال والأعمال والأعيان والأعراض ظاهرةٌ ومتحققةٌ بالاسم الشريف

الأعظم، وبمقام المشيئة المطلقة، وعند إنجازه وإيجاده لفعلٍ وعملٍ يتذكر بقلبه العارف هذا المعنى، ويسري به مُتنازلاً حتى مرتبة مُلكه وطبيعته ثم يقول «بسم الله»، أي: بسبب مقام المشيئة المطلقة لصاحب مقام الرحمانيّة الذي هو بسط الوجود، ومقام الرحيميّة الذي هو بسط مقام كمال الوجود، أو بسبب مقام المشيئة المطلقة لصاحب مقام الرحمانيّة الذي هو مقام التجلّي بالظهور وبسط الوجود، ومقام الرحيميّة الذي هو مقام التجلّي بالباطن وقبض الوجود، آكلُ وأشرَبُ وَأكْتُبُ، وَأفعَلُ كذا وكذا. . .

فالسالِكُ إلى الله والعارفُ بالله يرى من جهةٍ ظهورَ المشيئة المُطلقة في جميع الأفعال والموجودات وفناءَ تلك المشيئة فيها، ويرى من خلال هذا المنظار هيمنةَ سُلطان الوحدة، ويكون لديه معنى «بسم الله» في جميع السور القرآنية والأعمال والأفعال بمعنىً واحدٍ.

ومن جهةٍ أخرى عندما يلتفتُ إلى عالم الفرق ـ الكثرة والاختلاف ـ وفرق الفرق، يرى لكل واحدٍ من «بسم الله» في أول كل سورة وبدء كل عمل، معنىً يُغايرُ المعنى الآخر. . .»[1].

---

(١) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني ﷺ، ص٧٢٧ ـ ٧٢٨، في إشارةٍ إلى «بسم الله».

[تفسيرُ: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾]

[المحامدُ من كُلِّ حامدٍ إنَّما تقعُ «بسم الله»]

﴿. . . أنت إذا كنت ذا قلبٍ متنوّرٍ بنور فهم القرآن بعد تطهيره من أرجاس التعلُّق إلى الطبيعة ف﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[1]، لوجدت هذه اللطيفة في آيات لا يمسّها العامّة فهذا قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] قَصَرَ جميعَ المحامد عليه تعالى وأَرجَع كُلَّ مَحمَدَةٍ إليه، فلولا أنَّ كُلَّ كمالٍ وجمالٍ كمالُه وجماله بالذات وبحسب الحقيقة لم يكن وجهٌ لصحّة هذا القصر.

ولو أضفت إلى ذلك ما عند أهل المعرفة من أنّ قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ متعلّقٌ بقوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[3] ترى أنّ المحامد من كُلِّ حامدٍ إنّما يقع باسم الله، فباسمه يكون كُلُّ حمدٍ لله تعالى فهو الحامد والمحمود. . .﴾[4].

---

(١) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) الفاتحة: ٢.

(٣) أُنظر الفتوحات المكيّة: ج١، ص٤٢٢، وصلٌ: «في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة».

(٤) راجع: الطلب والإرادة، للإمام الخميني ﷺ، ص٤٤.

[تفسيرُ: ﴿الرحمن الرحيم﴾]

[بيانٌ لمقامي الرحمانيّة والرحيميّة]

﴿. . . فإنّ مقام «الرحمانيّة» الّتي هي مقام بسط الوجود؛ ومقام «الرحيميّة» التي هي مقام بسط كمال الوجود من ذاك المقام، وهو أحديّة جمعهما، ولهذا جعل «الرّحمن الرّحيم» تابعين لاسم «الله» في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقال الشيخُ العربي في فتوحاته: «ظهر العالمُ ببسم الله الرّحمن الرّحيم»[1]. إنتهى﴾[2].

﴿. . . الرحمة الرحمانيّة مقامُ بسط الوجود، والرحمة الرحيميّة مقامُ بسط كمال الوجود. فبالرحمة الرحمانيّة ظهر الوجود، وبالرحمة الرحيميّة يصلُ كُلُّ موجودٍ إلى كماله المعنوي وهدايته الباطنيّة. ولهذا ورد: **«يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة»**[3] و**«الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة»**[4].

---

(١) الشيخ ابن عربي في الفتوحات المكيّة، ج٢، ص١٣٣، «السفر الثاني»، الباب الخامس.

(٢) راجع: مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، للإمام الخميني ﷺ، ص٥٥، النور «السادس عشر».

(٣) بحار الأنوار: ج٨٨، ص٣٥٥، كتاب: «الصلاة»، باب: «صلاة الحاجة»، الحديث: ١٩.

(٤) أصول الكافي: ج١، ص١١٤، باب معاني الأسماء واشتقاقها. وكذلك المحاسن: ص٢٣٨، «كتاب مصابيح الظلام»، «باب جوامع من التوحيد»، الحديث٢١٣.

فبحقيقة الرحمانيّة أفاض الوجودَ على الماهيّات المعدومة والهياكل الهالكة، وبحقيقة الرحيميّة هدى كُلاً صراطَهُ المستقيم، وكان بُروز سلطنة الرحيميّة وطلوع دولتها في النشأة الآخرة أكثر.

وفي بعض الآثار: «**يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما**»[١]، وذلك باعتبار ايجاد العشق الطبيعي في كُلِّ موجودٍ وايكاله عليه السير إلى كماله، والتدرج إلى مقامه في النشأة الدنياويّة وفي النشأة الآخرة وبروز يوم الحصاد، وايصال كُلٍّ إلى فعليّته وكماله. أما النفوس الطاهرة الزكية فإلى مقامات القُرب والكرامات والجنات التي عرضها كعرض السماوات. وأما النفوس المنكوسة السبُعيّة والبهيميّة والشيطانيّة فإلى النيران ودركاتها وعقاربها وحيّاتها[٢] كُلٌّ بحسب زرعه، فإنَّ الوصول إلى هذه المراتب كمالٌ بالنسبة إلى النفوس المنكوسة الشيطانيّة وغيرها، وإنْ كان نقصاً بالنسبة إلى النفوس الزكية المستقيمة الإنسانيّة.

[الأمرُ في الرحيميّة على طريقة ابن عربي]

هذا، وعلى طريقة الشيخ محيي الدين الأعرابي فالأمرُ في رحيميته في

---

(١) أصول الكافي: ج٢، ص٥٥٧، كتاب: «الدعاء»، باب: «الدعاء للكرب والهمّ...»، الحديث:٦. الصحيفة السجاديّة: الدعاء(٥٣) في استكشاف الهموم. وكذلك وسائل الشيعة: ج١٣، ص٣٣٦، باب استحباب الصلاة على محمد وآله ﷺ في أثناء الطواف والسعي.

(٢) جاء في الكافي: ج٣، ص١٨٩، في روايةٍ صحيحة، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال: «إن كان جاحداً للحق فقل: «اللهم املأ جوفه ناراً وقبره ناراً وسلط عليه الحيّات والعقارب» وذلك قاله أبو جعفر عليه السلام لامرأة سوءٍ من بني أمية صلى عليها أبي وقال هذه المقالة «واجعل الشيطان لها قريناً»، قال محمد بن مسلم: فقلت له: «لأي شيءٍ يجعل الحيّات والعقارب في قبرها؟ فقال: «إنّ الحيات يعضضنها والعقاربُ يلسعنها والشياطينُ تقارنُها في قبرها»، قلتُ: «تجدُ ألم ذلك؟»، قال: «نعم شديداً».

الدارين واضحٌ، فإنَّ «أرحم الراحمين» يشفع عند «المنتقم»، ويُصَيِّرُ الدولةَ دولته والمنتقمُ تحت سلطنته وحكمه[١].

[الرحمانيّةُ والرحيميّةُ إما ذاتيّة وإما فعليّة]

والرحمانيّة والرحيميّة إمّا ذاتيّة أو فعليّة، فهو تعالى ذو الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة الذاتيتين، وهي تجلّي الذات لذاته، وظهور صفاته وأسمائه ولوازمهما من الأعيان الثابتة بالظهور العلمي والكشف التفصيلي في عين العلم الإجمالي في الحضرة الواحديّة. كما أنّه تعالى ذو الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة الفعليّتين، وهي تجلّي الذات في ملابس الأفعال ببسط الفيض وكماله على الأعيان، واظهارها عيناً طبقاً للغاية الكاملة والنظام الأتمّ.

[وجهٌ من وجوه تكرار «الرحمن الرحيم» في فاتحة الكتاب]

وهذا أحد الوجوه في تكرار «الرحمن الرحيم» في فاتحة الكتاب التدويني، للتطابق بينه وبين الكتاب التكويني. فإنَّ الظاهر عنوان الباطن، واللفظ والعبارة عبارة عن تجلّي المعنى والحقيقة في ملابس الأشكال والاصوات، واكتسائه كسوة القشور والهيئات.

فإنَّ جعل «الرحمن الرحيم» في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ صفة للفظة الجلالة كان إشارةً إلى الرحمانيّة والرحيميّة الذاتيّتين، وكان اللذان بعدهما اشارة إلى الفعلي منهما.

---

(١) راجع: فصوص الحِكَم، ص٦٤، فص «حكمةٍ نفثية في كلمةٍ شيثية».

[لفظُ الجلالة في «الحمدُ لله» والألوهيّة الفعليّة، وبيانُ معنى «الحمد»]

و«الله» في «الحمدُ لله» هو الألوهية الفعليّة وجمع تفصيل «الرحمن الرحيم» الفعليين. و«الحمد»]تعني[عوالم المجردات والنفوس الإسفهبديّة[١] التي لم تكن لها حيثية إلا الحمد واظهار كمال المُنعم. ولم يكن في سلسلة الوجود ما كان حمداً بتمامه بلا حيثيّةِ كفران إلا تلك العوالم النورانية، فإنّها إنّيّاتٌ صرفة لا ماهيّة لها عند أهل الذوق والعرفان. و«العالمون» هي ما دون تلك العوالم.

[معنىً مُجمل لسورة «الحمد»]

فيصيرُ المعنى: «بسم الله» الذي هو ذو الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة الذاتيّتين أفتتح عوالم الحمد كُلَّه، التي هي تعين الإلهية المطلقة في مقام الفعل. وهي ذات الربوبيّة والتربية لسائر مراتب الموجودات النازلة عن مقام المقدسين، من الملائكة الروحانيين والصافات صفاً والمُدبرات أمراً، وذات الرحمة الرحمانيّة والرحيمية الفعليّتين، أي: مقام بسط الوجود وبسط كماله عيناً في حضرة الشهادة وذات المالكيّة والقابضيّة في يوم رجوع الكل اليها. والرجوع إليها رجوعٌ إلى الله، إذ ظهورُ الشيء ليس يُباينُهُ بل هو هو.

---

(١) أي: «النفوس الناطقة»، على وفق اصطلاح مذهب شيخ الإشراق. وقال الحكيمُ المُتألّه المولى هادي السبزواري ﷺ في شرحه لدعاء الصباح، ص١٩٩: «فالنورُ في لسان الإشراقيين الأقدمين يُطلقُ على المُجردات إلى الأنوار الحسيّة، فيُسمون الواجبَ الوجود بالذات بنور الأنوار والنور الغنّي، والعقولَ الكليّة الطوليّة بالأنوار القاهرة الأعلين، والعقولَ الكليّة العَرَضيّة المدعوة بلسانهم بـ«أرباب الأصنام» و«أرباب الطلسمات»، وغير ذلك بـ«الأنوار الإسفهبديّة والأنوار المُدبِّرة»، والأنوار الحسيّة بـ«الأنوار العرضيّة». ومثلُهُ مع اختلافٍ يسير في شرح الأسماء الحُسنى ص٤٧١.

[احتمالٌ آخر ومعنىً جديد]

وإنْ جُعِلَ «الرحمن الرحيم» صفةَ «بسم» في البسملة صار الأمرُ على العكس، وصار المعنى: بمشيئة الله التي لها الرحمانيّة والرحيميّة الفعليّتان. و«الله» في «الحمدُ لله» هو الألوهيّة الذاتيّة، و«الرحمن الرحيم» من صفاته الذاتيّة وكذا الربّ والمالك.

[وقفةٌ مع القيصري في مقدمته]

قال القيصريُ[1] في مقدمات شرح الفصوص: «وإذا أُخِذَتْ (أي: حقيقة الوجود) بشرط كليات الأشياء فقط، فهي مرتبة الاسم «الرحمن» ربّ العقل الأوّل، المُسمى بلوح القضاء وأمّ الكتاب والقلم الأعلى، وإذا أُخِذَتْ بشرط أنْ تكون الكُلّيات فيها جزئيّات مفصلة ثابتة من غير احتجابها عن كليّاتها، فهي مرتبة الاسم «الرحيم» ربّ النفس الكليّة المُسماة بلوح القدر، وهو اللوح المحفوظ والكتاب المُبين»[2]. إنتهى بعين الفاظه.

[مُناقشةٌ واعتراضٌ]

أقولُ: هذا وإنْ كان صحيحاً بوجهٍ إلا أنَّ الأنسب جعل مرتبة الاسم «الرحمن» مرتبةَ بسط الوجود على جميع العوالم، كُلّياتها وجزئيّاتها، ومرتبة

---

(١) داوود بن محمود القيصري (٧٥١هـ) من أكابر العرفاء المُحققين، تلقى العلم في مسقط رأسه «قره مان» وفي القاهرة، كتب شرحاً من أهم الشروح على كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي، ووضع له مقدمةً جامعةً في تمهيد أُسس التصوف وأسماه «مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم». من سائر آثاره: «نهاية البيان في دراية الزمان» و«شرح تائية ابن الفارض».

(٢) راجع: مقدمة شرح فصوص الحكم للقيصري، الفصل الأوّل «في الوجود وأنّهُ الحق»، وانظر: «شرح مقدمة القيصري»، ص٢١٢، ٢١٣.

الاسم «الرحيم» مرتبة بسط كماله كذلك. فإنَّ الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة وسعت كُلَّ شيءٍ وأحاطت بكُلِّ العوالم؛ فهما تعيُّن المشيئة، والعقلُ والنفسُ تعيُّنٌ في تعيُّنٍ.

فالأولى أنْ يُقال: وإذا أخذت بشرط بسط أصل الوجود فهي مرتبة الاسم «الرحمن»، وإذا اخذت بشرط بسط كمال الوجود فهي مرتبة الاسم «الرحيم». ولهذا ورد في الأدعية: **«اللّهم إني اسألك برحمتك التي وسعت كُلَّ شيءٍ»**[1]، وعن النبي ﷺ: **«إنَّ لله تعالى مائة رحمة، أنزل منها واحدةً إلى الأرض فقسمها بين خلقه، فبها يتعاطفون ويتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم القيامة»**[2].

[وقفةٌ أخرى مع الميرزا الملكي التبريزي رحمه الله]

قال بعضُ المشايخ من أصحاب السلوك والمعرفة، رضي الله تعالى عنه، في]كتابه[«أسرار الصلاة»، في تفسير سورة الفاتحة بعد ذكر هذا النبوي

(١) مقطعٌ من دعاء الخضر عليه السلام وقد علمه أميرُ المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد بن نهيك بن هيثم النخعي، وهو من التابعين وخواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كان عامله على «هيت». كان عابداً عظيماً ثقةً مُطاعاً في قومه، له ذِكْرٌ جميلٌ في أغلب المعاجم الرجاليّة والتواريخ. حضر صفين، وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام، ومن جملة ما رواه هذا الدعاء عالي المضامين والذي اشتُهر باسمه، أحضره الحجاج إلى الكوفة سنة اثنتين وثمانين وقتله لمعارضته عثمان، وكان أميرُ المؤمنين قد أخبره بأنّه هو الذي سيقتله. دُفن في العراق وقبرُهُ على يمين الطريق من الكوفة إلى النجف الأشرف، مزارٌ معروفٌ واليوم اتصل به النجف. راجع: مصباح المُتهجد، ص٥٧٢، ومفاتيح الجنان، ص١٠٦.

(٢) راجع: تفسير مجمع البيان، ج١، ص٥٤، في تفسير فاتحة الكتاب. وكذلك راجع: صحيح البخاري، ج٥، كتاب الأدب، الباب١٩، الحديث٥٦٥٤. وصحيح مُسلم، ج٨، ص٩٦، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنّها سبقت غضبه. مع اختلافٍ يسير في الصحيحين.

المُتقدم ذكرُهُ ما هذه عبارته: «فإطلاقُ «الرحيم» و«الرحيم» على «الله» تعالى باعتبار خلقه الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة: باعتبار قيامها به قيامَ صدورٍ لا قيامَ حلولٍ. فرحمتُهُ الرحمانيّة إفاضة الوجود المنبسط على جميع المخلوقات، فإيجادُهُ رحمانيّتُهُ والموجوداتُ رحمتُهُ. ورحمتُهُ الرحيميّة إفاضة الهداية والكمال لعباده المؤمنين في الدنيا، ومَنُّهُ بالجزاء والثواب في الآخرة. فإيجادُهُ عامّ للبر والفاجر»... إلى أن قال: «فمن نظر إلى العالم من حيثُ قيامه بإيجاد الحق تعالى، فكأنَّهُ نظر إلى رحمانيّته، وكأنَّهُ لم ير في الخارج إلا الرحمن ورحمتَهُ؛ ومن نظر إليه باعتبار ايجاده فكأنَّه لم ينظر إلا إلى الرحمن»[١]. إنتهى كلامُهُ، رُفع في الخُلد مقامُهُ.

[تحليلٌ ومناقشة]

أقولُ: إنْ أراد من الوجود المنبسط ما شاع بين أهل المعرفة، وهو مقام المشيئة والإلهية المُطلقة ومقام الولاية المحمديّة، إلى غير ذلك من الألقاب بحسب الأنظار والمقامات، فهو غيرُ مناسبٍ لمقام الرحمانيّة المذكورة في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فإنَّهما تابعان للإسم «الله» ومن تعيُّناته، والظلُّ المُنبسط ظلُّ «الله» لا ظل «الرحمن»؛ فإنَّ حقيقته حقيقة الإِنسان الكامل. وربّ الإنسان الكامل والكون الجامع هو الاسم الأعظم الإلهي وهو محيطٌ بـ«الرحمن الرحيم»؛ ولهذا جُعلا في فاتحة الكتاب الإلهي أيضاً تابعين. وإن أراد منه مقامَ بسط الوجود فهو مناسبٌ للمقام وموافقٌ للتدوين والتكوين، ولكنَّهُ مخالفٌ لظاهر كلامه.

وما ذكره أيضاً صحيحٌ باعتبار فناء المظهر في الظاهر، فمقام الرحمانيّة هو مقام الإِلهية بهذا النظر، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا

(١) راجع: أسرار الصلاة، ص٢١٨.

تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣]...»[٤].

[في بيان تأثير الرأفة والرحمة]

« إعلم أنَّ الرحمة والرأفة والعطف وأمثالها من تجلّيات الأسماء الإلهيّة الجماليّة قد أعطاها الله ﷻ للحيوان مُطلقاً وللإنسان بالخصوص لحفظ الأنواع الحيوانيّة، وحفظُ نوع العائلة الإنسانيّة ونظامها، وهذا تجلٍّ من الرحمة الرحمانيّة التي أُسس عليها نظامُ عالم الوجود، ولولا هذه الرحمة وهذا العطف في الحيوان والإنسان لانفصلت رابطةُ الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، وبهذه الرأفة والرحمة يحفظ الحيوانُ أولاده ويحضنهم، ويحرس الإنسانُ عائلته، ويحفظ السلطانُ العادلُ مملكته، ولولا هذه الرحمة والشفقة لما تحملت أمٌّ المشقات والمتاعب الهائلة من أجل أولادها.

وهذه جذبةُ الرأفة والرحمة الإلهيّة التي جذبت إليها القلوب وحفظت نظام العالم بالفطرة.

وهذه الرحمة والرأفة هما اللتان أوقعتا المُعلمين الروحانيين والأنبياء العظام والأولياء الكرام والعارفين بالله في المشقات والمتاعب لسعادة نوعهم وسرور العائلة الإنسانيّة الدائم.

---

(١) البقرة: ١٦٣.

(٢) الرحمن: ١ ـ ٣.

(٣) راجع: أسرار الصلاة، ص٢١٨.

(٤) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني قدس سره، ص٤٣ ـ ٤٨، عند شرح قوله عليه السلام: «اللهم إني أسألك من رحمتك بأوسعها، وكُلُّ رحمتك واسعة. اللهم إني أسألك برحمتك كُلّها».

[الوحيُ الإلهي والكتابُ السماوي صورة الرأفة والرحمة الإلهيتين]

بل إنَّ نزول الوحي الإلهي والكتاب السماوي الشريف هو صورة الرأفة والرحمة الإلهيتين في عالم المُلك. بل إنَّ جميع الحدود والتعزيرات والقصاص وأمثالها هي حقيقة الرأفة والرحمة، تجلّت على صورة الغضب والانتقام: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ﴾[1]. بل جهنم رحمة في صورة الغضب للذين لهم استعداد للوصول إلى السعادة، ولولا التخليصات والتطهيرات التي تحصل في جهنم لما رأى الناسُ وجهَ السعادة.

وبالجملة، من كان قلبُهُ خالياً من الرأفة والرحمة لعباد الله فلا بُدَّ أن يُخرَجَ من سلك هذه الجمعيّة، ويُحرَمَ من حق الانتماء إلى العائلة البشرية.

[«الرحمن» و«الرحيم» من أمهات الأسماء المُحيطة الواسعة]

وأهلُ المعرفة يقولون: «بسطُ بساط الوجود وكمال الوجود هما باسم الرحمن الرحيم»[2].

وهذان الاسمان الشريفان من أُمهات الأسماء، ومن الأسماء المُحيطة الواسعة كما في الآية الإلهيّة الكريمة: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[4]، ومن هذه الجهة جُعل هذان الاسمان الجليلان في مفتاح الكتاب الإلهي تابعين للإسم الأعظم،

---

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) جاء هذا المعنى في الفتوحات المكيّة: ج١، ص١٠٢.

(٣) الأعراف: ١٥٦.

(٤) غافر: ٧.

إشارةً إلى أنَّ مفتاح الوجود هو حقيقة الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة، والرحمة سابقةٌ على الغضب، ومن هذا الباب يقولُ أهلُ المعرفة: «**ببسم الله الرحمن الرحيم ظهر الوجود**»[١].

واسم الرحمة، الذي هو شُعبة من الرأفة والعطف وأمثالهما من الأسماء الصفاتيّة والأفعاليّة، إسمٌ عرَّفَ الحقُّ تعالى نَفْسَهُ به غالباً، وكرره في كُلِّ سورةٍ من السور القرآنيّة لتزيد علاقة العباد برحمة ذات القدس الواسعة، ويكون التعلُّق برحمة الحق منشئاً لتربية النفوس وتليين القلوب القاسية.

[الأنبياءُ العظام عليهم السلام مظهرُ رحمة الحق تعالى]

ولا يُمكنُ جذب قلوب الناس ومنعهم من الطغيان بمثل بسط الرأفة والرحمة وطرح المحبة والمودة، ولهذا فإنَّ الأنبياء العظام هم مظاهر رحمة الحق ـ جلّ وعلا ـ كما أنَّ الله تعالى يُعَرِّفُ رَسُولَهُ الأكرم ﷺ في آخر سورة التوبة وهي سورة الغضب بهذا النحو: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، وتكفي شدة الشفقة والرأفة في قلبه ـ صلواتُ الله وسلامه عليه ـ جميعَ العائلة البشريّة، كما في الآية الشريفة في أول سورة الشعراء حيثُ يقولُ تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقوله في أوائل سورة الكهف: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٤].

---

(١) الفتوحات المكيّة: ج١، ص١٠٢.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) الشعراء: ٣.

(٤) الكهف: ٦.

سُبحان الله ما أصعب الأمر على رسول الله ﷺ! من تأسُفه على حال الكُفار وجاحدي الحق وشوقه إلى سعادة عباد الله. إنَّ لله تعالى يُسليه ويحفظ قلبه اللطيف من التقطع من شدة الهم والحزن على أحوال هؤلاء الجُهال الأشقياء ﴾[1].

[رحمةُ الله سابقةٌ لغضبه]

﴿... إن رحمة الله سابقةٌ لغضبه: **«يا من سبقت رحمتُهُ غَضَبَهُ»**[2]، ومفتاحُ كلام الله يبدأ باسم (الرحمن) و(الرحيم)، وباسم الرحمن والرحيم وبتكرارها بدأ القرآن.

إن الله رحيم بعباده وإن هذه الرحمة هي التي أدت إلى خلق العباد وهيأت لهم أسباب الرفاه والعبادة، وهي التي أدت إلى إرسال الأنبياء العظام.

إنَّ رحمة الله تقتضي السعادة للعباد في الدنيا والآخرة، وقد هيأ لهم سبحانه وتعالى مسلتزمات السعادة المادية والمعنوية.

ومع أن رحمة الله سابقةٌ لغضبه، ولكن إذا اقتضى الأمر ولم يدرك الناس قدر رحمة الله وعصوا أوامره وأوجدوا الفساد والفتنة، تضيق باب الرحمة وتفتح باب الغضب.

[النبي الأكرم ﷺ نبي الرحمة]

ولكن النبي الأكرم ﷺ نبي الرحمة، وكان يعامل الناس برفق، وبهذه الرحمة كان يهدي الناس وكان يتألم لأجلهم، وقد تأثر برحمته الضالون

---

(١) راجع: شرح حديث جنود العقل والجهل، للإمام الخميني ﭬ، ص٢٢٣ ـ ٢٢٥، الفصل الثاني، في بيان تأثير الرأفة.

(٢) راجع: علم اليقين للفيض الكاشاني: ج١، ٥٧.

واهتدوا، ولكن عندما كان يرى أن البعض ضالين وسوف يضلون الأمة وأنهم غدة سرطانية من الممكن أن يفسدوا المجتمع بأسره، فإنه كان يعاملهم بغضب. ويهود بني قريضة كانوا أجداد هؤلاء الصهاينة، وعندما لاحظ النبي الأكرم ﷺ أنهم ضالين ويدعون إلى الضلالة أمر بقتلهم جميعاً لكي يجتث هذه الغدة السرطانية.

[الرحمةُ أولاً... وإلا فالغضب والانتقام]

وأميرُ المؤمنين عليه السلام مع كل عطفه ورحمته عندما رأى أنَّ الخوارج ضالين مُضلين شهر سيفه وقاتلهم وقتل أكثرهم إلا الذين فروا. فالرحمة أولاً، وإذا كان الشخص غير جديرٍ بها فعندها الغضب والانتقام...»[1].

[قتلُ الكفار الميؤسُ من صلاحهم رحمةٌ في صورة غضبٍ]

«... أهلُ المعرفة يعلمون بأنَّ الشدةَ على الكفار ـ وهي من صفات المؤمنين ـ وقتلهم أيضاً رحمةٌ ولُطفٌ من الألطاف الخفيّة للحق، فالعذابُ ـ الذي هو من أنفسهم ـ يزدادُ على الكفار مع كُلِّ لحظةٍ تمُرُّ عليهم، زيادة كميةٍ وكيفية إلى ما لا نهاية له. لذا فإنَّ قتلهم ـ وهم مَيؤسٌ من صلاحهم ـ رحمةٌ في صورة غضبٍ، ونعمةٌ في صورة نقمة، علاوةً على الرحمة التي ستنال المجتمع بقتلهم، فَهُم عُضوٌ كان يُمكن أن يجرَّ المجتمع كُلَّهُ إلى الفساد، والقضاءُ عليه يُشبهُ إلى حدٍّ كبيرٍ قطع العضو المعطوب من البدن مخافة أن يؤدي عدمُ قطعه بالبدن كُلِّهِ إلى التلف والهلاك.

---

(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج٩، ص٢٩٣.

وهذا هو الذي جعل نوحاً ﵇ يدعو الله ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[١] وهو أيضاً المُرادُ بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٢]، وعلى هذا وعلى ما سبقه، كانت الحُدودُ[٣] والتعزيراتُ[٤] والقصاصُ[٥] رحمةً من أرحم الراحمين بمُرتكب الجُرم أولاً، وبالمجتمع بأسره ثانياً.

ولنتخطّى هذه المرحلة.

---

(١) نوح: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) البقرة: ١٩٣.

(٣) في الاصطلاح الفقهي الحدُّ هو العقوبة المُقدَّرة من قِبَلِ الله تعالى على الجاني، كالرجم والجلد والصلب ونحو ذلك. راجع: القاموس الفقهي، ص٧١. وقال الشيخ المشكيني ﵀ في مصطلحات الفقه، ص٢٠١: «... وقد كَثُرَ استعمالُهُ [الحدّ] في الفقه في باب الحدود في خصوص الأحكام الجزائية بحيث كاد أن يكون اصطلاحاً خاصاً فيها، فذكروا هناك أنَّ كُلَّ عقوبةٍ مُقدَّرةٍ تُسمى حدّاً وما ليس كذلك يُسمى تعزيراً، وفي المسالك الحدود جمعُ حدٍّ وهو لُغةً المنعُ وشرعاً عقوبةٌ خاصةٌ تتعلقُ بإيلام الجسد بواسطة تَلَبُّس المُكلَّف بمعصيةٍ خاصةٍ عيَّنَ الشارعُ كميتها في جميع أفراده، إنتهى.

(٤) التعزيرُ لُغةً: عزّر فُلاناً أي لامَهُ وأدّبَهُ، وإصطلاحاً: التعزيرُ هو العقوبة التي يفرضُها الحاكمُ على المُذنب بما يراهُ مُناسباً دون الحدّ الشرعي، فهو عقوبة غير مُحددة. راجع: القاموس الفقهي، ص٤٩.

(٥) قال الشيخ المشكيني ﵀ في مصطلحات الفقه، ص٤٢٧: «... وفي المجمع: القِصاصُ بالكسر إسمٌ للاستيفاء والمُجازاة قِبَلَ الجناية، من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح، وأصلُهُ اقتفاءُ الأثر، فكأنَّ المُقتصَّ يتبع أثرَ الجاني فيفعل مثلَ فعله فيُجرح مثل جرحه ويُقتل مثل قتله ونحو ذلك. وكيف كان فقد وقع البحثُ في الفقه عن القصاص بمعناه اللغوي المعروف في اللُغة والعُرف، لكونه موضوعاً لأحكامٍ شرعيّةٍ تكليفيّةٍ ووضعيّةٍ، وعقد الأصحابُ كتاباً في الفقه للبحث عن أسبابه الموجبة له، وشروطه، وما يثبت به، وكيفيّة استيفائه، يشتملُ على فروعٍ هامةٍ مُبينةٍ لحقيقته وآثاره».

[لتكن نظرتُك إلى جميع الموجودات نظرةَ رحمةٍ ومحبة]

بُنيّ:

إذا استطعت ـ بالتفكر والتلقين ـ فاجعل نظرتك إلى جميع الموجودات وخصوصاً البشر نظرةَ رحمةٍ ومحبة. وإلا أليست الموجودات كافة ـ والتي لا حصر لها ـ واقعة تحت تحت رحمة خالق العالمين من جهاتٍ عديدة؟ ثم أليس وجودها وحياتها وجميع بركاتها وآثارها من رحمات ومواهب الله على الموجودات؟ وقيل: **«كُلُّ موجودٍ مرحوم»**[١] وإلا فهل يُمكنُ لموجودٍ مُمكن الوجود أن يكون له شيءٌ من نفسه، أو أنْ يستطيع موجودٌ (مُمكن الوجود) مثله أن يعطيه شيءٌ ما؟.

عليه، فإنَّ الرحمة الرحمانيّة هي الشاملة للعالم بأسره.

[تربيةُ «ربّ العالمين» مظهرٌ للرحمة يشمُلُ العالم]

ثم أليس الله هو ربّ العالمين وتربيتُهُ تشمُلُ العالم، وأليست تربيته مظهراً للرحمة؟ وهل يُمكنُ أنْ تكون الرحمةُ والتربيةُ شاملةً للعالم دون اقترانها بالعناية والألطاف الإلهيّة؟ إذن، لما لا يكونُ من شملته العنايات والألطاف والمحبة الإلهية موضعاً لمحبتنا؟ وإذا لم يكن هذا الأمر منا، أليس هو نقصٌ فينا؟ أليس هو ضيق أُفقٍ وقصر نظرٍ من قِبَلِنا؟...[٢].

---

(١) راجع فصوص الحكم: ج١، فُصّ زكرياويّة، ص١٧٨.

(٢) راجع: المظاهر الرحمانيّة، من رسائل الإمام الخميني ﷺ العرفانيّة، ص٢٤ ـ ٢٥. وكذلك راجع الرسالة المُشتملة على مواعظ أخلاقيّة وعرفانيّة والتي كان الإمامُ الخميني ﷺ قد وجهها لنجله السيّد أحمد ﷺ بتاريخ ٤/رجب/١٤٠٢هـ/ق، والمنشورة في صحيفة الإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ج١٦، ص١٦٦، (مع اختلافِ يسيرٍ في الترجمة).

[تفسيرُ: ﴿مالك يوم الدين﴾]

﴿«قد انكشف لسرّ قلبك وبصيرة عقلك أنَّ الموجودات بجملتها، من سماوات عوالم العقول والأرواح وأراضي سكنة الأجساد والأشباح، من حضرة الرحموت[١] التي وسعت كُلَّ شيءٍ، وأضاءت بظلّها ظلمات عالم المهيّات[٢]، وأنارت ببسط نورها غواسق هياكل القابلات[٣]. ولا طاقة لواحدٍ من عوالم العقول المجردة[٤] والأنوار الإسفهبديّة[٥] والمُثُل النوريّة[٦]

---

(١) الرحموت: الرحمة الواسعة، كالملكوت وهو المُلك المبسوط، والبركوت من البركة وهي النماء والزيادة والخير الكثير في كُلّ أمرٍ، وهي تسميةٌ بالمصدر فيها مبالغة بالوصف، فإن صيغة «فعلوت» للمبالغة. قيل في المَثَل: «الرهبوت أفضل من الرحموت» يعني أن تُرهب أفضل من أن ترحم.

(٢) إشارة إلى كُلّ المُمكنات جملةً واحدة، حيثُ إنَّ كُلَّ مُمكنٍ زوجٌ تركيبيٌ من وجودٍ وماهية، والماهيةُ هي ذات المُمكن الخالية في نفسها من الوجود والعدم، ولذا وصفها ﷺ بـ«ظلمات عالم المهيات»، فما لم يأتها النورُ من الباري ﷻ لا تشم رائحة الوجود أصلاً.

(٣) إشارة إلى عالم المادة الحامل لقوة الأشياء، أعني قابلياتها للتغيّر والتبدل والحركة.

(٤) إشارة إلى عالم التجرد التام، أعني التجرد عن المادة ذاتاً وآثاراً وأفعالاً، وهي مُتكثرة طولاً وعرضاً.

(٥) سبق وأن تمّ بيان المراد من «الأنوار الإسفهبديّة» فراجع.

(٦) هي العقول العَرْضيّة المُسماة أيضاً بـ«أرباب الأنواع» و«المُثُل الأفلاطونيّة»؛ لأنَّ أفلاطون كان يُصر على القول بها.

والطبيعة السافلة[1] أنْ يُشاهد نُورَ العظمة والجلال وأنْ ينظر إلى حضرة الكبرياء المتعالية.

فلو تجلى القهارُ لها بنور العظمة والهيبة، لاندكّت إنيّات الكُلّ في نور عظمته وقهره جلّ وعلا، وتزلزلت أركانُ السماوات العلي، وَخَرَّت الموجودات لعظمته صعقاً، ويوم تجلّى نُورُ العظمة يهلك الكُلُّ في سطوع نور عظمته، وذلك يوم الرجوع التامّ وبروز الأحديّة والمالكيّة المطلقة، فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[2] فلم يكن من مُجيبٍ يُجيبُه، لسطوع نور الجلال وظهور السلطنة المطلقة، فيجيب نفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[3].

[يومُ الحكومة والسلطنة الإلهيّة... يومُ القبض والنزع]

والتوصيفُ بالواحديّة والقهاريّة دون الرحمانيّة والرحيمية، لأنّ ذلك اليوم يوم حكومتهما وسلطنتهما، فيومُ الرحمة يومُ بسط الوجود وافاضته.

ولهذا وصف الله نفسه عند انفتاح الباب وفاتحة الكتاب بـ«الرَّحمَن الرَّحِيم»، ويوم العظمة والقهّاريّة يومُ قَبْضِهِ ونَزْعِهِ، فَوَصَفها بالوحدانيّة والقهّاريّة، وبالمالكيّة في خاتمة الدفتر فقال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

[لكُلِّ إسمٍ من أسمائه ﷻ دولةٌ لا بُدَّ من ظهورها]

ولا بُدَّ من يومٍ يتجلى الربُّ بالعظمة والمالكيّة وتبلغان دولتهما، فإنَّ لِكُلِّ اسمٍ دولة لا بُدَّ من ظهورها، وظهور دولة المُعيد والمالك وأمثالهما من

(١) إشارة إلى عالم المادة، وتسميتها بـ«السافلة» لأنّها أسفل العوالم وأدناها.

(٢) غافر: ١٦.

(٣) غافر: ١٦.

الأسماء يوم الرجوع التامّ والنزاع المطلق. ولا يختصُّ هذا بالعوالم النازلة، بل جارٍ في عوالم المُجردات من العقول المقدَّسة والملائكة المُقربين؛ ولهذا ورد أنَّ عزرائيل يصير بعد قبض أرواح جميع الموجودات مقبوضاً بيده تعالى[١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٤] إلى غير ذلك...»[٥].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦، ص٣٢٦ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩، كتاب: العدل والمعاد، باب: نفخ الصور وفناء الدنيا، الأحاديث: (٣ ـ ٧ ـ ١٤).

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

(٣) الفجر: ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) الأعراف: ٢٩.

(٥) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني ﵀، ص٣١ ـ ٣٢، شرح قوله ﵇: «اللهم إني أسألك من عظمتك بأعظمها...».

[تفسيرُ: ﴿إيّاكَ نعبدُ وإيّاك نستعين﴾]

[هل حقّاً تُقرّونَ بأنَّ المحامد كُلَّها لله؟]

﴿. . . ألا ترى أنَّ عليك أنْ تتوب من قولك وأنت تقف أمام الله قبل الدخول في الصلاة: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]. فهل وجوهكم متوجّهة إلى فاطر السماوات والأرض؟ هل أنتم مسلمون وخالصون من الشرك؟ هل صلاتكم وعبادتكم وحياتكم ومماتكم لله؟ ألا يبعث على الخجل ـ بعد هذا ـ أن تقولوا في الصلاة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟ فهل حقّاً تُقرّون بأنَّ المحامد كُلَّها لله؟ في حين أنّكم تُقرّون بالحمد لعباده، بل ولأعدائه؟، أليس قولكم ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يكون كذباً لأنّكم تُقرّون في الوقت نفسه بالربوبيّة لغيره تعالى في هذا العالم، أفلا يحتاج ذلك إلى التوبة والخجل؟.

وحينما تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهل تراك تعبد الله أم تعبد بطنك وفرجك؟ هل أنت تطلب الله أو الحور العين؟ هل تطلب العون من الله فقط؟ إنَّ الشيء الذي لا يؤخذ بعين الاعتبار في الأعمال هو الله. . .﴾[3].

---

(١) الأنعام: ٧٩.

(٢) الأنعام: ١٦٢.

(٣) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قُدِّس سِرُّه، ص١٠٤، الحديث الثالث «العُجب»، فصلٌ في بيان أنَّ حُبَّ النّفس أساس العُجب.

[العوامُ يتشبثون بالحشائش... ويغفلون عن الحق]

﴿. . . بُني: اجتهد لكي تُسلّم قَلْبَك لله ولا ترى في الكون مؤثراً غيره، ألا يصلي عامةُ المسلمين المُتعبدين عدةَ مراتٍ في الليل والنهار وتتضمنُ الصلاةُ التوحيدَ والمعارفَ الإلهيّة، ويرددون ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عدة مراتٍ في الليل والنهار، ويعتبرون العبادةَ والإعانةَ لله تعالى في الكلام. ولكنَّهم جميعاً ينحنونَ أمامَ العَالِم والغني والقوي، إلا المؤمنين بالحق والخواص من عباد الله. وإنَّ اولئك قد يفعلون للعباد ما لا يفعلونه لله، ويَستَمِدونَ من كُلِّ شَخْصٍ، ويستعينون به، ويتشبثون بالحشائش لبلوغ الآمال الشيطانيّة وهم غافلون عن الحق.

فلو احتملت الآيةُ أن يكون الخطابُ فيها لمن بلغ الإيمانُ قلوبَهُم، فإنَّ الأمرَ بالتقوى لهؤلاء يختلفُ كثيراً عن الاحتمال الأوّل.

[ما المُرادُ من «التقوى»؟]

إنَّ هذه التقوى ليست تقوى عن الاعمال غير الصالحة بل هي التقوى عن الالتفات نحو غير الحق، والتقوى عن الاستعانة بغير الحق والعبوديّة لغيره، والتقوى عن السماح لغيره ـ جلّ وعلا ـ للدخول في قلبه، والتقوى عن الاعتماد والتوكل على غير الله.

إنَّ ما تراه يُعاني منه الجميع من أمثالنا، وإنَّ ما يُثيرُ خوفَنَا وَخوفَكَ من الاشاعات ونشر الأكاذيب، يشبه خوفنا من الموت والخلاص من الطبيعة، يجب تجنبه.

ففي هذه الحالة فإنَّ المراد من قوله: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[1] هو

(١) الحشر: ١٨.

الأعمال القلبيّة التي لها صورة في الملكوت وصورةٌ أخرى فيما فوقه، وإنَّ الله خبيرٌ بخطرات القلوب.

[لا تكونُ التقوى بالإهمال والعُزلة]

ولا يعني ذلك أن تتخلى عن أي نشاطٍ، وتُهمِلَ الأمور وتعتزلَ الجميع وتتركَ كُلَّ شيءٍ وتعيش في العزلة، إذ إنَّ ذلك يُخالفُ سُنَّةَ الله وسيرةَ الانبياء العظام العمليّة وسيرةَ الأولياء الكرام.

[الأنبياء ﷺ يعتبرون الاستعانة بالخلق استعانةً بالأدوات والأسباب]

إنَّهم ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ قد بذلوا مساعيهم اللازمة للأهداف الإلهيّة الإنسانيّة، ولكن لم يكونوا مثلنا، إذ نلتفت إلى الأسباب مع الاستقلال، بل كانوا يعتبرون كُلَّ شيءٍ في هذا المقام الذي هو من مقاماتهم العاديّة، منه ـ جلّ وعلا ـ، وكانوا يرون الاستعانةَ بأيّ شيءٍ الاستعانة بمبدأ الخلق، وهذا أحد الفروق الموجودة بينهم وبين الآخرين.

إننا وامثالنا نغفل عن الحق بالنظر إلى الخلق والاستعانة بهم، وكان هؤلاء يعتبرون الاستعانة منه حسب الواقع وإن كانت في الظاهر استعانةً بالأدوات والأسباب، وكانوا يعتبرون الأحداث منه وإن هي عندنا حسب الظاهر ليس كذلك. ولذلك فإن الأحداث مهما كانت مؤلمة لنا تعتبر عذبة في مذاق نفوسهم. . . »[1].

---

(١) راجع الرسالة التي وجهها الإمامُ الخميني ﷺ لنجله السيّد أحمد رحمه الله بتاريخ ٧/ شوال/ ١٤٠٤هـ/ق والمُشتملة على مواعظ أخلاقيّة وعرفانيّة، والمنشورة في صحيفة الإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ج١٨، ص٤٠٥.

[تفسيرُ: ﴿اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتقيم﴾]

[لا بُدَّ لعابر الصراط من زادٍ وراحلة]

﴿. . . الإنسانُ مسافرٌ، ولا بُدَّ للمسافر من زادٍ وراحلة، وزادُ الإنسانِ خِصالُهُ، وراحلتُهُ في هذه المرحلةِ الخطيرةِ المُخيفةِ، وفي هذه الطريق الضيقة، على الصراط الذي هو أحدّ من السيف وأدقّ من الشعرة[1]، هي هِمَّةُ الرجال وعزمهم. والنور الذي يُنيرُ ظلامَ هذا الطريق، هو نورُ الإيمان والخصال الحميدة.

فإذا تقاعس الإنسانُ ووهنت هِمَتُهُ أخفقَ في العُبورِ، وانكَبَ على وَجْهِهِ في النار، وساوى تُرابَ الذل، وانقلب في هاوية الهلاك. فمن لا يستطيع اجتياز هذا الصراط لا يستطيع اجتياز صراطَ يوم القيامة أيضاً. . .﴾[2].

---

(١) عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «الصراط أدقُّ من الشعرةِ وأحدُّ من السيف وأظلم من الليل». راجع: كتاب: علم اليقين، ج٢، المقصد الرابع في معنى الصراط، ص٩٦٩. وكذلك وردت روايات أُخرى عن صادق أهل البيت عليه السلام بهذا المؤدى، راجع: بحار الأنوار، ج٨، كتاب العدل والمعاد، باب٢٢، الحديث٢، ص٦٥.

(٢) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، ص١٣٢ ـ ١٣٣، الحديث الرابع «الكِبر»، فصلٌ في بيان معالجة الكِبر.

[انتهاجُ طريق النبوة والولاية... وحقيقة الصراط]

﴿. . . إذا انتهجت في هذا العالم صراط النبوة، والطريق المستقيم للولاية، ولم تنحرف عن محجة ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم تنزلق أقدامُكَ، لما كان عليك بأسٌ حين اجتيازك على الصراط يوم القيامة؛ لأنَّ حقيقةَ الصراط هي الصورة الباطنيّة للولاية، كما ورد في الأحاديث الشريفة أنَّ أميرَ المؤمنين عليه السلام هوَ الصِّرَاطُ[(١)]. وفي حديثٍ آخر: «**نَحْنُ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيم**»[(٢)]، وفي الزيارة المباركة الجامعة الكبيرة: «**أَنْتُمُ السَّبِيلُ الأَعْظَمُ وَالصِّرَاطُ الأَقْوَمُ**»[(٣)]. فمن كان على هذا الصراط مستقيماً في حركته في الحياة الدنيا، ولم يضطرب قلبُهُ لما اضطربت أيضاً أقدامُهُ على الصراط في الحياة الآخرة، وإنَّما يجتازه كالبرق الخاطف. . .﴾[(٤)].

---

(١) جاء في كتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق رحمه الله، ص٣٢، باب معنى الصراط، الحديث (٢)و(٣) عن صادق أهل البيت عليه السلام أنّه قال: «الصراط المستقيم أمير المؤمنين علي عليه السلام»، وكذلك عنه عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل على أنّه أمير المؤمنين عليه السلام قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أمّ الكتاب في قوله عز وجل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

(٢) جاء في كتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق رحمه الله، ص٣٥، باب معنى الصراط، الحديث (٥) عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: «ليس بين الله وبين حجته حجاب، فلا لله دون حجته سترٌ، نحن أبواب الله، ونحن الصراطُ المستقيم، ونحنُ عَيبَةُ علمه، ونحن تراجمةُ وَحيِهِ، ونحنُ أركانُ توحيدِهِ، ونحنُ موضعُ سرِّهِ». .

(٣) راجع: من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق رحمه الله، ج٢، ص٦١٣، الزيارة الجامعة. وكذلك، تهذيب الأحكام، لشيخ الطائفة الطوسي رحمه الله، ج٦، ص٩٨، باب زيارة جامعة لسائر المشاهد على أصحابها السلام.

(٤) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، ص٤٠٧، الحديث الثاني والعشرين «الإنسان وكراهتُهُ للموت».

[القلبُ المُعْرِض عن الحق والحقيقة يتجه بصاحبه إلى أسفل سافلين]

﴿. . . فالقلوب التي أعرضت عن الحق والحقيقة، وخرجت عن فطرتها المستقيمة وأقبلت على الدنيا، ألقت بظلالها على ذلك العالم حيث يخرج أصحابها هناك من الاعتدال ويصبحوا منكوسين، ومتجهين نحو عالم الطبيعة والدنيا التي تعتبر أسفل السافلين. فمن المحتمل أن يمشي البعض مُكباً على وجهه وتكون ساقاه نحو الأعلى، ويمشي بعضٌ على بطنه، وبعضٌ على يديه ورجليه، كما كان اتجاهه في هذا العالم ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، فمن الممكن أنَّ هذا الاستعمال المجازي في هذا العالم المجازي، يتحول إلى واقعية وحقيقة في عالم الحقائق والظهور للروحانيات والغيبيات.

[الصراطُ المُستقيم في الأحاديث الشريفة]

لقد فَسَّرت الأحاديثُ الشريفة: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ المذكور في نهاية هذه الآية المباركة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام:

[الصراطُ المستقيم... أميرُ المؤمنين عليه السلام والأوصياء عليهم السلام]

عن الكافي بإسناده عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: «**قُلْتُ: أَفَمَنْ يَمْشي مُكِبّاً عَلى وجْهِهِ أَهْدى أَمْ مَنْ يَمْشي سَوِيّاً على صِراطٍ مُسْتَقِيم؟ قالَ: إنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلاً، من حَادَ عَنْ وِلايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام كَمَنْ يَمْشي عَلى وَجْهِهِ لا**

---

(١) الملك: ٢٢.

يَهْتَدِي لأَمْرِهِ، وَجَعَلَ مَنْ تَبِعَهُ سَوِياً عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالصِّراطُ الْمُسْتَقِيمُ أميرُ الْمُؤْمِنين عليه السلام»[1].

وعن الفُضيل قَالَ: «دَخَلْتُ مَعَ أَبي جَعْفَرَ عليه السلام الْمَسْجدَ الحَرام وَهُو مُتَّكِىءٌ عَلَيّ فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ وَنَحْنُ عَلَى بَابِ بَنِي شَيْبَةَ فَقالَ يا فُضَيلُ هكَذا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي الجاهِلّيةِ لاَ يَعْرِفُونَ حَقاً وَلاَ يَدِينُون دِيناً يا فُضَيلُ أَنْظر إِلَيْهِم مُكبّينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ لَعَنَهُمُ الله مِنْ خَلْقٍ مَسَخَهُمْ رَبُّهُمْ مُكِبِّينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ثُمّ تَلا هذه الآية ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يَعْني عَلياً عليه السلام وَالأَوْصياء عليهم السلام»[2]...﴾[3].

[للربّ تعالى مقامُ الوسطية والجامعيّة على الصراط المستقيم]

﴿... الحقُ المتعالي في مقام الاسم الجامع وربّ الإنسان، على الصراط المستقيم، كما ورد في القرآن الكريم ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4]

---

(١) راجع أصول الكافي، ج١، ص٤٣٣، كتاب الحجة، بابٌ فيه نكتٌ ونتفٌ من التنزيل في الولاية، الحديث: (٩١). بحار الأنوار، ج٢٤، ص٣٣٧، باب جوامع تأويل ما نزل فيهم عليهم السلام ونوادرها، الحديث: (٥٩).

(٢) راجع: كتاب الكافي، ج٨، كتاب الروضة، ص٢٨٨، تشبيه أبي جعفر عليه السلام طواف القوم بطوف الجاهلية وتأويل بعض الآيات وتفسيرها، الحديث: (٤٣٤). وفي بحار الأنوار، ج٢٤، ص١٦، كتاب الإمامة، الباب: (٢٤)، باب أنّهم عليهم السلام السبيل والصراط، وهم وشيعتهم المستقيمون عليها، الحديث: (١٧)، عن حمران قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ قال: علي بن أبي طالب والأئمة من ولد فاطمة، هم صراط الله، فمن أباهم سلك السبل».

(٣) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، ص٥٨٣ ـ ٥٨٤، الحديث الثلاثون «أقسام القلوب».

(٤) هود: ٥٦.

بمعنى مقام الوسطيّة والجامعيّة من دونِ غلبة صفةٍ على أخرى، وظهور اسمٍ دون آخر.

ويكون مربوبُ الذات المقدس الموجود في مقام الوسطيّة والجامعيّة على الصراط المستقيم أيضاً، من دون ترجح مقامٍ على مقام، وشأنٍ على شأن.

كما يطلبُ هذا المربوب، في معراجه الصعودي الحقيقي، ولدى منتهى وصوله إلى مقام القرب، بعد عرضه العبوديّة على الذات المقدس، وإرجاع كل عبادة وعبوديّة من كُلّ عابدٍ إلى الذات المتعالي، وحصر الإعانة في جميع مقامات القبض والبسط في ذاته جلّ جلاله بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يطلبُ هذا المربوب قائلاً ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وهذا الصراط هو الصراط الذي يُهيمنُ عليه ربُّ الإنسان الكامل، على وجه الربوبيّة والظاهريّة ـ الإظهار والخلق ـ ويكونُ دورُ الإنسان الكامل، المربوبيّة والمظهريّة ـ المخلوق ـ...»[١].

[عبورُ صراط الدنيا بشكلٍ مستقيم موجبٌ لعبور صراط الآخرة]

«... هذه الدنيا مرحلة يجب أن نعبرها، وهي ليست بالعالم الذي ينبغي أن يخلد فيه. هذه طريقٌ، هذا صراطٌ إذا تمكنا أن نجتازه بشكلٍ مُستقيمٍ كما اجتازه أولياء الله «**جُزنا وهيَ خامدة**»[٢]، إذا تمكنّا أن نعبر هذا الصراط بسلامة، فنحن سعداء.

أما إذا انحرفنا هنا عن هذا الصراط ـ لا سمح الله ـ فإنَّ هذا الانحراف

---

(١) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني ﵀، ص٥٨١ ـ ٥٨٢، الحديث الثلاثون «أقسام القلوب».

(٢) راجع: علم اليقين، ج٢، ص٩٧١، روايةٌ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

يظهر هناك ايضاً، ويؤدّي هناك إلى مزالق أيضاً، ويؤدّي إلى مصاعب...﴾[(١)].

[﴿وَالعَصْرِ﴾ هو صاحب الزمان عليه السلام]

﴿... يقولون: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[(٢)] والعصر هو الإنسان الكامل، وهو صاحب الزمان ـ سلام الله عليه ـ فهو عصارة جميع الموجودات، والقسم بعصارة جميع الموجودات هو قَسَمٌ بالإنسان الكامل. وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ هذا الإنسان الذي هنا هو الإنسان برأس وأُذُنين، وندعوه نحن إنساناً، والخطاب لنا نحن الذين في مفترق طريقين هما طريق الإنسانيّة الذي هو الصراط المستقيم.

أحدُ طرفي الصراط المستقيم في الطبيعة، والآخر عند الألوهيّة، فهو طريقٌ يمتدُّ من العلق، فبعضه طبيعي، وذلك المهمّ منه إراديٌّ، فمبدؤه من الطبيعة، ومنتهاه عند مقام الألوهية. والإنسان يبدأ من الطبيعة، ويمضي إلى حيث لا يصل وهمي ووهمُك.

[اليمينُ واليسار انحرافٌ عن الصراط المُستقيم]

لكم أن تختاروا أحد الطريقين: صراط الإنسانية المستقيم، أو الانحراف يميناً أو شمالاً، فإلى أيِّ الجهتين ينحرف الإنسانُ يبتعدُ عن الإنسانيّة، وكلّما يتقدم في إحداهما يزداد بُعداً عن إنسانيته، فمن ينحرف عن الصراط المستقيم

---

(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره في ذكرى شهادة نجله الشهيد السيّد مصطفى الخميني قدس سره، راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج٣، ص٢٢١.

(٢) العصر: ١ ـ ٢.

كلّما يتقدَّم في انحراف يبتعد أكثر عن طريق الإنسانية الذي جاء به الأنبياء يدعون إليه مأمورين أن يُعَرِّفوه للناس.

والله ﷻ تفضّل في سورة الحمد بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أولئك الذين تفضّلت عليهم بنعمة الهداية، ورحمتهم بالاستقامة على هذا الصراط، ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. المغضوب عليهم طائفةٌ مُنحرفةٌ، والضالّين أيضاً طائفةٌ منحرفةٌ، وكلّما ساروا إلى الأمام ازدادوا بُعداً.

[إن لم يكن درسكم باسم الربّ فأنتم الأبعد عن الصراط المستقيم]

كلّما درستم ولم يكن درسكم ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ ابتعدتم عن الصراط المستقيم، وكلّما درستم أكثر بغير هذا الاسم ازددتم بعداً، ولو صرتم أعلم من في الأرض وما كان علمكم باسم الرَّب فأنتم أبعد مَن عليها عن الله ﷻ والأبعد عن الصراط المستقيم.

والصراطُ المستقيم رأسُهُ جسر جهنّم، وطرفُهُ الآخر الطبيعة، أو طرفُهُ الجنّة، وآخرُ مراتب الجنَّة لقاءُ الله، حيثُ لا سبيل لأحدٍ هناك غير الإنسان، السبيلُ للإنسان فقط. وكلّنا الآن واقعون في جسر جهنّم. الطبيعة متن جهنّم. في ذلك العالم الذي يظهر فيه ستكون الطبيعةُ بمثابة جهنم، فنحنُ الآن نتحرَّكُ في متن جهنّم، فإذا طَوينا هذا الطريق في ذلك اليوم الذي يظهر فيه جسرُ جهنَّم لأعُين الناس هذه، ففي ذلك العالم يتجلّى. ومَن طوى هذا الطريق يعبر من جسر جهنم، ومن لم يطوِ هذا الطريق يقع في جهنّم، يسقط من الجسر، فهو أعوج، والطريقُ المستقيم الذي ذكروا أوصافَهُ أيضاً وسمعتموها هو أدقُّ من الشعرة طريقٌ ضَيِّقٌ ومُظلمٌ، ويريد نور الهداية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ والله يهدينا.

[نورُ العلم وظُلمَتُهُ]

فلا تظنُّوا أنتم أيّها السادة السالكو سبيلَ الإسلام والعِلم المتلبّسون بلباس الإسلام والأنبياء والرُّوحانيّة أنَّ الدرس مُفيدٌ لكم بلا قراءةٍ باسم الربّ، فهو مُضرٌّ حيناً، وباعثٌ على الغرور حيناً، وقاذفٌ للإنسان من الصراط المستقيم حيناً، فهؤلاء الذين صنعوا الدِّين كانوا في الأكثر أهلَ علم، وأولئك الذين دعوا لخلاف الواقع أكثرهم أهل العلم لأنَّ علمهم لم يكن قراءةً باسم الربّ، كان ذا انحراف منذ البدء. وهذا الطريق المنحرف كلّما امتدَّ إلى الأمام ازداد انحرافاً وبعداً عن الإنسانيّة. فكيف بامرئٍ يراه الناسُ الفيلسوف الأعظم والفقيه الأكرم، ومن يعلم كُلَّ شيءٍ وهو كنز العلوم، لكن لأنَّ قراءته لم تكن باسم الربّ ابتعد كثيراً عن الصراط المستقيم وعن الجميع، وكُلّما عَظُمَ الكنزُ عَظُمَ الوِزْرُ، وكُلّما كَبُرَ المخزنُ كَبُرَ الوِزْرُ وازدادت ظُلماتُهُ ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾[1].

العلمُ ظُلْمةٌ حيناً لا نور، وذلك العلم الذي يَشرع باسم الربِّ نورٌ فيه هداية، وذاك العلمُ الذي يحصل ابتغاء التعلُّم أحسنه أنَّ صاحبه يُريدُ أنْ يتعلّم، أو يقول بأنني أُريدُ منصباً، أو أنْ أكون إمامَ جماعةٍ، أو أن أكون خطيباً، أو أن أكون مقبولاً لدى العامّة، محبوباً لدى الناس، كُلُّ هذه انحرافٌ، وكُلُّها دقيقةٌ، كُلُّها صراطٌ مستقيمٌ بحسب ما وُصِف من أنّه أدق من الشَّعرة، دقيقٌ غاية الدقة.

[مسألةُ معرفة الإسلام والإنسان]

فكيف إذا كان الإنسانُ كُلُّ عُمُرِهِ في الرياء، ولم يدرِ؟ أنفق عُمراً، كُلّ ما عمله فيه كان رياءً ولم يفهم أنه كان رياءً. إنَّه لدقيقٌ حتّى إنَّ المرء لا يلتفت،

---

(١) النور: ٤٠.

وله موازين خاصّة به، وأولئك العاملون لم يُعَينوا موازين لنفهم بها من نحن، ونعرف قدر أنفسنا. في علم الأنبياء الذي هو علم صُنع الإنسان موازين.

ولا تتسنّى معرفة الإسلام خطفاً، فالإسلامُ لا يُعرَفُ بحربين، فما هو بحرب، ولا صلة للحرب به. مدرسةُ الإسلام ـ هذه التي يُقالُ لها اليوم مدرسة ـ مُقدّمة لمعرفة تلك المدرسة التي يَضُمُّهَا الإسلامُ. وهذه المدرسة لا نعرفها أنا وأنت، مثلما لا نعرف الإنسان. فذلك الذي نعرفه هو هذا الموجود الطبيعيّ، وليس هذا هو الإنسان، من العلق يأتي، ويرتفع قليلاً قليلاً، حتّى يكون حيواناً، وحيوانيتُهُ هذه طويلةٌ جدّاً. مقامُ الحيوانيّة هذا طويلٌ جدّاً، والإنسانُ ممكن أن يتوقّف طوال عمره في هذه الحيوانيّة. فما لم تكن له قراءة باسم الربّ، ليس له من جدوى. كُلُّ شيءٍ يجبُ أنْ يكون باسم الربّ...»[1].

[لسنا شرقيين ولا غربيين وإنَّما نتحرك على صراطٍ مستقيم]

«... إنا لله ومُلكٌ له، فكُلُّ ما لدينا منه تعالى وإليه المصير، ويجب أن نُفَكر كيف جئنا وكيف نحيا الآن، وكيف سنرجع إليه سبحانه، فهل نحن هنا لخدمة الخلق؟ وهل نُجاهدُ في سبيل الله وعلى الصراط المستقيم؟، أم نحنُ من الضالين؟ وأنَّهُ إذا ما كُنَّا مُنحرفين وضالين سواء لليمين أو اليسار، فما هو طرف اليسار الذي أصبح كنايةً عن المغضوب عليهم؟ وما هو طرفُ اليمين الذي أصبح كناية عن الضالين؟ وما هو الطريقُ والصراط المستقيم؟ وإذا ما مشينا عليه فهل المكان الذي بدأنا منه هو جزءٌ من الصراط المستقيم، بحيث

---

(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل ﷺ، راجع: صحيفة الإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ج٨، ص٢٥٥.

أنّنا لسنا شرقيين ولا غربيين، بل من المستقيمين لا إلى اليمين ولا إلى اليسار، نتحركُ على صراطٍ مستقيمٍ إلى اللانهاية، ونحن سعداء وشعبنا سعيد بفضلنا، وإذا انحزنا ـ لا قَدَّرَ اللهُ ـ إلى اليمين أو اليسار أو إلى أي جهةٍ أخرى، وكذلك إذا وضعنا لأنفسنا مقاماً ما بين أبناء شعبنا، فعندها سوف نتسبب بضياع الشعب؟...»[1].

[الصراطُ المستقيم هو الطريقُ السَوي]

«... الصراطُ المستقيم هو الصراطُ الذي يكونُ أحدُ طرفيه هنا وطَرَفُهُ الآخرُ الله ﷻ. المستقيمُ هو الطريقُ السَوي، وأيُّ انحرافٍ في أية جهةٍ كان، يَصُدُّ الإنسانُ عن طريقه ويَجُرُّهُ إلى الظلمات...»[2].

[الصراطُ المُستقيم صراطُ الإنسانيّة والكمال]

«... هذا هو الطريق، هذا هو الطريق المستقيم، الطريق الذي تقرؤون في سورة الحمد أثناء الصلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[3]. الصراطُ المستقيم هو صراطُ الإسلام، صراطُ الإنسانيّة، صراطُ الكمال، إنَّهُ الطريقُ إلى الله.

[الطُرقُ ثلاثة فسيروا على الطريق المُستقيم]

هنالك ثلاثة طرق: الطريقُ المستقيم، والطريقُ الشرقي؛ المغضوب

(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل ﭬ، راجع: صحيفة الإمام الخميني ﭬ، مصدر سابق، ج٩، ص٣٩٥.

(٢) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل ﭬ، المصدر السابق: ج١٢، ص٢٩١.

(٣) الفاتحة: ٦ ـ ٧.

عليهم، والطريق الغربي؛ الضالين. سيروا على هذا الطريق المستقيم وهو طريق الإنسانيّة وطريقُ العدالة وطريقُ التضحية في سبيل الإسلام والعدالة الإسلاميّة.

إذا سرتم في هذا الطريق المستقيم بدون انحراف لهذا الجانب أو ذاك، وبدون انحرافٍ نحو الشرق والغرب، وبدون انحرافٍ صوب تلك العقائد الفاسدة، فسيفضي بكم إلى الله.

[لو ملتم عن الصراط يميناً أو يساراً صرتم إلى جهنم]

إذا سرتم بطريقة مستقيمة في هذا العالم، سوف تجتازون بنحوٍ مستقيمٍ ذلك الصراط الذي خُطَّ على جهنم. جهنم هي باطن هذه الدنيا، إذا سرتم بهذا الطريق بنحوٍ مستقيم ولم تنحرفوا يساراً أو يميناً، فسوف تجتازون صراطَ ذلك العالم بنحوٍ مستقيمٍ أيضاً من دون أيّ ميولٍ نحو يسارٍ أو يمين، إذ لو ملتم يساراً صرتم إلى جهنم، وإذا تحولتم يميناً صرتم إلى جهنم. طريقُ الله مستقيمٌ، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

الصراطُ سبيلُ الذين مَنَّ اللهُ عليهم وأنعم. نعمةُ الإسلام أعظمُ النعم. نعمةُ الإنسانيّة أعظم النعم.

لقد سرتم على هذا الطريق المستقيم، على هذا الطريق الذي قطعتموه وجئتم لأجل الإسلام ولأجل حماية الإسلام، ولكنَّنا وكل الشعب يجب أن يكونوا حُراساً للإسلام والقرآن الكريم.

[صراطُ الجهاد وحراسة الإسلام هو الصراط المُستقيم]

هذا الصراط مستقيمٌ؛ إنَّه صراطُ حراسة الإسلام، صراطُ الجهاد في سبيل الإسلام، في سبيل الله، هذا هو الصراط المستقيم. إنَّهُ الصراطُ المستقيم

الذي تطلبونه من الله في الصلاة. لا تنحرفوا، فأحدُ جانبي الانحراف هم المغضوب عليهم، وجانبه الآخر هم الضالون. أولئك الذين غضب الله ﷻ عليهم، والذين ضلوا، كلاهما طريقُهُ إلى جهنم... ﴾[1].

[الصلاةُ... وطلب الهداية إلى الصراط المُستقيم]

﴿... ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فهناك طريقٌ مستقيمٌ واحدٌ يقودُ الإنسانَ إلى الكمال المطلق وينقذُ الإنسانَ من التِيهِ والتخبط، فالإنسانُ لا يستطيع أنْ يطوي هذا الصراط المستقيم بالاتكال على نفسه فحسب، فهو لا يملك المعلومات اللازمة في هذا المجال، الله ﷻ هو الخبير بهذا الصراط المستقيم، أي الطريق الذي ينتشل الإنسانَ من القلق والحيرة ويرشده إلى ما يقوده في النهاية إلى الله.

إنَّنا نطلب من الله في صلاتنا أنْ يهدينا إلى الصراط المستقيم، بعيداً عن كل ما يجرف الإنسان إلى اليمين والشمال ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، هؤلاء يمشون على غير سبيل فلا يزيدهم كثرةُ المسير إلا بعداً عن الهدف[2]... ﴾[3].

﴿... كُلُّ دعوات الأنبياء ورسالاتهم تنصب في تخليص الإنسان من

---

(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج١٢، ص٢٩٩.

(٢) إشارة إلى حديث صادق أهل البيت عليهم السلام: «العاملُ على غير بصيرةٍ كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلا بعداً. راجع: أصول الكافي، ج١، ص٤٣، باب من عمل بغير علم، الحديث الأول.

(٣) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج١٢، ص٤٠٤.

حيرته وضياعه وتصحيح مسيره وهدايته إلى الطريق القويم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

[غايةُ بعث الأنبياء ﷺ]

الدنيا هي نفس الإنسان وشهواته ورغباته والتي تُقيدُ كُلَّ من يلهث وراءها، وإنَّ كُلَّ ما في الدنيا من ظلمات هو نتيجة تعلقنا بهذه الدنيا وبأوهامها وخرافاتها وزخارفها.

لقد بُعِثَ الأنبياءُ لتخليص الإنسان من الزخرفات الدنيويّة والشهوات النفسيّة والتي تُخالفُ طبيعةَ الإنسان وفطرته، وإدخاله إلى عالم النور، والإسلام هو خير دين للوصول إلى هذه الأهداف.

[«الصراطُ المُستقيم» في أدعية أئمة أهل البيت ﷺ]

ووظيفةُ الدعاء تتلخص في تهيئة النفوس للتخلص من الشهوات التي تدمر الإنسان، والتحرر من الزخارف الدنيويّة التي قادت الإنسان إلى الضياع والحيرة عن الوصول إلى الإنسانيّة الحقيقية. وطريق الإنسانيّة هو الصراط المستقيم الذي أشار إليه الأئمة ﷺ في أدعيتهم ومناجاتهم بطريقة غير مباشرة لعدم قدرتهم على الدعوة الظاهرية والعلنية. لم يكن هدف الأنبياء السيطرة والاستيلاء بل كان هدفهم هداية الناس وهداية الظالمين والجهلة إلى الطريق القويم ليصلوا من خلال ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢) وليتركوا هذه الدنيا الفانية ويسيروا نحو النور المطلق.

---

(١) هود: ٥٦.

(٢) المصدر السابق.

إذاً فوظيفةُ الأنبياء هي إيصالنا إلى هذا النور ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾(١). والطاغوت هو عدو الأنبياء وعدو الله... ❮(٢).

[تصنيفُ الأفعال القلبيّة والروحيّة والجوارحيّة للإنسان]

❯... كُلُّ ما يصدر عن الإنسان قلباً وروحاً وجوارحاً لا يخرج عن هذا التصنيف: إما نحو الصراط المستقيم ونحو الله، وإما نحو الصراط الطاغوتي، الإنحراف إما إلى الشمال أو إلى اليمين. ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي يبدأ من هذه الدنيا وينتهي في عالم الآخرة عند مبدأ النور المطلق.

[من يدعو لغير طريق الأنبياء عليهم السلام... طاغوتٌ]

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، إنَّ الله قد أنعم علينا وهدانا إلى سبيله وأرسل الأنبياء لتعليم البشر وتربيتهم والوصول بالبشرية إلى السعادة والطمأنينة.

سيروا في الطريق الذي سلكه الأنبياء ورسموه لنا واطووا طريق الله عز وجل الذي بعث الأنبياء لهداية الناس إليه. إنَّ كل من يدعو لطريق غير هذا الطريق هو طاغوت... هذا هو الأمر، طريقان لا ثالث لهما، إما الطاغوت، وإما الله... ❮(٣).

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج١٣، ص٣٣.

(٣) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج١٣، ص١٣٤.

[الأنبياءُ ﵈ مكلفون بهداية الإنسان إلى الصراط المستقيم للوصول إلى الله ﷻ]

﴿. . . فإنَّهم مُكلَّفون بهداية الأُمَم والمجتمعات والشعوب وقبل كُلِّ شيءٍ الإنسان، دون إغفال أيِّ بُعدٍ من أبعاده المتعددة ليأخذوا بيده إلى طريق سعادته وصلاحه، ذلك الطريق الذي عَبَّر عنه القرآنُ بالصراط المستقيم ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ والذي نسألُ اللهَ الهداية إليه في كُلِّ صلاةٍ نصليها، هذا الطريق الذي يبدأ من هنا لكن نهايته هي الآخرة، وهي الوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

[المعنى الصحيح للسياسة الحقّة]

فالسياسةُ الحقّة هي السياسة التي تقودُ المجتمع وتسيرُ به آخذةً بعين الاعتبار جميعَ المصالح والأبعاد المُتعددة للإنسان والمجتمع، وتعمل على تنمية هذه الأبعاد وهدايتها لما فيه خير المجتمع والشعب والأفراد وصلاحهم. وهي من خصائص الأنبياء ﵈ دون سواهم، لأنَّ الآخرين لايقدرون على إدارة سياسة البلاد بهذه الشموليّة، فهذا اللون من السياسة مُختصٌ بالأنبياء والأولياء ومن ثم أتباعهم من علماء الإسلام اليقظين.

والآن يقولون أنتم لا تتدخلوا في السياسة واتركوها لنا، إنَّ السياسة التي تطمحون إليها، على فرض سلامة سياستكم فإنَّها سياسة حيوانيَة، فالأشخاصُ الفاسدين سياستهم شيطانيّة لا تنظر إلا إلى الجوانب الماديّة والحيوانيّة للإنسان.

[سياسةُ الأنبياء ﵈ ومقولة «الدين عينُ السياسة»]

أمّا الأنبياء فبالإضافة إلى ما سبق؛ يسعون لتأمين حاجات الإنسان الروحيّة والمعنويّة، فهم يريدون له الصلاح والفلاح في هذا العالم وفي ذلك، وما

هذا العالم عندهم إلا طريق إلى ذلك العالم، فهم يريدون خير الإنسان وصلاحه في كلا الجانبين المادي والمعنوي ويريدون أنْ يَرقُوا به في كلا هذين الجانبين من أدنى المراتب إلى أسمى مراتب الكمال. فالإنسانُ له مراتب كمال.

فالسياسيون الإسلاميون، والسياسيون الروحانيون، والأنبياء عليهم السلام إنما شغلهم السياسة، وإنَّ الدين هو عين السياسة التي تريد أن تأخذ بأيدي الناس وتسير بهم في طريق صلاحهم وفلاحهم وسعادتهم الدنيويّة والأُخرويّة، هذا الطريق الذي عَبَّرَ عنه القرآنُ الكريمُ بالصراط المستقيم...»[1].

«... هذا الصراط المستقيم الذي رسمه الأنبياء عليهم السلام للبشرية وجعله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ـ آخر الأنبياء وأشرفهم ـ أمام الناس ودعا إلى هذا الصراط المستقيم وهداهم إلى مسير الإنسانيّة والخروج من جميع الظلمات والكفر والالحاد إلى النور المطلق. عليكم أنتم الشباب مواصلة هذا الطريق لتكونوا أتباعاً لائقين للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومدرسة الإمام الصادق عليه السلام...»[2].

[مُنتهى الصراط المستقيم هو الكمال المُطلق وهو الله]

«... أنتم تقرأون في القرآن الكريم ـ في أوّلِ سورةٍ من القرآن الكريم ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حيثُ تُشيرُ إلى كلمة «ربّ»، ومبدأ التربية في أول القرآن الكريم. وقد كُلّفنا عدة مراتٍ في اليوم والليلة أن نقرأها في الصلاة وأن ننتبه إلى أنَّ قضية التربية والربوبيّة ـ والتي تختصُ في درجتها العليا

(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج١٣، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠. قدس سره.

(٢) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، المصدر السابق، ج١٤، ص١٠.

بالله ﷻ وتبعاً لذلك تنعكس في الأنبياء العظام ﷺ ومن خلالهم إلى سائر الناس ـ هذه من الأهميّة بمكان بحيث جاء بعد «الله» «ربّ العالمين».

أيضاً تقرأون في هذه السورة نفسها أنَّ غايةً التربية هي الحركة في الصراط المستقيم، ومُنتهى الصراط المستقيم هو الكمال المُطلق وهو الله.

[الأنبياءُ ﷺ وتربيةُ الناس على طلب الهداية]

لقد دُعينا إلى أنْ نكون تحت تربية الأنبياء ﷺ وتحت تربية عُظماء الأولياء ليقوموا بهدايتنا إلى الطريق المستقيم، وأن نطلب يومياً عدةَ مراتٍ من الله ﷻ أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، لا إلى اليسار ولا إلى اليمين: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

يجب أنْ ننتبه إلى هذا المعنى وهو أنَّ الإنسان موجودٌ إذا تُرِكَ لينشأ على رسله فإنَّهُ سيكون أسوأ الموجودات وأحط الموجودات، وإذا كنا خاضعين للتربية وطوينا الصراطَ المستقيم فإنّنا نصل إلى مكانٍ لا نستطيع أن نتخيله حيث بحر العظمة وبحر الكبرياء...»[١].

[طريقُ الإسلام... هدايةٌ إلى النهاية]

«... لقد جاء الأنبياء جميعاً منذ بدء العالم وحتى النهاية لأجل أخذ الإنسان من الطرق الضالة والباطلة نحو صراط الإنسانيّة المستقيم، إنَّهُ طريقٌ يبدأ من هنا ويمتد إلى الله تعالى...»[٢].

---

(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل ﷺ، راجع: صحيفة الإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ج١٤، ص١٢٤.

(٢) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل ﷺ، المصدر السابق، ج١٥، ص٦٨.

﴿. . . فإذا ما خطونا في هذا الصراط المستقيم، الذي هو طريق الإسلام، فسوف تستمر الهداية إلى النهاية. إنَّكم وجميع الذين يؤدون الصلاة يسألون الله تعالى عدةَ مراتٍ في اليوم قائلين: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، فإذا ما حصلت هذه الهداية فإنَّها ستستمر إلى آخر العمر. فالأصلُ هو أنْ يخطو الإنسانُ الخطوةَ الأولى في الطريق الذي ينبغي أنْ يسير فيه، سواء السير المعنوي أو المادي. . .﴾[1].

[مفاسدُنا من أنفسنا... وما يأتينا في الآخرة فهو منا]

﴿. . . إنَّ جميعَ المفاسد من الإنسان ومن نفسه، فهي لا تأتينا من مكانٍ آخر إنما هي أعمالكم تُرَدُّ إليكم. إنَّ المفاسد الكبيرة التي يشهدها البشر كلها من فساد الإنسان نفسه ومن فساد الحكومات والنفوس الخبيثة. فكُلُّ ما يأتينا في الآخرة فهو منّا. إنّنا الآن نجتاز الصراط الذي أحد جانبيه في الدنيا وجانب آخر في الآخرة، ونحن نسير في الصراط الآن، فإذا رُفع الستار سنشاهد صراط جهنم الذي هو النار يحيط بكم، عليكم باجتياز هذا الفساد سالمين.

[جهنم خامدةٌ للأنبياء والمؤمنين محيطةٌ بالكافرين]

إنَّ الأنبياء يجتازونه قائلين: «**جزناها وهي خامدة**»[2]، إنَّ النيران مطفأةٌ لهم، كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، فيجتازها المؤمنون بسلام،

---

(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، المصدر السابق، ج١٧، ص١٤٣.

(٢) راجع: علم اليقين للفيض الكاشاني رحمه الله، ج٢، ص٩٧١، روايةٌ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

فهي ليست خامدة ولكنَّها لا تضّرهم، إنَّها صدى لهذا العالم، فليست شيئاً مستقلاً فهي ما نراه في الدنيا، فكُلُّ ما يحصل في الآخرة صدى لما نشاهده في هذا العالم.

إنَّنا الآن نعبر الصراط وإن الصراط في جهنم وهي للأنبياء العظام والأولياء الكبار خامدة، فجهنم خامدةٌ للمؤمنين وهي محيطةٌ بالكافرين ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١] ولم يرد «ستحيط» بل هي محيطة الآن ولكنَّنا لا ندرك ذلك.

[برفع الحُجُب تظهر الأشياء وتراها العيون]

إنَّ العينَ مغمضةٌ هنا وعليها حجابٌ فإذا رفع الحجاب فمن كان من جهنم رأى نفسه فيها، ومن كان من الجنة رأى نفسه فيها، فالبرزخ جنة له، كما أنَّ البرزخ جهنم للثاني، «القبرُ إمّا حُفرَةٌ مِنْ حُفَرِ النيرانِ أو رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَةِ»[٢]، فإذا نظرت العينُ إلى هناك ستظهر أشياء جديدة، وهذه الأشياء الجديدة لا يمكن تداركها هناك بل يجب أن نفكر فيها اليوم...»[٣].

«... فالصراطُ المُستقيم هو العمل بما سَنَّهُ اللهُ عزّ وجلّ...»[٤].

---

(١) العنكبوت: ٥٤.

(٢) الحديثُ منقولٌ في بحار الأنوار، ج٦، ص٢٠٥، كتاب العدل والمعاد، الباب الثامن، في أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله، عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وفي ج٧٤، ص٣٨٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابٍ كتبه لمحمد بن أبي بكر لما ولاه مصر. وكذلك راجع: الأمالي، للشيخ الطوسي رحمه الله، ص٢٨، كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر وأهل مصر.

(٣) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٩٨.

(٤) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، المصدر السابق، ج١٩، ص٢٨٨.

[ليكن طريقكم صراطاً مُستقيماً]

﴿. . . الصراطُ الذي هو كما في الروايات «**أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيف وأشدُّ سواداً من الليل المُظلم**»[1]، وفي بعض الروايات أنَّه «ممدودٌ على متن جهنم»[2]، أي إنَّهُ يَعْبُرُ من داخل النار والنارُ مُحيطةٌ به وليست مواجهة له.

لاحظوا أنَّهُ يجب العبور من هناك، أما في الدنيا فالصراط من هنا وإلى ما لا نهاية، وهذه الصورة تعرض في ذلك العالم بهذا الشكل. كونوا مستقيمين في هذا الطريق الذي تسلكونه، وليكن صراطاً مستقيماً. . .﴾[3].

---

(١) عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «الصراطُ أدقُّ من الشعرةِ وأحدُّ من السيف وأظلم من الليل».
راجع: كتاب: علم اليقين، ج٢، المقصد الرابع في معنى الصراط، ص٩٦٩. وكذلك وردت روايات أُخرى عن صادق أهل البيت عليهم السلام بهذا المؤدى، راجع: بحار الأنوار، ج٨، كتاب العدل والمعاد، باب٢٢، الحديث٢، ص٦٥.

(٢) روى العلامةُ المجلسي في بحار الأنوار، ج٧، ٣٣٢، الباب السابع عشر، الوسيلة وما يظهر من منزلة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، الحديث الثاني عشر، عن الرسول الأكرم ﷺ أنَّهُ قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكاً أن يسعر النيران السبع، ويأمر رضوان أنْ يزخرف الجنان الثمان، ويقول: يا ميكائيل مُدَّ الصراط على متن جهنم، ويقول: يا جبرئيل انصب ميزان العدل تحت العرش، ويقول: يا محمد قَرِّبْ أُمَتَكَ للحساب، ثم يأمر الله أن يُعقد على الصراط سبع قناطر طول كل قنطرة سبعة عشرة ألف فرسخ، وعلى كل قنطرة سبعون ألف ملك يسألون هذه الأمة نساؤهم ورجالهم في القنطرة الأولى عن ولاية أمير المؤمنين وحب أهل بيت محمد عليهم السلام، فمن أتى به جاز القنطرة الأولى كالبرق الخاطف، ومن لم يحب أهل بيته سقط على أم رأسه في قعر جهنم، ولو كان معه من أعمال البر عمل سبعين صديقاً».

(٣) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل قدس سره، راجع: صحيفة الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ج١٩، ص٣٢٦.

[الدنيا تظهرُ على حقيقتها في آخر المطاف]

﴿. . . إنَّ الدنيا بما فيها جهنم، تظهرُ على حقيقتها في آخر المطاف، كما أنَّ ما وراء الدنيا إلى آخر مراتبه هو الجنة التي تظهر في النهاية بعد الخروج من خدر الطبيعة. وأنا وأنتِ والجميع نسير إما للسقوط في قعر جهنم أو لبلوغ الجنة والملأ الأعلى. «**رُوِيَ أنَّ الرسول ﷺ كان جالساً إلى أصحابه يوماً فسمعوا صوتاً مهيباً، فسألوا: ما هذا الصوت؟ فقال** ﷺ: «**حجرٌ أُلقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنةٍ، الآن وصل إلى قعرها، وقال أولوا الألباب: في وقتها سمعنا أنَّ رجُلاً كافراً عَمَّرَ سبعين سنةٍ، مات حينها فسقط في جهنم**»[1].

[لكُلِّ إنسانٍ صراطُهُ الخاص في الدنيا]

نحنُ جميعاً في الصراط الذي يَمُرُّ فوق جهنم التي تتجلّى لنا في ذلك العالم، فلكُلِّ إنسانٍ صراطٌ خاصٌّ به هنا في الدنيا، وهو في حالة سيرٍ إما في الصراط المستقيم الذي ينتهي به إلى الجنة وما فوقها، أو على الصراط المُنحرف يميناً أو شمالاً مما ينتهي إلى جهنم.

نسألُ الله تعالى أن يجعل مسيرتنا على الصراط المُستقيم ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ (الإنحرافُ إلى جهةٍ) ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (إنحرافٌ إلى الجهة الأُخرى). وهذه الحقائق تكونُ مشهودةً في الحشر عَياناً.

(١) راجع: علم اليقين للفيض الكاشاني ﷺ، ج٢، ص١٠٠٢، المقصد الرابع، الباب الثالث عشر، الفصل الرابع.

[صراطُ جهنم باطنُ الصراط المُستقيم في هذا العالم]

صراطُ جهنم الذي وصفت الرواياتُ دِقَّتَهُ وَحِدَّتَهُ وظُلمَتَهُ[١] هو باطن الصراط المُستقيم في هذا العالم، فكم هو دقيقٌ ومُظلمٌ، وكم صعبٌ علينا اجتيازه نحنُ العاجزين؟، أما أولئك الذين اجتازوه دون أيِّ انحرافٍ يقولون: «**جُزنا وهي خامدة**»[٢]، وبين هذا وذلك وعلى مقدار ونوع سير الإنسان في الصراط هذا العالم، يعتمدُ نوعُ ومدى الاطمئنان في اجتياز الصراط هناك.

[نحنُ جميعاً نحصُدُ ما زرعنا]

ضعي الغرور والآمال الشيطانية الكاذبة جانباً، وَجِدّي في العمل وفي تهذيب النفس وتربيتها فإنَّ الرحيل وشيكٌ، وكُلُّ يومٍ يَمُرُّ وأنتِ غافلة يُؤَخِّرُكِ حتماً، وإيّاكِ أن تَردّي عليَّ بالقول: «ولماذا لست مستعداً أنت «**أُنظُر إلى ما قيل لا إلى من قال**»[٣]. فمهما كان حالي فأنا الرهين بذلك وكذا الجميع، وجهنمُ كُلِّ إنسانٍ وَجَنَّتُهُ هي نتيجة أعماله، ونحنُ جميعاً نحصُدُ ما زرعنا.

---

(١) إشارةٌ إلى حديث رسول الله ﷺ: «الصراطُ أدقُ من الشعرةِ وأحدُ من السيف وأظلمُ من الليل» المُتقدم.

(٢) راجع: علم اليقين للفيض الكاشاني ﵀، ج٢، ص٩٧١، روايةٌ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

(٣) قال أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇: «خذ الحكمة ممن أتاك بها وانظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال». راجع: عيون الحكم والمواعظ، ص٢٤١. وكذلك راجع: «شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين ﵇» لابن ميثم البحراني، ص٦٨، الكلمة العاشرة.

إنَّ الإنسانَ مفطورٌ ومجبولٌ على الاستقامة والصلاح، وحُبُ الخير فطرةٌ إنسانيّةٌ نحنُ نَجُرُها نحو الانحراف، ونحنُ الذين نزيد الحُجُب أمامنا ونَلُفُّ أنفُسَنا بهذه الشِباك.

كالعير في البيداء يقتُلُها الظما   والماءُ فوق ظهورها محمولُ[1]...[2]

---

(١) بيتٌ من الشعر يَقرُبُ معناهُ من معنى بيت الشعر االفارسي الذي أورده الإمام الراحل ﷺ في متن رسالته، وهو:

اين شيفتگان كه در صراطند همه / جوينده عشمه حياتند همه

حق ميطلبند وخود ندانند آن را / در آب به دنبال فُراتند همه

وترجمتُهُ: إنَّ هؤلاء المُتيمين السائرين في الصراط يبحثون عن ينبوع الحياة جميعاً، إنّهم جميعاً يطلبون الحق ولكنّهم لا يعلمون إنّهم في وسط الماء ويبحثون عن الفرات.

(٢) مقطعٌ من رسالة الإمام الراحل ﷺ للسيّدة فاطمة الطباطبائي عقيلة نجله السيّد أحمد الخميني ﷺ، وكانت قد طلبت من الإمام ﷺ أن يكتب لها رسالةً إرشاديّةً في العرفان، فكتب لها صفحاتٍ رائعةٍ قال في مطلعها ص٣٩: «فاطمةُ طلبت مني رسالةَ العرفانِ، كأنّما من نملةٍ قد طلبت عرشَ سليمان، لعلها ما سمعت من قال «ما عرفناك» ولا...، وهو الذي يسألُهُ جبريلُ من ألطافه». راجع: المظاهر الرحمانيّة، من رسائل الإمام الخميني ﷺ العرفانيّة، ص٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩. كذلك راجع: صحيفة الإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٥٤ ـ ٣٥٥. (مع اختلافٍ يسيرٍ في الترجمة).

[تفسيرُ: ﴿غير المغضوب عليهم وال الضالّين﴾]

[أحكامُ الإسلام وسياساتُهُ متوجهةٌ نحو المعنويّات والماديّات معاً]

﴿. . . هؤلاء الذين يرون جانباً واحداً من الإسلام دون غيره ناقصون ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

يُروَىَ ـ ولستُ بصدد تصحيح الرواية أو ردّها ـ أنَّ من المفسرين من يقولون: إنَّ «**المغضوب عليهم**» هم اليهود، و«**الضالين**» هم النصارى. وهناك رواية أُخرى ـ ولا استطيع تأكيدها، ولكنّي أنقلها عمّن نقلوها ـ أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**كان أخي موسى عينه اليمنى عمياء وأخي عيسى عينه اليسرى عمياء، وأنا ذو عينين**»[1].

ويقول هؤلاء المفسرون: إنَّ ذلك لأنَّ التوراة اهتمت بالماديّات والأمور السياسيّة والدنيويّة أكثر، وترون كيف تكالب اليهود، يأكلون الدنيا بكلتا يديهم، وما زالوا غير مُكتفين، إنَّهم يأكلون أميركا، ويأكلون ايران الآن أيضاً، وهم غير قانعين، يبتلعون كُلَّ مكانٍ بأكمله. وفي كتاب حضرة عيسى

---

(١) تقدمت الإشارةُ إلى هذه الرواية والتعليق عليها في القسم الأوّل من هذا الكتاب، عند تفسير سورة الحمد من كتاب «سرّ الصلاة»، فراجع.

كان التوجّه نحو المعنويّات والروحانيّة أكثر، فالعين اليسرى التي تُعَبر عن الجانب الطبيعي كانت عمياء ـ ولا أستطيع تأكيد صدور الرواية عن الرسول الأكرم ﷺ لكنّي أنقلها كما نُقِلَت ـ أيّ: لم يكن متوجّهاً إلى جهة اليسار التي تشير إلى الطبيعة أو أنَّهُ كان قليل التوجّه نحوها. والتوراة حسب طبيعتها كان توجُهُها للماديّات أكثر.

و(**أنا ذو عينين**) أيّ: مُتَوجّهٌ نحو المعنويّات والماديّات معاً، وترون كيف أنَّ أحكام الإسلام تشهد على ذلك، وترون أحكامه وسياساته...»[1].



(١) مقطعٌ من خطابٍ لسماحة الإمام الراحل ﷺ، راجع: صحيفة الإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ج٣، ص٢١٥.



فهرس المصادر

فهرس المصادر

١ . القرآن الكريم.

٢ . الإحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق الشيخ إبراهيم البهادُري والشيخ محمد هادي بِهْ، إشراف الشيخ جعفر السبحاني، نشر دار الأُسوة للطباعة والنشر، قم المُقدسة، إيران، ط: الثالثة، ١٤٢٢هـ/ ق.

٣ . آداب الصلاة، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، الشؤون الدوليّة، طهران، إيران، ط: السادسة، ٢٠٠٣م.

٤ . الأربعون حديثاً، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، تعريب السيّد محمد الغروي، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: السادسة، ١٤١٩هـ/ ق، ١٩٩٨م.

٥ . أسرار الصلاة، الميرزا جواد الملكي التبريزي رحمه الله، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ق، ١٩٨٥م.

٦ . أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلاميّة، طهران، إيران، ط: الخامسة، ١٣٦٣هـ/ ش.

٧ . الإعتقادات في مذهب الإماميّة، الشيخ الصّدوق محمد بن علي بن بابويه

القمي رحمه الله، تحقيق عصام عبد السيّد، نشر المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المُفيد رحمه الله، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٣هـ/ق، ١٣٧١هـ/ش.

٨. إقبال الأعمال، السيّد ابن طاووس رحمه الله، تحقيق الشيخ جود القيومي الأصفهاني، نشر بستان كتاب التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في قم المقدسة، إيران، ط: الثانية، ١٤١هـ/ق.

٩. الأمالي، الشيخ الطوسي رحمه الله، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٤هـ/ق.

١٠. الأمالي، للشيخ المُفيد رحمه الله، تحقيق حسين الأستاد ولي وعلي أكبر الغفاري، نشر دار المُفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الثانية، ١٤١٤هـ/ق، ١٩٩٣م.

١١. الأمثال والحِكَم، علي أكبر دهخدا، انتشارات مطبعة أمير كبير، تهران، ١٣٧٥هـ/ش.

١٢. إنشاء الدوائر، الشيخ محي الدين ابن عربي، مطبعة بريل، مدينة ليدن، هولندا، ١٣٣٩هـ/ق.

١٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي رحمه الله. نشر مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط: الثانية المُحققة، ١٤٠٣هـ/ق، ١٩٨٣م.

١٥. بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن الحسن الصفّار (من أصحاب

الإمام الحسن العسكري عليه السلام)، نشر مؤسسة الأعلمي طهران، إيران، ١٤٠٤هـ/ ق.

١٦. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي رحمه الله، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ/ ق.

١٧. تحرير الوسيلة، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، مؤسسة مطبوعات إسماعيليان، قم المقدسة، إيران، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ق.

١٨. تحريرات في الأصول، السيّد الشهيد مصطفى الخميني رحمه الله، نشر مؤسسة حفظ ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٨هـ/ ق.

١٩. تحف العقول، ابن شعبة الحراني، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ١٤٠٤ هـ/ ق.

٢٠. تعليقات على فصوص الحكم ومصباح الأُنس، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، نشر مؤسسة باسدار إسلام، قم، إيران، ط: الثانية، ١٤١٠هـ/ ق.

٢١. التعليقة على العروة الوثقى، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، طهران، إيران، ط: الثانية، ١٤٢٧هـ/ ق.

٢٢. التعليقة على الفوائد الرضوية، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، طهران، إيران، ط: الثالثة، ١٤٢٧هـ/ ق.

٢٣. تفسير الإمام العسكري عليه السلام، منسوبٌ للإمام أبي محمد بن علي العسكري عليه السلام، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ/ ق.

٢٤. تفسير الصافي، الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٢هـ/ ق، ١٩٨٢م.

٢٥. تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١١هـ/ ق، ١٩٩١م.

٢٦. تفسير القرآن الكريم، السيّد مصطفى الخميني رحمه الله، تحقيق ونشر مؤسسة حفظ ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٨هـ/ ق.

٢٧. تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي رحمه الله، تحقيق محمد خواجوي، انتشارات بيدار، قم المقدسة، إيران، ط: الثانية، ١٣٦٦هـ/ ش.

٢٨. تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي رحمه الله، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٨هـ/ ق.

٢٩. تفسير مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير أو تفسير الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، نشر دار إحياء التُراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/ ق.

٣٠. تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي

الحويزي رحمه الله، تحقيق السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، نشر مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، إيران، ط: الرابعة، ١٤١٢هـ/ ق.

٣١. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي رحمه الله، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، إيران، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.

٣٢. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي رحمه الله، تحقيق حسن الخرسان، نشر دار الكتب الاسلامية، طهران، إيران، ط: الرابعة، ١٣٦٥هـ/ ش.

٣٣. التوحيد، الشيخ الصّدوق محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلميّة في قم المقدسة، إيران.

٣٤. جامع الأسرار ومنبع الأنوار، السيّد حيدر بن علي الحسيني الآملي، نشر مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ/ ق، ٢٠٠٥م.

٣٥. جامع الشواهد، محمد باقر شريف اردكاني، نشر مكتبة ثقفي، أصفهان، إيران.

٣٦. جنود العقل والجهل، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، تعريب السيّد أحمد الفهري، نشر انتشارات ذوي القُربى، قم المُقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ق، ١٣٨٠هـ/ ش.

٣٧. الجواهر السَنِيَّة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي رحمه الله، طبعة دار النعمان، النجف الأشرف، العراق، ١٣٨٤هـ/ ق، ١٩٦٤م.

٣٨. الحاشية على أصول الكافي، رفيع الدين محمد بن حيدر النائيني،

تحقيق محمد حسن الدرايتي، نشر دار الحديث، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ق.

٣٩. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، الملا صدر الدين الشيرازي رحمه الله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، ١٩٨١م.

٤٠. الخصال، الشيخ الصدوق رحمه الله، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ١٤٠٣هـ/ ق.

٤١. الخلاف، الشيخ الطوسي رحمه الله، تحقيق علي الخراساني وجواد الشهرستاني ومحمد مهدي نجف، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ط: السادسة، ١٤٢٥هـ/ ق.

٤٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٤٣. ديوانُ أبي العتاهية، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح، دمشق.

٤٤. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الأقا بزرگ الطهراني رحمه الله، نشر دار الأضواء، بيروت، لبنان.

٤٥. رسالة العروة الوثقى، الشيخ بهاء الدين العاملي قدس سره، طبعة دار القرآن الكريم، قم المقدسة، إيران، ١٤١٣هـ/ ق.

٤٦. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، تحقيق الميرزا أبو الحسن الشعراني، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ/ ق، ٢٠٠٠م.

٤٧. شرح الأسماء الحُسنى، الملا هادي السبزواري ﴿﴾، نشر مكتبة بصيرتي، قم المقدسة، إيران، طبعة حجرية.

٤٨. شرح الأسماء الحسنى، المولى هادي السبزواري ﴿﴾، تحقيق الدكتور نجفقلي حبيبي، نشر انتشارات جامعة طهران، طهران، إيران، ١٣٧٢هـ/ ش.

٤٩. شرح الإشارات والتنبيهات، الخواجة نصير الدين الطوسي ﴿﴾، تحقيق الشيخ حسن زادة آلاملي، نشر بستان كتاب التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في قم المقدّسة، إيران، ط: الثانية، ١٤٢٨هـ/ ق.

٥٠. شرح دعاء السَّحَر، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني ﴿﴾، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﴿﴾، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٦هـ/ ق.

٥١. شرح دعاء الصباح، المولى هادي السبزواري ﴿﴾، تحقيق الدكتور نجفقلي حبيبي، نشر انتشارات جامعة طهران، طهران، إيران، ١٣٧٢هـ/ ش.

٥٢. شرح فصوص الحكم، داوود بن محمود القيصري، انتشارات فرهموند، طهران، إيران، ١٣٦١هـ/ ق.

٥٣. شرح مقدمة القيصري، السيّد جلال الدين آشتياني، فارسي، نشر انتشارات أمير كبير، طهران، إيران، ١٣٧٠هـ/ ش.

٥٤. شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين ﴿﴾، ابن ميثم البحراني ﴿﴾، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ط: الثانية، ١٤١٩هـ/ ق.

٥٥. صحيح البخاري، البخاري، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/ق، ١٩٨١م، طبعة أفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستنبول.

٥٦. صحيح مُسلم، مُسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ق.

٥٧. صحيفة الإمام الخميني قدس سره، الطبعة الإلكترونية الصادرة عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، قم المقدسة، إيران، ١٤٣١هـ/ق، ٢٠١٠م.

٥٨. الصحيفة السجادية الكاملة للإمام زين العابدين عليه السلام، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ١٤٠٤هـ.

٥٩. الطلب والإرادة، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، طهران، إيران، ط: الثالثة، ١٤٢٧هـ/ق.

٦٠. العروة الوثقى، السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي قدس سره، نشر الدار الإسلامية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٠هـ/ق، ١٩٩٠م.

٦١. علل الشرائع، الشيخ الصدوق رحمه الله، تحقيق وتقديم السيّد محمد صادق بحر العلوم، نشر منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، ١٣٨٦هـ/ق، ١٩٦٦م.

٦٢. علم اليقين، الملا محسن الفيض الكاشاني قدس سره، انتشارات بيدار، قم المقدسة، إيران، ١٣٨٥هـ/ش.

٦٣. عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الإحسائي رحمه الله، تحقيق مجتبى

العراقي، مطبعة سيّد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ/ ق.

٦٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدّوق رحمه الله، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ق، ١٩٨٤م.

٦٥. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق الشيخ حسين البيرجندي، نشر دار الحديث، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى.

٦٦. فتح الباري في شرح صحيح البُخاري، ابن حجر العسقلاني، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الثانية.

٦٧. الفتوحات المكيّة، الشيخ محي الدين ابن عربي، نشر الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٣٩٢هـ/ ق.

٦٨. فصوص الحكم، محيي الدين ابن عربي، تعليق أبو العلا عفيفي، نشر مكتبة الزهراء عليها السلام، طهران، إيران، ١٣٦٦هـ/ ش.

٦٩. الفصول المهمة في أصول الأئمة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي رحمه الله، تحقيق محمد القائيني، نشر مؤسسة الإمام الرضا عليه السلام للمعارف الإسلامية، إيران، ط: الأولى، ١٤١٨هـ/ ق، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ق.

٧٠. فلاح السائل ونجاح المسائل، السيّد ابن طاووس أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر قدس سره، تحقيق غلام حسين المجيدي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٩هـ/ ق.

٧١. القاموس الفقهي، الشيخ حسين مرعي رحمه الله، نشر دار المجتبى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣هـ/ ق، ١٩٩٢م.

٧٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ق.

٧٣. المجازات النبويّة، الشريف الرضي، تحقيق طه محمد الزيتي، نشر منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة، إيران.

٧٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي رحمه الله، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ/ ق، ١٩٩٥م.

٧٥. المحاسن، الشيخ أحمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، إيران.

٧٦. مدخل إلى العلوم الإسلاميّة، الشيخ الشهيد مرتضى مطهري رحمه الله، ترجمة حسن علي الهاشمي، نشر مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤٢١هـ/ ق، ٢٠٠١م.

٧٧. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المولى محمد باقر المجلسي رحمه الله، مقابلة وتصحيح السيّد هاشم رسولي، نشر دار الكتب الإسلامية، تهران، إيران، ط: الرابعة، ١٣٧٩هـ/ ش.

٧٨. مُستدرك الوسائل ومُستنبط المسائل، الشيخ الميرزا حسين النوري الطبرسي قدس سره، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُراث، ط: الثالثة، ١٤١١هـ/ ق، ١٩٩١م.

٧٩. مُستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي رحمه الله، تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة

لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ١٤١٨هـ.

٨٠. مستمسك العروة الوثقى، السيّد محسن الطباطبائي الحكيم قدس سره، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، ١٣٨٨هـ/ ق، ١٩٦٨م، أُفست عن طبعة مطبعة الآداب في النجف الأشرف، العراق.

٨١. مُسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، نشر دار صادر، بيروت، لبنان.

٨٢. مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الحافظ رجب بن رجب البرسي الحلّي رحمه الله، تحقيق السيّد جمال أشرف المازندراني، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ/ ق.

٨٣. مصارع المصارع، الخواجة نصير الدين الطوسي أعلى الله مقامه، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قدس سره، قم المقدسة، إيران، ١٤٠٥هـ/ ق.

٨٤. مصباح الشريعة، المنسوب إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٠هـ/ ق.

٨٥. مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، الشيخ الطوسي رحمه الله، نشر مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ، لبنان، ط: الأولى، ١٤١١هـ/ ق، ١٩٩١م.

٨٦. مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٣٧٢هـ/ ش.

٨٧. مُصطلحات الفقه، آية الله الشيخ علي المشكيني رحمه الله، نشر الهادي، قم المقدسة، إيران، ط: الثانية، ١٣٧٩هـ/ ش.

٨٨. المظاهر الرحمانيّة، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، الشؤون الدوليّة، طهران، إيران، ط: الأولى، ١٩٩٥م.

٨٩. معاني الأخبار، الشيخ الصّدوق محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ١٣٧٩هـ/ ق.

٩٠. مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي رحمه الله، طبعة دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ودار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/ ق، ١٩٩٦م.

٩١. مكارم الأخلاق، الشيخ أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي رحمه الله، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ط: الثالثة، ١٤٢١هـ/ ق.

٩٢. مكيال المكارم، الميرزا محمد تقي الأصفهاني رحمه الله، تحقيق السيّد علي عاشور، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ/ ق.

٩٣. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصّدوق رحمه الله، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران.

٩٤. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، ١٣٧٦هـ/ ق، ١٩٥٦م.

٩٥. الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي قدس سره، نشر

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الأولى المُحققة، ١٤١٧هـ/ ق، ١٩٩٧م.

٩٦. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي، نشر مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، إيران، ط: الرابعة، ١٣٦٤هـ/ ش.

٩٧. نهج البلاغة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده، نشر دار الذخائر، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٢هـ/ ق.

٩٨. نهج البلاغة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الأولى المُصَحّحة، ١٤١٣هـ/ ق، ١٩٩٣م.

٩٩. الوافي، المولى محسن الفيض الكاشاني رحمه الله، تحقيق مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان، إيران، نشر مؤسسة عطر العترة عليهم السلام، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ/ ق.

١٠٠. ينابيع المودة لذوي القربى، البلخي القندوزي، تحقيق السيّد علي جمال أشرف الحسيني، دار أسوة للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٦هـ/ ق.



المحتويات

المحتويات

الفصل الرابع: إشاراتٌ تفسيريةٌ حول سورة الحمد


بحمد الله تعالى